

تَفْسِيرُ

كَتَبُ الدِّقَاتِ وَبَحْرُ الْغَرَائِبِ

الطَّبَعَةُ الْمُبْدِئَةُ

لِلْعَلَمَةِ الْمُفَسِّرِ الْحَرِّ الْكَرِيمِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْهَرَوِيِّ

مِنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدِ بْنِ دُرِّكَانٍ

فِي رَجَبِ سَنَةِ ١٣٥٠

الطَّبَعَةُ الثَّامِنَةُ

تَفْسِيرُ
كَتَبِ الدَّقَائِقِ وَبَحْرِ الْغَرَائِبِ

الطَّبَعَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ

الجزء الثامن

لِلْعَلَّامَةِ الْمُفَسِّرِ الْحَاضِرِ الْأَكْبَرِ
الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المصمدي
من أعلام القرن الثاني عشر

تَحْقِيقُ
مُحَسِّنِ دَرْكَاهِي



سرشناسه : قمی مشهدی، محمد بن محمد رضا، قرن ۱۲ ق.
 عنوان و پدیدآور : تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب/محمد بن محمد رضا/قمی مشهدی؛ تحقیق حسین درگاهی.
 مشخصات نشر : تهران: شمس الضحی، ۱۳۸۷.
 مشخصات ظاهری : ۱۴ ج.
 شابک : (ج ۸)؛ 8 - 14 - 978 - 964 - ISBN
 (دوره)؛ 3 - 06 - 978 - 964 - ISBN
 وضعیت فهرستری : فیا.
 یادداشت : کتاب حاضر در سال های مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است.
 موضوع : تفاسیر ماثوره -- شیعه امامیه.
 موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۲ ق.
 شناسه افزوده : درگاهی، حسین، ۱۳۳۱ - ، مصحح.
 رده بندی کنگره : ۱۳۸۷ ک ۸ ق ۳ / ۹۷ BP
 رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۳۶
 شماره کتابخانه ملی: ۱۶۳۰۶۱۷

تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب، الجزء الثامن

تألیف: الشیخ محمد بن محمد رضا القمی المشهدی

تحقیق: حسین درگاهی

منشورات مؤسسة شمس الضحی

الطبعة الاولى: ۱۴۳۰ هـ ق - ۱۳۸۷ هـ ش.

طبع في ۱۰۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

سعر الدّورة في: ۱۷ مجلدًا: ۱۱۰/۰۰۰ توماناً

شابک (ردمک): الجزء الثامن: ۸ - ۱۴ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸

شابک (ردمک): الدّورة في ۱۴ مجلدًا: ۳ - ۰۶ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸

صندوق البريد: تهران ۳۱۴۱ - ۱۹۳۹۵



مراكز التوزيع:

- (۱) قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ۶۵، هاتف و فکس: ۷۷۳۳۴۱۳ - ۷۷۴۴۹۸۸ (۹۸۲۵۱+)
 - (۱) قم، شارع صفائيہ، مقابل زقاق رقم ۳۸، منشورات دليل ما، هاتف ۷۷۳۷۰۱۱ - ۷۷۳۷۰۰۱
 - (۲) طهران، شارع إنتقلاب، شارع فخررازي، رقم ۳۲، منشورات دليل ما، هاتف ۶۶۴۶۴۱۴۱ - ۰۲۱
 - (۳) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادرى، زقاق خوراكیان،
- بنایة گنجینه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، هاتف ۵ - ۲۲۳۷۱۱۳ - ۰۵۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وآله الطيّبين الطاهرين،
ولا سيما بقيّة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائه وأعدائهم أجمعين.

النسخ التي استفدنا منها في تحقيق الربع الثاني من تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب،
من أوّل سورة الأنعام إلى آخر سورة الكهف:

١. نسخة مكتوبة في حياة المؤلف سنة ١١٠٥ هـ، في مكتبة آية الله العظمى النجفي
المرعشي العامة بقم، رقم ١٢٨٣، مذكورة في فهرسها ٨٣/٤. رمزها: ج.
٢. نسخة في نفس المكتبة، رقم ٣٠٧، مذكورة في فهرسها ٣٥٠/١. رمزها: ب.
٣. نسخة في مكتبة مدرسة الشهيد المطهري، رقم ٢٠٥٤، مذكورة في فهرسها
١٦٢/١، مكتوبة في سنة ١٢٤٠ هـ، رمزها: س.
٤. نسخة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (١)، رقم ١٢٠٧٣، مكتوبة في حياة
المؤلف وعلى ظهرها تقرّظ العلامة المجلسي رحمة الله تعالى عليه. رمزها: ر.

والحمد لله أولاً وآخراً

حسين درگاهي

سورة الكهف

سورة الكهف

مَكِّيَّة، إلّا قوله: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم» فإنّها نزلت بالمدينة في قصة عينية بن حصين الفزاريّ.
[وهي مائة واحد عشر آية]^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(٢)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة الكهف في كلّ ليلة جمعة لم يمت إلّا شهيداً، ويبعثه الله من^(٣) الشهداء، ووقف يوم القيامة مع الشهداء.

وفي الكافي^(٤): الحسين بن محمّد، عن عبد الله بن عامر، عن عليّ بن مهزيار، عن أيّوب بن نوح، عن محمّد بن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من قرأ سورة الكهف في كلّ ليلة جمعة كانت كفّارة ما بين الجمعة إلى الجمعة.

قال^(٥): وروى غيره أيضاً فيمن قرأها يوم الجمعة بعد الظهر والعصر، مثل ذلك. وفي مجمع البيان^(٦): أبيّ بن كعب، عن النبيّ ﷺ قال: من قرأها فهو معصوم ثمانية أيّام من كلّ فتنة، فإن خرج الدّجال في [تلك]^(٧) الثمانية أيّام عصمه الله من فتنة الدّجال. سمرة بن جندب^(٨)، عن النبيّ ﷺ قال: من قرأ عشر آيات من سورة الكهف

٢. ثواب الأعمال / ١٣٤، ح ٢.

٤. الكافي / ٤٢٩/٣، ح ٧.

٦. مجمع البيان / ٤٤٧/٣.

٨. نفس المصدر والموضع.

١. ليس في ج.

٣. المصدر: مع.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. من المصدر.

[حفظاً] ^(١) لم يضره فتنة الدجال، ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة.
وعن النبي ^(٢) ﷺ: ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ^(٣) ألف ملك حين نزلت،
ملأت عظمتهما ما بين السماء والأرض؟
قالوا: بلى.

قال: سورة أصحاب الكهف، من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى
وزيادة ثلاثة أيام، وأعطى نوراً يبلغ السماء، ووفي فتنة الدجال.
وروى الواحدي ^(٤)، بإسناده إلى أبي الدرداء، عن النبي ^(٥) ﷺ قال: من حفظ عشر
آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة
الكهف ^(٦) كانت له نوراً يوم القيامة.

وروى أيضاً بالإسناد ^(٧)، عن سعيد بن محمد الحرمي ^(٨)، عن أبيه، عن جده، عن
النبي ^(٩) ﷺ قال: من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون،
فإن خرج الدجال عُصم منه.

وفي عيون الأخبار ^(٩)، في باب ما جاء عن الرضا ^(١٠) عليه السلام من خبر الشامي وماسأل عنه
أمير المؤمنين ^(١١) عليه السلام في جامع الكوفة حديث طويل، وفيه: سأله: كم حج آدم من حجة؟
فقال له: سبعين حجة ماشياً على قدميه، وأول حجة حجها كان معه الصرد يدله
على مواضع الماء، وخرج معه من الجنة، وقد نهى عن أكل الصرد والخطاف.
وسأله: ما باله لا يمشي؟

فقال: لأنه ناح على بيت المقدس فطاف حوله أربعين عاماً يبكي عليه، ولم يزل

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في أ، ب.

٤. ليس في ب.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: الجزمي.

٧. العيون ١/٢٤٣، ح ١.

يبكي مع آدم عليه السلام. فمن هناك سكن البيوت، ومعه تسع آيات من كتاب الله مما كان آدم يقرأها^(١) في الجنة، وهي معه إلى يوم القيامة: ثلاث آيات من أول الكهف، وثلاث [آيات]^(٢) من «سبحان الذي» وإذا قرأت القرآن^(٣)، وثلاث آيات من يس «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً»^(٤).

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ»: يعني القرآن. رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه، وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد.

«وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً»^(٥): شيئاً من العوج، باختلال في اللفظ وتناقض في المعنى^(٦)، أو انحراف من الدعوة إلى جناب الحق. وهو في المعاني كالعوج في الأعيان.

«قِيَمًا»: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط. أو قِيَمًا على سائر^(٧) الكتب السابقة يشهد بصحتها. أو قِيَمًا دائماً يدوم ويثبت إلى يوم القيامة، لا يُنسخ. وانتصابه بمضمر، تقديره: جعله قِيَمًا. أو على الحال من الضمير في «له»، أو من «الكتاب» على أن الواو في «ولم يجعل» للحال دون العطف، إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلاً بين أبعاض المعطوف عليه، ولذلك قيل: فيه تقديم وتأخير^(٨). [قال علي بن إبراهيم^(٩) في تفسيره: هذا مقدّم ومؤخّر]^(١٠) لأن معناه: الذي أنزل على عبده الكتاب قِيَمًا ولم يجعل له عوجاً، فقد قدّم حرف على حرف.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: يقرأ بها. ٢. من المصدر.

٣. الإسراء ٤٥. ٤. يس ٤.

٥. لو فسر العوج في المعنى بما لا يقبله العقل السليم لكان أولى ليعم التناقض وغيره.

٦. ليس في أ، ب، ر.

٧. أي من جعل الواو وللعطف و«قيماً» حالاً من «الكتاب» لزمه أن يقول بأن في هذا التركيب تقديماً وتأخيراً، فيكون «قيماً» حقيقة مؤخراً لفظاً. ٨. تفسير القمي ٣٠/٢.

٩. ليس في أ، ب، ر.

وقرئ^(١): «قيماً».

﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾: أي لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً، فحذف المفعول الأول اكتفاءً بدلالة القرينة^(٢)، واقتصاراً على الغرض المسوق إليه.

﴿مِنْ لَّدُنْهُ﴾: صادراً من عنده.

وقرأ^(٣) أبو بكر بإسكان الدال وكسر النون لالتقاء الساكنين، وكسر الهاء للإتباع.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن البرقي، عمن رواه، رفعه، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: «لينذر بأساً شديداً من لدنه» قال: «البأس الشديد» علي، وهو من لدن رسول الله ﷺ قاتل معه عدوه، فذلك قوله: «لينذر بأساً شديداً من لدنه».

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن محمد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «لينذر بأساً شديداً من لدنه».

فقال أبو جعفر عليه السلام: «البأس الشديد» علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو من لدن رسول الله ﷺ، وقاتل معه^(٦) عدوه، فذلك قوله: «لينذر بأساً شديداً من لدنه».

﴿وَيُيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: هو الجنة.

وفي تفسير العياشي^(٧): عن الحسن بن صالح قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: لا تقرأ «يسّر» إنما البشر، بشر الأديم.

قال: فصليت بعد ذلك خلف الحسن، فقرأ: «تبشّر».

﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ﴾: في الأجر.

١. أنوار التنزيل ٤/٢.

٢. فيه أن القرينة لا تدل على اعتبار خصوص الكافرين، بل على اعتبار عموم العاصين لأن الإنذار مناسب لمطلق العصاة، وكذا المقابلة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد يقال: المراد من البأس الشديد: العذاب الذي بلغ الغاية، وهو مخصوص الكافرين.

٣. أنوار التنزيل ٤/٢.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٢٩١/١.

٤. تفسير العياشي ٣٢١/٢، ح ٢.

٧. تفسير العياشي ٣٢١/٢، ح ٣.

٦. ليس في المصدر.

﴿أَبْدَأُ﴾^(٣): بلا انقطاع.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾^(٤): خصَّصهم بالذكر، فكرر الإنذار متعلقاً بهم، استعظاماً لكفرهم. وإنما لم يذكر المنذر به استغناءً بتقدّم ذكره.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي بالولد^(١). أو باتّخاذه. أو بالقول، والمعنى: أنهم يقولون عن جهل مفرط وتوهم كاذب، أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به، فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى: المؤثر والأثر^(٢). أو بالله، إذ لو علموه لما جوّزوا نسبة الاتّخاذ إليه^(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): «وينذر الذين قالوا اتّخذ الله ولداً، ما لهم به من علم» قال^(٥): [ما]^(٦) قالت قريش حين زعموا أنّ الملائكة بنات الله، وما قالت اليهود والنصارى في قولهم: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله.

﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾: لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم، وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويختلفه إلى غير ذلك من الزيف.

«كلمة» نُصِبَ على التمييز. وقرئ^(٧) بالرفع، على الفاعلية.

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من

١. أي ليس لهم علم بما يترتب على كون الولد لله تعالى من المحالات.

٢. قوله: «من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به» الخ، أي من غير علم الأواخر منهم بالمعنى الذي أرادته الأوائل منهم من اللفظ الذي كانوا يقولونه، وأنهم كانوا يقولون: الابن على الأثر والأب على المؤثر. فلم يفهم الأواخر ما أراد الأوائل فتوهموا أنّ مراد الأوائل من لفظ الابن: الولد.

٣. هذا دليل يتعلّق بكلّ من التقادير، أي لو علموا ما يترتب على كون الولد ولداً لما جوّزا، الخ. أو لو علموا ما في الاتّخاذ، أو لو علموا ما أراد به الأوائل منهم لما جوّزوا.

٤. تفسير القمي ٣٠/٢.

٥. ليس في المصدر.

٦. من المصدر.

٧. أنوار التنزيل ٤/٢.

أفواههم^(١)، والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها.

وقيل^(٢): صفة محذوف هو المخصوص بالذم^(٣)، لأن «كبر» هاهنا بمعنى: بشس.

وقرئ^(٤): «كبرت» بالسكون مع الإشهام.

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(٥) ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾: قاتلها.

﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾: إذا ولّوا عن الإيمان.

شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقه أعزته، فهو يتحسر على آثارهم، ويبيع نفسه وهدأ عليهم.

وقرئ^(٥): «باخع نفسك» على الإضافة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله

: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ يقول: قاتل نفسك^(٧) على آثارهم.

﴿إِنْ لَمْ يُمْئِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: بهذا القرآن.

﴿أَسَفًا﴾^(٨): للتأسف عليهم، أو متأسفًا عليهم^(٩). و«الأسف» فرط الحزن

والغضب.

وقرئ: «أن» بالفتح، على «لأن»، فلا يجوز إعمال «باخع» إلا إذا جعل حكاية حال

ماضية^(٩).

١. لما كان من المعلوم أن الكلمة تخرج من أفواههم، ففائدة التنبيه بهذه الصفة تفيد استعظامها فكان كبرها باعتبار هذه الصفة، أي هي كلمة يجب أن لا يتكلم بها أحد، فالتكلم بها لا يكون إلا لعظم الجراءة.

٢. نفس المصدر والموضع. ٣. والمعنى: كبرت كلمة قول يخرج من أفواههم.

٤. نفس المصدر والموضع. ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. تفسير القمي ٣/٢. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: لنفسك.

٨. أي «أسفًا» إما مفعول له «باخع» لأن البخع والتأسف فعلا فاعل واحد، وإما حال عنه.

٩. يعني: إذا قرئ: «إن» بالكسر كان «باخع» للاستقبال فيوجد شرط عمله فينصب «نفسك». وأما إذا قرئ: «أن» بالفتح كان «باخع» للماضي، لأن «إن لم يؤمنوا» للماضي، لأن نفسك لأجل عدم إيمانهم في الماضي، ولا يعمل في المفعول إلا إذا جعل «باخع» حكاية حال ماضية، أي لتصوير تلك الحالة في ذهن المخاطب

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾: من الحيوان والنبات والمعادن.

﴿زِينَةً لَهَا﴾: ولأهلها.

﴿تَلْبُؤُهُمْ آيُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٧): في تعاطيه، وهو من زهد فيه، ولم يغتر به، وفتح منه بما يزجي به أيامه، وصرفه على ما ينبغي. وفيه تسكين لرسول الله ﷺ.

وفي روضة الكافي^(١)، كلام لعلي بن الحسين عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا، يقول فيه عليه السلام: واعلموا أن الله لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وخلق أهلها ليلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته.

﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾^(٨): ترهيد فيه.

وال«جرز»: الأرض التي قُطِعَ نباتها، [مأخوذ من الجرز]^(٩) وهو القطع، والمعنى: إِنَّا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض، ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه.

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: بل حسبت.

﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾: في إبقاء حياتهم مدة مديدة

﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(١٠): وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفاتنة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها إليها ليس بعجيب، مع أنه من آيات الله كالنزر الحقيقير. وال«كهف» الغار الواسع في الجبل، وإذا صغر فهو غار. وال«رقيم» اسم الجبل، أو

⇒ حتى كأنه واقع في ذلك الزمان فيوجد شرط عمله. فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون «إن لم يؤمنوا» للماضي و«بائع» للحال والاستقبال، لتوليهم في الزمان الماضي؟ قلنا: تفوت المبالغة في وجده ﷺ على توليهم، إذ التأكيد في أن يكون البائع في بدء زمان التولي لا بعده. ومن هذا يعلم أن «لم» لا تغلب المضارع إلى الماضي إذا اجتمعت مع «إن» الشرطية، وإذا اجتمعت مع «أن» الناصبة قلبتها إلى الماضي، والفرق أن الناصبة قد تدخل على فعل ماضي لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: «لو لأن من الله علينا لخسف بنا» وأما «إن» الشرطية فليست كذلك فلفقوها غلبت على «لم».

الوادي الذي فيه كهفهم، أو اسم قريتهم، أو كلبهم، أو لوح [رصاصي أو] ^(١) حجري رُقمت فيه أسماؤهم وجُعِلت على باب الكهف.

وقيل ^(٢): أصحاب الرقيم قوم آخرون، كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم ^(٣) فأخذتهم السماء، فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه، فقال أحدهم ^(٤): اذكروا أيكم عمل حسنة ^(٥)، لعل الله يرحمنا ببركته.

فقال واحد منه: استعملت أجراء ذات يوم، فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم، فأعطيته مثل أجرهم، فغضب أحدهم وترك أجره، فوضعت في جانب البيت، ثم مرّ بي بقر فاشتريت به فصيلة ^(٦) فبلغت ما شاء الله، فرجع إليّ بعد حين شيخاً ضعيفاً لا أعرفه، وقال لي: إن لي عندك حقاً. وذكره لي حتّى ^(٧) عرفته، فدفعتهما إليه جميعاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عني. فانصدع الجبل حتّى رأوا الضوء. وقال آخر: كان في فضل، وأصاب الناس شدة، فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفاً، فقلت: والله ^(٨)، ما هودون نفسك. فأبت، وعادت ثم رجعت ثلاثاً، ثم ذكرت لزوجها، فقال: أجيبني له وأعيني ^(٩) عيالك. فأتت وسلّمت إليّ نفسها، فلمّا تكشّفتها وهممت بها ارتعدت، فقلت: مالك؟ قالت: أخاف الله. فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء؟

فتركتهما وأعطيتهما ملتسمها، اللهم إن [كنت] ^(١٠) فعلته لوجهك ^(١١) فأفرج عني. فانصدع حتّى تعارفوا.

وقال الثالث: كان [إلي] ^(١٢) أبوان هيمان ^(١٣)، وكانت لي غنم، وكنت أطعمهما

٢. أنوار التنزيل ٥/٢.

١. ليس في أ، ب، ر.

٤. ليس في أ، ب، ر.

٣. أي يلتمسون شيئاً لأهلهم من طعام وغيره.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فصيلته.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: بحسنة.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا والله.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: وذكر حتّى.

١٠. من المصدر.

٩. المصدر: أغيثي.

١٢. من المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: لأجلك.

١٣. الهم: الشيخ الكبير.

وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي، فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح^(١) حتى أمسيت، فأتيت أهلي وأخذت محلي فحلبت فيه ومضيت إليهما، فوجدتهما نائمين، فشق عليّ أن أوقظهما، فتوقعت^(٢) جالساً ومحلي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما، اللهم [إن كنت]^(٣) فعلته لوجهك فأفرج عنا. ففرج الله عنهم فخرجوا. روى ذلك نعمان بن بشير مرفوعاً.

وفي مجمع البيان^(٤): وقيل إن أصحاب الرقيم هم نفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسأ عليهم، فقالوا: فليدع^(٥) الله تعالى كل واحد منا بعمله^(٦) حتى يفرج الله عنا. [ففعّلوا]^(٧) فنجّاهم الله. رواه النعمان بن البشير مرفوعاً.

وفي محاسن البرقي^(٨): عنه، [عن عبدالله]^(٩) عن عبدالرحمان بن أبي نجران، عن المفضل بن صالح، عن جابر الجعفي، يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: خرج ثلاثة^(١٠) نفر يسبحون في الأرض، فبينما هم يعبدون الله في كهف في قلة جبل حين^(١١) حتى بدت صخرة من أعلى الجبل حتى التقمت باب الكهف.

فقال بعضهم لبعض، عباد الله [والله]^(١٢) ما ينجيكم ممّا وقعتم إلّا أن تصدقوا الله، فهلّم ما عملتم لله خالصاً، فإنما ابتليتم^(١٣) بالذنوب.

فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنّي طلبت امرأة لحسنها وجمالها، فأعطيت فيها مالا ضخماً، حتى إذا قدرت عليها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة ذكرت النار

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فلم أبرح. وفي النسخ: فهم.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتوقعت. ٣. من المصدر.

٤. المجمع ٤٥٢٣. ٥. المصدر: ليدعوا.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: كل واحد ما يعمل.

٧. من المصدر. ٨. المحاسن ٢٥٣/ ح ٢٧٧.

٩. ليس في المصدر. ١٠. المصدر: ثلاث.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: حتى ١٢. ليس في أ، ب، ر.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: اسلمتم.

فقمتم عنها فرَقاً^(١) منك، اللهم فارفع عنا هذه الصخرة. فانصدعت حتى نظروا إلى الصدع.

ثم قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنني استأجرت قوماً يحرقون كل رجل منهم بنصف درهم، فلما فرغوا أعطيتهم أجورهم، فقال أحدهم: قد عملت عمل اثنين، والله لا آخذ إلا درهماً واحداً. وترك ماله عندي، فبذرت بذلك النصف الدرهم في الأرض فأخرج الله من ذلك رزقاً، وجاء صاحب النصف الدرهم فأراد، فدفعت إليه عشرة آلاف درهم^(٢)، فإن كنت تعلم أنما فعلته مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة. فانفرجت عنهم حتى نظر بعضهم إلى بعض.

ثم إن الآخر قال: اللهم إن كنت تعلم أن أبي وأمي كانا نائمين، فأتيتهما بقعب من لبن، فخفت أن أضعه أن تلج^(٣) فيه هامة، وكرهت أن أوقظهما من النوم فيشق ذلك عليهما، فلم أزل كذلك حتى استيقظا وشربا، اللهم فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فارفع عنا هذه الصخرة. فانفرجت لهم حتى سهل لهم طريقهم.

[ثم قال النبي ﷺ: من صدق الله نجاة]^(٤).

وفي الخرائج والجرائح^(٥): عن المنهال بن عمر قال: والله أنا رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حُمِل، وأنا بدمشق، وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله: «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً» فأنطق الله تعالى الرأس بلسان ذرب طلق قال: أعجب من أصحاب الكهف حملي وقتلي.

وفي كتاب المناقب^(٦) لابن شهر آشوب: وروى أبو مخنف، عن الشعبي: أنه صلب رأس الحسين عليه السلام بالصيف^(٧) في الكوفة، فتنحج الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله:

١. أ، ب: خوفاً. ٢. المصدر: فدفعت إليه ثمان عشرة آلاف.

٣. المصدر: تمجّع. ٤. من المصدر.

٥. نور الثقلين ٢٤٣/٣، ح ١٥. الخرائج والجرائح، ٥٧٦/٢، ح ١.

٦. المناقب ٦١/٤. ٧. المصدر: بالصيف.

«إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى». وسمع أيضاً يقرأ: «أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا».

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: إِنَّ مِثْلَ أَبِي طَالِبٍ مِثْلَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، أَسْرَوْا الْإِيمَانَ وَأَظْهَرُوا الشُّرْكَ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ.

محمد بن يحيى^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن درست الواسطي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بلغت تَقِيَّةَ أَحَدٍ تَقِيَّةَ^(٣) أَصْحَابِ الْكَهْفِ، إِذْ كَانُوا يَشْهَدُونَ الْأَعْيَادَ وَيَشْدُونَ الزَّنَائِرَ فَأَعْطَاهُمُ^(٤) اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن عبد الله^(٦) بن يحيى، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ ذَكَرَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ، فَقَالَ: لَوْ كَلَّفَكُمْ قَوْمُكُمْ مَا كَلَّفَهُمْ قَوْمُهُمْ؟
فَقِيلَ لَهُ: وَمَا كَلَّفَهُمْ قَوْمُهُمْ؟

فَقَالَ: كَلَّفُوهُمْ الشُّرْكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، فَأَظْهَرُوا لَهُمُ الشُّرْكَ وَأَسْرَوْا الْإِيمَانَ حَتَّى جَاءَهُمُ الْفَرَجُ.

عن أبي بصير^(٨)، عن أبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ أَسْرَوْا الْإِيمَانَ وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ، فَأَجْرَهُمُ اللَّهُ [مَرَّتَيْنِ]^(٩).

عن محمد^(١٠)، عن أحمد بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» قال: هم قوم فُزُوا، وَكُتِبَ مَلِكٌ ذَلِكَ

١. الكافي ٤٤٨/١، ح ٢٨.

٢. نفس المصدر ٢١٨/٢، ح ٨.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما بلغت فئة أحد فئة.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويشهدون الزنابير وأعطاهم. والزناير: جمع الزنار: حزام يشده

النصراني على وسطه. ٥. تفسير العياشي ٣٢٣/٢، ح ٨.

٦. المصدر: عبيد الله. ٧. ليس في ب.

٨. نفس المصدر ٣٢١/١، ح ٤.

٩. من المصدر.

١٠. نفس المصدر ٣٢١/١، ح ٥.

الزمان بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائهم في صحف من رصاص، فهو^(١) قوله: «أصحاب الكهف والرقيم».

عن أبي بكر الحضرمي^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج أصحاب الكهف على غير معرفة ولا ميعاد، فلما صاروا في الصحراء، أخذ بعضهم على بعض اليهود والموائيق، يأخذ هذا على هذا وهذا على هذا، ثم قالوا: أظهروا أمركم. فأظهروه، فإذا على أمر واحد.

عن الكاهلي^(٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام: أن أصحاب الكهف أسروا بالإيمان وأظهروا الكفر. وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على الإسرار بالإيمان. عن سليمان بن جعفر النهدي^(٤) قال: قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: يا سليمان، من الفتى؟

قال: قلت: جعلت فداك، الفتى عندنا الشاب.

قال لي: أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولاً فسماهم الله فتية بإيمانهم، يا سليمان، من آمن بالله واتقى، فهو الفتى.

وفي روضة الكافي^(٥)، علي بن إبراهيم، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل: ما الفتى عندكم؟

فقال له: الشاب.

فقال: لا، الفتى المؤمن، إن أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسماهم الله فتية بإيمانهم.

وروي عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حديث بلغني عن الحسن البصري، فإن كان حقاً، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فهم.

٣. نفس المصدر/٣٢٣، ح ١٠.

٥. الكافي ٣٩٥/٨، ح ٥٩٥.

٢. نفس المصدر/٣٢٢، ح ٦.

٤. نفس المصدر/٣٢٣، ح ١١.

قال : وما هو ؟

قلت : بلغني^(١) أنَّ الحسن كان يقول : لو غلى دماغه من حرِّ الشمس ما استظلَّ بحائط صيرفي، ولو تفرَّثت^(٢) كبده عطشاً لم يستسق من دار صيرفي ماءً. وهو عملي وتجارتي، وعليه نبت لحمي ودمي، ومنه حَجَّتِي وعمرتي.

قال : فجلس عليه ثم قال : كذب الحسن، خذ سواءً وأعط سواءً، وإذا حضرت الصلاة فدع ما بيدك انهض إلى الصلاة، أما علمت أنَّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة. يعني صيارفة الكلام، ولم يعن صيارفة الدراهم^(٣).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى محمد بن إسماعيل القرشي، عَمَّن حَدَّثَهُ، عن إسماعيل بن دعلج، عن أبيه، عن أبي رافع^(٥)، عن النبي ﷺ حديث

١. من المصدر. ٢. أي تفرَّقت.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ولم يكونوا صيارفة دراهم. أقول: «الصرف» هو بيع النقود، كبيع الذهب بالفضة أو الدينار بالدرهم. وصيارفة - جمع الصيرفي -: وهم النقاد، والهاء للنسبة. ثم إنَّ المشهور كراهية بيع الصرف، لأنَّه يفضي إلى المحرَّم أو المكروه غالباً. ولعلَّ هذا الخبر إنما ورد ردّاً على من يرى إباحته متمسكاً بعمل أصحاب الكهف.

وقال المجلسي رحمه الله بعد نقل هذا الخبر: لعلَّه إنما ذكر ذلك إلزاماً عليهم حيث ظنَّوا أنَّهم كانوا صيارفة الدراهم. انتهى. وقد رواه الصدوق رحمه الله في الفقيه وليس فيما رواه قوله: «يعني صيارفة كلام» الخ، كما أنَّ الظاهر أنَّه من كلام الراوي أو الكليني رحمه الله. نعم، ورد في بعضها التصريح بأنَّهم صيارفة الكلام كما في حديث العياشي، ثم قال الصدوق رحمه الله بعد نقل الحديث: يعني صيارفة الكلام ولم يعن صيارفة الدراهم. انتهى. وذكر المجلسي رحمه الله في وجه حمل الصدوق رحمه الله الخبر على هذا المعنى وجوهاً يطول المقام بذكرها، وعلى الطالب أن يراجع البحار.

وعن بعض شراح الحديث: أنَّ المعنى: كأنَّ الإمام عليه السلام قال لسدير: ما لك ولقول الحسن البصري؟ أما علمت أنَّ أصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام وتقدَّه الأقاويل، فانتقدوا ما قرع أسماعهم فاتبعوا الحقَّ ورفضوا الباطل ولم يسمعوا أمانِيَّ أهل الضلال وأكاذيب رط النفاق، فأنَّت أيضاً كن صيرفيَّاً لما يبلغك من الأقاويل، فانتقدوا آخذاً بالحقِّ رافضاً للباطل. وليس المراد: أنَّهم كانوا صيارفة الدراهم كما هو المتبادر إلى بعض الأوهام، لأنَّهم كانوا فتية من أشراف الروم مع عظم شأنهم وكبر خطرهم.

٤. كمال الدين ٢٢٧، ضمن ح ٢٠

٥. المصدر: عَمَّن حَدَّثَهُ إسماعيل بن أبي رافع، عن أبيه أبي رافع

طويل، قال فيه بعد أن ذكر عيسى، ثم يحيى بن زكريا، ثم العزيز، ثم دانيال، ثم مكيخا بن دانيال عليه السلام وملوك زمانهم: فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنين وسبعين سنة، وهو أول من عقد التاج ولبسه، وولي أمر الله ﷺ يومئذ^(١) أنشوا^(٢) بن مكيخا. وملك بعد [ذلك]^(٣) أردشير أخو سابور سنتين، وفي زمانه بعث الله الفتية أصحاب الكهف والرقيم، وولي أمر الله في الأرض يومئذ وسيخا بن أنشوا^(٤) بن مكيخا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷺ: «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً» يقول: قد آتيناك من الآيات^(٦) ما هو أعجب منه، وهو فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم ومحمد ﷺ. وأما الرقيم فهما لوحان من نحاس مرقوم، أي مكتوب فيهما أمر الفتية، وأمر إسلامهم، وما أراد منهم دقيانوس الملك، وكيف كان أمرهم وحالهم.

وقال علي بن إبراهيم^(٧): فحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان سبب نزول سورة الكهف، أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران يعني^(٨): النصر بن الحارث بن كلدة، وعقبة ابن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي، ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله ﷺ، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم. فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل، فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثم سلوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب.

قالوا: وما هذه المسائل؟

قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا، كم^(٩) بقوا في

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: وهو يومئذ. ٢. المصدر: أنشوا.

٣. من المصدر. ٤. المصدر: دسيخا بن أنشوا.

٥. تفسير القمي ٣١/٢. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: الملك.

٧. نفس المصدر والموضع. ٨. ليس في المصدر.

٩. المصدر: وكم.

نومهم حتى انتبهوا، وكم كان عددهم، وأي شيء كان معهم [من غيرهم] ^(١)، وما كان قصّتهم؟ واسألوه عن موسى حين أمره الله ﷻ أن يتبع العالم ويتعلّم منه من هو، وكيف تبعه، وما كان قصّته ^(٢) معه؟ واسألوه عن طائف طاف [من] ^(٣) مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج، من هو، وكيف كان قصّة؟

ثمّ أملوا عليهم أخبار ^(٤) هذه الثلاث مسائل وقالوا لهم: إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدّقه.

قالوا: فما المسألة الرابعة؟

قالوا: سلوه متى تقوم الساعة؟ فإن ادّعى علمها فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لا يعلمها ^(٥) إلا الله تبارك وتعالى.

فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب ﷺ فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل، فإن أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يجيبنا علمنا أنّه كاذب.

فقال أبو طالب: سلوه ^(٦) عمّا بدا لكم.

فسألوه عن الثلاث مسائل. فقال رسول الله ﷺ: غداً أخبركم. ولم يستثن، فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتمّ النبي ﷺ وشك أصحابه الذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤا ^(٧) وأذوا، وحزن أبو طالب، فلمّا كان بعد أربعين يوماً نزل عليه سورة ^(٨) الكهف. فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، لقد أبطأت؟!

فقال: إنّنا لا نقدر أن نزل إلا بإذن الله تعالى. [فأنزل] ^(٩): «أم حسبت» يا محمّد أنّ

١. ليس في ب. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: قصّة.

٣. من المصدر. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: أحبارهم.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: لما يعلمها. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: سأله.

٧. ليس في أ، ب، ر. ٨. المصدر: بسورة.

٩. من المصدر.

أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً».

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾: وفي مجمع البيان^(١): قالوا: هذه الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الإسلام خوفاً من ملكهم، وكان اسم الملك دقيانوس، واسم مدينتهم أفسوس، وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو إليها^(٢) ويقتل من خالفه. وقيل^(٣): كان مجوسياً يدعو إلى دين المجوس، والفتية كانوا على دين المسيح لما برح^(٤) أهل الإنجيل.

وقيل^(٥): كانوا من خواص الملك، وكان يسر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه، ثم اتفق أنهم^(٦) اجتمعوا وأظهروا أمرهم فأووا إلى الكهف. وقيل^(٧): إنهم كانوا قبل بعث عيسى.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو. ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار. ﴿وَرَشْدًا﴾^(٨): نصير بسببه راشدين مهتدين. أو اجعل لنا من أمرنا كله رشداً^(٩)؛ كقولك: رأيت منك أسداً. وأصل التهينة: إحداث هيئة الشيء.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾: أي ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع، أي أنمناهم إنامة لاتنبههم الأصوات. فحذف المفعول كما حذف في قوله: بنى على امرأته^(٩). ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ﴾: ظرفان لـ «ضربنا».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): متصل بقوله: «أصحاب الكهف والرقيم كانوا من

١. المجمع ٤٥٢/٣.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويدعوها.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فرج.

٣. نفس المصدر والموضع.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أيهم.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. ففيه مبالغة: أحدهما جعل الأمر نفس الرشد، هو كزيد عدل، لأن الرشد مصدر. والثانية تجريد الرشد من الأمر فانتزع من الأمر الرشد مثله. ٩. أي بنى الحجاب عليها.

١٠. تفسير القمي ٣٢/٢.

آياتنا عجباً». ثُمَّ قَصَّ قِصَّتَهُمْ فقال: «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً هَيْئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا».

قال الصادق عليه السلام: إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا فِي زَمَنِ مَلِكٍ جَبَّارٍ عَاتٍ، وَكَانَ يَدْعُو أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَمَنْ لَمْ يَجِبْهُ قَتَلَهُ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ ﷻ. وَوَكَّلَ الْمَلِكُ بَابَ الْمَدِينَةِ وَكَلَاءَ لَمْ يَدْعُ أَحَدًا يَخْرُجُ^(١) حَتَّى يَسْجُدَ لِلْأَصْنَامِ، فَخَرَجَ هَؤُلَاءِ بِحِيلَةِ الصَّيْدِ^(٢)، وَكَانَ قَدْ مَرَّوْا بِرَاعٍ فِي طَرِيقِهِمْ فَدَعَاوَهُ إِلَى أَمْرِهِمْ فَلَمْ يَجِبْهُمْ، وَكَانَ مَعَ الرَّاعِي كَلْبٌ فَأُجَابَهُمُ الْكَلْبُ وَخَرَجَ مَعَهُمْ.

فقال الصادق عليه السلام: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْبَهَائِمِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: حِمَارٌ بَلَعَمَ بَنُ بَاعُورًا، وَذُنْبُ يَوْسُفَ، وَكَلْبُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ. فَخَرَجَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَعْلَةً^(٣) الصَّيْدِ هَرَبًا مِنْ دِينِ ذَلِكَ الْمَلِكِ، فَلَمَّا أَمْسَوْا دَخَلُوا إِلَى ذَلِكَ الْكَهْفِ وَالْكَلْبُ مَعَهُمْ، فَأَلْقَى اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمُ النَّعَاسَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا».

﴿عَدَدًا﴾^(٤): أَيِ ذَوَاتِ عَدَدٍ. وَوَصَفَ السِّنِينَ بِهِ يَحْتَمِلُ التَّكْثِيرَ وَالتَّقْلِيلَ، فَإِنَّ مَدَّةَ لَبْثِهِمْ كِبَعْضُ يَوْمٍ عِنْدَهُ^(٥).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أَيْقَظْنَاهُمْ.

وَفِي رَوْضَةِ الْوَاعِظِينَ^(٥) لِلْمُفِيدِ ﷺ: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: يَخْرُجُ مَعَ الْقَائِمِ عليه السلام مِنْ ظَهْرِ

١. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. فِي النُّسخ: حَتَّى يَخْرُجَ.

٢. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخ: فَخَرَجُوا هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ الصَّيْدَ.

٣. الْمَصْدَرُ: بِحِيلَةٍ.

٤. قَوْلُهُ: «وَوَصَفَ السِّنِينَ بِهِ» أَيِ فَائِدَةٍ وَصَفَ السِّنِينَ بِهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِإِفَادَةِ الْكَثْرَةِ، أَيِ سِنِينَ كَثِيرَةٍ. وَيَحْتَمِلُ التَّقْلِيلَ، أَيِ سِنِينَ قَلِيلَةٍ، وَوَصَفَهَا بِالْقَلَّةِ مَعَ كَوْنِهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ لِأَنَّهَا كِبَعْضُ يَوْمٍ عِنْدَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ عِنْدَهُ تَعَالَى كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ كَانَ

السِّنِينَ الْمَذْكُورَةَ كِبَعْضُ الْيَوْمِ. ٥. رَوْضَةُ الْوَاعِظِينَ ٢٦٦.

الكوفة^(١) سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان^(٢)، وأبادجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً.

﴿لِنَعْلَمَ﴾: أي ليظهر معلومنا على ما علمناه، والمعنى: لننظر أيّ الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عدّ أمد لبثهم وعلم ذلك.

وقيل^(٣): يعني بالحزبين: أصحاب الكهف، لما استيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم.

﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم.

﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٤): ضبط أمداً لزمان لبثهم.

وما في «أي» من معنى الاستفهام علّق عنه «لنعلم»، فهو مبتدأ و«أحصى» [خبره، وهو]^(٥) فعل ماضٍ و«أمدًا» مفعوله. و«لما لبثوا» قيل^(٦): حال منه^(٧)، أو مفعول له.

وقيل^(٨): إنّه المفعول، و«اللام» مزيدة، و«ما» موصولة، و«أمدًا» تمييز.

وقيل^(٩): «أحصى» اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد، كقولهم: هو أحصى المال وأفلس من ابن المذلق. و«أمدًا» نُصِبَ بفعل دلّ عليه «أحصى»^(١٠).

وفي كتاب الاحتجاج^(١١) للطبرسي عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وقد رجع إلى الدنيا مَن^(١٢) مات خلق كثير، منهم أصحاب الكهف، أماتهم الله ثلاثمائة عام [وتسعة]^(١٣)، ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع^(١٤) حجتهم

١. المصدر: الكعبة. ٢. ليس في ب.

٣. مجمع البيان ٤٥٢/٣. ٤. ليس في ب.

٥. أنوار التنزيل ٥/٢. ٦. والتقدير: أمدًا كافيًا لبثهم، فـ«ما» مصدرية.

٧. نفس المصدر والموضع. ٨. نفس المصدر والموضع.

٩. أي أحصى أمدًا، فيكون «أحصى» الأول اسم تفضيل، و«أحصى» الثاني فعلاً ماضياً بمعنى: ضبط، كما مر.

١٠. عنه في نور الثقلين ٢٥٦/٣. عن الاحتجاج ص ٣٤٤ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى.

١١. المصدر: ممّا. ١٢. من المصدر.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: لينقطع.

وليربهم قدرته، و^(١) ليعلموا أَنَّ البعث حقٌ.

وفي كتاب طب الأئمة^(٢) ع: عوذة للصبي إذا كثرت بكأؤه، ولمن يفزع بالليل^(٣)،
وللمرأة إذا سهرت من وجع «فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً، ثم بعثناهم
لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً» حدّثنا أبو المقر^(٤) الواسطي قال: حدّثنا
محمد بن سليمان، عن مروان بن الجهم، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام
مأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ذلك.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالصدق.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾: شبّان، جمع فتى، كصبي وصبية.

﴿وَرَدَّناهُمْ هُدًى﴾^(٥): بالتثنية.

وفي أصول الكافي^(٦): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن
يزيد قال: حدّثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً، وفيه بعد
أن قال: إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه
فيها^(٧). قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟

فقال: قول الله^(٨) ع: «وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً
فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجساً إلى رجسهم». وقال: «نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنّهم فتية آمنوا بربّهم
وزدناهم هدى». ولو كان كلّ واحد لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل
على الآخر، ولا استوت النعم، ولا استوى الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليربهم قدرتهم أو.

٢. طب الأئمة ٣٦/٣٧. ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: به الليل.

٤. المصدر: أبو المعز. وفي نور الثقلين ٢٥٠/٣. ٥. الكافي ٣٧/٢ و٣٧، ح ١.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ زيادة: وبين ذلك.

٧. التوبة ١٢٥/١٢٦.

دخل المؤمنون الجنة، وبالإضافة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: وقويناها بالصبر على هجر الموطن والأهل والمال، ومخالفة دقيانوس الجبار الذي فتن أهل الإيمان عن دينهم.

﴿إِذْ قَامُوا﴾: بين يديه.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (٣): أي إن دعونا مع الله إلهاً، والله، لقد قلنا قولاً ذا شطط، أي ذا بعد عن الحق مفرطاً في الظلم. و«الشطط» الخروج عن الحد بالغلو، وأصله: مجاوزة الحد في البعد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ يعني جوراً على الله تعالى إن قلنا أن له شريكاً.

﴿هَؤُلَاءِ﴾: مبتدأ.

﴿قَوْمَنَا﴾: عطف بيان.

﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: خبره. وهو إخبار في معنى إنكار.

﴿لَوْ لَا يَأْتُونَ﴾: هلاً يأتون.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: على عبادتهم.

﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: ببرهان ظاهر، فإن الدين لا يؤخذ إلا به.

وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود، وأن التقليد فيه غير جائز^(٢).

١. تفسير القمي ٣/٣٤.

٢. قيل: أي من أصول الدين مردود، ولا يصح التقليد في الأصول.

ويمكن أن يقال: المراد «من الديانات» مطلق الأمور الدينية، أصولاً وفروعاً، وأما كون شخص مقلداً لآخر في المذهب فليس من التقليد بلا دليل، بل قول المجتهد دليل عليه.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(١): بنسبة الشريك [إليه]^(٢).

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾: خطاب بعضهم لبعض.

﴿وَمَا يَتَّبِدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: عطف على الضمير، أي وإذا اعتزلتم القوم ومعبودهم إلا الله، فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين.
ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، على تقدير: وإذا اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله.

قال ابن عباس^(٣): وهذا من قول تملیخا، وهو رئيس أصحاب الكهف.
وقيل^(٤): يجوز أن تكون «ما» نافية، على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد متعرض بين «إذ» وجوابه لتحقيق اعتزالهم.

﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾: يبسط الرزق لكم، ويوسع عليكم.

﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: في الدارين.

﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾^(٥): ما ترفقون به، أي تستفعون. وجزمهم بذلك لنصوع [يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله].

وقرأ^(٦) نافع وابن عامر: «مرفقاً» بفتح الميم وكسر [الفاء] وهو مصدر جاء شاذاً، كالمرجع والمحيط، فإن قياسه الفتح.

﴿وَتَرَى السُّنْسَنَ﴾: لو رأيتمهم، والخطاب لرسول الله أو لكل أحد.

﴿إِذَا طَلَعَتْ تَوَارِدُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾: تمليل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم، لأن الكهف كان جنوبياً^(٧)، أو لأن الله زورها عنهم.

٢. مجمع البيان ٤٥٤/٣.

١. ليس في ب.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. أنوار التنزيل ٦/٢.

٥. ليس في أ، ب، ر.

٦. أي بابه مقابل القطب الشمالي وهو ذاهب إلى جانب الجنوب.

وأصله: تتزاور، فأدغمت التاء في الزاء. وقرأ^(١) الكوفيون بحذفها. وابن عامر ويعقوب تزور، كتحمر. وقرئ^(٢): «تزوارة» كتحمار. وكلّها من الزور بمعنى الميل.

﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهة اليمين، وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين.

﴿وَإِذَا غَرَبَتِ ثَغْرُهُمْ﴾: تقطعهم وتصرم عنهم.

﴿ذَاتَ الشَّمَالِ﴾: يعني يمين الكهف وشماله، لقوله:

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾: أي وهم في مَتَسَع من الكهف، يعني في وسطه، بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس.

قيل^(٣): وذلك لأنّ باب الكهف في مقابلة بنات النعش^(٤)، وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق^(٥) رأس السرطان ومغربه، والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة [عنه، مقابلة]^(٦) لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر، فيقع شعاعها على جانبيه^(٧) ويحلّل عفونته ويعدل^(٨) هواءه، ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبيّ ثيابهم.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أي شأنهم وإياؤهم إلى الكهف شأنه كذلك. أو إخبارك قصّتهم. أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغارية من آياته.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾: بالتوفيق.

﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: الذي أصاب الفلاح، والمراد به: إمّا الثناء عليهم، أو التنبيه على أنّ أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها. ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾: ومن يخذله.

١. نفس المصدر والموضع. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. أنوار التنزيل ٦٢.

٤. أي بنات نعش الكبرى والصغرى التي تدور قريب القطب الشمالي.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: شرق. ٦. من المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي ر: جنبته. وغيرها: جنبه.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: يتبدل.

﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٧): من يليه ويرشده.

وفي كتاب التوحيد^(١): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَزَّاقُ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّنَائِي^(٢) وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِمْرَانَ الدَّقَّاقُ رحمهم الله قالوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ زَكْرِيَّا الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرٌ^(٣) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا تَمِيمٌ بْنُ بَهْلُولٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَصْرِيِّ^(٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا».

فقال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضِلُّ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ دَارِ كَرَامَتِهِ، وَيَهْدِي أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ إِلَى جَنَّتِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تعالى: «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ». وَقَالَ اللَّهُ تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا﴾: لانفتاح عيونهم. أو لكثرة تقلبهم.

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام.

﴿ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ﴾: كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول

الزمان.

وقرئ^(٥): «يَقْلَبُهُم» بالياء، والضمير لله تعالى. و«تَقْلَبُهُم» على المصدر، منصوباً

بفعل يدلّ عليه «وتحسبهم» أي وترى تقلبهم.

وقيل^(٨): كانوا يقلبون كلّ عام^(٩) مرّتين.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: محمد بن علي الثاني.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: النصري.

٦. يونس ٩.

٨. مجمع البيان ٤٥٦/٣.

١. التوحيد ٢٤١، ح ١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: بكير.

٥. إبراهيم ٣٢.

٧. أنوار التنزيل ٧/٢.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: كانوا يتقلبون في عام.

وقيل ^(١): كان تقلّبهم كلّ عام مرّة.

﴿وَكَلْبُهُمْ﴾: قيل ^(٢): هو كلب مرّوا به فتبعهم، فطردوه مراراً فأنطقه الله تعالى فقال لهم: ما تريدون منّي؟ فلا تخشون خيانتني، أنا أحبّ أحبّاء الله، فناموا ^(٣) وأنا أحرصكم.

وقيل ^(٤): إنهم هربوا من ملكهم ليلاً فمرّوا برّاع معه كلب فتبعهم [على دينهم] ^(٥) وتبعه كلبه ^(٦).

ويؤيده قراءة من قرأ ^(٧): «وكالبهم» أي [وصاحب] ^(٨) كلبهم.

وقد مرّ في رواية عليّ بن إبراهيم ^(٩): أن الراعي لم يتبعهم وتبعهم كلبه.

وقيل ^(١٠): كان ذلك كلب صيدهم.

وقيل ^(١١): كان ذلك الكلب أصفر.

وقيل ^(١٢): كان أنمر ^(١٣) واسمه قطمير.

وفي مجمع البيان ^(١٤): وفي تفسير الحسن: أن ذلك الكلب مكث هناك ثلاثمائة

سنة و تسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نوم ولا قيام.

﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: حكاية حال ماضية، ولذلك أعمل اسم الفاعل.

﴿بِالْوَصِيدِ﴾: قيل ^(١٥): بفناء الكهف.

١ . نفس المصدر والموضع.

٢ . يوجد ما في معناه في أنوار التنزيل ٧/٢، ومجمع البيان ٤٥٦٣.

٣ . كذا في المصدرين. وفي النسخ: فتناموا. ٤ . مجمع البيان ٤٥٦٣.

٥ . من المصدر. ٦ . كذا في المصدر. وفي النسخ: الكلب.

٧ . أنوار التنزيل ٧/٢. ٨ . ليس في أ، ب، ر.

٩ . تفسير القميّ ٣٣/٢. ١٠ . مجمع البيان ٤٥٦٣.

١١ . مجمع البيان ٤٥٦٣. ١٢ . مجمع البيان ٤٥٦٣.

١٣ . أي على لون النمر، وهو أن تكون فيه بقعة بيضاء أخرى على أي لون كان.

١٤ . المجمع ٤٥٦٣. ١٥ . نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): الوصيد الباب .

وقيل ^(٢): العتبة .

وقيل ^(٣): بباب الفجوة . أو فناء الفجوة لا بباب الكهف ، لأنَّ الكَفَّار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثمَّ انصرفوا ، ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه ، وكذلك لو كان بالقرب من الباب ^(٤) لما انصرفوا آيسين عنهم ، فإنَّهم سدَّوا باب الغار بالحجارة فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتَّخذ لماشيته كَنًّا من عند باب الغار ، وهم كانوا في فجوة من الغار .

﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : فنظرت إليهم .

وقرئ ^(٥): «لو أطلعت» بضم الواو .

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فَرَارًا﴾ : لهربت منهم .

و«فَرَارًا» يحتمل المصدر ، لأنَّه نوع من التولية والعلَّة [والحال] ^(٦) .

﴿وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ ^(٧) : خوفاً يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة ، أو لعظم

أجرامهم وانفتاح عيونهم ، أو لطول أظفارهم وشعورهم .

وقيل ^(٨): لوحشة مكانهم .

روى سعيد بن جبير ^(٩) ، عن ابن عباس قال : غزوت مع معاوية نحو الروم ، فمروا

بالكهف [الذي فيه أصحاب الكهف] ^(١٠) .

فقال معاوية : لو كُشِفَ لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم .

فقلت له : ليس لك ذلك ، وقد منع الله تعالى من هو خير منك ، فقال : «لو أطلعت

١ . نفس المصدر والموضع .

٢ . نفس المصدر والموضع .

٣ . أنوار التنزيل ٧/٢ .

٤ . أنوار التنزيل ٧/٢ .

٥ . من المصدر .

٦ . نفس المصدر والموضع .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : بالقرب بالباب .

٨ . ليس في ب

٩ . مجمع البيان ٤٥٦/٣ .

عليهم لو لئيت منهم فراراً». فلم يسمع، وبعث ناساً، فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم^(١).

قيل^(٢) ولا يمتنع أن الكفار لما أتوا إلى باب الكهف فزعوا من وحشة المكان، فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه، وجعل سبحانه ذلك^(٣) لطفاً بهم^(٤) لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيره، وليكونوا محروسين من كل سوء.

وقرأ^(٥) الحجازيان: «لملت» بالتشديد للمبالغة، وابن عامر والكسائي ويعقوب: «رعياً» بالتنقيط.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾: وكما أنماهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا.

﴿لِيَسَاءَ لَوْلَا بَيْنَهُمْ﴾: ليتساءل بعضهم بعضاً فيتعرّفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيزدادوا يقيناً على كمال قدرة الله تعالى، ويستبصروا به أمر البعث، ويشكروا ما أنعم الله^(٦) به عليهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: بناء على غالب ظنهم، لأن النائم لا يحصي مدة نومه، ولذلك أحالوا العلم إلى الله تعالى.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم، وهذا إنكار الآخرين عليهم.

وقيل^(٧): إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم (أو اليوم)^(٨) الذي بعده قالوا ذلك، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا، ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهّمهم وقالوا:

١. يوجد في المجمع هذه الفقرة هكذا: فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم. فبعث رجالاً، فلما دخلوا

الكهف، أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فجعل ذلك سبحانه.

٤. أنوار التنزيل ٧/٢.

٥. ليس في المصدر.

٦. من ب. أنوار التنزيل ٧/٢.

٧. من ب.

٨. من المصدر.

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: و«الورق» الفضة مضروبة كانت أو غيرها. وكان معهم دراهم على صورة الملك الذي كان في زمانهم.

وقرأ^(١) أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح، عن يعقوب، بالتخفيف^(٢).
وقرئ^(٣) بالثقل وإدغام القاف في الكاف، وبالتخفيف مكسور الواو مدغماً وغير مدغم.

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾: أي أطهر وأحل ذبيحة، لأن عامتهم كانوا مجوساً وفيهم مؤمنون يخفون إيمانهم.

وقيل^(٤): أطيب طعاماً. [وقيل: ^(٥) أكثر طعاماً، لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه.

وقيل^(٦): كان من [طعام] أهل المدينة ما لا يستحلّه أهل الكهف.

وفي محاسن البرقي^(٨): عنه، عن إبراهيم بن عقبة، عن محمد بن ميسر، عن أبيه، عن أبي جعفر أو عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ» قال: أزكى طعاماً التمر.

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يُعَبِّئ، أو في التخصّي حتى لا يُعرَف.

﴿وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾^(٩): ولا يفعلن ما يؤدّي إلى الشعور.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: إن يطلعوا عليكم، أو يظفروا بكم. والضمير للأهل المقدر في «أيتها».

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرجم.

١. نفس المصدر ٧/ ٨.

٣. نفس المصدر ٨/.

٥. من المصدر.

٧. من المصدر.

٢. أي بتسكين الراء.

٤. مجمع البيان ٥٧٣/ ٤.

٦. نفس المصدر والموضع.

٨. المحاسن ٥٣١/ ح ٧٧٩.

﴿أَوْ يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: أو يصيروكم إليها كرهاً، من العود، بمعنى: الصيرورة.
وقيل ^(١): كانوا أولاً على دينهم فأمنوا.

﴿وَلَنْ تَفْلَحُوا إِذَا أَبَدَأَ﴾ ^(٢): إن دخلتم في ملتهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم أهل المدينة.

﴿لِيُخَلِّمُوا﴾: ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم.

﴿أَنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾: بالبعث، أو الموعد الذي هو البعث.

﴿حَقٌّ﴾: لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يُبعث.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: وأن القيامة لا ريب في إمكانها، [فإن من توفى نفوسهم

وأمسكها ثلاثمائة سنين، حافظاً أبدانها عن التحلل والتفتت ثم أرسلها] ^(٣) إليها، قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكاً إياها إلى أن يحشر أبدانها فيردّها عليها.

﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾: ظرف لـ «أعثرنا» أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون.

﴿يَتَّبِعُهُمُ آفَرُهُمْ﴾: أمر دينهم، وكان بعضهم يقول ^(٤): يُبْعَثُ الأرواح مجرّدة دون

الأجساد، وبعضهم يقول: يُبْعَثَانِ معاً، ليرتفع الخلاف، ويتبين أنهما يُبعَثَانِ معاً.

أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانياً بالموت، فقال بعضهم: أتوا، وقال آخرون: ناموا

نومهم أول مرة. أو قالت طائفة: نبي عليهم بنياناً يسكنه الناس ويتخذونه قرية، وقال آخرون: لتتخذن عليهم مسجداً يصلن فيه، كما قال تعالى.

﴿فَقَالُوا﴾: وفي مجمع البيان ^(٥): أي قال مشركو ذلك الوقت.

﴿ابْنُوا عَلَيْهِمُ بُيُوتًا﴾: أي استروهم من الناس، بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان.

﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: [معناه: ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه. وقيل إنه قال ذلك

١. أنوار التنزيل ٨/٢.

٢. ليس في أ، ب، ر.

٣. ليس في ب.

٤. المجمع ٤٦٠/٣.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ بدل هذه العبارة: المشركون في.

بعضهم ، ومعناه : رَبِّهِمْ . أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم ، أعلم بحالهم وكيفية أمرهم .
وقيل : معناه : رَبِّهِمْ أعلم بهم أحياء نيام هم أم أموات ، فقد قيل : إِنَّهُمْ ماتوا .
وقيل : إِنَّهُمْ لا يموتون إلى يوم القيامة ^(١) .

﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ : قيل ^(٢) : يعني الملك المؤمن وأصحابه .

وقيل ^(٣) : أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين .

وقيل ^(٤) : رؤساء البلد [الذين استولوا على أمرهم] .

﴿ لَتَنَخِذَنَّ عَنْهُمْ مَسْجِدًا ﴾ ^(٥) : [أي معبدًا وموضعًا للعبادة والسجود يتعبد الناس

فيه ببركاتهم ، ودل ذلك على أَنَّ الغلبة كانت للمؤمنين .

وقيل : مسجدًا يصلي فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا ، عن الحسن ^(٦) . وقوله :

« رَبِّهِمْ أعلم بهم » اعتراض ، إمَّا من الله ردًّا على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين ، أو من المتنازعين [في زمانهم ، أو من المتنازعين] ^(٧) فيهم على عهد الرسول ﷺ ، أو من المتنازعين للرد إلى الله بعد ما تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك .

حُكي أَنَّ المبعوث لما دخل السوق وأخرج الدرهم ، وكان عليه اسم دقيانوس ، اتَّهموه بأنه وجد كنزًا ، فذهبوا به إلى الملك ، وكان نصرانيًا موحدًا ، فقَصَّ عليه القصص ، فقال بعضهم : إِنَّ آبَاءنا أخبرونا أَنَّ الفتية فرَّوا بدينهم من دقيانوس ، فلعلَّهم هؤلاء . فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم ، ثُمَّ قالت الفتية للملك : [نستودعك الله ،] ^(٨) ونعيذك به من شرِّ الجنِّ والإنس . ثُمَّ رجعوا إلى مضاجعهم فماتوا ، فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدًا .

٢ . مجمع البيان ٤٦٠/٣ .

٤ . مجمع البيان ٤٦٠/٣ .

٦ . من أنوار التنزيل ٨/٢ .

١ . مجمع البيان ٤٦٠/٣ .

٣ . مجمع البيان ٤٦٠/٣ .

٥ . من المصدر .

٧ . ليس في أ ، ب ، ر .

وقيل ^(١): لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى: مكانكم حتى أدخل أولاً لنلأ يفزعوا. فدخل فعمي عليهم المدخل، فبنوا ثمة ^(٢) مسجداً.

﴿سَيَقُولُونَ﴾: أي الخاضعون في قصتهم في عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين.

﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتِبَ لَهُمْ﴾: أي هم ثلاثة رجال يربعهم كلهم بانضمامه إليهم.

قيل ^(٣): هو قول اليهود.

وقيل ^(٤): هو قول السيد من نصارى نجران: وكان يعقوبياً ^(٥).

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتِبَ لَهُمْ﴾: قيل ^(٦): قاله النصارى، أو العاقب منهم وكان نسطورياً.

﴿رَجِماً بِالْغَيْبِ﴾: يرمون رمياً بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه وإتياناً به. أو ظناً بالغيب، من قولهم: رجم بالغيب: إذا ظن.

وإنما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتِبَ لَهُمْ﴾: قيل ^(٧): إنما قاله المسلمون بإخبار الرسول لهم عن جبرئيل عليه السلام، وإيماء الله إليه بأن أتبعه قوله:

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: وأتبع الأولين قوله: «رجماً بالغيب».

وبأن أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة، فإن عدم

١. نفس المصدر والموضع.

٢. أي: هناك.

٣. نفس المصدر/٩.

٤. نفس المصدر/٩.

٥. أعلم أن أئمة النصارى كانت: يعقوب ونسطور وملكا، وكلهم ذهبوا إلى الأقاليم، أي الأصول الثلاثة: الأب والابن وروح القدس، المعبر عندهم عن الوجود والحياة والعلم. وقالوا: إن الله تعالى جوهر واحد وهو هذه الأقاليم الثلاثة. ثم إن الملكانية قالت: أقنوم العلم أتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته بطريق الامتزاج كالحزء بالماء. وقالت النسطورية: أتحدت بطريق الإشراف كما تشرق الشمس من كوة على بلور. وقالت البيقوية: أتحد بطريق الانقلاب لحماً ودماً بحيث صار الإله هو المسيح.

٦. نفس المصدر/٩.

٧. نفس المصدر/٩.

إيراد رابع في هذا المحلّ دليل العدم مع أنّ الأصل^(١) ينفيه. ثمّ ردّ الأولين بأنّ أتبعهما قوله: «رجماً بالغيب» ليتعيّن الثالث، بأنّ أدخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيهاً لها بالواقعة حالاً من المعرفة، لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أنّ اتّصافه بها أمر ثابت.

وروي بطريق عامّي^(٢)، عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّهم سبعة وثامنهم كلبهم، أسماؤهم: تمليخا ومكشلينا ومشلينا^(٣)، هؤلاء أصحاب يمين الملك، ومرنوش ودبرنوش وسارينوش^(٤)، أصحاب يساره، وكان يستشيرهم، والسابع الراعي الذي وافقهم، واسم كلبهم: قطمير، واسم مدينتهم: أفسوس.

وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً.

وفي رواية ابن عباس^(٥): إنّ اسم الراعي كشيوطينوس^(٦).

وقيل^(٧): الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٨)، في الحديث السابق المنقول عن الصادق، متّصلاً بقوله: «سنين عدداً»: فناموا حتّى أهلك الله ﷻ ذلك الملك وأهل مملكته، وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون، ثمّ انتبهوا فقال بعضهم لبعض: كم نمنا هاهنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت^(٩) فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم. ثمّ قالوا الواحد منهم: خذ هذا الورق وادخل في المدينة متنكراً لا يعرفوك، فاشتر لنا طعاماً، فإنّهم إن علموا بنا وعرفونا، يقتلوننا أو يردّونا^(١٠) في دينهم.

فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الذي عهدا، ورأى قوماً بخلاف أولئك لم

١. أي أصل العدم.

٢. أنوار التنزيل ٩/٢.

٣. المصدر: تمليخا ومكشلينا ومشلينا.

٤. المصدر: شاذنوش.

٥. مجمع البيان ٤٦٠/٣.

٦. المصدر: كشيوطينوس.

٧. أنوار التنزيل ٩/٢.

٨. تفسير القميّ ٣٣/٢.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: قد انقضت.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: قتلونا أو ردّونا.

يعرفهم ولم يعرفوا لغته^(١) ولم يعرف لغتهم، فقالوا له: من أنت؟ ومن أين جئت؟ فأخبرهم، فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتّى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه، فقال بعضهم: هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم. وقال بعضهم: هم خمسة وسادسهم كلبهم. وقال بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم. وحجبهم الله ﷻ بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقوم بالدخول عليهم غير صاحبهم، فإنّه لمّا دخل عليهم^(٢) وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنّهم كانوا نائمين هذا الزمان الطويل، وأنّهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا.

ثمّ قال الملك: ينبغي أن يُبنى^(٣) هاهنا مسجدٌ ونزوره، فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون. فلبهم في كلّ سنة نقلتان، ينامون ستّة أشهر على جنوبهم اليمنى، وستّة أشهر على جنوبهم اليسرى، والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف.

﴿فَلَا تُمارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: فلا تجادل في شأن الفتية إلّا جدالاً ظاهراً غير متعمّق^(٤) فيه، وهو أن تقصّ عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم والردّ عليهم.

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلب على الإخوان وينبت عليهما النفاق.

وبإسناده^(٦)، قال: قال النبي ﷺ: ثلاث من لقي الله ﷻ بهنّ دخل الجنّة من أيّ باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقاً. بإسناده^(٧) إلى عمّار بن مروان^(٨): قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تمارينّ حليماً ولا سفيهاً،

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: الفتية. ٢. المصدر: إليهم.

٣. ب: يكون. ٤. كذا في أنوار التنزيل ٩/٢. وفي النسخ: غير متيقّن.

٥. الكافي ٣٠٠/٢، ح ١. ٦. نفس المصدر. ح ٢.

٧. نفس المصدر ٣٠١، ح ٤.

٨. كذا في المصدر وجامع الرواة ٦١٢/١. وفي النسخ: علي بن مروان.

فإنَّ الحليم يقلبك^(١) والسفيه يؤذيك .

وفي كتاب التوحيد^(٢) : عن إسماعيل بن أبي زياد ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا زعيم^(٣) بيت في أعلى الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في رياض الجنة لمن ترك المراء ، وإن كان محققاً .

وفي كتاب الخصال^(٤) : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من يضمن [الي]^(٥) أربعة بأربعة أبيات في الجنة ؟ من أنفق ولم يخف فقراً . إلى قوله : وترك المراء وإن كان محققاً .

عن جعفر بن محمد^(٦) ، عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أربع خصال^(٧) يمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة منافقة النساء - يعني محادثتهن - وممارسة الأحقق تقول ويقول ولا يرجع إلى جزاء أبداً . الحديث .

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٨) : ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال مسترشد ، فإن فيما أوحى إليك لمندوحة^(٩) عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ، ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فإنه مخل بمكارم الأخلاق .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾^(١٠) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ : نهى تأديب من الله تعالى لنبيه ﷺ حين قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذوي القرنين . فسألوه ، فقال : ائتوني غداً أخبركم . ولم يستثن ، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذّبه قريش .

والاستثناء من النهي ، أي ولا تقولَنَّ لشيء تعزم عليه [إني فاعله]^(١١) فيما تستقبله إلا بأن يشاء الله ، أي إلا متلبساً بمشيئته ، قائلاً : إن شاء الله . أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله ، بمعنى : أن يأذن لك فيه .

١ . كذا في المصدر . أي يغيضك . وفي النسخ : يغليك .

٢ . التوحيد / ٤٦١ ، ح ٣٤ .

٣ . أي كفيل .

٤ . الخصال / ٢٢٣ ، ح ٥٢ .

٥ . من المصدر .

٦ . نفس المصدر / ٢٢٨ ، ح ٦٥ .

٧ . ليس في المصدر .

٨ . ليس في ب .

٩ . أي لسعة وفسحة .

قيل^(١): «ولا يجوز تعليقه بـ «فاعل» لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد، واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي^(٢)».

وفي أصول الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن مرازم بن حكيم قال: أمر أبو عبدالله عليه السلام بكتاب في حاجة، فكتب ثم عرض عليه ولم يكن فيه استثناء.

فقال: كيف رجوت أن يتم هذا وليس فيه استثناء؟ انظروا إلى كل موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه.

﴿وَإِذْ كُذِّبَتْ رَبَّكَ﴾: مشيئة ربك، وقل: إن شاء الله، كما روي^(٤): «أنه لما نزل قال عليه السلام: إن شاء الله».

﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: تركت الاستثناء.

وفي الكافي^(٥): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة المفضل بن صالح، عن محمد الحلبي ووزارة عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «وَإِذَا كُذِّبَتْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» قال: إذا حلف الرجل فنسي أن يستثني فليستثن [إذا ذكر]^(٦).

محمد بن يحيى^(٧)، عن أحمد بن محمد. وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في

١. أنوار التنزيل ٩/٢.

٢. فيكون المعنى: أتى فاعل ذلك إلا أن يشاء الله أن أفعله، فلزم أنه إن شاء الله فعله لم يفعل، وهذا غير سديد، كما لا يخفى. وإن كان المعنى: إلا أن يشاء الله عدم فعلي، لا يناسبه لنهي عنه، بل لا وجه للنهي عنه، وهذا معنى قوله: واستثناء اعتراضها دونه، أي اعتراض المشيئة متجاوز عن الفعل بأن يتعلق بعده، أي لو حُجِّل الاستثناء على استثناء مانعية إرادة الله تعالى لفعله بأن يشاء الله عدم فعله، كان هذا الاستثناء لا يناسب النهي.

٣. الكافي ٦٧٣/٢، ح ٧.

٥. الكافي ٤٤٧/٧، ح ١.

٧. نفس المصدر، ح ٢.

٤. أنوار التنزيل ٩/٢.

٦. من المصدر.

قول الله ﷻ: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» قال: فقال: إن الله ﷻ لما قال لآدم: ادخل الجنة، قال: لا تقرب هذه الشجرة. قال: وأراه إياها.

فقال آدم لربه: كيف أقربها وقد نهيتني عنها أنا وزوجتي؟

قال: فقال لهما: لا تقرباها. يعني لا تأكلا منها.

فقال آدم وزوجته: نعم يا ربنا، لا نقربها ولا نأكل منها^(٢). ولم يستثنيا في قولهما: نعم. فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما.

قال: وقد قال الله ﷻ لنبيه في الكتاب: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله» أن لا أفعله، فتسبق مشيئة الله في أن لا أفعله فلا أقدر على أن أفعله، فلذلك قال الله ﷻ: «واذكر ربك إذا نسيت» أي استثن مشيئة الله في فعلك.

عدة من أصحابنا^(٣) (عن سهل بن زياد. ومحمد بن يحيى، عن)^(٤) أحمد بن محمد، جميعاً، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن حمزة بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «واذكر ربك إذا نسيت»^(٥).

قال: ذلك في اليمين إذا قلت: والله، لا أفعل كذا وكذا. فإذا ذكرت أنك لم تستثن^(٦) فقل: إن شاء الله.

عدة من أصحابنا^(٧)، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الاستثناء في اليمين متى ما ذكر وإن كان بعد أربعين صباحاً. ثم تلا هذه الآية: «واذكر ربك إذا نسيت».

١. طه / ١١٥.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم نقربها ولم نأكل منها.

٣. نفس المصدر / ٤٤٨، ح ٣. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ بدلها: و.

٥. ليس في ب.

٦. قد ورد ما بين المعقوفتين وما بعدها إلى هنا في نسخة ب ذيل الرواية الآتية.

٧. نفس المصدر / ٤٤٨، ح ٦.

أحمد بن محمد^(١)، عن علي بن الحسين^(٢)، عن علي بن أسباط، عن الحسن^(٣) بن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «واذكر ربك إذا نسيت».

فقال: إذا حلفت على يمينٍ ونسيت أن تستثني، فاستثن إذا ذكرت.

وفي كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه^(٤): وروى حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي، إن رسول الله ﷺ أتاه أناس من اليهود فسألوه عن أشياء، فقال لهم: تعالوا غداً أحدثكم. ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عليه السلام عنه أربعين يوماً، ثم أتاه فقال: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت».

وفي تهذيب الأحكام^(٥)، بإسناده إلى علي بن حديد، عن مرازم قال: دخل أبو عبد الله عليه السلام يوماً إلى منزل معتب وهو يريد العمرة، فتناول^(٦) لوحاً فيه [كتاب فيه]^(٧) تسمية أرزاق العيال وما يخرج لهم، فإذا فيه: لفلان ولفلان [وفلان]^(٨) وليس فيه استثناء. فقال: من كتب هذا الكتاب ولم يستثن فيه، كيف ظن أنه يتم؟ ثم دعا بالدواة قال: ألحق فيه [في كل اسم]^(٩) إن شاء الله تعالى. فألحق فيه في كل اسم إن شاء الله.

وفي تفسير العياشي^(١٠): عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن^(١١) علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: إذا حلف الرجل بالله فله ثنيا^(١٢) إلى أربعين يوماً، وذلك أن قوماً من اليهود سألوا النبي ﷺ عن شيء، فقال: اثتوني^(١٣) غداً - ولم يستثن - حتى أخبركم. فاحتبس عنه جبرئيل عليه السلام أربعين يوماً، ثم أتاه^(١٤) وقال: «ولا

١. نفس المصدر / ٤٤٩، ح ٨.

٢. المصدر: الحسن.

٣. المصدر: الحسين.

٤. الفقيه ٢٢٩/٣، ح ١٠٨١.

٥. التهذيب ٢٨١/٨، ح ١٠٣٠.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتناول.

٧. من المصدر.

٨. ليس في ب.

٩. ليس في المصدر.

١٠. تفسير العياشي ٣٢٤/٢، ح ١٤.

١١. ليس في المصدر.

١٢. المصدر: ثنياها. والثنيا: الاسم من الاستثناء.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: القوني.

١٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: أتى.

تقولن لشيء إنني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله وذكر ربك إذا نسيت».

عن أبي حمزة^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام ذكر أن آدم لما أسكنه الله الجنة فقال له: يا آدم، لا تقرب هذه الشجرة. فقال: نعم. ولم يستثن، فأمر الله نبيه عليه السلام فقال: «ولا تقولن لشيء إنني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت» ولو بعد سنة.

وفي رواية عبد الله بن ميمون^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «ولا تقولن لشيء إنني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت» أن تقول: إلا من بعد الأربعين، فللعبد الاستثناء في اليمين ما بينه وبين أربعين^(٣) يوماً إذا نسي.

عن زرارة ومحمد بن مسلم^(٤)، عن أبي جعفر [وأبي عبد الله]^(٥) عليه السلام في قول الله: «واذكر ربك إذا نسيت» فقال: إذا حلف الرجل فنسي أن يستثنى فليستثن إذا ذكر.

عن حمزة بن حمران^(٦) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: «واذكر ربك إذا نسيت».

فقال: إن لم تستثن^(٧) ثم ذكرت^(٨) بعد، فاستثن حين تذكر.

وفي مجمع البيان^(٩): وقوله: «واذكر ربك إذا نسيت» فيه وجهان:

أحدهما، أنه كلام متصل بما قبله. ثم اختلّف في ذلك ف قيل: معناه: واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت، فقل: إن شاء الله. وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة. عن ابن عباس، وقد روي ذلك عن أئمتنا عليهم السلام.

ويمكن أن يكون الوجه فيه: أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام، وإبطال الحنث

١. نفس المصدر، ح ١٥.
 ٢. المصدر: الأربعين.
 ٣. من المصدر.
 ٤. المصدر: لم تستثن.
 ٥. المجمع ٤٦١/٣.
 ٦. نفس المصدر، ح ١٦.
 ٧. نفس المصدر/٣٢٥، ح ١٨.
 ٨. نفس المصدر/٣٢٥، ح ١٩.
 ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: ذكر.

وسقوط الكفارة في اليمين ، وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله .
وقيل ^(١) : واذكر الاستثناء ما لم تقم عن المحل ^(٢) ، عن الحسن ومجاهد .
وقيل ^(٣) : واذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام ، وهو الأوجه .
وقيل ^(٤) : معناه : واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من
الخبر ... عن الأصم ^(٥) .

والآخر ^(٦) أنه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله . ثم اختلف في معناه فقيل : معناه :
واذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب ، عن عكرمة .
وقيل ^(٨) : إنه أمر بالانقطاع إلى الله تعالى ومعناه : واذكر ربك إذا نسيت شيئاً بك إليه
حاجة تذكرك ^(٩) لك ، عن الجبائي .
وقيل ^(١٠) : المراد به الصلاة ^(١١) ، والمعنى : إذا نسيت صلاة ^(١٢) فصلها إذا ذكرت ، عن
الضحاک والسدي .

﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي ﴾ : يدلني .
﴿ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ ^(١٣) : لأقرب وأظهر دلالة على أنني نبي من نبي أصحاب
الكهف ، وقد هداه لأعظم من ذلك كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم والإخبار
بالغيوب والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلية إلى قيام الساعة .
وقيل ^(١٤) : معناه : ادع [الله] ^(١٥) أن يذكرك إذا نسيت شيئاً [قل] ^(١٦) إن لم يذكرني الله

١ . نفس المصدر والموضع . ٢ . المصدر : المجلس .

٣ و٤ . نفس المصدر والموضع . ٥ . كذا في المصدر . وفي النسخ : في .

٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ : بدل العبارة الأخيرة : بأن يندم على ما نطق عنه من الجزم على الأمم .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : ولاخير . ٨ . نفس المصدر والموضع .

٩ . المصدر : يذكره . ١٠ . نفس المصدر والموضع .

١١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : المراد بالصلاة .

١٢ . كذا في المصدر . وفي النسخ : لصلاة . ١٣ . مجمع البيان ٤/٦٦٤ .

١٤ و١٥ . من المصدر .

بذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه^(١٦).

﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(١٧): يعني لبثهم فيه أحياء مضروباً على أذانهم. وهو بيان لما أجمله قبل.

وقيل^(١٨): إنه حكاية كلام أهل الكتاب، فإنهم اختلفوا في عدّتهم، فقال بعضهم ثلاثمائة. وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين.

وقرأ^(١٩) حمزة والكسائي: «ثلاثمائة سنين» بالإضافة، على وضع الجمع موضع الواحد^(٢٠)، ويحسنه هاهنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد، وأن الأصل في العدد إضافة إلى الجمع، ومن لم يصف أبدل السنين من ثلاثمائة.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢١) للطبرسي رحمته: عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وقد رجع إلى الدنيا مئة^(٢٢) مات خلق كثير، منهم أصحاب الكهف، أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة [ثم]^(٢٣) بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث، ليقطع حجّتهم، وليربهم قدرته، وليعلموا أن البعث حق.

وفي مجمع البيان^(٢٤): وروي أن يهودياً سأل علي بن أبي طالب عليه السلام عن مدة لبثهم، فأخبر بما في القرآن.

فقال: إننا نجد في كتابنا ثلاثمائة!

فقال عليه السلام: ذلك بسني الشمس، وهذا بسني القمر.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها، فلا خلق يخفي عليه علماً.

١٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما هو أقرب منه.

١٧. أنوار التنزيل ١٠/٢. ١٨. نفس المصدر والموضع.

١٩. أي لفظ «مائة» يضاف إلى المفرد، فإضافته إلى الجمع هاهنا وهو «سنين» لجعله بمنزلة المفرد.

٢٠. الاحتجاج ٣٤٤/٢. ٢١. المصدر: ممّا.

٢٢. من المصدر. ٢٣. المجمع ٤٦٣/٣.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَاسْمِعْ﴾: ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين، إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي.

و«الهاء» تعود إلى الله تعالى. ومحلّه الرفع على الفاعلية، و«الباء» مزيدة عند سيبويه. وكان أصله: أبصر، أي صار ذا بصر، ثم نُقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء، فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له، أو لزيادة الباء، كما في قوله: «وكفى به». والنصب على المفعولية عند الأخفش، والفاعل ضمير المأمور، وهو كل أحد، و«الباء» مزيدة إن كانت الهمزة للتعديّة، ومعدية إن كانت للصيرورة^(١).

﴿مَا لَهُمْ﴾: الضمير لأهل السماوات والأرض.

﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: متولي أمورهم.

﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ﴾: في قضائه.

﴿أَحَدًا﴾^(٢): منهم، ولا يجعل له فيه مدخلًا.

وقرأ^(٣) ابن عامر وقالون، عن يعقوب بالتاء والجزم، على نهى كل أحد عن الإشراك.

ثم لما دلّ اشتمال القرآن على قصّة أصحاب الكهف، من حيث أنها من المغيبات بالإضافة إلى الرسول على أنه وحي^(٣) معجز، أمره أن يداوم درسه ويلتزم أصحابه فقال:

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾: من القرآن، ولا تسمع لقولهم: انت بقرآن

غير هذا، أو بدله.

﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا أحد يقدر تبديلها وتغييرها غيره.

١. قوله: «والفاعل ضمير المأمور» الغرض أن معنى التركيب في الأصل ما ذكر، وإن كان معناه في الحال غيره، بل هو بمعنى التعجب.

٢. أنوار التنزيل ١٠/٢.

٣. ليس في ب.

﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾^(٧): ملتجأ تعدل إليه إن هممت به .

وفي كتاب طب الأنفة عليه السلام ، بإسناده إلى سالم بن محمد قال : شكوت إلى الصادق عليه السلام وجع^(١) الساقين وأنه قد أقعدني عن أمر ربي^(٢) وأسبابي . فقال : عوذهما .

قلت : بما ذا يا ابن رسول الله ؟

قال : بهذه الآية سبع مرّات ، فإنك تعافى بإذن الله : «واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا» .

قال : فعوذتهما سبعاً كما أمرني ، فرفع الوجع عني رفعاً [حتى]^(٣) لم أحسّ بعد ذلك بشيء منه .

وفي كتاب الخصال^(٤) : عن محمد بن مسلم^(٥) ، رفعه ، إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال عثمان بن عفان : يا رسول الله ، ما تفسير أبجد ؟

قال : أما «الألف» فالألف الله . إلى قوله عليه السلام : وأما «كلمن» فالكاف كلام الله «لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحدًا» .

عن عبدالله بن الصامت^(٦) ، عن أبي ذر رضي الله عنه : أوصاني [رسول الله صلى الله عليه وسلم] سبع : أوصاني^(٧) [٨] بحب المساكين والدينو منهم ، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرأ . الحديث .

﴿وَاضِرُّ نَفْسِكَ﴾ : واحبسها وثبتها .

﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ : في مجامع أوقاتهم . أو في [طرفي]^(٩)

النهار .

١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : لوجع . ٢ . المصدر : قد أقعدني عن أموري .

٣ . من المصدر . ٤ . الخصال ٣٣٢-٣٣١ : ضمن ح ٣٠ .

٥ . المصدر : سالم . ٦ . نفس المصدر ٣٤٥/ ح ١٢ .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : أوصاف . ٨ . يوجد في ب .

٩ . من أنوار التنزيل ١١/٢ .

وقرأ^(١) ابن عامر: «بالغدوة». وفيه: أن «غدوة» عَلِمَ في الأكثر، فتكون «اللام» على تأويل التنكير.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: رضاء الله وطاعته.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم. وتعديته بـ«عن» لتضمينه معنى: نبا^(٢).

وقرئ^(٣): «ولا عدَّ عينيك» «ولا تعد» من عدَّاه وأعداه. والمراد: نهى الرسول أن يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثائه زِيهِم، طموحاً إلى طراوة زِيِّ الأغنياء.

﴿وَتُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: حال من الكاف^(٤) في المشهورة، ومن المستكن في الفعل في غيرها.

﴿وَلَا تُطِغْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: مَنْ جعلنا قلبه غافلاً.

﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾^(٥): كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش.

وفيه تنبيه على أن الداعي له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات، حتَّى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد، وأنه لو أطاعه كان مثله في الغباوة.

وإسناد الإغفال إلى الله تعالى إما لأنه مثل أجبته: إذا وجدته كذلك، أو نسبته إليه، أو من أغفل إبله: إذا تركها بغير سمة، أي لم نسمة بذكرنا قلوب الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، أو لأنه جعله غافلاً بتعريضه للغفلة، أو بخذلانه والتخيلة بينه وبين الشيطان بتركه الأمر واتباعه النهي.

١. نفس المصدر والموضع. ٢. أي من النبوة.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. أي من الكاف في «عينك» قيل: وهذا خلاف القاعدة المشهورة أن الحال يجب أن تكون عن الفاعل أو المفعول به، إلا أن يقال: إن المضاف إليه المذكور يمكن أن يجعل فاعلاً بتغيير التركيب وإيراد مراد مقامه، فتأمل.

وقرئ^(١): «أَغْلَقْنَا» بإسناد الفعل إلى القلب، بمعنى: حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا إتياء بالمؤاخذه^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): «وأما قوله ﷺ: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا» فهذه نزلت في سلمان الفارسي ﷺ كان عليه كساء يكون فيه طعامه، وهو دثاره ورداؤه، وكان كساء من صوف، دخل عيينة بن حصين على النبي ﷺ وسلمان عنده، فتأذى عيينة بريح كساء سلمان، وقد كان عرق فيه وكان يوماً شديداً الحر فغرق في الكساء. فقال: يا رسول الله، إذا نحن دخلنا عليك فأخرج هذا واصرفه من عندك، فإذا نحن خرجنا فأدخل من شئت.

فأنزل الله: «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا» وهو عيينة بن حصين بن^(٤) حذيفة بن بدر^(٥) الفزاري.

وفي مجمع البيان^(٦)، عند قوله: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم» إلى قوله «أليس الله بأعلم بالشاكرين»: عن ابن مسعود حديث طويل، وهناك: وقال [سلمان و]^(٧) خباب: فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري

١. أنوار التنزيل ١١/٢.

٢. وبعد كلمة «بالمؤاخذه» ينبغي ذكر بعض الفقرات التي ليست في التفسير وهي:

﴿وَأَتَّبِعْ هَوَاَ﴾: أي لا تطع من أتبع هواه في شهواته وأفعاله.

﴿وَكَانَ أَشْرُهُ فُرْطًا﴾^(٣): أي تقدماً على الحق، ونبذاً له وراء ظهره. يقال: فرس فرط، أي متقدم للخيل. ومنه الفرط. «وكان أمره فرطاً» أي سرفاً وإفراطاً، عن مقاتل والجاني.

وقيل: تجاوزاً للحد، عن الأخفش.

وقيل: ضياعاً وهلاكاً، عن مجاهد والسدي.

قال الزجاج: ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه، فيكون المعنى في هذا: إنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله وأتبع الهوى.

٣. تفسير القمي ٣٥٣٤/٢.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: و. ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: بلد.

٦. المجمع ٣٠٦٣٠/٥. ٧. من المصدر.

وذوهم من المؤلفة [قلوبهم] ^(١) فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار ^(٢) وخبّاب في ناس من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم وقالوا ^(٣): يا رسول الله، لو نَحَيْت هؤلاء عنك حتّى نخلو بك! إلى قوله: فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام ^(٤) وتركنا، فأَنزل الله: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم» الآية.

فقال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا ويدنو حتّى كادت ركبتنا تمسّ ركبته، فإذا بلغ الساعة [آتي] ^(٥) يقوم فيها قمنا وتركناه حتّى يقوم.

وفيه ^(٦) هنا: نزلت الآية في سلمان وأبي ذرّ وصهيب [وعمار] ^(٧) وخبّاب ^(٨) وغيرهم من فقراء أصحاب الرسول ﷺ وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ؛ عينته بن حصين والأقرع بن حابس وذوهم، فقالوا: يا رسول الله، إن جلست في صدر المجلس ونَحَيْت عنا ^(٩) هؤلاء وروائح صنانهم ^(١٠) - وكانت عليهم حباب ^(١١) الصوف - جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّا هؤلاء.

فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتصمهم، فأصابهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله ﷻ فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات.

[عن عبدالله بن الصامت ^(١٢)] ^(١٣) عن أبي ذرّ ﷺ: أوصاني رسول الله ﷺ بسبع: أوصاني بحبّ المساكين والدينوّ منهم، وأوصاني أن أقول الحقّ وإن كان مرأاً. الحديث.

٢. كذا في ب، المصدر. وفي سائر النسخ: عثمان.

٤. يوجد في ب، المصدر.

٦. المجمع ٤٦٥/٣.

٨. أ، ر: جناب. وفي المصدر: حَبَات.

١٠. الصنان: نتن الإبط.

١٢. الخصال ٣٤٥/٢، ح ١٢.

١. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقال.

٥. من المصدر.

٧. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن.

١١. المصدر: حَبَاب.

١٣. ليس في ب، أ، ر.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: الحق من جهة الله، لا ما يقضيه الهوى.

ويجوز أن يكون «الحق» خبر محذوف، «ومن ربكم» حالاً^(١).

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾: لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن عاصم الكوري^(٣)، عن أبي عبد الله^(٤) عليه السلام قال: سمعته يقول في قول الله: «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» قال: وعيد.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: هياتنا.

﴿لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: فسطاطها، شبه به ما يحيط بهم من النار.

وقيل^(٥): «السرادق» الحجرة التي تكون حول الفسطاط.

وقيل^(٦): «سرادقها» دخانها^(٧).

وقيل: حائط من نار.

وفي أصول الكافي^(٨): أحمد، عن^(٩) عبد العظيم، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: «وقل الحق من ربكم في ولاية علي عليه السلام فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين آل محمد ناراً».

﴿وَأَنْ يَسْتَفِيتُوا﴾: من العطش.

﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كالنحاس المذاب.

وقيل^(١٠): كدردري^(١١) الزيت.

١. أي خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: الموحى إليك الحق كائناً من ربكم، فيكون «من ربكم» حالاً للضمير المستتر في الموحى.

٢. تفسير العياشي ٣٢٦/٢، ح ٢٦.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «زارة وحرمان» بدل «عاصم الكوري».

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن أبي جعفر وأبي عبد الله.

٥. أنوار التنزيل ١١/٢.

٦. أنوار التنزيل ١١/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: خانها.

٨. الكافي ٤٢٤/١، ح ٦٤.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: بن.

١٠. أنوار التنزيل ١١/٢.

١١. الدردري: ما راسب أسفل العسل والزيت ونحوهما من كل شيء مانع كالأشربة والأدهان.

وقيل ^(١): كعكر الزيت ^(٢)، إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه. وفي مجمع البيان ^(٣) أن ذلك روي مرفوعاً.

وقيل ^(٤): هو القيح والدم.

وقيل ^(٥): هو الذي انتهى حرّه.

وقيل ^(٦): هو ماء أسود، وإن جهنم سوداء، وماءها أسود، وشجرها سود، وأهلها سود.

وهو على طريقة قوله:

فأعتبوا بالصيلم ^(٧)

﴿يَنْشَوِي الْجُحُوهُ﴾: إذا قَدِمَ لِيَشْرَبَ من فرط حرارته.

وهو صفة ثانية لـ «ماء». أو حال من «المهل»، أو الضمير في «الكاف» ^(٨).

﴿يَنْسُ الشَّرَابُ﴾: المهل.

﴿وَسَاءَتْ﴾: وساءت النار.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ ^(٩): متكنأ.

وأصل الارتفاق: نصب المرفق تحت الخد، وهو لمقابلة قوله: «حسنرت مرتفقاً». وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ^(١٠).

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١١): قال أبو عبد الله عليه السلام: نزلت هذه الآية هكذا: «وقل

١. مجمع البيان ٤٦٦٣.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: كعكرات. والعكر: الراسب من كل شيء.

٣. نفس المصدر والموضع. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. المجمع ٤٦٦٣. ٦. المجمع ٤٦٦٣.

٧. الصيلم: الأمر الشديد. والداهية. قال في الصحاح: اعتبني فلان بمعنى: أرضاني، والصيلم الداهية، فيكون المعنى: أرضوا بالداهية، فيكون تهكماً.

٨. أي كالمهل لأن المعنى: يشابه المهل. ٩. إذ الارتفاق الانتفاع.

١٠. تفسير القمي ٣٥/٢.

الحَقَّ من رَبِّكم» يعني ولاية عليّ «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» قال: «المهل» الَّذِي يَبْقَى فِي أَصْلِ الزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ «يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفعاً».

وفي تهذيب الأحكام^(١): ابن أبي عمير، عن بشير، عن ابن يعفور قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا، فقال له: أصلحك الله، إِنَّهُ رَبِّمَا أَصَابَ الرَّجُلَ مَنَا الضِّيقَ وَالشَّدَّةَ فَيَدْعُو إِلَى الْبِنَاءِ بَيْنَهُ أَوِ النَّهْرِ يَكْرِهِي أَوِ الْمَسْنَأَةَ^(٢) يَصْلَحُهَا، فَمَا تَقُولُ فِي ذَلِكَ؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: مَا أَحَبَّ أَنْتَ عَقَدْتَ لَهُمْ عَقْدَةً، أَوْ وَكَيْتَ لَهُمْ وَكَاءً وَ^(٣) أَنْ لِي مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا^(٤)، وَلَا مَدَّةَ بَقْلَمٍ، إِنَّ أَعْوَانَ الظَّلْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي سُرَادِقٍ مِنْ نَارٍ حَتَّى يَحْكُمَ [الله] ^(٥) بَيْنَ الْعِبَادِ.

محمد بن يعقوب^(٦)، عن الحسين بن الحسن الهاشمي، [عن صالح بن أبي حماد، عن^(٧) محمد بن خالد، عن زياد بن سلمة قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يَا زِيَادُ، إِنَّكَ تَعْمَلُ عَمَلَ السُّلْطَانِ؟ قال: قلت: أَجَلْ.

قال لي: وَلَمْ؟

قلت: أَنَا رَجُلٌ لِي مَرْوَةٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ظَهْرِي شَيْءٌ.

١. التهذيب ٣٣١/٦، ح ١١٩.

٢. كَرِي الْأَرْضِ: حَفَرُهَا. وَالْمَسْنَأَةُ: الْعَرَمُ، وَهُوَ مَا يَبْنِي فِي وَجْهِ السَّيْلِ.

٣. كَذَا فِي نَوْرِ الثَّقَلَيْنِ ٢٥٩/٣، ح ٧٢. وَفِي النُّسخِ وَالْمَصْدَرِ: «لَوْ» بَدَلُ «و».

٤. وَكِي الْقَرْيَةِ: شَدَّهَا بِالْوَكَاءِ، وَهُوَ رِبَاطُ الْقَرْيَةِ: وَاللَّابَةِ: الْحَرَّةُ، وَهِيَ أَرْضُ ذَاتِ حِجَارَةٍ سَوْدَ كَأَنَّهَا أَحْرَقَتْ بِالنَّارِ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَابَتَيْهَا» أَيُّ لَابَتِي الْمَدِينَةِ، لِأَنَّهَا مَا بَيْنَ حَرْتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ تَكْتَفِيَانِهَا.

٥. مِنْ نَفْسِ الْمَصْدَرِ.

٦. التهذيب ٣٣٣/٦، ح ٩٢٤؛ الْكَافِي ١٠٩/٥، ح ١٢.

٧. لَيْسَ فِي أ، ر.

فقال لي: يا زياد، لئن أسقط من حلقى^(١) فأتقطع قطعة قطعة أحب إلي من أن أتولّى لأحد منهم عملاً وأطأ بساط رجل منهم، إلّا لما ذا؟ قلت: لا أدري.

قال: إلّا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه. يا زياد، إن أهون ما يصنع الله ﷻ بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سراق من نار إلى أن يفرغ الله ﷻ من حساب الخلائق.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره [الله]^(٣)، وظلم لا يدعه؛ فأما الظلم^(٤) الذي لا يغفره الله الشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه، وأما الظلم الذي لا يدعه فالذنوب بين العباد.

وفي مجمع البيان^(٥)، عند قوله: «فماثلون منها البطون». وقد روي أن الله تعالى يجوعهم حتّى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك، فيحملهم إلى تلك الشجرة، وفيهم أبو جهل، فيأكلون منها فتغلي بطونهم [كغلي الحميم، فيستسقون]^(٦) فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة، فإذا قرّبوها من وجوههم شوت وجوههم، فذلك قوله: «يشوي الوجوه».

وروي أبو أمامة^(٧)، عن النبي ﷺ في قوله: «ويُسقى من ماء صديد» قال: يُقرّب إليه فيكرهه^(٨)، فإذا أدني^(٩) منه شوى وجهه ووقع فروة رأسه، فإذا شرب قطع أمعاءه حتّى يخرج من دبره، يقول الله ﷻ: «وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم». ويقول: «وان

١. الحلق: الجبل المنيف العالي، لا يكون إلّا مع عدم نبات كأنه حلق.

٢. تفسير العياشي ٣٢٦/٢، ح ٢٧.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فالظلم.

٥. المجمع ٤٤٦/٤.

٦. من المصدر.

٧. نفس المصدر ٣٠٨/٣.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيتكرهه.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: دنى.

يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه»

وفي الكافي^(١): «عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، [عن أبيه]^(٢)، عن القاسم بن عروة، عن عبدالله بن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض».

قال: تُبدَّل خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى يفرغوا من الحساب.

فقال له قائل: إنهم لفي شغل يومئذ عن الأكل والشرب.

فقال له: إنّ ابن آدم خُلِقَ^(٣) أجوف ولا بدّ له من طعام وشراب، أهم أشدّ شغلاً^(٤) أم من في النار؟ فقد استغاثوا [والله ﷻ يقول:]^(٥) «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه».

وفي تفسير العيّاشي^(٦): عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض». قال: تُبدَّل خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى يفرغ من الحساب، إنّ ابن آدم خُلِقَ أجوف لا بدّ له من الطعام والشراب، أهم أشدّ شغلاً أم من في النار؟ فقد استغاثوا «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل».

عن مسعدة بن صدقة^(٧)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ أهل النار لما على الزقوم والضريع في بطونهم كغلي الحميم، سألوا الشراب فأتوا بشراب غسّاق وصديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه، ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميت، ومن ورائه عذاب غليظ وحميم، تغلي به جهنّم منذ خُلقت كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفقاً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): محمد بن العباس عليه السلام قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن

٢. ليس في المصدر.

١. الكافي ٢٨٦/٦-٢٨٧، ح ٤.

٤. في ب، ر: زيادة «يومئذ».

٣. المصدر: إنّ الله خلق ابن آدم.

٦. تفسير العيّاشي ٢٣٨/٢، ح ٥٦. وج ٣٢٧/٢، ح ٣٠.

٥. من المصدر.

٨. تأويل الآيات ٢٩٢/١، ح ٢.

٧. نفس المصدر والمجلّد ٢٢٣/٢، ح ٧.

القاسم، عن أحمد بن محمد السيارى، عن محمد بن خالد البرقي، عن الحسين بن سيف، عن أخيه، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله تعالى: «وقل الحق من ربكم» في ولاية علي عليه السلام «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» إنا أعتدنا للظالمين آل محمد حقهم ناراً أحاط بهم سرادقها».

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠): خبر «إِنَّ» الأولى هي الثانية بما في حيزها، والراجع محذوف؛ تقديره: من أحسن عملاً منهم. أو مستغنى عنه [بعموم من أحسن عملاً كما هو مستغنى عنه] (١) في قولك: نعم الرجل زيد. أو واقع موقع الظاهر، فإن من أحسن عملاً لا يحسن إطلاقه [على الحقيقة] (٢) إلا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وفي شرح الآيات الباهرة (٣): قال محمد بن العباس: حدثنا محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه صلوات الله عليهما في قوله تعالى: «وقل الحق من ربكم» [في ولاية علي عليه السلام] (٤) «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

قال: وقرأ إلى قوله: «أحسن عملاً».

ثم قال: قيل للنبي صلى الله عليه وآله: «اصدع بما تؤمر» في أمر علي، فإنه الحق من ربك «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» فجعل الله تركه معصية وكفراً.

قال: ثم قرأ: «إنا أعتدنا للظالمين - لآل محمد - ناراً أحاط بهم سرادقها» الآية.

ثم قرأ: [إِنَّ] (٥) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا يعني [بهم] آل محمد صلوات الله عليهم.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: استئناف لبيان الأجر، أو خبر

ثان.

٢. من أنوار التنزيل ١١/٢.

٤. من المصدر.

١. من أنوار التنزيل ١١/٢.

٣. تأويل الآيات ٢٩٢/١، ح ٣.

٥. من المصدر.

﴿يَحْلُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: «من» الأولى للابتداء، والثانية للبيان صفة «الأساور»، وتنكيره لتعظيم حسننها من الإحاطة به. وهو جمع أسورة، أو أسوار في جمع سوار.

﴿وَلْيَبْسُوتَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾: لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة.

﴿مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ﴾: نمارق من الديباج وما غلظ منه، جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ رَأَيْتُ شَجَرَةً طَوْبَى أَصْلُهَا فِي دَارِ عَلِيٍّ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ قَصْرٌ وَلَا مَنْزِلٌ إِلَّا وَفِيهَا فِتر^(٢) منها، أعلاها أسفاط^(٣) حلل من سندس واستبرق، يكون للعبد المؤمن ألف ألف سفت، في كل سفت^(٤) مائة^(٥) حلة ما فيها حلة تشبه الأخرى^(٦) على ألوان [مختلفة، وهو]^(٧) ثياب أهل الجنة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: على السرر كما هو هيئة المتنعمين^(٨).

﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: الجنة ونعيمها.

﴿وَحَسَنَتْ﴾: الأرائك.

﴿مُزْتَفَقًا﴾^(٩): متكأ.

﴿وَأَضْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾: للكافر والمؤمن.

﴿رَجُلَيْنِ﴾: مقدرين، أو موجودين.

١. تفسير القمي ٣٣٧/٢.

٢. في المصدر: «فِرْع» بدل «فِتر».

٣. الفتر: القطع. الأسفاط - جمع السفت -: ما يعبأ به الطيب وما أشبه من أدوات النساء، أو عاء كالقفعة.

٤. المصدر: مائة الف.

٥. يوجد في ب، المصدر.

٦. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: أخرى. ٧. يوجد في ب، المصدر.

٨. ب، أ: المتعين.

قيل^(١): هما أَخَوَانٌ من بني إسرائيل، كافر اسمه: قطروس^(٢)، ومؤمن اسمه: يهوذا^(٣)، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا، فاشترى الكافر بها ضياعاً وعقاراً، وصرفها المؤمن في وجوه الخير، وآل^(٤) أمرهما إلى ما حكاه تعالى.

وقيل^(٥): الممثلُ بهما أَخَوَانٌ من بني مخزوم، كافر وهو الأسود بن عبد الأسد^(٦)، ومؤمن وهو أبو سلمة^(٧) عبد الله، زوج أم سلمة قبل رسول الله.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين.

﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾: من الكروم.

والجملة بتمامها بيان للتمثيل، أو صفة لـ «رجلين».

﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾: وجعلنا النخل محيطاً بهما مؤزرأً بها كرومهما، يقال: حفّه

القوم: إذا أحاطوا به. وحففته [بهم]^(٨): إذا جعلتهم^(٩) حافين حوله. فتزيده «الباء» مفعولاً ثانياً كقولك: غشيت به، وغشيت به.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: وسطهما.

﴿زُرْعاً﴾^(١٠): ليكون كلّ منهما جامعاً للأقوات والفواكه، متواصل العماراة على

الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرها.

وأفراد الضمير لأفراد «كلتا».

وقرئ^(١١): «كُلَّ الْجَنَّتَيْنِ أَتَى أَكْلَهُ».

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾: ولم تنقص من أكلها.

٢. المصدر: فطروس.

٤. ب، أ: مال.

٦. المصدر: الأشد.

٨. من نفس المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبو سلم.

٩. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: جعلته.

١٠. أنوار التنزيل ١٢/٢.

١. أنوار التنزيل ١٢/٢.

٣. المصدر: يهوذا.

٥. نفس المصدر والموضع.

﴿شَيْئاً﴾: يُعْهَدُ فِي سَائِرِ الْبَسَاتِينِ، فَإِنَّ الثَّمَارَ تَتَمُّ فِي عَامٍ وَتَنْقُصُ فِي عَامٍ غَالِباً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ رحمته الله، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ^(٢)، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا، كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئاً» قَالَ: هُمَا [عَلَيْ عليه السلام] ^(٣) وَرَجُلٌ آخَرٌ.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾^(٤): لِيَدُومَ شَرْبُهُمَا، فَإِنَّهُ الْأَصْلُ وَيَزِيدُ بِهِمَا.

وعن يعقوب^(٥): «وَفَجَّرْنَا» بِالتَّخْفِيفِ.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: أَنْوَاعُ مِنَ الْمَالِ سِوَى الْجَنَّتَيْنِ مِنْ ثَمَرِ مَالِهِ إِذَا كَثُرَ.

وقرأ^(٥) عاصم بفتح الثاء والميم، وأبو عمرو بضمّ الثاء وإسكان الميم، والباقون بضمّهما، وكذلك في قوله: «وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ».

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يَرَاغِبُهُ فِي الْكَلَامِ، مِنْ حَارٍ^(٦): إِذَا رَجَعَ.

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾^(٧): حَشْمًا وَأَعْوَانًا.

وقيل^(٧): أَوْلَادًا ذُكُورًا، لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَنْفِرُونَ مَعَهُ.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: بِصَاحِبِهِ، يَطُوفُ بِهِ فِيهَا وَيَفَاخِرُهُ بِهَا.

وإفراد «الجنة» لِأَنَّ الْمُرَادَ مَا هُوَ جَنَّتُهُ، وَهُوَ مَا مَتَّعَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، تَنْبِيهُاً عَلَى أَنَّهُ لَا جَنَّةَ لَهُ غَيْرَهَا وَلَا حَظَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ. أَوْ لِاتِّصَالِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ جَنَّتَيْهِ بِالْآخَرَى. أَوْ لِأَنَّ الدَّخُولَ يَكُونُ فِي وَاحِدَةٍ وَاحِدَةٍ.

١. تأويل الآيات ٢٩٣/١، ح. ٥.

٢. كذا في المصدر، وتفتح المقال ٢٣/٢. وفي النسخ: عوف.

٣. من المصدر.

٤. أنوار التنزيل ١٢/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: حاور.

٧. نفس المصدر والموضع.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: ضارّ لها بعجبه وكفره.

﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: أي تفتني.

﴿هَذِهِ﴾: الجنة.

﴿أَبْدَأُ﴾ (٣٥): لطول أمله، وتمادي غفلته، واغتراره بمهلهته.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾: كائنة.

﴿وَلَيْسَ رُدُّهُ إِلَى رَبِّي﴾: بالبعث كما زعمت.

﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾: من جنته.

وقرأ (١) الحجازيان والشامي: «منهما» أي من الجنّتين.

﴿مُنْقَلِبًا﴾ (٣٦): مرجعاً وعاقبة، لأنها فانية وتلك باقية.

وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنّه تعالى إنّما أولاه لاستنْهاله واستحقاقه إياه لذاته،

وهو معه أينما يلقيه.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾: لأنّه أصل مادّتك، أو

مادّة أصلك (٢).

﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾: فإنّها مادّتك القريبة.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ (٣٧): ثمّ عدلك وكمّلك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال.

جعل كفره بالبعث كفراً بالله لأنّ منشأ الشكّ في كمال قدرة الله، ولذلك رتب

الإنكار على خلقه إياه من التراب فإنّ من قدر بدء خلقه منه، قدر أن يعيده منه.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨): أصله: لكنّ أنا، فحذفت الهمزة

وألقيت حركتها على نون «لكنّ» فتلاقت النونان فكان الإدغام.

وقرأ (٣) ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو

لإجراء الوصل مجرى الوقف.

١. أنوار التنزيل ١٣/٢.

٢. أمّا الأول فلأنّ مادّة الشخص النطفة والنطفة حصلت من الغذاء وهو حاصل من التراب، وأمّا الثاني فلأنّ

أصل النوع الإنساني آدم وهو من التراب. ٣. نفس المصدر والموضع.

وقد قرئ^(١): «لكنّ أنا» على الأصل، وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبراً له خبر «أنا» [أو ضمير الله و«الله» بدله و«رَبِّي» خبره، والجملة خبر «أنا»]^(٢) والاستدراك من «أكفرت» كأنه قال: أنت كافر بالله لكنّي مؤمن به.

وقرئ^(٣): «لكنّ هو الله ربّي» و«لكنّ أنا أقول لا إله إلا هو ربّي».

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ: وَهَلَّا قُلْتَ عِنْدَ دُخُولِهِ﴾

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أي الأمر ما شاء الله [أو ما شاء]^(٤) كائن، على أنّ «ما» موصولة. أو أي شيء شاء الله كان، على أنّها شرطية والجواب محذوف إقراراً بأنّها وما فيها بمشيئة الله، إن شاء الله أبقاها وإن شاء أبادها.

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: وقلت: لا قوة إلا بالله، اعترافاً بالعجز على نفسك والقدرة لله، وأنّ ما تيسر لك من عماراتها وتدبير أمرها فبمعونته وإقداره.

وعن النبي ﷺ^(٥): من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يضرّه. وفي كتاب ثواب الأعمال^(٦): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من رجل دعا فختم بقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا أُجيب حاجته^(٧).

وفي تهذيب الأحكام^(٨)، بإسناده إلى الحسن بن علي بن عبد الملك الزيات، عن رجل، عن كرام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربع لأربع. إلى قوله: والثالثة للحرق والغرق ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وذلك أنّه يقول: «ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

وفي محاسن البرقي^(٩)، عنه، عن عدّة من أصحابنا، عن علي بن أسباط، عن أبي

١. نفس المصدر والموضع

٣. أنوار التنزيل ١٣/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: صاحبه.

٩. المحاسن ٣٥٠/ ح ٣٣.

٢. ليس في أ، ب، ر.

٤. نفس المصدر والموضع.

٦. ثواب الأعمال ٢٤/ ح ١.

٨. التهذيب ١٧٠/٦، ح ٣٢٩.

الحسن الرضا عليه السلام قال: قال لي: إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل: بسم الله
 آمنت بالله توكلت على الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فتلقاه الشياطين فتضرب
 الملائكة وجوهها وتقول: ما سبيلكم عليه وقد سمى الله وأمن به وتوكل على الله
 وقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

عنه ^(١)، عن بكر بن صالح، عن سليمان بن جعفر، عن أبي الحسن موسى بن
 جعفر عليه السلام [قال] ^(٢): من خرج وحده في سفر فليقل: ما شاء الله لا قوة ^(٣) إلا بالله، اللهم
 أنس وحشتي وأعني على وحدتي ورد غيبتني.

وفي كتاب التوحيد ^(٤)، بإسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن
 علي الباقر عليه السلام قال: سألت عن معنى لاحول ولا قوة إلا بالله.

فقال: معناه: لاحول لنا عن معصية الله إلا بقوة ^(٥) الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا
 بتوفيق الله تعالى.

﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَلَدًا﴾ ^(٦): يحتمل أن يكون «أنا» فصلاً، وأن يكون
 تأكيداً للمفعول الأول.

وقرئ ^(٧): «أقل» بالرفع على أنه خبر «أنا». والجملة مفعول ثانٍ لـ «ترن». وفي قوله
 تعالى: «ولدا» دليل لمن فسر النفر بالأولاد.

﴿فَقَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَسَدِكَ﴾: في الدنيا والآخرة لإيماني. وهو جواب
 الشرط.

وفي كتاب الخصال ^(٨): عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: عجبت لمن يفزع ^(٩)

١. نفس المصدر/ ٣٥٥ ح ٥٣.

٣. المصدر: لا حول ولا قوة.

٥. التوحيد/ ٢٤٢ ح ٣.

٧. الخصال/ ٢١٨/١ ح ٤٣.

٢. من المصدر.

٤. التوحيد/ ٢٤٢ ح ٣.

٦. نفس المصدر والموضع.

٨. المصدر: فزع.

[من أربع^(١)] كيف لا يفرغ إلى أربع. إلى أن قال: **عَجِبْتَ** لعجب لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفرغ إلى قوله تعالى: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله». **فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ بَعْقِبَا: «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا، فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ حَسَبِكَ»**. وعسى موجبة. **﴿وَيُزِيلْ عَلَيْهَا﴾**: على حَسَبِكَ لكفرك.

﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: مرامي. جمع حسابنة، وهي الصواعق. وقيل^(٢): هو مصدر بمعنى الحساب، والمراد به: التقدير لتخريبها. أو عذاب حباب الأعمال السيئة.

﴿تَضْحِكُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾^(٣): أرضاً ملساء يُزَلَقُ عليها باستئصال نباتها و^(٤) أشجارها. **﴿أَوْ يُضْحِكُ مَآوَهَا غَوْرًا﴾**: غائراً في الأرض، مصدر وصف به كالزلزلة. **﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾**: للماء الغائر. **﴿طَلَبًا﴾**^(٥): تردداً في رده.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه. مأخوذ من أحاط به العدو، فإنه إذا أحاط به غلبه وإذا غلبه أهلكه. ونظيره: أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعلياً عليهم.

وفي مجمع البيان^(٦): «وأحيط بثمره» وفي الخبر: أن الله ﷻ أرسل عليها ناراً [فأهلكها]^(٧) وغار ماؤها.

﴿فَاصْبَحْ يَقْلَبُ كَفَّيْهِ﴾: ظهرأ لبطن^(٨)، تلهفاً وتحسراً. **﴿عَلَىٰ مَا أَتَّفَقَ فِيهَا﴾**: في عمارتها. وهو متعلق بـ«يقلب» لأنَّ تَقَلَّبَ الكَفَّ كناية عن الندم، وكأنَّه قيل: وأصبح يندم. أو حال، أي متحسراً على ما أنفق فيها. **﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾**: ساقطة.

١. ليس في أ، ب.

٢. أنوار التنزيل ١٣/٢.

٣. ب: أو.

٤. المجمع ٤٧٢/٣.

٥. من المصدر.

٦. مفعول مطلق، أي يقلب كَفَّيْهِ تقليباً خاصاً.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: بأن سقطت عروشها على الأرض، وسقطت الكروم فوقها.
 ﴿وَيَقُولُ﴾: عطف على «يَقْلَبُ». أو حال من ضميره^(١).
 ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٢): كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل
 شركه، فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يهلك الله بستانه.
 ويحتمل أن يكون توبة من الشرك، وندماً [على شركه]^(٣) على ما سبق منه.
 ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً﴾: وقرأ^(٤) حمزة والكسائي بالياء^(٥).
 ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾: يقدرون على نصره بدفع الإهلاك، أو رد المهلك، أو الإتيان بمثله
 ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: فإنه القادر على ذلك وحده.
 ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾^(٦): وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام^(٧) الله منه.
 ﴿هَٰذَاكَ﴾: في ذلك المقام وتلك الحال.
 ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾: النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره، تقريراً لقوله: «ولم تكن له
 فئة ينصرونه». أو ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة، كما نصر فيما فعل بالكافر
 أخاه المؤمن، ويعضده قوله:
 ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٨): أي لأوليائه.
 وقرأ^(٩) حمزة والكسائي بالكسر^(١٠)، ومعناها: السلطان والملك، أي هنالك
 السلطان له لا يُغْلَب ولا يُمْتَنَع منه. أو لا يُعْبَد غيره^(١١)، كقوله: «فإذا ركبوا في الفلك
 دعوا الله مخلصين له الدين» فيكون تنبيهاً على أن قوله: «يا ليتني لم أشرك» كان عن
 اضطراب وجزع مما دهاه.

١. فإن قيل: الفعل المضارع المثبت إذا وقع حالاً لم تدخل الواو عليه. قلنا: هاهنا مقدر، والتقدير: وهو

يقول. ٢. ليس في أنوار التنزيل ١٤/٢.

٣. نفس المصدر والموضع. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالهاء.

٥. ب: من قوته بانتقام. ٦. أنوار التنزيل ١٤/٢.

٧. أي بكسر الواو في الولاية. ٨. أي في هذا الوقت، ولا يكون معبود غير الله.

وقيل^(١): «هنالك» إشارة إلى الآخرة.

وقرأ^(٢) حمزة^(٣) الكسائي: «الحَقَّ» بالرفع صفة لـ «الولاية».

وقرئ^(٤): بالنصب على المصدر المؤكّد.

وقرأ^(٥) حمزة وعاصم: «عقباً» بالسكون.

وقرئ^(٦): «عقبى» وكلّها بمعنى العاقبة.

وفي أصول الكافي^(٧): الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن محمّد بن

أورمة ومحمّد بن عبد الله، عن عليّ بن حسان [عن عبد الله بن كثير]^(٨)، عن أبي

عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله ﷺ: «هنالك الولاية لله الحقّ».

قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٩): روى محمّد بن العباس عليه السلام، عن محمّد بن همام، عن

عبد الله بن جعفر الحضرمي^(١٠)، عن محمّد بن عبد الحميد، عن محمّد بن الفضل^(١١)،

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له قوله تعالى: «هنالك الولاية لله

الحقّ هو خير ثواباً وخير عقباً».

قال: هي ولاية عليّ عليه السلام هي خير ثواباً وخير عقباً، أي عاقبة من ولاية عدوّه

صاحب الجنة^(١٢) الذي حرّم الله عليه الجنة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة

زوالها، أو صفتها الغريبة.

١ و٢. نفس المصدر والموضع. ٣. المصدر: أبو عمرو.

٤-٦. أنوار التنزيل ١٤/٢. ٧. الكافي ٤١٨/١، ج ٣٤.

٨. من المصدر. ٩. تأويل الآيات ٢٩٦/١، ج ٦.

١٠. ليس في متن المصدر، أمّا في هامشه فقد قال: في الأصل: عبد الله بن جعفر الحضرمي، ولكن لم نجد له ذكراً في كتب الرجال، والظاهر أنّه مصحّف الحميري، وفي البحار: عبد الله بن جعفر، وفي البرهان:

عبد الله بن جعفر، عن الحضرمي. ١١. أ، ب، المصدر: الفضيل.

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسنه.

﴿كَمَاءٍ﴾: هو كماء. ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لـ «اضرب» على أنه بمعنى: صير^(١).

﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: فالتَفَ^(٢) بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه. أو بفتح^(٣) في النبات حتى رُوي ورق^(٤)، وعلى هذا كان حقّه: فاختلط بنبات الأرض. لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته^(٥).

﴿فَأَضْيَحَ هَشِيمًا﴾: مهشوماً مكسوراً.

﴿تَذُرُّوهُ الرِّيحُ﴾: تفرقه.

وقرئ^(٦): «تذريه» من أذرى. والمشبّه به ليس الماء ولا حاله، بل الكيفيّة المنتزعة من الجملة^(٧)، وهي حال النبات المنبت^(٨) بالماء يكون أخضر وأرقاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾^(٩): من الإنشاء والإفناء.

[في روضه الكافي^(١٠): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى. وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة^(١١)]، عن عليّ بن الحسين عليه السلام حديث طويل [في الزهد في الدنيا، وفيه

١. أي جعل الحياة الدنيا مثل ماء.

٢. كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: يجمع.

٣. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: رقا. ورق النبات: اهتز من الري والنضارة. و«رقا» بمعنى سما وارتفع.

٤. أي للمبالغة في كثرة الماء، فإن المختلط بشيء يكون أقل من ذلك الشيء غالباً، فإذا قيل: فاختلط بنبات الأرض لم يدل كثرة الماء، وإذا قيل: اختلط به نبات الأرض أفاد في الظاهر قلّة النبات وكثرة الماء.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. وكذا المشبّه الكيفيّة المنتزعة، فإنّه حال الحياة الدنيا بنشئها وترقيتها ثم الوقوف في الكمال ثم اليبس

والشيخوخة ثم الفناء.

٧. كذا في أنوار التنزيل ١٤/٢. وفي النسخ: المتسب.

٨. الكافي ١٧/٨، ح ٣.

٩. ليس في أ، ب.

يقول ﷺ: ^(١) «فهي كروضة اعتم ^(٢) مرعاها ^(٣) وأعجبت من يراها، عذب شربها ^(٤) طيب تربها ^(٥)، تمنج عروقها الثرى وتنطف فروعها الندى، حتى إذا بلغ العشب إبانته ^(٦) واستوى بنانه ^(٧) هاجت ريح تحت الورق وتفرق ما اتسق، فأصبحت كما قال الله: «هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا».

وفي نهج البلاغة ^(٨): «أما بعد، فإني أحذركم الدنيا. إلى أن قال ﷺ: لا تعدوا إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون ^(٩) كما قال الله سبحانه: «كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا».

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتزين به الإنسان في دنياه، وتفنى ^(١٠) عنه عما قريب.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(١١)، بإسناده إلى سعيد بن النضر، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» وثمان ركعات ^(١٢) آخر الليل والوتر زينة الآخرة، وقد يجمعهما الله ﷻ لأقوام.

وفي تهذيب الأحكام ^(١٣): قال ﷺ: إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام.

١. من نور الثقلين ٢٦٣/٣، ح ٩٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: اغتم، واعتم النبت: تم طوله وظهر نوره.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فرعاها. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: مشربها.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: تربتها.

٦. مع الرجل الماء من فيه: رمى به. ونطف الماء: إذا قطر قليلاً قليلاً وإبان الشيء: حينه أو أوانه.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: نباته. ٨. نهج البلاغة/ ١٦٤، الخطبة ١١١.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: يكون. ١٠. كذا في أنوار التنزيل ١٥/٢. وفي النسخ: يغنى.

١١. المعاني/ ٣٢٤، ح ١. ١٢. في المصدر: زيادة «من».

١٣. بل في نهج البلاغة/ ١٦٤، الخطبة ٢٣. وأورده العروسي في نور الثقلين ٢٦٣/٣، ح ٩٥ عنه أيضاً.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن عمر بن علي بن عمر، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إن كان الله ﷻ قال: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» إنّ الثمانية ركعات يصلّيها العبد آخر الليل زينة الآخرة.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: والأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد^(٢)، ويندرج فيها ما فسّرت به من الصلوات الخمس، وأعمال الحجّ، وصيام رمضان، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيّب.

وفي مجمع البيان^(٣): وروى أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنّه قال لجلسائه: خذوا جُنتكم.

قالوا: أحضّر^(٤) عدونا؟

قال: خذوا جُنتكم [من النار]^(٥)، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنّهنّ المقدمات، وهنّ^(٦) المنجيات، وهنّ المعقّبات، وهنّ الباقيات الصالحات.

وروي^(٧) عن النبي ﷺ أنّه قال: إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه^(٨) وعن العدو أن تجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنّهنّ الباقيات الصالحات، فقولوها.

وقيل^(٩): هي الصلوات الخمس. وروي^(١٠) ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

وروي عنه أيضاً: أنّ من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل.

١. نور الثقلين ٢٦٣/٣، ح ٩٦. وفيه: «محمد بن أحمد بن يحيى» بدل «محمد بن يحيى»، عن أحمد بن

محمد بن يحيى.

٢. المجمع ٤٧٣/٣.

٣. ب: أ: حضر يحذف الهمزة: وفي المصدر. أحذر عدواً.

٤. من المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: هو.

٦. نفس المصدر والمجلّد ٤٧٤.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: تكابدوه.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. نفس المصدر والموضع.

وفي كتاب ابن عقدة^(١)، أن أبا عبدالله عليه السلام قال للحصين بن عبدالرحمان: يا حصين، لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات الصالحات.

قال: يا ابن رسول الله، ما أستصغرها^(٢) ولكن أحمد الله عليها.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خذوا مجنتكم.

قالوا: يا رسول الله، حضر عدو؟^(٤)

قال: لا، ولكن خذوا جنتكم من النار.

فقالوا: بم^(٥) نأخذ جنتنا^(٦)، يا رسول الله [من النار]^(٧)؟

قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة ولهن

مقدمات ومؤخرات^(٨)، وهي الباقيات الصالحات.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: «ولذكر الله أكبر» قال: ذكر الله عند ما أحل أو حرم، وشبه هذا

هو^(٩) مؤخرات.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١١)، بإسناده إلى الحسن بن محبوب، عمن ذكره، عن أبي

عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم: أترون^(١٢) لو جمعتم ما عندكم

من الآنية والمتاع أكنتم ترونه تبلغ^(١٣) السماء؟

قالوا: لا، يا رسول الله.

قال: ألا أدلكم على شيء أصله في الأرض وفرعه في السماء؟

١. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير العياشي ٣٢٧/٢، ح ٣٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيمن.

٧. من المصدر.

٩. المصدر: هن.

١١. المعاني ٣٢٤/١، ح ١.

١٣. المصدر: يبلغ.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أصغرها.

٤. المصدر: عدو حضر.

٦. المصدر: جتنا.

٨. في المصدر: زيادة «ومنجات ومعقات».

١٠. المصدر: «و» بدل «هو».

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أتدرون.

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: يقول أحدكم إذا فرغ من صلاة^(١) الفريضة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثلاثين مرة، فإن أصلهن في الأرض وفرعهن في السماء، وهن يدفعن الحرق والغرق والهدم والتردي في البر وميتة السوء، وهن الباقيات الصالحات.

وفي أصول الكافي^(٢): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد^(٣) بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن ضريس الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مر رسول الله ﷺ برجل يغرس غرساً في حائط له، فتوقف له وقال: ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً وأطيب ثمراً وأبقى؟

قال: بلى، فدلني يا رسول الله.

فقال: إذا أصبحت وأمسيت فقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإن لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة، وهن من الباقيات الصالحات. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(٤): عن النبي ﷺ قال: أكثروا من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة ولهن مقدمات ومؤخرات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات.

﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: من المال والبنين.

﴿تَوَاباً﴾: عائدة.

﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٥): لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل في الدنيا.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبيه، عن النعمان، عن عمرو الجعفي قال: حدثنا

٢. الكافي ٥٠٦/٢، ح ٤.

٤. ثواب الأعمال ٢٦٧، ح ٢.

١. المصدر: صلاته.

٣. ليس في المصدر.

٥. تأويل الآيات ٢٩٧/١، ح ٨.

محمّد بن إسماعيل بن عبدالرحمان الجعفي قال: دخلت أنا وعمّي الحصين بن عبدالرحمان على أبي عبدالله عليه السلام فسلم عليه فردّ عليه السلام وأدناه، وقال: ابن من هذا معك؟

قال: ابن أخي إسماعيل.

قال: رحم الله إسماعيل وتجاوز عن سيئ عمله، كيف تخلفوه^(١)؟

قال: نحن جميعاً بخير ما أبقي الله لنا مودّ تكم.

قال: يا حصين، لا تستصغرن^(٢) مودّتنا، فإنّها من الباقيات الصالحات.

فقال: يا ابن رسول الله، ما أستصغرها ولكن أحمد الله عليها. لقولهم صلوات الله عليهم: من حمد الله^(٣) فليقل: الحمد لله على أولى^(٤) النعم. قيل: ما أولى^(٥) النعم؟ قال: ولايتنا أهل البيت.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: واذكر يوم نقلعها ونسيّرها في الجوّ، ونُذهِب بها فنجعلها هباء منبثّاً.

ويجوز عطفه على «عند ربّك» أي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة.

وقرأ^(٦) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «تُسَيَّر» بالتاء، والبناء للمفعول.

وقرئ^(٧): «تسير» من سارت.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: بادية، برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها.

وقرئ^(٨): «تُرى» على بناء المفعول.

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: وجمعناهم إلى الموقف.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: مخلفوه. ٢. أ، ب: تصفرن

٣. من المصدر. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: أوّل.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أوّل. ٦. أنوار التنزيل ١٥/٢.

٧. أنوار التنزيل ١٥/٢. ٨. أنوار التنزيل ١٥/٢.

وقيل ^(١): مجيئه ماضياً بعد «نسيّر» و«ترى» لتحقيق ^(٢) الحشر. أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم، وعلى هذا تكون الواو للحال بإضمار «قد».

﴿فَلَمْ نَغَادِرْ﴾: فلم نترك.

﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ^(٣): يقال: غادره وأغدره: إذا تركه. ومنه الغدر لترك الوفاء، والغدير لما غادره السيل. وقرئ ^(٤) بالياء.

وفي كتاب جعفر بن محمد الدورستي ^(٥)، بإسناده إلى ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» أغشي عليه وحمل إلى حجرة أم سلمة، فانتظره أصحابه وقت الصلاة فلم يخرج، فاجتمع المسلمون فقالوا: ما لنبي الله؟

قالت أم سلمة: إن نبي الله عنكم مشغول.

ثم خرج بعد ذلك فرقي ^(٦) المنبر فقال: أيها الناس، إنكم تُحشرون يوم القيامة كما خلقتُم حفاة عراة. ثم قرأ على أصحابه: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً». ثم قرأ: «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين».

وفي روضة الواعظين ^(٧) للمفيد رحمه الله: قال عبدالله بن سلام: يا محمد، أخبرني أين وسط الدنيا.

قال: بيت المقدس.

١. أنوار التنزيل ١٥/٢.

٢. كذا في المصدر. وفي أ، ب، ر: لتحصيل. وفي سائر النسخ: التحقيق.

٣. نفس المصدر والموضع. ٤. أي يغادر.

٥. نور الثقلين ٢٦٥/٣، ح ١٠٦. ٦. رقي: صعد.

٧. روضة الواعظين ٤٠٩/٢. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن.

قال : ولم ذلك ؟

قال : لأن فيها المحشر والمنشر، ومنه ارتفع العرش، وفيه الصراط والميزان.

قال : صدقت يا محمد .

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام : عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه : يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ قَرَصَةِ^(٢) النَّعْيِ، فِيهَا أَنْهَارٌ مَتَفَجِّرَةٌ^(٣) يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ حَتَّى يَفْرَغُوا^(٤) مِنَ الْحِسَابِ .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَفَ عَلَى حِمْزَةٍ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَحْذَرُ نِسَاءَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَتَرَكْتُهُ لِلْعَاوِيَةِ^(٦) وَالسَّبَاعِ حَتَّى يَحْشُرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَطُونِ السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ .

وفيه^(٧) : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا» .

فقال : مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهَا ؟

فقلت : يَقُولُونَ : إِنَّهَا فِي الْقِيَامَةِ .

قال أبو عبد الله عليه السلام : أَيَحْشُرُ اللَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا وَيَذَرُ الْبَاقِينَ ؟ إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الرَّجْعَةِ ، أَمَّا آيَةُ الْقِيَامَةِ فَهَذِهِ : «وَحْشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» .

«وَعَرَّضُوا عَلَى رَيْكٍ»^(٨) : تَشْبِيهِ^(٨) حَالِهِمْ بِحَالِ الْجُنْدِ الْمَعْرُوضِينَ عَلَى السُّطَّانِ ، لَا لِيَعْرِفَهُمْ بَلْ لِلْأَمْرِ فِيهِمْ .

وفي كتاب الخصال^(٩) ، بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبَانَ الْأَحْمَرِ ، عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ . الاحتجاج ٢/٣٢٣ .

٢ . كَذَا فِي الْمَصْدَرِ . وَفِي النِّسْخِ : فَرَاغَةً . وَفِي الْمَصْدَرِ : زِيَادَةُ «الْبَرِّ» . وَالنَّقْيُ : الْخَبْزُ الْحَوَارِي ، وَهُوَ الدَّقِيقُ

الْأَبْيَضُ الْجَيِّدُ . ٣ . كَذَا فِي الْمَصْدَرِ . وَفِي النِّسْخِ : مَتَفَجِّرَةٌ .

٤ . الْمَصْدَرُ : يَفْرَغُ . ٥ . تَفْسِيرُ الْقَمِّي ١/١٢٣ .

٦ . الْمَصْدَرُ : لِلْعَادِيَةِ . وَالْعَاوِيَةُ : الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَعْوِي .

٧ . نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٣٧٢ . ٨ . ب : تَشْبِيهِ .

٩ . الْخِصَالُ ٢/٤٥٠ ، ح ٥٥ .

أنه جاء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وأمي، عظمي موعظة.
فقال: إن كان العرض على الله ﷻ حقاً فالمكر^(١) لما ذا؟ والحديث طويل أخذت
منه موضع الحاجة.

﴿صَفَاً﴾: مصطفين لا يحجب أحد أحداً.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، وفيه قال
السائل: أفيعرضون^(٣) صفوفاً؟

قال: نعم، هم يومئذ عشرون ومائة ألف صف في عرض الأرض.

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾: على إضمار القول على وجه يكون حالاً، أو عاملاً في «يوم
نسیر»^(٤).

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: قيل^(٥): عراة لا شيء معكم من المال والولد، لقوله: «لقد
جئتمونا فرادى». أو أحياء، كخلقتكم الأولى.

وفي مجمع البيان^(٦): عن النبي ﷺ قال: يُحْشَرُ الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة
عراة غرلاً^(٧).

فقال عائشة: يا رسول الله، أما يستحيي بعضهم من بعض؟

فقال ﷺ: «لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه».

وفي كتاب الاحتجاج^(٨) للطبرسي عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، وفيه قال
السائل: أخبرني عن الناس يُحْشَرُونَ يوم القيامة عراة؟
قال: بل يحشرون في أكفانهم.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فالمنكر. ٢. الاحتجاج ٣٥٠/٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أفترضون.

٤. فعلى كونه حالاً يكون المعنى: وعرضوا على ربك يقول لهم: لقد جئتمونا. وعلى الوجه الثاني يكون
المعنى: وتقول لهم يوم نسیر الجبال: لقد جئتمونا.

٥. أنوار التنزيل ١٥/٢. ٦. المجمع ٤٧٤/٣.

٧. الغرل - جمع الأغرل -: من لم يختن. ٨. الاحتجاج ٣٥٠/٢.

قال: أَتَى لَهُم بِالْأَكْفَانِ وَقَدْ بُلِيتْ؟

قال: إِنَّ الَّذِي أَحْيَى أَبْدَانَهُمْ جَدَّدَ أَكْفَانَهُمْ.

قال: فَمَنْ مَاتَ بَلَكَفَنَ؟

قال: يَسْتَرِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ عِنْدِهِ.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُم مَوْعِدًا﴾ (١٨) : وَقَتًا لِإِنْجَازِ الْوَعْدِ بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، وَأَنَّ

الْأَنْبِيَاءُ كَذَبُوكُمْ^(١) بِهِ. وَ«بَلْ» لِلخُرُوجِ مِنْ قِصَّةٍ إِلَى أُخْرَى.

﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ : صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيمَانِ وَالشَّمَائِلِ. أَوْ فِي الْمِيزَانِ.

وَقِيلَ^(٢) : هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ وَضْعِ الْحِسَابِ.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ : خَائِفِينَ.

﴿مِمَّا فِيهِ﴾ : مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ : يَنَادُونَ هَلَكْتُمْ الَّتِي هَلَكُوا بِهَا مِنْ بَيْنِ الْهَلَكَاتِ^(٣).

﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ﴾ : تَعْجَبًا مِنْ شَأْنِهِ.

﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ : إِلَّا عَدَّهَا وَأَحَاطَ بِهَا.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ^(٤) : عَنْ خَالِدِ بْنِ نَجِيجٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ

الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى الْإِنْسَانِ كِتَابُهُ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ : اقْرَأْهُ.

قُلْتُ : فَيَعْرِفُ^(٥) مَا فِيهِ؟

فَقَالَ : [إِنَّهُ]^(٦) يَذْكُرُهُ، فَمَا مِنْ لِحْظَةٍ وَلَا كَلِمَةٍ وَلَا نَقْلِ قَدَمٍ [وَلَا شَيْءٍ فَعَلَهُ]^(٧) إِلَّا ذَكَرَهُ

كَأَنَّهُ فَعَلَهُ تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلِذَلِكَ قَالُوا : «يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا».

١. بِالْتَّخْفِيفِ، أَيْ يَقُولُونَ لَكُمْ الْكَذِبَ. ٢. أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ ١٥/٢.

٣. شَبَّهَ هَلَكْتُمْ بِالشَّخْصِ الَّذِي يُمْكِنُ طَلَبُ إِقْبَالِهِ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ بِالْكُنَايَةِ، وَجَعَلَ إِيرَادَ «يَا» عَلَيْهِ اسْتِعَارَةَ تَخْيِيلِيَّةٍ، فَهَمَّ طَلَبُوا إِهْلَاكَهُمْ حَتَّى يَرَى مَا هُمْ فِيهِ.

٤. تَفْسِيرُ الْعِيَّاشِيِّ ٣٢٨/٢، ح ٣٤. ٥. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخِ : فَلَهُ يَعْرِفُ.

٦ وَ ٧. مِنَ الْمَصْدَرِ.

عن خالد بن نجيج^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام [في قوله: «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم»]^(٢) قال: يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: «يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها»^(٣).

﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ لِحَدِّثِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) فيكتب عليه شيئاً لم يفعله، أو يزيد في عقابه الملائم لعمله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) قال: «وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه» إلى قوله «ولا يظلم ربك أحداً» قال: يجدون ما عملوا كله مكتوباً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: كثره في مواضع^(٦) لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحال، وهاهنا لما شئع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بأنه من سنن إبليس. أو لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها، وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان، زهدهم أولاً في زخارف الدنيا^(٧) بأنّها عرضة الزوال، والأعمال الصالحة خير وأبقى من أنفسهم وأعلاها، ثم نفّروهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة، وهذا مذهب كل تكرير في القرآن.

﴿كَانَ مِنَ الْجِنَّ﴾: حال بإضمار «قد» أو استئناف للتعليل، كأنه قيل ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن.

وفي عيون الأخبار^(٨)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت، وفيه بعد أن مدح عليه السلام الملائكة وقال: معاذ الله من ذلك، إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالطاف الله تعالى.

٢. من المصدر.

١. تفسير العياشي ٣٢٨/٢، ح ٣٥.

٣. ينبغي هاهنا ذكر الآية التي سقطت نفسها وتفسيرها في التأليف وهي: «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا».

٤. تفسير القمي ٣٧/٢.

مكتوباً في الصحف.

٦. ليس في أ، ب.

٥. كسورة البقرة والأعراف والإسراء.

٧. العيون ٢١٠/١، ح ١.

قالا: قلنا له: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً ملكاً؟

قال: لا، بل كان من الجن، أما تسمعان الله تعالى يقول: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن» فأخبر ﷺ أنه كان من الجن، وهو الذي قال الله تعالى: «والجان خلقناه من قبل من نار السموم».

وفي أصول الكافي^(١): عنه، عن أبيه، عن فضالة، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الملائكة كانوا^(٢) يحسبون أن إبليس منهم، وكان في علم الله أنه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب فقال: «خلقتني من نار وخلقته من طين».

وفي تفسير العياشي^(٣): عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن إبليس، أكان من الملائكة، وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من أمر السماء شيئاً، كان من الجن وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى^(٤) أنه منها وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر بالسجود كان منه^(٥) الذي كان.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: فخرج عن أمره بترك السجود.
و«الفاء» للسبب. وفيه دليل على أن الملك لا يعصي أبداً، وإنما عصى إبليس لأنه كان جنيّاً في أصله.

﴿فَتَنَزَّهْتُ عَنْهُ﴾: أعقبت^(٦) ما وجد منه تتخذونه. و«الهمزة» للإنكار والتعجب.
﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾: أولاده. أو أتباعه، سمّاهم ذرية مجازاً^(٧).

١. الكافي ٣٠٨/٢، ح ٦.

٢. تفسير العياشي ٣٢٨/٢، ح ٣٧.

٣. ليس في أ، ب. وفي سائر النسخ: «من» بحذف «أمر». والمصدر موافق ما في المتن.

٤. المصدر: تراه.

٥. أ، ب: من.

٦. هذا التعقيب مستفاد من الفاء.

٧. سمى الأتباع ذرية على سبيل المجاز.

٢. من المصدر.

﴿أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾: فتستبدلونهم بي، فتطيعونهم بدل طاعتي.

﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٥): من الله إبليس وذريته.

﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾: نفى إحضار إبليس وذريته خلق السماوات والأرض وإحضار بعضهم خلق بعض، ليدل على نفى الاعتضاد بهم في ذلك، كما صرح به بقوله:

﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٦): أي أعواناً رداً لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له في العبادة، فإن استحقاق العبادة من توابع الخالقية، والإشراك فيه يستلزم الإشراك فيها، فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم استبعاداً للاعتضاد بهم.

وقيل^(١): الضمير للمشركين، والمعنى: ما أشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون، فلا تلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين، فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني، ويعضده قراءة من قرأ: «وما كنت»: على خطاب الرسول.

وقرئ^(٢): «مَتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ» على الأصل. و«عضداً» بالتخفيف. و«عضداً» بالإتياع. و«عضداً» كخدم، جمع عاضد، من عضده: إذا قواه.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن محمد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً». قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام. فأنزل الله: «وما كنت متخذ المضلين عضداً» يعنيهما.

عن محمد بن مروان^(٤)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب؟

١. أنوار التنزيل ١٦/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير العياشي ٣٢٨/٢، ح ٣٩.

٤. نفس المصدر والمجلد ٣٢٩، ح ٤٠.

فقال: يا محمد، قد والله، قال ذلك، وكان [عليّ] ^(١) أشدّ من ضرب النعق.

ثمّ أقبل عليّ فقال: هل تدري ما أنزل الله، يا محمد؟

قلت: أنت أعلم، جعلت فداك.

قال: إنّ رسول الله ﷺ كان في دار الأرقم، فقال: اللهمّ أعزّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطّاب. فأنزل الله «ما أشهدتهم خلق السموات الأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلّين عضداً» [يعنيهما] ^(٢).

وفي أمالي شيخ الطائفة ^(٣)، بإسناده إلى جبلة بن سحيم، عن أبيه قال: لمّا بويع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بلغه أنّ معاوية قد توقّف عن إظهار البيعة له، وقال: إن أقرّني على الشام أو الأعمال ^(٤) التي ولّانيها عثمان بايعته. فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ معاوية من قد عرفت وقد ولّاه الشام من كان قبلك، فوله أنت كيما تتسق عرى الأمور، ثمّ أعزله إن بدا لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتضمن لي عمري يا مغيرة، فيما بين توليته إلى خلعه؟

قال: لا.

قال: لا يسألني الله ﷻ عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً «وما كنت متخذ المضلّين عضداً». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب مقتل الحسين عليه السلام ^(٥) لأبي مخنف: أنّ الحسين عليه السلام قام يتمشّئ إلى عبيد الله [بن الحرّ] ^(٦) الجعفي، وهو في فسطاطه، حتّى دخل عليه وسلم عليه، فقام إليه ابن الحرّ وأخلى له المجلس، فجلس ودعاه إلى نصرته.

فقال عبيد الله بن الحرّ: والله، ما خرجت من الكوفة إلّا مخافة أن تدخلها ولا أقاتل معك، ولو قاتلت لكنت أوّل مقتول، ولكن هذا سيفي وفرسي فخذهما.

١. من المصدر.

٢. من المصدر.

٣. أمالي الشيخ ٨٥/١.

٤. المصدر: أعمالي.

٥. مقتل الحسين عليه السلام ٧٢/ ٧٣.

٦. ليس في المصدر.

فأعرض عنه عليه السلام بوجهه فقال: إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في مالك «وما كنت متخذ المضلّين عضداً».

وفي كتاب الخصال ^(١): عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام وقد ذكر معاوية بن حرب ^(٢): وأعجب العجب أنه لما رأى ربّي تبارك وتعالى قد ردّ إليّ حقّي، وأقرّ في معدنه، وانقطع طمعه في أن يصير ^(٣) في دين الله رابعاً وفي أمانة حملناها حاكماً، كرّ على العاصي ^(٤) بن العاص فاستماله فمال إليه، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر، وحرام عليه أن يأخذ من الفياء دون قسمته ^(٥) درهماً، وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقّه، فأقبل يخط ^(٦) البلاد بالظلم ويطأها بالغشم ^(٧)، فمن بايعه أرضاه ومن خالفه ناوأه، ثم توجه إليّ ناكثاً علينا مغيراً في البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً، والأنباء تأتيني والأخبار ترد عليّ بذلك، فأتاني أعور ثقيف فأشار عليّ أن أوليّه البلاد التي هو بها لأداريه بما أوليّه ^(٨) منها، وفي الذي أشار به الرأي في أمر الدنيا، لو وجدت عند الله ﷻ في توليته لي مخرجاً أو أصبت لنفسي في ذلك عذراً فأعملت الرأي في ذلك، وشاورت من أثق بنصيحته الله ﷻ ولرسوله ^(٩) ولي للمؤمنين، فكان رأيي في ابن آكلة الأكباد لرأي ينهاني عن توليته ويحذّرني أن أدخل في أمر المسلمين يده، ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلّين عضداً.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾: أي الله للكافرين.

١. الخصال ٣٧٨/٢، ٣٧٩، ح ٥٨.

٢. الصحيح: معاوية بن صخر بن حرب، وصخر هو أبوسفیان.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: يصيّرني.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: العاص. والمراد به: عمرو بن العاص.

٥. المصدر: قسمه. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يحيط.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالغشم. والغشم: الظلم.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالتي وليه. ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: زيادة: «عليه».

وقرأ^(١) حمزة بالنون.

﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أنهم شركائي، أو شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي.
وإضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ، والمراد: ما عُبد من دونه.

وقيل^(٢): إبليس وذريته.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فنادوهم للإغاثة.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: فلم يغيثوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: بين الكفار وألهمهم.

﴿مَوْبِقًا﴾^(٣): مهلكاً يشتركون فيه، وهو النار. أو عداوة هي في شدتها هلاك. اسم مكان أو مصدر، من وَبِقَ يَوْبِقُ وَبَقًا، وَوَبَقَ يَبِقُ وَبَقًا وَوُوبَقًا: إذا هلك.

وقيل^(٤): «البين» الوصل، أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾: فأيقنوا.

﴿أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا﴾: مخالطوها، واقعون فيها.

وفي كتاب التوحيد^(٥)، حديث طويل عن علي عليه السلام، يقول فيه عليه السلام وقد سأله رجل عما أشبه عليه من الآيات: وأما قوله: «ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها» يعني أيقنوا أنهم داخلوها.

وفي كتاب الاحتجاج^(٦) للطبرسي عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وقد يكون بعض ظن الكافرين يقيناً، وذلك قوله: «ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها» أي أيقنوا^(٧) أنهم مواقعوها.

وفي كتاب علل الشرائع^(٨)، بإسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: افتحوا عيونكم عند الضوء، لعلها لا ترى نار جهنم.

١. أنوار التنزيل ١٦٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. التوحيد ٢٦٧، ح ٥.

٥. الاحتجاج ٢٥٠/١.

٦. المصدر: تيقنوا.

٧. العلل ٢٨٠، ح ١.

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾^(٣): انصرفاً. أو مكاناً ينصرفون إليه.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: من كلِّ جنس يحتاجون إليه.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾: يتأتى منه الجدل.

﴿جَدَلًا﴾^(٤): خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز^(١).

﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: من الإيمان.

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾: وهو الرسول الداعي. أو القرآن المبين.

﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾: ومن الاستغفار من الذنوب.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾: إلا طلب أو انتظار أو تقدير أن يأتيهم سنة الأولين، وهو الاستئصال، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه^(٢).

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عذاب الآخرة.

﴿قُبْلًا﴾^(٥): عياناً.

وقرأ^(٣) الكوفيون بضمّتين، وهو لغة فيه. أو جمع قبيل؛ بمعنى: أنواع.

وقرئ^(٤) بفتحتين، وهو أيضاً لغة. يقال: لقيته مقابلةً وقُبْلًا وقُبْلًا وقُبْلًا وقبيلًا وقبلياً.

وانتصابه على الحال من الضمير، أو «العذاب».

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾: للمؤمنين والكافرين.

﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾: باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات، والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً.

١. فإن قيل: ما وجه ربط هذا الكلام بقوله تعالى: «ولقد صرّفناه الخ؟ قلنا: ربطه أنه مع أننا نورد في القرآن كل ما يحتاجون إليه ونبين بياناً شافياً يجادلون فيه ويخوضون في الباطل.

٢. الطلب والانتظار إما حقيقتان بأن يطلبوا العذاب عناداً، كما حكى الله تعالى عنهم بقوله جلّ وعلا: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» وإما مجازان بأن يستعمل الانتظار والطلب بمعنى الاستحقاق والاستعداد.

٣. أنوار التنزيل ١٧/٢. ٤. أنوار التنزيل ١٧/٢.

﴿لِيَذْحِضُوا بِهِ﴾: ليزيلوا بالجدال.

﴿الْحَقُّ﴾: عن مقرّه ويطلوه. من إحاض القدم، وهو إزلاقها^(١).

﴿وَمَا أَتَذَرُوا﴾: وإنذارهم. أو والذي أذروا به من العقاب.

﴿هَزُؤًا﴾^(٢): استهزاء.

وقرى^(٣): «هزؤًا» بالسكون وهو ما يُستهزأ به [على التقديرين]^(٤).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: بالقرآن.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فلم يتدبرها ولم يتذكر بها.

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على

قلوبهم.

﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: كراهة أن يفقهوه. وتذكير الضمير وإفراده للمعنى^(٥).

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: يمنعهم أن يسمعه حتى استماعه.

﴿وَأَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾^(٦): أخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون أبداً،

وقد خرج مخبره موافقاً لخبره فماتوا على كفرهم.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة^(٧).

﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾: الموصوف بالرحمة.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: استشهاد على ذلك^(٨) بإمهال قريش

مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ.

١. هنا سقطت آية وتفسيرها في التأليف وهي: «وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي» يعني القرآن.

٢. أنوار التنزيل ١٧/٢. ٣. من المصدر.

٤. أي لتأويلها بالقرآن أو بالوحي. ٥. مستفاد من صيغة الغفور.

٦. أي على كونه تعالى موصوفاً بالرحمة بإمهال قريش، فإنه تعالى لو لم يكن موصوفاً بها لم يمهال قريشاً مع شركهم وفراط عداوتهم لرسوله.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾: وهو يوم بدر. أو يوم القيامة.

﴿أَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾^(٥): منجاً ولا ملجأً. يقال: أأل إذا نجا. وأأل إليه: إذا لجأ إليه.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾: يعني قرى عاد وثمود وأضرابهم. و«تلك» مبتدأ خبره.

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: أو مفعول مضمر مفسر به^(٦)، والقرى صفته، ولا بد من تقدير مضاف في أحدهما ليكون مرجع الضمائر^(٧).

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: كقريش، بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾^(٨): لإهلاكهم وقتاً معلوماً^(٩) لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخر العذاب عنهم.

وقرأ^(٤) أبو بكر «لِمَهْلِكِهِمْ»: بفتح الميم واللام، أي لهلاكهم^(٥). وحفص بكسر اللام، حملاً على ما شذ من مصادر يفعل، كالمرجع والمحيص.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾: مقدر به «اذكر».

﴿إِفْئَاءً﴾: قيل^(٦): يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليه السلام. فإنه كان يخدمه ويتبعه، ولذلك سمّاه فتاه.

وقيل^(٧): لعبده^(٨).

﴿لَا أَبْرَحُ﴾: أي لا أزال أسير. فحذف الخبر لدلالة حاله عليه، وهو السفر، وقوله^(٩):

١. يعني «تلك» مفعول أهلكنا المضمر المفسر به «أهلكناهم».

٢. بأن يقال: أهل تلك القرى.

٣. جعل المهلك مصدراً بمعنى الإهلاك، وهو على قراءة غير عاصم، فإنهم قرأوا بضم الميم وفتح اللام على أن يكون مصدراً على زنة المفعول. ٤. أنوار التنزيل ١٨/٢.

٥. كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: لإهلاكهم.

٦ و٧. نفس المصدر والموضع. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: بعبده.

٩. عطف على حاله، أي لدلالة حاله ولدلالة قوله، فإن «حتى» تدل على الغاية وهي تستدعي ذا غاية.

﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: من حيث أنها تستدعي ذا غاية عليه.

ويجوز أن يكون أصله: لا يبرح مسيري حَتَّىٰ أَبْلُغَ. على أن «حَتَّىٰ أَبْلُغَ» هو الخبر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه^(١) فانقلب الضمير والفعل، وأن يكون «لا أبرح» بمعنى: لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه. فلا يستدعي الخبر^(٢). و«مجمع البحرين» ملتقى بحري^(٣) فارس والروم ممّا يلي المشرق، وعد لقاء الخضر عليه السلام فيه.

وقيل^(٤): «البحرين» موسى والخضر عليه السلام فإن موسى كان بحر علم الظاهر، والخضر كان بحر علم الباطن.

وقرئ^(٥): «مجمع» بكسر الميم، على الشذوذ من يفعل، كالمشرق والمطلع.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حَقْبًا﴾^(٦): أو أسير زماناً طويلاً.

والمعنى: حَتَّىٰ يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب. أو حَتَّىٰ أَبْلُغَ إِلَّا أن أمضي زماناً^(٧) أتيقن معه فوات المجمع^(٨). و«الحقب» الدهر.

وقيل^(٩): ثمانون سنة.

وقيل^(١٠): سبعون.

نُقل^(١١): أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة

١. الباعث على هذا التكلف أن البراح هو الزوال، هو غير مسند إلى موسى، بل إلى سيره في الحقيقة، فإسناده إليه على ما هو الظاهر يستدعي تكلفاً.

٢. لأن «لا يزول» ليس من الأفعال التي تستدعي خبراً.

٣. كذا في أنوار التنزيل ١٨/٢. وفي النسخ: بحر. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. فيكون أو بمعنى إلا، كما في قوله: لألزمك أو تعطيني حقّي. وإنما لم يجعلها بمعنى: «إلى أن» إذ لا وجه

له، إذ كان المعنى: حَتَّىٰ إلى أن أمضي حقباً. وهو غير صحيح لاجتماع حرفين للغاية. وإن كان متعلقاً بقوله: «لا أبرح» كان المعنى: لا أبرح أسير إلى أن أمضي حقباً. فكان جزماً بسير الحقب وهو منافٍ لقوله

تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾. ٧. أي فوات المجمع ليتعدّ بأنه لا يحصل الجمع.

٨- ١٠. أنوار التنزيل ١٨/٢.

فأعجب بها. فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا.
 فأوحى الله تعالى إليه: بل [أعلم منك]^(١) عبدنا الخضر، وهو بمجمع البحرين.
 وكان الخضر في أيام إفريدون، و[كان]^(٢) على مقدّمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام
 موسى.

وقيل^(٣): إن موسى سأل ربه: أيّ عبادك أحبّ إليك؟
 فقال: الذي يذكرني ولا ينساني.
 قال: فأنيّ عبادك أقضى؟
 قال: الذي يقضي بالحقّ ولا يتبع الهوى.
 قال: فأنيّ عبادك أعلم؟
 قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدلّه على هدى أو
 ردّه عن ردى.

فقال: إن كان في عبادك أعلم منّي فادللني عليه.
 قال: أعلم منك الخضر.
 قال: أين أطلبه؟
 قال: على الساحل عند الصخرة.
 قال: كيف لي به؟
 قال: تأخذ حوتاً في مكنث، فحيث فقدته فهو هناك.
 فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني. فذهبا يمشيان.
 ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: أي مجمع البحرين.
 و«بينهما» ظرف أضيف إليه على الاتّساع. أو بمعنى: الموصل^(٤).

١ و٢. من المصدر. ٣. نفس المصدر والموضع.

٤. أي بأن يخرج الظرف عن الظرفية فصار المعنى: محلّ جمع بينهما. أو يكون بمعنى الموصل فيصير المعنى: محلّ جمع وصلهما.

﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾: نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

نقل^(١): أن موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر، معجزة لموسى أو للخضر.

وقيل^(٢): توشاً يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء.

وقيل^(٣): نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمانة على الظفر بالمطلوب^(٤).

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾^(٥): فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلماً، من قوله: «وسارب بالنهار».

وقيل^(٦): أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه^(٧).

ونصبه^(٨) على المفعول الثاني، و«في البحر» حال منه أو من «السييل». ويجوز تعلقه بـ«اتخذ».

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: مجمع البحرين.

﴿قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي عَدَاةَنَا﴾: ما نتغذى به.

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾^(٩): وقيل^(١٠): لم ينصب حتى جاوز الموعد، فلما

جاءه وسار الليلة والغد إلى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب.

وقيل^(١١): لم يعي موسى في سفر غيره^(١٢)، ويؤيده التقييد باسم الإشارة.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا﴾: أرايت ما دهاني إذ أويينا.

﴿إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: يعني الصخرة التي رقد عندها موسى.

١- ٣. أنوار التنزيل ١٨/٢.

٤. أي نسيا أن يتريدا حال الحوت في ذلك الوقت ويتنظر حصول ما يكون فوزاً بالمطلوب الذي هو التقاء الخضر.

٥. أنوار التنزيل ١٨/٢.

٦. أي حصل في الماء جوف خالٍ كالسرب في الأرض، سكن فيه الحوت.

٧. أي نصب «سرباً».

٨ و ٩. أنوار التنزيل ١٩/٢.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: «سفره» بدل «سفر غيره».

وقيل ^(١): وهي الصخرة التي دون نهر الزيت.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ﴾: فقدته. أو نسيت ذكره بما رأيت منه.

﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾: أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان، فإن «أن أذكره»

بدل من الضمير.

وقرئ ^(٢): «أن أذكركه». وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه، والحال

وإن كانت عجيبة لا يُنسى مثلها، لكنه لما ضري ^(٣) بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها

قل اهتمامه بها. ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شرارته إلى

جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنما نسبه إلى الشيطان هضماً

لنفسه ^(٤)، أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يُعَدُّ من

نقصان.

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ^(٥): سبيلاً عجباً، وهو كونه كالسرب، أو اتخذاً

عجباً، والمفعول الثاني هو الظرف ^(٦).

وقيل ^(٦): هو مصدر فعله المضممر ^(٧)، أي قال في آخر كلامه، أو موسى في جوابه:

عجباً تعجباً من تلك الحال.

وقيل ^(٨): الفعل لموسى، أي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً.

﴿قَالَ ذَلِكَ﴾: أي أمر الحوت.

١ و٢. نفس المصدر والموضع. ٣. ضري: اعتاد.

٤. فيه: أنه يلزم من كلا الوجهين الكذب، وهو لا يناسب نبياً مرسلأ، ولا ضرورة إلى إثبات التجوُّز والتكلف. ولو كان القول منه على ما ذكره المصنّف لوجب أن يكون بدله أن يقول: ولم أستطع تذكره. فإن فيه أيضاً هضماً للنفس مع الاختصار.

٥. هذا على التقدير الثاني إذ عليه «عجباً» صفة للمفعول المطلق المحذوف فوجب أن يكون الظرف مفعولاً ثانياً، إذ ليس شيء آخر يصح أن يكون كذلك.

٦. نفس المصدر والموضع. ٧. فيكون التقدير: عجبت تعجباً من تلك الحالة.

٨. نفس المصدر والموضع.

﴿ مَا كُنَّا نَبْعُ : نطلب ، لأنه أمانة المطلوب .

﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا ﴾ : فرجعا في الطريق الذي جاء فيه .

﴿ قَصَصًا ﴾ ١: أي يتبعان آثارهما اتباعاً . أو مقتصين حتى أتيا الصخرة .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١) : فلما أخبر رسول الله ﷺ قريشاً بخبر أصحاب الكهف ، قالوا : أخبرنا عن العالم الذي أمر الله ﷻ موسى أن يتبعه ، وما قصته ؟
فأنزل الله ﷻ : « وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً » .

قال : وكان سبب ذلك أنه لما كلم الله موسى تكليماً وأنزل عليه الألواح وفيها كما قال الله ﷻ : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » . رجع موسى ﷺ إلى بني إسرائيل ، فصعد المنبر فأخبرهم أن الله ﷻ قد أنزل عليّ التوراة وكلمه ، وقال في نفسه : ما خلق الله تعالى خلقاً أعلم مني .

فأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل ﷺ : أن أدرك موسى فقد هلك ، وأعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلاً أعلم منك ، فصر إليه وتعلم من علمه .

فنزل جبرئيل ﷺ [على موسى] ^(٢) وأخبره ، فذلّ موسى في نفسه ، وعلم أنه أخطأ ودخله الرعب ، وقال لوصيه يوشع بن نون : إن الله ﷻ قد أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلّم منه .

فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً وخرجاً ، ولما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه ، فأخرج وصي موسى ﷺ الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسي الحوت ، وكان ذلك الماء ماء الحيوان ، فحبي الحوت ودخل في الماء ، فمضى موسى ﷺ ويوشع معه حتى عيا ^(٣) .

فقال [موسى] ^(٤) لوصيه : « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً » أي عناء .

١ . تفسير القمي ٣٧/٢ .

٢ . من المصدر .

٣ . المصدر : عشياً .

٤ . من المصدر .

فذكر وصيّه السمكة، فقال لموسى عليه السلام: إني نسيت الحوت على الصخرة.

فقال موسى عليه السلام: ذلك الرجل الذي رأينا عند الصخرة هو الذي نريده. فرجعا على آثارهما قصصاً إلى عند الرجل وهو في صلاته، فقعده موسى عليه السلام حتى فرغ من صلاته فسلم عليهما.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾: وهو الخضر، واسمه بليابن ملكان.

وقيل ^(١): اليسع.

وقيل ^(٢): إلياس.

وفي مجمع البيان ^(٣): وإنما سمّي خضراً؛ لأنه إذا صلى في مكان اخضر ما حوله.

وروي مرفوعاً ^(٤): أنه قعد على فروة ^(٥) بيضاء فاهترت تحته خضراء.

وقيل ^(٦): إنه رآه على طنفسة خضراء فسلم عليه، فقال: عليك السلام يا نبي بني

إسرائيل.

فقال له موسى: وما أدراك من أنا، ومن أخبرك أنني نبي؟

قال: من ذلك عليّ.

واختلّف في هذا العبد؛ فقال بعضهم: إنه كان ملكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه ما

حمله إياه من علم بواطن الأشياء.

وقال الأكثرون: إنه كان من البشر، ثم اختلفوا، فقال الجبائي وغيره: إنه كان نبياً،

لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم، لما في ذلك من الغضاضة ^(٧)

على النبي.

١. أنوار التنزيل ١٩/٢.

٢. أنوار التنزيل ١٩/٢.

٣. المجمع ٤٨٣/٣.

٤. المجمع ٤٨٣/٣.

٥. كذا في نفس المصدر والموضع. وفي أ، ب، ر: مروة. وفي غيرها: هروة.

٦. نفس المصدر والموضع. ٧. كذا في نفس المصدر والموضع. النسخ: الفضاحة.

وكان ابن الأخشيد^(١) يجوز أن لا يكون نبياً ويكون عبداً صالحاً، أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره. انتهى.

﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: هي العلم، أو النبوة.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾^(٢): مما يختص بنا ولا يُعلم إلا بتوفيقنا، وهو علم

الغيوب.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾: على شرط أن تعلمني.

وهو في موضع الحال من الكاف.

﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(٣): علماً ذا رشد، وهو إصابة الخير.

وقرأ^(٤) البصريان بفتحيتين، وهما لغتان كالبخل والبخل. وهو مفعول «تعلمني»

ومفعول «علّمت» العائد المحذوف، وكلاهما منقولان^(٥) من «علم» الذي له مفعول واحد^(٦).

ويجوز أن يكون [رشداً]^(٧) علة^(٨) «لأتبعك»، أو مصدر بإضمار فعله.

قيل^(٩): ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً

في أبواب الدين، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من

أصول الدين وفروعه لا مطلقاً، وقد راعى في ذلك غاية^(١٠) التواضع والأدب،

فاستجمل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً وسأل منه [أن يرشده]^(١١) وينعم عليه بتعليم

بعض^(١٢) ما أنعم الله عليه.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: الأخسر.

٢. أنوار التنزيل ١٩/٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: مفعولان.

٤. هو أن يكون «علم» بمعنى: عرف.

٥. من المصدر.

٦. أي مفعولاً له فإن الاتباع والرشد، وهو الاهتمام إلى الخير، فعلا فاعل واحد.

٧. أنوار التنزيل ٢٠/٢.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: غلبة.

٩. من المصدر.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: «بتعلمه» بدل «بتعليم بعض».

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٧): نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد^(١)، كأنها مما [لا يصح] ولا يستقيم، وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(٨): أي كيف تصبر - وأنت نبي - على ما أتولى من أمور ظاهرها مناكير وباطنها لم يحط بها خبرك.

و«خبراً» تمييز، أو مصدر؛ لأنَّ «لم تحط به» بمعنى: لم تخبره.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾: غير منكر عليك.

﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(٩): عطف على «صابراً»، أي ستجدني صابراً وغير عاصٍ.

أو على «ستجدني».

وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمّن أو لعلمه بصعوبة الأمر، فإنّ مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلاف.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾: فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته.

﴿حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(١٠): حتّى أبتدئك ببيانه.

وقرأ^(٣) نافع وابن عامر: «فلا تسألني» بالنون الثقيلة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حدّثني محمد بن علي بن بلال، عن يونس قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى عليه السلام أيهما كان أعلم، وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته، وهو حجة الله ﷻ على خلقه؟

فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك.

فكتب في الجواب: أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر، أما جالساً

١. أحدها إيراد الجملة الإسمية، والثاني إيراد «إن» عليها، والثالث إيراد «لن» على الفعل فإنّه يفيد التأكيد كما صرح به الزمخشري في الكشف وتبعه الرضي. وقال صاحب مغني اللبيب: كون «لن» للتأكيد دعوى بلا دليل.

٢. أنوار التنزيل ٢٠/٢.

٤. تفسير القمي ٣٨/٢.

٣. أنوار التنزيل ٢٠/٢.

وَأَمَّا مَتَكَنَّا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ كَانَ بِأَرْضَ لَيْسَ فِيهَا سَلَامٌ.

قال: من أنت؟

قال: أنا موسى بن عمران.

قال: أنت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً؟

قال: نعم.

[قال^(١): فما حاجتك؟

قال: جئت لتعلمني ممّا علّمت رشداً.

قال: إِنِّي وَكُلْتُ بِأَمْرٍ لَا تُطِيقُهُ، وَوَكَّلْتُ أَنْتَ بِأَمْرٍ لَا أُطِيقُهُ.

ثم حدّثه العالم بما يصيب آل محمّد صلوات الله عليهم من البلاء وكيد الأعداء حتّى اشتدّ بكاؤهما، ثم حدّثه عن فضل آل محمّد صلوات الله عليهم. حتّى ذكر فلاناً وفلاناً [وفلاناً]^(٢)، ومبعث رسول الله ﷺ إلى قومه وما يلقي منهم ومن تكذيبهم إيّاه، وذكر له تأويل هذه الآية: «وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» حين أخذ الميثاق عليهم.

فقال له موسى: «هل أتبعك على أن تعلمني ممّا علّمت رشداً».

فقال الخضر: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً».

فقال موسى عليه السلام: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا».

قال الخضر: «فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تُسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» يقول: لا تسألني عن شيء أفعله ولا تنكره عليّ حتّى أخبرك أنا بخبره.

قال: نعم.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن زرارة وحرمان ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: قال: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ أُعْطِيَ مَكْتَلًا^(٤) فِيهِ حُوتٌ مَمْلُوحٌ،

٢. من المصدر.

١. من المصدر.

٤. المَكْتَلُ: الزنبريل.

٣. تفسير العياشي ٣٢٩/٢، ٣٣٠، ح ٤١.

قيل له : هذا يدلك على صاحبك عند عين عند^(١) مجمع البحرين ، لا يصيب منها شيء ميت إلا حيي^(٢) يقال له : الحياة . فانطلقا^(٣) حتى بلغا الصخرة ، فانطلق الفتى يغسل الحوت في العين فاضطرب في يده حتى خدشه وانفلت^(٤) منه ونسيه الفتى . « فلما جاوزا » الوقت الذي وقَّت فيه ، أعني موسى « قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، قال أرايت » إلى قوله « على آثارهما قصصاً » فلما أتياها وجدا^(٥) الحوت^(٦) قد خرَّ في البحر ، فاقصصا الأثر حتى أتيا صاحبهما في جزيرة من جزائر البحر ، إماماً متكئاً وإمماً جالساً في كساء له ، فسلم عليه موسى ، فعجب من السلام وهو في أرض ليس فيها السلام .

فقال : من أنت ؟

قال : أنا موسى بن عمران .

قال : أنت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً ؟

قال : نعم .

قال : فما حاجتك ؟

قال : « أتبعك على أن تعلمني ممَّا علَّمت رشداً » .

قال إني وكُلْتُ بأمر لا تطيقه ، وكُلْتُ بأمر لا أطيقه ، وقد^(٧) قال : « إنك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » [قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً^(٨)] . فحدّثه عن آل محمد وعمّا يصيبهم حتى اشتدَّ بكاؤهما ، ثم حدّثه عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين وعن ولد فاطمة ، وذكر له من فضلهم وما أعطوا

٢ . كذا في المصدر . وفي النسخ : حي .

١ . ليس في المصدر .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ : غفلت .

٣ . كذا في المصدر . وفي النسخ : فانظر إلى .

٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ : البحر .

٥ . المصدر : أتاها وجد .

٨ . من المصدر .

٧ . ليس في المصدر .

حَتَّى جَعَلَ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ. وَعَنْ مَبْعَثِ^(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ^(٢) وَمَا يَلْقَى مِنْهُمْ^(٣) وَمَنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَتِلَا هَذِهِ الْآيَةِ: «وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ». فَإِنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ^(٤)، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ وَصِيَّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ، وَهُوَ فَتَاهُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتِمَامِ النِّعْمَةِ^(٥)، مِثْلُ هَذَا الْأَخِيرِ سِوَاءً.

وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ^(٦)، عَنِ الرِّضَا ﷺ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ ﷺ وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ عَنْ مَسَائِلَ: وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَوَّلَ عَيْنٍ نَبَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْعَيْنُ الَّتِي بَيْتُ الْمَقْدَسِ. وَكَذَبْتُمْ، هِيَ عَيْنُ الْحَيَّوَانِ الَّتِي غَسَلَ فِيهَا يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ السَّمَكَةَ، وَهِيَ الْعَيْنُ الَّتِي شَرَبَ مِنْهَا الْخَضِرُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا حَيًّا.

قَالَ: صَدَقْتَ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَبِخَطٌ هَارُونَ وَإِمْلَاءُ مُوسَى ﷺ.

وَفِي كَمَالِ الدِّينِ وَتِمَامِ النِّعْمَةِ^(٧)، بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، يَقُولُ فِيهِ لِبَعْضِ الْيَهُودِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ: وَأَمَّا أَوَّلَ عَيْنٍ نَبَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَإِنَّ الْيَهُودَ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا الْعَيْنُ الَّتِي تَحْتَ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَكَذَبُوا. وَلَكِنَّهَا عَيْنُ الْحَيَّوَانِ الَّتِي نَسِيَ عِنْدَهَا صَاحِبُ مُوسَى السَّمَكَةَ الْمَالِحَةَ، فَلَمَّا أَصَابَهَا مَاءُ الْعَيْنِ عَاشَتْ وَسَرَبَتْ^(٨)، فَاتَّبَعَهَا مُوسَى ﷺ وَصَاحِبُهُ [فَلَقِيَا]^(٩) الْخَضِرَ.

قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ صَدَقْتَ.

٢. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ: قَوْلُهُ.

١. الْمَصْدَرُ: رَجُوعٌ.

٤. تَفْسِيرُ الْعِيَّاشِيِّ ٣٣٠/٢، ح ٤٢.

٣. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ: مِنْهَا.

٦. الْعَيُونُ ٤٣/١، ح ١٩.

٥. كَمَالُ الدِّينِ ٢١٧/، ح ١.

٨. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ: شَرَبَتْ.

٧. كَمَالُ الدِّينِ ٢٩٦/، ح ٣.

٩. مِنَ الْمَصْدَرِ.

وبإسناده^(١) إلى إبراهيم بن يحيى المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام قال لبعض اليهود وقد سأله عن مسائل: وأما قولك: أول عين نبعت على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون أنها العين التي ببيت المقدس تحت الحجر، وكذبوا. هي عين الحيوان التي انتهى موسى وفتاه إليها فغسل فيها السمكة المالحة فحييت، وليس من ميت يصيبه ذلك الماء إلا حيي، وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين يطلب عين الحياة، فوجدها الخضر عليه السلام وشرب منها، ولم يجدها ذو القرنين.

وبإسناده^(٢) إلى الحكم بن مسكين، عن صالح، عن جعفر بن محمد عليه السلام حديث طويل، يقول فيه: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام قال لبعض اليهود وقد سأله عن مسائل: وأنتم تقولون: إِنَّ أول عين نبعت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس، وكذبتم. هي عين الحياة التي غسل يوشع بن نون فيها السمكة، [وهي التي]^(٣) شرب منها الخضر، وليس يشرب منها أحد إلا حيي.

قال: صدقت، والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان موسى أعلم من الخضر.

عن بريد^(٥)، عن أحدهما قال: قلت له: ما منزلتكم في الماضين، أو بمن تُشبهون منهم؟ قال: الخضر وذو القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيين.

عن إسحاق بن عمار^(٦)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما مثل علي ومثلنا من بعده من هذه الأمة كمثل [موسى]^(٧) النبي والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من

٢. نفس المصدر ٣٠١/ ح ٨.

١. كمال الدين ٢٩٨/ ح ٥.

٤. تفسير العياشي ٣٣٠/٢، ح ٤٣.

٣. من المصدر.

٦. نفس المصدر ٣٣٢-٣٣٠/٢، ح ٤٦.

٥. نفس المصدر والصفحة، ح ٤٥.

٧. من المصدر.

أمرهما ما اقتضه الله لنبيه في كتابه، وذلك أن الله قال لموسى: «إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين». ثم قال: «وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء».

وقد كان عند العالم علم لم يُكتب لموسى في الألواح، وكان موسى يظن أن جميع الأشياء التي يحتاج إليها في تابوته وجميع العلم [قد كتب له في الألواح، كما يظن هؤلاء الذين يدعون أنهم فقهاء وعلماء، وأنهم قد أثبتوا جميع العلم]^(١) والفقه في الدين مما تحتاج هذه الأمة إليه وصح لهم عن رسول الله ﷺ [وعلموه ولفظوه، وليس كل علم رسول الله ﷺ علموه ولا صار إليهم عن رسول الله]^(٢) ولا عرفوه، وذلك أن الشيء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيسألون^(٣) عنه، ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول الله، ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل، ويكرهون أن يُسألوا فلا يجيبوا فيطلب الناس العلم من معدنه، فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله وتركوا الآثار ودانوا^(٤) الله بالبدع، وقد قال رسول الله ﷺ: كل بدعة ضلالة.

فلو أنهم إذا سُئلوا عن شيء من دين الله فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول الله، ردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمد ﷺ. والذي منعهم من طلب العلم من العداوة والحسد لنا، ولا والله ما حسد موسى العالم، وموسى نبي الله يوحى إليه حيث لقيه واستنطقه وعرفه بالعلم ولم يحسده كما حسدتنا هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ [على ما]^(٥) علمنا وما ورثنا عن رسول الله ﷺ. ولم يرغبوا إلينا في علمنا كما رغب موسى إلى العالم وسأله [الصحبة]^(٦) ليتعلم منه العلم ويرشده.

١. من المصدر.

٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيسألونه.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: اتوا.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

فلَمَّا أن سأل العالم ذلك، علم العالم أنَّ موسى لا يستطيع صحبته ولا يحتمل^(١) عليه ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: «كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً». فقال له موسى، وهو خاضع له يستنطقه^(٢) على نفسه كي يقبله: «ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً».

وقد كان العالم يعلم أنَّ موسى لا يصبر على علمه، فكذلك والله يا إسحاق بن عمار، حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم لا يحتملون^(٣) والله علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه كما لم يصبر موسى على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه، وكان ذلك عند موسى مكروهاً وكان عند الله رضاء، وهو الحق، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه لا يؤخذ، وهو عند الله الحق.

عن عبدالله بن ميمون القَدَّاح^(٤)، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليه السلام قال: بينما موسى قاعد في ملا من بني إسرائيل إذ قال له رجل: ما أرى أحداً أعلم بالله منك. قال موسى: ما أرى.

فأوحى الله إليه: بل عبدي الخضر. فسأل السبيل إليه، فكان له آية الحوت ان افتقده، وكان من شأنه ما قصَّ الله.

عن هشام بن سالم^(٥)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان سليمان أعلم من آصف، وكان موسى أعلم من الذي أتبعه.

وفي أصول الكافي^(٦): أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبدالله بن حماد، عن سيف التمار قال: كنّا مع أبي عبدالله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر. فقال: علينا عين؟

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا يتحمل.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليستنطقه.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا يتحملون.

٤. تفسير العياشي ٣/٣٣٤، ح ٤٨.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٤٩.

٦. الكافي ١/٢٦٠-٢٦١، ح ١.

فالتفتنا يمنة^(١) ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين.

فقال: وربّ الكعبة وربّ البيت^(٢) - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما^(٣) أنّي أعلم منهما وأنبأتهما^(٤) بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يُعطَا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله ورثة.

أبو عليّ الأشعري^(٥)، عن [محمّد بن]^(٦) عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام ما موضع العلماء؟ قال: مثل ذي القرنين^(٧) وصاحب موسى عليه السلام.

عدّة من أصحابنا^(٨)، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان محدّثاً.

فقلت: فتقول نبّي؟

قال: فحرّك يده هكذا، ثمّ قال: أو كصاحب سليمان، أو كصاحب موسى، أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنّه قال: وفيكم مثله.

عليّ بن إبراهيم^(٩)، عن أبيه [عن ابن أبي عمير]^(١٠) عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: قلت له: ما منزلتكم، ومن تشبهون ممّن مضى؟

قال: صاحب موسى وذو القرنين، كانا عالمين، ولم يكونا نبّيين.

-
- | | |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| ١. كذا في المصدر. وفي النسخ: يمينه. | ٢. المصدر: البنية. |
| ٣. أ: لأخبرهما. | ٤. المصدر: لأنبأتها. |
| ٥. نفس المصدر والمجلّد ٢٦٧، ح ١. | ٦. من المصدر. |
| ٧. في المصدر زيادة: «وصاحب سليمان». | ٨. نفس المصدر والمجلّد ٢٦٩، ح ٤. |
| ٩. نفس المصدر والموضع، ح ٥. | ١٠. من المصدر. |

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن الحارث بن المغيرة، عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام كَانَ مُحَدَّثاً.

فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتم بعجبة.

فقالوا: وما هي؟

قلت: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كَانَ عَلِيٌّ^(٢) مُحَدَّثاً.

فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يحدثه؟

فرحت^(٣) إليه فقلت: إِنِّي حَدَّثْتُ أَصْحَابِي بِمَا حَدَّثْتَنِي، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يحدثه؟

فقال لي: يحدثه ملك.

قلت: تقول: إِنَّهُ نَبِيٌّ؟

[قال]^(٤) فحرّك يده هكذا: أو كصاحب سليمان، أو كصاحب موسى، أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أَنَّهُ قال: وفيكم مثله.

وفي كتاب علل الشرائع^(٥)، بإسناده إلى جعفر بن محمد بن عمّار، عن أبيه، عن جعفر بن محمد عليه السلام أَنَّهُ قال: إِنَّ الْخَضِرَ كَانَ نَبِيّاً مَرْسِلاً بَعَثَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَالْإِقْرَارِ بِأَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ، وَكَانَتْ آيَتُهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَجْلِس عَلَى خَشَبَةٍ يَابِسَةٍ وَلَا أَرْضٍ بَيْضَاءَ إِلَّا أَزْهَرَتْ خَضِرَاءَ^(٦)، وَإِنَّمَا سُمِّيَ خَضِرّاً لِذَلِكَ، وَكَانَ [اسمه]^(٧) بِالْيَا بَنَ مُلْكَانَ بَنَ عَامِرِ بَنَ أَرْفَخْشِيدَ^(٨) بَنَ سَامِ بَنَ نُوحٍ عليه السلام.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: عليّاً.

٤. من المصدر.

٦. المصدر: خضراً.

٨. أ، المصدر: أرفخشذ.

١. الكافي ٢٧١/١، ح ٥.

٣. المصدر: فرجت.

٥. العلل ٦٠-٥٩، ح ١.

٧. من المصدر.

وفي تفسير العياشي^(١): عن حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول موسى لفتهاه: «آتنا غداءنا». وقوله: «ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير». فقال: إنّما عني الطعام.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ موسى لذو جوعات.

عن ليث بن سليم^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام: شكّا موسى إلى ربّه الجوع في ثلاثة مواضع: «آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً». «لأتخذت عليه أجراً» «ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير». [فقال: إنّما عني الطعام]^(٣).

وفي عيون الأخبار^(٤)، بإسناده إلى محمّد بن أبي عبّاد قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول يوماً^(٥): يا غلام، آتنا^(٦) الغداء. فكأنّي أنكرت ذلك فتبيّن^(٧) الإنكار فيّ، فقرأ^(٨): «قال لفتهاه آتنا غداءنا».

فقلت: الأمير أعلم الناس وأفضلهم.

﴿فَانْطَلَقَا﴾: على الساحل يطلبان السفينة.

﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: أخذ الخضر فأساً فحرق السفينة، بأن قلع لوحين من ألواحها.

﴿قَالَ أَخَرَقَهَا لِثَغْرِقِ أَهْلِهَا﴾: فإنّ خرقها سبب لدخول الماء فيها، المفضي إلى غرق أهلها.

وقرئ^(٩): «لثغرق» بالتشديد للتكثير.

وقرأ^(١٠) حمزة والكسائي: «ليغرق أهلها» على إسناده إلى الأهل.

١. تفسير العياشي ٣٣٠/٢، ح ٤٤.

٢. نفس المصدر والمجلّد ٣٣٥، ح ٥٠.

٣. ليس في المصدر.

٤. العيون ١٢٧/٢، ح ٧.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: يوم.

٦. المصدر: آتني.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فبيّن.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقر.

٩. أنوار التنزيل ٢٠/٢.

١٠. أنوار التنزيل ٢٠/٢.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾^(٦): أتيت أمراً عظيماً. من أمر الأمر: إذا عظم.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٧): تذكير لما ذكره قبل.

﴿قَالَ لَا تَأْخِذْ بِمَا نَسِيتُ﴾: بالذي نسيت. أو بشيء نسيت^(٨). يعني وصيته بأن لا يعترض عليه. أو نسياني إياها، وهو اعتذار بالنسيان، أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذه مع قيام المانع لها.

وقيل: أراد بالنسيان الترك، أي لا تأخذني بما تركت من وصيتك أول مرة.

وقيل^(٩): إنه من معاريض الكلام، والمراد شيء آخر نسيه^(١٠).

﴿وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾^(١١): ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذه على المنسي، فإن ذلك يعسر عليّ متابعتك. و«عسراً» مفعول ثان «لترهق»، فإنه يقال: رهقه: إذا غشيه، وأرهقه إياه.

وقرئ^(١٢): «عُسْرًا» بضمّتين.

﴿فَأَنْطَلَقَا﴾: أي بعد ما خرجا من السفينة.

﴿حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: قيل^(١٣): ضرب^(١٤) عنقه.

وقيل^(١٥): ضرب برأسه الحائط.

وقيل^(١٦): أضجعه فذبجه.

و«الفاء»^(١٧) للدلالة على أنه كما لقيه، قتله من غير تروّ واستكشاف حال، ولذلك

﴿قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: أي طاهرة من الذنوب.

١. يعني يجوز أن تكون «ما» موصولة وأن تكون موصوفة.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. أي موسى عليه السلام لم ينس الوصية المذكورة، لكن أورد الكلام في صورة دلت على النسيان، ولم يقصد نسيان الوصية بل نسيان شيء آخر حتى لا يلزم الكذب.

٥. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٧. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: قتل.

٩. يعني الفاء في «فقتله».

٨. نفس المصدر والموضع.

وقرأ^(١) ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس، عن يعقوب: «زَاكِيَّة» والأوَّل أبلغ.
وقال^(٢) أبو عمرو: الزَاكِيَّة^(٣) التي لم تَذَنْبَ قَطَّ، والزَكِيَّة^(٤) التي أَذْنِبْتَ ثُمَّ غُفِرَتْ.
ولعلَّه اختار الأوَّل لذلك، فإنَّها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم، أو أنَّه لم يرها قد أَذْنِبْتَ
ذنباً يقتضي قتلها، أو قتلْتَ نفساً فتقاد بها، نَبَّه به على أَنَّ القتل^(٥) إِنَّمَا يباح حَدّاً أو
قصاصاً وكلا الأمرين منتفٍ^(٦).

قيل^(٧): لعلَّ تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى ﷺ مستأنفاً [في
الأوَّل]^(٨) وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء، لأنَّ القتل أقيح
والاعتراض عليه أدخل فكان جديراً بأن يُجْعَلَ عمدة الكلام^(٩)، ولذلك فصله بقوله:
﴿لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً تُنْكِرُ﴾^(١٠): أي منكرأ^(١١).

وقرأ^(١٢) نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وأبوبكر: «نُكْرَأُ»^(١٣)
بضمَّتَيْن.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(١٤): زاد فيه «لك» مكافحة بالعتاب
على رفض الوصية، ووسماً بقلَّة الثبات والصبر لمَّا تكرر منه الاشتمزاز^(١٥)

١. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الزَاكِيَّة.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الزَكِيَّة.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: العقل.

٦. أمَّا الحدُّ فلاَّه لم يذنب ذنباً يستحقُّ الحدَّ، وأمَّا القصاص فلاَّه لم يقتل نفساً.

٧. أنوار التنزيل ٢١/٢.

٨. من المصدر.

٩. أي جعل اعتراض موسى ﷺ في المَرَّة الثانية نفس الجزاء وعمدة الكلام لأنَّ الجزء الثاني من الكلام
لمزيد الاهتمام به وقوَّته في الاعتراض بخلاف المَرَّة الأولى والمراد بجعله عمدة الكلام: أن يكون
الاعتراض من جملة الكلام الأوَّل الذي ألقى إلى المخاطب لمزيد الاهتمام.

١٠. لأجل أنَّ الاعتراض بالقتل أقيح جعل آخر هذه الآية «نُكْرَأُ» وجعل فاصلة الآية السابقة «إمراً» لأنَّ كون
الشيء نُكْرَأً أبلغ من كونه إمراً.

١١. أنوار التنزيل ٢١/٢.

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: نُكْرَة.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الاستهزاء.

والاستنكار، ولم يرفعو^(١) بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: وإن سألت صحبتك.

عن يعقوب^(٢): «فلا تصحبني» أي فلا تجعلني صاحبك.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾^(٣): قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث

مرات.

وعن رسول الله ﷺ^(٤): رحم الله أخي موسى، استحيا^(٥) فقال ذلك، لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب^(٥).

وقرأ^(٦) نافع: «الذي» بتحريك النون [والاكتفاء بها عن نون الدعامة^(٧)] كقوله:

قدني^(٨) من نصر الخبيبين قدني

وأبو بكر «الذي» بتحريك النون^(٩) وإسكان الضاد من «عضد».

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: قيل^(١٠) قرية أنطاكية.

وقيل^(١١): أبلة البصرة.

وقيل^(١٢): باجروان أرمينية.

﴿اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَايْتُوا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا﴾: وقرئ^(١٣): «يضيفوهما» من أضافه، يقال:

ضافه: إذا نزل به ضيفاً. وأضافه وضيّفه: أنزله. وأصل التركيب للميل، يقال: ضاف

السهم عن الغرض: إذا مال.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾: تدانئ^(١٤) أن يسقط. فاستعيرت الإرادة

للمشاركة كما استعير لهما الهم والعزم^(١٥).

١. لم يرفعو: لم ينجرو، أولم ينصرف.

٢ و٣. نفس المصدر والموضع.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: استحين.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: الأعاجيب.

٦. أنوار التنزيل ٢١/٢.

٧. أي الوقاية.

٨. قدني، أي حسبي.

٩. ليس في أ، ب، ر.

١٠-١٣. نفس المصدر والموضع.

١٤. أ، ب، ر: تدالئ.

١٥. ليس في أ، ب، ر.

و«انقضَّ» انفعِل، من قضضته: إذا كسرتَه. ومنه انقضاض الطير والكوكب، لهوَّته. أو افعِل، من النقض.

وقرئ^(١): «أن ينقضي». و«أن ينقاص» بالصاد المهملة، من انقاصت السن: إذا انشقت طولاً.

﴿فَأَقَامَهُ﴾: قيل: بعمارتِه، أو بعمود عمدِه به.

وقيل^(٢): مسحِه بيده فقام.

وقيل^(٣): نقضه وبناه.

﴿قَالَ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ اجْزَاءً﴾^(٤): تحريضاً على أخذ الجعل ليتعشا^(٥) به. أو

تعريضاً^(٥) بأنّه فضول لما في «لو» من معنى النفي، كأنّه لمّا رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه.

و«اتَّخذ» افتعل، من اتخذ، كاتَّبِع من تبع، وليس من الأخذ عند البصريين.

وقرأ^(٦) ابن كثير والبصريان: «لتخذت» أي لأخذت.

وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال، وأدغمه الباقون.

وفي تفسير العياشي^(٧): عن عبدالرحمان بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ

موسى صعد المنبر، وكان منبره ثلاث مراق^(٨)، فحدّث نفسه أنّ الله لم يخلق خلقاً أعلم

منه. فاتاه جبرئيل فقال له: إنّك قد ابتليت فأنزل^(٩)، فإنّ في الأرض من هو أعلم منك

فاطلبه. فأرسل إلى يوشع: إنّني قد ابتليت فاصنع لنا زاداً وانطلق بنا. واشترى حوتاً [من

١- ٣. نفس المصدر والموضع. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليتعشان.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: معزّضاً. ٦. أنوار التنزيل ٢٢/٢.

٧. تفسير العياشي ٣٣٢/٢-٣٣٣، ح ٤٧.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: مرّات. مراق - جمع مراقبة: الدرجة.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: وأنزله.

حيثان الحية^(١) فخرج بأذريجان^(٢) ثم شواه ثم حملة في مكمل، ثم انطلقا يمشيان [في ساحل البحر، والنبي إذا أمر أن يذهب إلى مكان لم يعي أبداً حتى يجوز ذلك الوقت.

قال: فبينما هما يمشيان^(٣) فانتھيا إلى شيخ مستلق معه عصاه موضوعة إلى جانبه وعليه كساء، إذا قنع رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطى رجله خرج رأسه.

قال: فقام موسى يصلي، وقال ليوشع: احفظ عليّ.

قال: فقطرت قطرة من الماء^(٤) في المكمل فاضطرب الحوت، ثم جعل يشب من المكمل [إلى البحر]^(٥) قال: وهو قوله: «واتخذ سبيله في البحر سرباً».

قال: ثم إنه جاء طير فوق عليّ ساحل البحر، ثم أدخل منقاره فقال: يا موسى، ما أخذت^(٦) من علم ربك ما حمل ظهر منقاري من جميع البحر.

قال: ثم قام يمشي فتبعه^(٧) يوشع.

قال موسى وقد نسي [الزبيل]^(٨) يوشع، وإنما أعى^(٩) حيث جاز الوقت فيه، فقال: «أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً» إلى قوله «في البحر عجباً». فرجع موسى يقصّ^(١٠) أثره حتى انتهى إليه، وهو على حاله مستلق. فقال له موسى: السلام عليك. [فقال: وعليك السلام]^(١١) يا عالم بني إسرائيل.

قال: ثم وثب فأخذ عصاه بيده، قال: فقال له موسى: إني قد أمرت «أن أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً» فقال كما قصّ عليكم: «إنك لن تستطيع معي صبراً».

١. المعقوفتان من المصدر. والأظهر: من حيثان الحية.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «أسرى وحويان بن حسان تحته فاخرج بادرياديجان» بدل «اشترى...»

٣. من المصدر. بأذريجان.

٤. المصدر: السماء. ٥. من المصدر.

٦. المصدر: اتخذت. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيتبعه.

٨. من المصدر وهو الزبيل. ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: عنى.

١٠. المصدر: يقفي. ١١. من المصدر.

قال: فانطلقا حتّى انتهيا إلى معبر^(١)، فلمّا نظر^(٢) إليهم أهل المعبر^(٣) قالوا: والله، لا نأخذ من هؤلاء أجراً اليوم [نحملهم]^(٤) فحمل عليهم، فلمّا ذهب السفينة كثرة^(٥) الماء خرقها، قال له موسى كما أخبرتم، ثمّ قال له: «ألم أقل إنّك لن تستطيع معي صبراً»، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.

قال: وخرجا على ساحل البحر فإذا غلام يلعب مع غلمان^(٦)، عليه قميص حرير أخضر، في أذنيه درّتان^(٧)، فتورّكه^(٨) العالم فذبحه، قال له موسى: «أقتلت نفساً زكيّةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً»، قال فانطلقا حتّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفون فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً» خبزاً نأكله فقد جعنا.

قال: وهي قرية على ساحل يقال لها: ناصرة، وبها سُمّي^(٩) النصراني: نصاري، فلم يضيّفوهما ولا يضيّفون بعدهما^(١٠) أحداً حتّى تقوم الساعة، وكان مثل السفينة فيكم وفينا ترك الحسين البيعة لمعاوية، وكان مثل الغلام فيكم قول الحسن بن عليّ لعبدالله بن عليّ: لعنك^(١١) الله من كافر. فقال له^(١٢): قد قتلته^(١٣)، يا أبا محمّد. وكان مثل الجدار فيكم عليّ والحسن والحسين.

وفي مجمع البيان^(١٤): سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: أخبرني أبي بن كعب قال:

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: مصر. والمعبر. ما عبر به النهر، والمراد هنا: السفينة.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: نزل. ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: المصر.

٤. من المصدر. ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: كسرت.

٦. ب: الصبيان. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ورتان.

٨. أي جعله على وركه معتمداً عليها. ٩. المصدر: تسوّى.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم يضيّفوا بعدها.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: لعنك. ١٢. أي أمير المؤمنين عليه السلام.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: قتلت. أي سيقتل بسبب لعنك، أو هذا إخبار بأنّه سيقتل، كما قتل الخضر

الغلام لكفره. ١٤. المجمع ٤٨١/٣.

خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إِنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فُسِّل: أي الناس أعلم؟
قال: أنا.

فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه ^(١)، فأوحى الله إليه: إِنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك.

قال موسى: يا ربّ، فكيف لي به؟

قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكثل.

ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتّى إذا أتيا الصخرة وضعوا رؤوسهما ^(٢) فناما، واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر فاتّخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ^(٣). فلمّا استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيّة يومهما وليتهما حتّى إذا كان من الغد «قال» موسى «لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً».

قال: ولم يجد موسى النصب حتّى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به.

فقال فتاه: «أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة» الآية. قال: وكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً، فقال موسى: «ذلك ما كنّا نبغي» الآية. قال: رجعا يقصّان الأثر ^(٤) حتّى انتهيا إلى الصخرة، فوجدا رجلاً مسجّياً ^(٥) بثوب فسلم عليه موسى.

قال الخضر: وأنى بأرضك السلام.

قال: أنا موسى.

قال: موسى نبيّ بني إسرائيل؟

قال: نعم، أتيتك «لتعلّمني ممّا علّمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً». يا

٢. الأصح: رأسيهما.

٤. المصدر: آثارهما.

١. يعني إلى الله، فيقول: الله أعلم.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الطافي.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: سجي.

موسى، إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِّن [عِلْمِ] اللَّهِ ^(١) لَا تَعْلَمُهُ عِلْمَنِيهِ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِّن [عِلْمِ] اللَّهِ عِلْمَكَ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا».

فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: «إِن أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا».

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ وَكَلَّمُوهُمْ أَنَّ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحْمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ ^(٣)، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ [قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِّنَ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ بِالْقَدُومِ] ^(٤).

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمَ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ ^(٥) عَمِدْتَ إِلَىٰ سَفِينَتِهِمْ «فَخَرَقْتُهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِن أَمْرِي عَسْرًا».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَانَتِ الْأُولَىٰ مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا.

قَالَ: وَجَاءَ عَصْفُورٌ فَوْقَ عَلَىٰ حَرْفٍ ^(٦) السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّفَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً.

فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلِمِي وَعِلْمَكَ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ.

ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَاهُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ بَيْنَ ^(٧) الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ فَأَقْطَعَهُ ^(٨) فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَىٰ» [قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي

١. من المصدر.

٢. المصدر.

٣. المصدر: قول. والنول: جعل السفينة وأجرها.

٤. القدوم: آلة النجر والنحت.

٥. ليس في أ، ب، ر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: جرف. والحرف من كل شيء: طرف وجانبه.

٧. المصدر: مع.

٨. المصدر: فأقلعه. الأظهر: فاقطعه.

عذراً» إلى قوله: «يريد أن ينقض فأقامه» قال: كان مائلاً، فقال الخضر بيده^(١) فأقامه .
فقال موسى: قوم قد آتيناكم لم يطعمونا ولم يضيّفونا «فلو شئت لاتخذت عليه
أجرأ، قال هذا فراق بيني وبينك»

فقال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما .
وفي مصباح الشريعة^(٢): قال الصادق عليه السلام: والصبر أوله مرّ وآخره حلو فمن دخله
من أواخره فقد دخل، ومن دخله^(٣) من أوائله فقد خرج، ومن عرف قدر الصبر^(٤) لا
يصبر عما منه الصبر، قال الله تعالى في قصة موسى والخضر عليه السلام: «وكيف تصبر على
ما لم تحط به خبراً».

وفي كتاب علل الشرائع^(٥)، بإسناده إلى جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن
جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: إن موسى بن عمران عليه السلام لما كلمه الله تكليماً، وأنزل عليه
التوراة، وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، وجعل آيته في
يده وعصاه وفي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقلق البحر، وغرق الله ﷻ
فرعون وجنوده، وعلمت البشرية فيه حتى قال في نفسه: ما أرى أن الله ﷻ خلق خلقاً
أعلم مني .

فأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل: يا جبرئيل، أدرك عبدي موسى، قبل أن يهلك وقل له:
إن عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً، فاتّبعه وتعلّم منه .

فهبط جبرئيل عليه السلام على موسى بما أمره الله به ربّه ﷻ فعلم موسى أن ذلك لما حدثت
به نفسه^(٦)، فمضى هو وفتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين، فوجدا
هناك الخضر عليه السلام يعبد^(٧) الله ﷻ كما قال الله ﷻ في كتابه: «فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها

٢ . مصباح الشريعة ١٨٦/ .

١ . فقال الخضر بيده، أي أشار .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ: البصر .

٣ . كذا في المصدر . وفي النسخ: دخل .

٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ: نفسك .

٥ . العلل ٦٠/ - ٦١، ح ١ .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ: يتعبد .

رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً، قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلِّمْتُ رُشداً^(١).

قال له الخضر عليه السلام: «إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» الْآتِي وَكَلْتَ بَعْلَم لَا تُطِيقُهُ وَوَكَّلْتَ بَعْلَم لَا أُطِيقُهُ.

قال موسى له: بل أَسْتَطِيعُ مَعَكَ صَبْرًا^(٢).

فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: إِنَّ الْقِيَاسَ لَا مَجَالَ^(٣) لَهُ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَأَمْرُهُ «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا».

قال موسى: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا».

فَلَمَّا اسْتَمْنَى الْمَشِينَةُ قَبْلَهُ «قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا».

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَكَ ذَلِكَ عَلَيَّ «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا» الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَخْرَقَهَا لَتَغْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا أَمْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ مُوسَى: «لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتَ» أَيْ بِمَا تَرَكْتَ مِنْ أَمْرِكَ^(٤) «وَلَا تَرَهِّقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ» الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَغَضِبَ مُوسَى وَأَخَذَ بِتَلَابِيهِ^(٥) وَقَالَ لَهُ: «أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا».

قال له الخضر: إِنَّ الْعُقُولَ لَا تَحْكُمُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ، بَلْ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ يَحْكُمُ عَلَيْهَا، فَسَلِّمْ لِمَا تَرَى مِنْي وَاصْبِرْ عَلَيْهِ، فَقَدْ كُنْتَ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

قال موسى: «إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ هِيَ النَّاصِرَةُ، وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ النَّصَارَى «اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: محالة.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بتلبيبه.

١. من المصدر.

٣. من المصدر.

فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ» فوضع الخضر عليه فاقامه، فقال له موسى: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً».

وفي مجمع البيان^(١): «فأبوا أن يضيّفوهما» روى أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: قال كانوا أهل قرية لثام.

وفي الشواذ^(٢) قراءة النبي ﷺ: «جداراً يريد أن ينقضّ» بضمّ الياء. وقراءة علي بن أبي طالب عليه السلام: «ينقاض» بالصاد غير معجمة وبالألف.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣)، متصلاً بما نقلنا عنه سابقاً من قصة الخضر وموسى ويوشع عليه السلام: فمروا ثلاثتهم حتّى انتهوا إلى ساحل البحر، وقد شحنت سفينة وهي تريد أن تعبر، فقال أرباب^(٤) السفينة: نحمل^(٥) هؤلاء الثلاثة نفر فإنهم قوم صالحون. فحملوهم، فلما جنحت السفينة في البحر قام الخضر عليه السلام إلى جوانب السفينة فكسرها وحشاها^(٦) بالخرق والطين، فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً وقال للخضر عليه السلام: «أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً».

فقال له الخضر عليه السلام: «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً».

قال موسى: «لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً».

فخرجوا من السفينة [فمروا]^(٧)، فنظر الخضر عليه السلام إلى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر، وفي أذنيه درتان^(٨)، فتأمّله الخضر ثم أخذه فقتله، فوثب موسى على الخضر وجلد به الأرض، فقال: «أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً».

فقال الخضر: «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً».

١. المجمع ٤٨٦٣.

٢. المجمع ٤٨٥٣.

٣. تفسير القمي ٣٩٢.

٤. المصدر: لارباب.

٥. المصدر: تحملوا.

٦. المصدر: أحشاها.

٧. من المصدر.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ورتان.

قال موسى: «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذراً، فانطلقا حتّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها» وكان وقت العشاء، والقرية^(١) تسمى الناصرة، وإليها ينسب النصارى، ولم يضيفوا أحداً قط ولم يطعموا غريباً، فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيفوهم.

فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال لينهدم، فوضع الخضر عليه السلام يده عليه وقال: قم بإذن الله. فقام، فقال موسى عليه السلام ^(٢): لم ينبغ أن تقيم ^(٣) الجدار حتّى يطعمونا ويأوونا. وهو قوله عليه السلام: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً».

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله: «فلا تصاحبني». أو إلى الاعتراض الثالث، أو الوقت، أي هذا الاعتراض، أو هذا الوقت وقته. وإضافة الفراق إلى «البين» إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع، وقد قرئ على الأصل.

﴿سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ^(٤): بالخبر الباطن ممّا لم تستطع الصبر عليه، لكونه منكراً من حيث الظاهر.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾: لمحاويج. قيل ^(٥): وهو دليل على أنّ المسكين يُطلق على من ملك شيئاً إذا لم يكفه. وقيل ^(٥): سُمُوا مساكين لعجزهم عن دفع الملك. أو لزماتهم، فإنّها كانت لعشرة إخوة؛ خمسة زمني^(٦)، وخمسة يعملون في البحر. ﴿فَارَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعلها ذات عيب.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾: قدّامهم. أو خلفهم وكان رجوعهم عليه، واسمه: جلندي بن كركر.

١. ليس في المصدر. وفيه زيادة: «بالعشي». ٢. ليس في أ، ب، ر.
٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: يقيم. ٤. أنوار التنزيل ٢٢/٢.
٥. نفس المصدر والموضع.
٦. الزمني - جمع الزمن -: الذي ضعف يكبر سنّ أو مطاولة علة.

وقيل ^(١): هولة بن جليد الأزدي.

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾ ^(٦) من أصحابها.

وكان حقّ النظم أن يتأخّر قوله: «فأردت أن أعيبها» عن قوله: «وكان وراءهم ملك» لأنّ إرادة التعيب مسبّبة عن خوف الغضب وإنّما قدّم للنعاية، أو لأنّ السبب لما كان مجمع الأمرين خوف الغضب ومسكنة الملاك ربّته على أقوى الجزأين وأدعاهما، وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتعميم ^(٢).

وقرئ ^(٣): «كل سفينة صالحة» والمعنى عليها ^(٤).

وفي تفسير العياشي ^(٥): عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه كان يقرأ: «كان وراءهم ملك» يعني أمامهم «يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبًا».

وروي ^(٦) ذلك أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: وهي قراءة أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي كتاب تلخيص الأقوال في تحقيق أحوال الرجال ^(٧)، في ترجمة زرار بن أعين: روي في الصحيح، أنّ أبا عبدالله عليه السلام أرسل إليه: إنّما أعيبك دفاعاً منّي عنك، فإنّ الناس والعدو يسارعون إلى كلّ من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقرّبه، ويذمّونه لمحبتنا له وقربه ^(٨) ودنوّه منّا، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كلّ من عيّناه، فأعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا وأنت في ذلك

١. نفس المصدر والموضع. وفيه: «منولة بن جلندار» بدل «هولة».

٢. أمّا التقييد فالمراد به أنّ مسكنة الملاك مع قيد كون الملك المذكور وراءهم سبب لما ذكر، وأمّا التعميم فلدلالته على أنّ الأصل رعاية حال المساكين وخوف الغضب منهم لما ذكر.

٣. أنوار التنزيل ٢٢/٢.

٤. أي معنى الكلام على مقتضى هذه القراءة، فإنّ الصالحة وإن لم تذكر في القراءة المشهورة اعتبر معناها، إذ يعلم من الآية أنّه غصب كلّ سفينة صالحة، لا أنّه غصب كلّ سفينة صالحة وغيرها، إذ لو كان كذلك لما

كان لتعيبها فائدة. ٥. تفسير العياشي ٣٣٥/٢، ح ٥٤.

٦. نور الثقلين ٢٨٥/٣، ح ١٦٣؛ تفسير العياشي ٣٣٦/٢، ح ٥٥.

٧. نفس المصدر والموضع. ٨. ليس في أ، ب، ر.

مذموم عند الناس، فيكون ذلك دافع شرهم عنك لقول الله ﷻ: «أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا». هذا الرسل من عند الله صالحة^(١)، لا والله، ما عابها إلا لكي تسلم من الملك فافهم المثل، يرحمك الله، فإنك والله أحب الناس إلي وأحب أصحاب أبي إلي حياً وميتاً، فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام، وأن من ورائك لملكاً ظلوماً غصباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها وأهلها، فرحمة الله عليك حياً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامَ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾: في مجمع البيان^(٢): وروي عن أبي وابن عباس أنهما كانا يقرءان: «أما الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين». وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: أن يغشيهما

﴿طَغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٣): لنعمتهما^(٤)، بعقوبة، فيلحقهما شرراً. أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر. وإنما خشي ذلك لأن الله أعلمه.

وقرئ^(٤): «فخاف ربك» أي كره كراهة. من: خاف سوء عاقبته.

قيل^(٥): ويجوز أن يكون قوله: «فخشينا» حكاية قول الله ﷻ^(٦).

﴿فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ﴾: أن يرزقهما بدله ولداً خيراً منه.

﴿وَزَكَاةً﴾: طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة.

﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾^(٧): رحمة وعطفاً على والديه.

١. في المصدر: صالحه بالهاء دون التاء. ٢. المجمع ٤٨٧/٣.

٣. كذا في أنوار التنزيل ٢٢/٢. وفي النسخ: لنعمتهما.

٤. نفس المصدر والموضع. ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. أي يجوز أن يكون قول الخضر: «فخشينا» الخ، حكاية عما قال الله تعالى - فكأنه قال الخضر: «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين» فقال ربك: «فخشينا».

قيل^(١): «وُلدت لهما جارية فتزوّجها نبيّ، فولدت نبيّاً هدى الله به أمة من الأمم.
وقرأ^(٢) نافع وأبو عمرو: «يبدّلهما» بالتشديد. وابن عامر ويعقوب: «رحماً»
بالتثقيب^(٣) وانتصابه^(٤) على التمييز والعامل اسم التفضيل، وكذلك «زكاة».
وفي تفسير العياشي^(٥): «عن حريز، عن مَنْ ذكره، عن أحدهما عليه السلام أنّه قرأ: «وكان
أبواه مؤمنين فطبع كافراً».

عن عبدالله بن سنان^(٦)، عن أبي عبدالله عليه السلام: «أنّ نجدة الحروريّ كتب إلى ابن عباس
يسأله عن سبي الذراريّ، فكتب إليه: أمّا الذراريّ فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقتلهم،
وكان الخضر يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم، فإن كنت تعلم ما يعلمه الخضر فاقتلهم.
عن إسحاق بن عمّار^(٧)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: بينما العالم يمشي
مع موسى^(٨) إذ همّ بغلام يلعب، قال^(٩) فوكزه العالم فقتله.

قال له موسى: «أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً».
قال: فأدخل العالم يده فاقتلع كتفه، فإذا عليه مكتوب: كافر مطبوع.
عن أبي بصير^(١٠)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فخشينا» خشي إن أدرك الغلام أن
يدعو أبويه إلى الكفر فيجيبانه من فرط حبّهما إياه^(١١).
عن عبدالله بن خلف^(١٢)، رفعه، قال: كان في كتف الغلام الذي قتله العالم مكتوب:
كافر.

١. نفس المصدر والموضع. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. بالتثقيب أي بضمّ الحاء. ٤. أي وانتصاب «رحماً».

٥. تفسير العياشي ٣٣٦/٢، ح ٥٥. ٦. نفس المصدر والمجلّد ٣٣٥، ح ٥٢.

٧. نفس المصدر والموضع، ح ٥٣. ٨. كذا في نور الثقلين ٢٨٦٣، ح ١٦٧.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: «باغلمة» بدل «قال».

١٠. تفسير العياشي ٣٣٦/٢، ح ٥٦.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «إليه» بدل «من فرط حبّهما إياه».

١٢. نفس المصدر والموضع، ح ٥٧. وفيه: «خالد» بدل «خلف».

عن عثمان^(١)، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: «فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً» قال: أبدلوا^(٢) جارية، فولدت غلاماً فكان نبياً.

عن أبي يحيى الواسطي^(٣)، رفعه إلى أحدهما في قول الله ﷻ: «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين» إلى قوله «وأقرب رحماً» قال: أبدلهما مكان الابن بنتاً فولدت سبعين نبياً.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٤): وقال في قول الله ﷻ: «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً» قال: أبدلهما الله ﷻ مكان الابن ابنة، فولدت منها سبعون نبياً.

وفي مجمع البيان^(٥): وزوي أنهما أبدلا بالغلام^(٦) المقتول جارية، فولدت سبعين نبياً، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي أصول الكافي^(٧): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن عدة من أصحابنا^(٨)، عن الحسن بن علي بن يوسف، عن الحسن بن سعيد اللخمي^(٩) قال: ولد لرجل من أصحابنا جارية، فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً^(١٠).

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: رأيت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك: أن أختار لك أو تختار لنفسك، ما كنت تقول؟

قال: كنت أقول: يا رب، تختار لي.

قال: [فإن] الله ﷻ [قد اختار لك].

قال: ثم قال: إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول

١. نفس المصدر والموضع، ح ٥٩. ٢. الصحيح: أبدلا. وفي المصدر: إنه ولدت لهما.

٣. نفس المصدر والمجلد ٣٣٧، ح ٦١. ٤. الفقيه ٣/٣١٧، ح ١٥٤٢.

٥. المجمع ٤٨٧/٣. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: بغلام.

٧. الكافي ٦/٦٦، ح ١١. ٨. المصدر: أصحابه.

٩. كذا في جامع الرواة ٢٠٢/١. وفي أ: اللخي. وفي ب: البلخي. وفي غيرهما: اللخمي.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: سخطاً. ١١. من المصدر.

الله ﷻ: [١] «فأردنا أن يبدلهما ربُّهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً» أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبياً.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾: قيل (٢): اسمهما: أصرم وصريم، واسم المقتول: خيسون (٣).

﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾: وقيل (٤): كان من ذهب وفضة.

وقيل (٥): من كتب العلم.

وفي أصول الكافي (٦): عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا».

قال: أما إنّه ما كان ذهباً ولا فضةً، وإنّما كان أربع كلمات: الله لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنته (٧)، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله.

الحسين بن محمد (٨)، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان في الكنز الذي قال الله ﷻ: «وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا» كان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجب لمن أيقن بالموت كيف يضحك (٩)، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يتهم الله في قضائه ولا يستبطئه في رزقه.

فقلت: جعلت فداك، أريد أن أكتبه.

١. من المصدر.

٢. أنوار التنزيل ٢٢/٢.

٣. المصدر: جيسور.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والمجلد ٢٣/.

٦. الكافي ٥٨/٢، ح ٦.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: منه.

٨. نفس المصدر والمجلد ٥٩، ح ٩.

٩. المصدر: يفرح.

قال: فضرب، والله، يده إلى الدواة ليضعها بين يديّ، فتناولت يده فقبّلتها وأخذت الدواة فكتبته.

وفي عوالي اللثالي^(١): روى الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبد الله عليه السلام: لما أقام العالم الجدار أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إني مجازي الأبناء بسعي الآباء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، لا تنزوا فتزني نساؤكم، من وطئ فراش امرئ مسلم وطئ فراشه، كما تدين تدان.

وفي قرب الإسناد^(٢) للحميري: عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: وكان في الكنز الذي قال: «وكان تحته كنز لهما» لوح من ذهب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجباً لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجباً لمن رأى الدنيا وفعلها بأهلها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل عن الله ألا يتهم الله تبارك وتعالى في قضائه، ولا يستبطئه في رزقه.

. وفي كتاب الخصال^(٣): عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «وكان تحته كنز لهما» قال: والله، ما كان من ذهب ولا فضّة، وما كان إلّا لوحاً^(٤) فيه كلمات أربع: إني أنا الله لا إله إلا أنا، ومحمد رسولي، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح قلبه^(٥) وعجب لمن أيقن بالحساب كيف يضحك سنته، وعجب لمن أيقن بالقدر كيف يستبطئ الله^(٦) في رزقه، وعجب لمن يرى النشأة الأولى كيف ينكر النشأة الأخرى.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٧): حدّثنا [محمد بن الحسن عليه السلام] قال: حدّثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد قال: حدّثنا^(٨) الحسن بن علي، رفعه إلى عمرو بن

٢. قرب الإسناد/ ١٦٥.

١. عوالي اللثالي ٥٤٧/٣، ح ١٠.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ألواح.

٣. الخصال ٢٣٦/١، ح ٧٩.

٦. أ، ب، ر: يستبطئه.

٥. ليس في أ، ب.

٨. من الهامش.

٧. معاني الأخبار/ ٢٠٠، ح ١.

جميع، رفعه إلى عليٍّ عليه السلام في قول الله تعالى: «وكان تحته كنز لهما» قال: كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب، فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عجبت لمن يعلم أن الموت حقّ كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يذكر النار كيف يضحك، عجبت لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: قيل ^(١): كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء، وكان سيّاحاً، واسمه: كاشحاً.

وفي تهذيب الأحكام ^(٢)، في دعاء مروى عنهم عليهم السلام: اللهم إنك حفظت الغلامين بصلاح أبيهما.

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام ^(٣)، بإسناده إلى جعفر بن حبيب النهدي أنه سمع جعفر بن محمد عليه السلام يقول: احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين «وكان أبوهما صالحاً».

وإسناده ^(٤) إلى أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: كم من إنسان له حقّ لا يعلم به. قلت: وما ذلك، أصلحك الله؟

قال: إن صاحب الجدار كان لهما كنز تحته لا يعلمان به، أما إنّه لم يكن بذهب ولا فضّة.

قلت: فما كان؟

قال: كان علماً.

قلت: فأيهما أحق به؟

١. أنوار التنزيل ٢/٢٣.

٢. نور الثقلين ٢٨٨/٣، ح ١٧٩. تهذيب الأحكام ٩٦٣، ح ٣٠.

٣. أمالي الطوسي ٢٧٩/١.

٤. نور الثقلين ٢٨٨/٣، ح ١٨١؛ تفسير العياشي، ٣٣٧/٢، ح ٦٢.

قال: الكبير، كذلك نقول نحن.

وفي مجمع البيان^(١): «وكان تحته كنز لهما» قيل: كان كنزاً من الذهب والفضة، رواه أبو الدرداء، عن النبي ﷺ.

وقيل^(٢): كان لوحاً من ذهب، وفيه مكتوب: عجباً^(٣) لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب^(٤)، وعجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي بعض الروايات^(٥) زيادة ونقصان.

«وكان أبوهما صالحاً» وروي^(٦) عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء.

وفي تفسير العياشي^(٧): عن محمد بن عمر، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإن الغلامين كان بينهما [وبين أبويهما]^(٨) سبعمائة سنة.

عن إسحاق بن عمار^(٩) قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله.

ثم ذكر الغلامين، فقال: «وكان أبوهما صالحاً» ألم تر أن الله شكر صلاح أبويهما لهما.

١. المجمع ٤٨٨/٣.

٣. المصدر: عجبت.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. تفسير العياشي ٣٣٧/٢، ح ٥٨.

٩. نفس المصدر والمجلد ٣٣٧/ ح ٦٣.

٢. المجمع ٤٨٨/٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: يستبطئ.

٦. نفس المصدر والموضع.

٨. من المصدر.

عن يزيد بن رويان ^(١) قال : قال الحسين عليه السلام لنافع بن الأزرق : [يا ابن الأزرق] ^(٢) إني أخبرتك أنك تكفر أبي وأخي وتكفرني .

قال له نافع [بن الأزرق : يا بن رسول الله ، أخبرتك أنك] ^(٣) لئن قلت ذلك لقد كنتم الحكماء ومعالم الإسلام ، فلما بدلتكم استبدلنا بكم .

فقال له الحسين : يا ابن الأزرق ، أسألك عن مسألة فأجبنني عن قول الله تعالى ولا إله إلا هو : «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما» إلى قوله «كنزهما» . من حفظ فيهما ، قال : فأَيُّهما أفضل أبيهما أم رسول الله و فاطمة ؟

قال : لا ، بل رسول الله و فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال : فما حفظهما حتى حيل بيننا ^(٤) وبين الكفر ؟

فنهض ، ثم نفص به ثوبه ^(٥) ، ثم قال : [قد] ^(٦) نبأنا الله عنكم ، معشر قريش ، أنتم قوم خصمون . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

عن زرارة وحمran ^(٧) ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا : يحفظ الله الأطفال بأعمال آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبيهما .

عن مسعدة بن صدقة ^(٨) ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام أن النبي ﷺ قال : إن الله ليخلف العبد الصالح من بعد موته في أهله وماله وإن كان أهله أهل سوء . ثم قرأ هذه الآية إلى آخرها : «وكان أبوهما صالحاً» .

وفي كتاب علل الشرائع ^(٩) ، بإسناده إلى أبي سعيد عقيصا ، قال : قلت للحسن بن

١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : زيد بن رويان . وفي نور الثقلين ٢/٢٨٩ ، ح ١٨٩ : بريد بن رويان .

والحديث في تفسير العياشي ٢/٣٣٨-٣٣٧ ، ح ٦٤ .

٢ . من نور الثقلين ٢/٢٨٩ ، ح ١٨٩ . ٣ . ليس في المصدر .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ : خلني بينهما . ٥ . المصدر : بثوبه .

٦ . من المصدر . ٧ . نفس المصدر والمجلد ٣٣٨ ، ح ٦٥ .

٨ . نفس المصدر والمجلد ٣٣٩ ، ح ٦٨ . ٩ . العلل ١/٢١١ ، ح ٢ .

عليّ بن أبي طالب: يا ابن رسول الله، لم داهنت معاوية وصالحته^(١) وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه، وأنّ معاوية ضالّ باغ؟

فقال: يا أبا سعيد، ألسْتُ حجةَ الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليّ؟ قلت: بلى.

قال: ألسْتُ الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: [الحسن و] ^(٢)الحسين إمامان قاما أو قعدا؟

قلت: بلى.

قال: فأنّا إذا ^(٣)إمام لو قمنا، وأنا إمام إذ لو قعدت ^(٤).

يا أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفّار بالتّزليل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل.

يا أبا سعيد، إذا كنْتُ إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يُسَفَّهُ [رأيي] ^(٥)فيما أتيتُه من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيتُه مُشْتَبَهاً ^(٦). ألا ترى إلى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله ^(٧) لاشتباه ^(٨) وجه الحكمة عليه حتّى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم ^(٩) عليّ بجهلكم ^(١٠) بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتِل.

وبإسناده ^(١١) إلى عبد الله بن الفضل ^(١٢) الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: صالح. ٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنا فإذا.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: «أقعدت» بدل «لو قعدت».

٥. من المصدر. ٦. المصدر: ملتبساً.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن فعله. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: اشتباه.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: سخطكم. ١٠. أ: لجهلكم.

١١. العلل ٢٤٦٢٤٥، ح ٨. ١٢. من المصدر.

محمد ﷺ يقول: إِنَّ لصاحب هذا الأمر غيبته لا بدَّ منها، يرتاب فيها كلَّ مبطل.

فقلت له: ولم، جعلت فداك؟

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة [في غيبته وجه الحكمة^(١)] في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره. إِنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره، كما لا ينكشف^(٢) وجه الحكمة لما أتاه الخضر ﷺ من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى ﷺ إلَّا وقت افتراقهما. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾: أي الحلم وكمال الرأي.

﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: مرحومين من ربك.

ويجوز أن يكون علة. أو مصدر لأراد^(٣)، فإنَّ إرادة الخير رحمة^(٤).

وقيل^(٥): متعلق بمحذوف؛ تقديره: فعلت ما فعلت رحمة من ربك.

قيل^(٦): ولعلَّ إسناد الإرادة أولاً إلى نفسه لأنَّه المباشر المتعقَّب، وثانياً إلى الله وإلى نفسه لأنَّ التبدُّيل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله، وثالثاً إلى الله وحده لأنَّه لا مدخل له في بلوغ الغلامين. أو لأنَّ لأول في نفسه شرٌّ، والثالث خير، والثاني ممتزج. أو^(٧) لا اختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط^(٨).

١. من المصدر. ٢. الأظهر: لم ينكشف.

٣. كذا في أنوار التنزيل ٢/٢٣؛ وفي النسخ: مصدر الارادة.

٤. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: رحمته.

٥. أنوار التنزيل ٣/٢٣. ٦. أنوار التنزيل ٢/٢٣.

٧. ليس في أ، ب، ر.

٨. فالخضر في أوَّل الأمر نظر إلى محض الوساطة فنسب الإرادة إلى نفسه، ثم ترقى ثانياً فنسب الفعل، إلى الله تعالى والوساطة معاً، ثم ترقى ثالثاً فقطع النظر عن الوسائط وجعل نظره خالصاً إلى الله تعالى أقول: هذا توضيح مقصوده، ولا يخفى أنَّ قطع النظر عن الوسائط لا يناسب حال العارف سيما الخضر ﷺ.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾: وما فعلت ما رأيته.

﴿عَنْ أَمْرِي﴾: عن رأيي، وإنما فعلته بأمر الله ﷻ.

ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمّل أهونهما لدفع أعظمهما، وهو أصل ممّهد غير أنّ الشرائع في تفصيله مختلفة.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى إسحاق^(٢) اللبني^(٣)، عن الباقر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: أنكر موسى على الخضر واستفطع أفعاله حتّى قال له الخضر: يا موسى «ما فعلته عن أمري» إنّما فعلته عن أمر الله ﷻ.

وفي أصول الكافي^(٤): محمّد بن عيسى، عن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال موسى للخضر عليه السلام: قد تحرّمت بصحبتك فأوصني.

قال [له]^(٥): الزم ما لا يضرّك معه شيء، كما لا ينفعك مع غيره شيء.

وفي أمالي الصدوق عليه السلام^(٦)، بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصني، فكان ممّا أوصاه أن قال له^(٧): إيّاك وللجاجة، أو أن تمشي في غير حاجة، أو أن تضحك من غير عجب، واذكر خطيئتك، وإيّاك وخطايا الناس.

وفي كتاب الخصال^(٨): عن الزهري، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال: لا تعيّر^(٩) أحداً بذنب، وإن أحبّ الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: القصد في الشدة^(١٠)، والعفو في القدرة^(١١)، والرفق بعباد الله، وما

١. العلل ٦٠٩/١، ح ٨١.

٢. المصدر: أبي إسحاق.

٣. الكافي ٤٦٤/٢، ح ٢.

٤. أ، ب: البشي.

٥. أمالي الصدوق ٢٦٥/٢، ح ١١.

٦. من المصدر مع المعقوفتين.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فكان ما أوصاه فقال له.

٨. المصدر: لا تغيّر.

٩. الخصال ١١١/١، ح ٨٣.

١٠. المصدر: المقدرة.

١١. المصدر: الجدة.

رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله تعالى به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى.

﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٣٧): أي ما لم تستطع، فحذف التاء تخفيفاً. ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرّاً لا يعرفه، وأن يداوم على التعلّم ويتدبّر للمعلّم، ويراعي الأدب في المقال، وأن ينبّه المجرم على جرمه، ويعفو عنه حتّى يتحقّق إصراره ثم يهاجر عنه. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١) متصلاً بقوله: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً» فقال له الخضر عليه السلام: «هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً»:

«أما السفينة» التي فعلت بها ما فعلت، فإنّها كانت لقوم مساكين «يعملون في البحر فأردت أن أعييبها وكان وراءهم» أي وراء السفينة «ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً». هكذا نزلت، وإذا كانت السفينة معيبة لم يأخذ منها شيئاً.

«وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وهو طبع كافراً» كذا نزلت، فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب: طبع كافراً «فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً، فأردنا أن يبدلهما ربّهما خيراً» منه زكاة وأقرب رحماً فأبدل الله ﷻ والديه بنتاً ولدت سبعين نبياً.

«وأما الجدار» الذي^(٣٨) أقمته «فكان لغلّامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربّك أن يبلغا أشدهما» إلى قوله تعالى: «ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً».

حدّثني أبي^(٣٩)، عن محمّد بن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: كان ذلك الكنز لوحاً^(٤٠) من ذهب، فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمّد رسول الله ﷺ، عجب لمن يعلم أنّ الموت حقّ كيف يفرح، وعجبت

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: التي.

١. تفسير القميّ ٣٩/٢ - ٤٠.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: لوح.

٣. نفس المصدر والموضع.

لمن يؤمن بالقدر كيف يفرق^(١)، وعجبت لمن يذكر النار كيف يضحك، وعجبت لمن يرى الدنيا وتصرف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، متصلاً بآخر ما نقلنا - أعني: قوله: «لو شئت لآتخذت عليه أجراً» - قال له الخضر: «هذا فراق بيني وبينك سأبتئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبراً».

فقال: «أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً» فأردت بما فعلت أن تبقى لهم ولا يغصبهم الملك عليها، فنسب الأنانية^(٣) في هذا الفعل إلى نفسه لعل ذكر التعيب^(٤)؛ لأنه أراد أن يعيبها عند الملك إذا شاهدها فلا يغصب المساكين عليها، وأراد الله ﷻ صلاحهم بما أمره به من ذلك.

ثم قال: «وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين» وطبع^(٥) كافراً، وعلم الله تعالى ذكره أنه^(٦) إن بقي كفر أبواه واقتنابه وضلاً بإضلاله إياهما، فأمرني الله تعالى ذكره بقتله، وأراد بذلك نقلهم إلى محل كرامته في العاقبة، فاشترك بالأنانية^(٧) بقوله: «فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً»، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً». وإنما اشترك في الأنانية^(٨) لأنه خشي، والله لا يخشى؛ لأنه لا يفوته شيء ولا يمتنع عليه أحد أراده، وإنما خشي الخضر من أن يحال بينه وبين ما أمر فيه [يدرك ثواب الإمضاء فيه]^(٩)، ووقع في نفسه أن الله تبارك وتعالى ذكره جعله سبباً لرحمة أبي الغلام، فعمل

١. أي يخاف. ٢. العلل ٦١-٦٢، ح ١.

٣. كذا في المصدر. وفي أ، ر: الامانة، وفي غيرهما: الأنانة.

٤. أي إنما لم ينسب الفعل إليه تعالى - رعاية للأدب، لأن نسبة التعيب إليه تعالى غير مناسب وأما ما يناسب أن ينسب إليه تعالى فهو إرادة صلاحهم بهذا التعيب.

٥. المصدر: طلع. ٦. ليس في المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالإنابة. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: الانانة.

٩. من المصدر.

فيه وسط الأمرين^(١) من البشرية مثل ما كان عمل في موسى ﷺ لأنه صار في الوقت مُخْبِراً، وكليم الله موسى ﷺ مُخْبِراً، ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر ﷺ للرتبة على موسى ﷺ وهو أفضل من الخضر، بل كان لاستحقاق موسى للتبيين^(٢).

ثم قال: «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما» ولم يكن ذلك الكنز^(٣) بذهب ولا فضة، ولكن كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجب لمن أيقن أن البعث حق كيف يظلم، عجب لمن يرى الدنيا وتصرف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئن إليها.

«وكان أبوهما صالحاً» كان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون^(٤) أباً، فحفظهما^(٥) الله بصلاحه.

ثم قال: «فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما» فتبرأ من الأنانية^(٦) في آخر القصص، ونسب الإرادة كلها إلى الله تعالى ذكره في ذلك؛ لأنه^(٧) لم يكن بقي شيء مما فعله فيخبر به بعد، ويصير موسى ﷺ به مُخْبِراً ومصغياً^(٨) إلى كلامه تابعاً له، فتجرد من^(٩) الأنانية والإرادة تجرد العبد المخلص، [ثم صار]^(١٠) متنصلاً^(١١) مما أتاه من نسبة الأنانية^(١٢) في أول القصة ومن ادعاء^(١٣) الاشتراك في ثاني القصة، فقال: «رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً».

١. المصدر: الأمر.

٢. المصدر: لتبيين.

٣. ليس في أ، ب.

٤. قد تقدم أنفاً من مجمع البيان ٤٨٨/٣: «سبعة آباء» وهكذا في أنوار التنزيل ٢٣/٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فحفظهم. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: الإرادة.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: إن. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: مفضيا.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتجرده عن. ١٠. من المصدر.

١١. من تنصل إلى فلان من الجناية: إذا اعتذر وتبرأ عنه منها.

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الانانة. ١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ادعى.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١): حدّثني أبي، عن يوسف بن أبي حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ وَجَدَ رِيحاً مِثْلَ رِيحِ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ، فَسَأَلَ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَهُ جَبْرِئِيلُ أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ عَذْبٍ فِيهِ قَوْمٌ فِي اللَّهِ حَتَّى مَاتُوا.

ثم قال له: إِنَّ الْخَضِرَ عليه السلام كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، فَأَمِنَ بِاللَّهِ وَتَخَلَّى فِي بَيْتِ دَارِ أَبِيهِ يَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَبِيهِ وَلَدٌ غَيْرُهُ، فَأَشَارُوا عَلَى أَبِيهِ أَنْ يَزُوجَهُ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلِداً فَيَكُونُ الْمُلْكُ فِيهِ وَفِي عَقْبِهِ، فَخَطَبَ لَهُ امْرَأَةً بَكْراً وَأَدْخَلَهَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْتَفِتْ الْخَضِرُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَالَ لَهَا: تَكْتُمِينَ عَلَيَّ أَمْرِي؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ.

قال لها: إِنْ سَأَلْتُكَ أَبِي هَلْ كَانَ مَعِيَ إِلَيْكَ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى النِّسَاءِ، فَقُولِي:

نعم.

فَقَالَتْ: أَفْعَلْ.

فَسَأَلَهَا الْمَلِكُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: نَعَمْ.

فَأَشَارَ عَلَيْهِ النَّاسُ أَنْ يَأْمُرَ النِّسَاءَ أَنْ يَفْتَشْنَها، فَأَمَرَ بِذَلِكَ فَكَانَتْ عَلَى حَالِهَا^(٢)،

فَقَالُوا: أَيُّهَا الْمَلِكُ، زَوَّجْتَ الْعِزَّةَ مِنَ الْعِزَّةِ^(٣)، زَوْجُهُ امْرَأَةٌ ثَيِّبًا.

فَزَوَّجَهُ، فَلَمَّا أَدْخَلَتْ عَلَيْهِ سَأَلَهَا الْخَضِرُ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، فَقَالَتْ: نَعَمْ.

فلَمَّا أَنْ سَأَلَهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ ابْنَكَ امْرَأَةً، فَهَلْ تَلِدُ الْمَرْأَةُ مِنَ الْمَرْأَةِ؟

فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِرَدِّمِ الْبَابِ عَلَيْهِ فَرُودِمَ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ حَرَّكَتَهُ رَقَّةُ الْآبَاءِ فِيهِ

فَأَمَرَ بِفَتْحِ الْبَابِ، فَفُتِّحَ فَلَمْ يَجِدْهُ فِيهِ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْقُوَّةِ^(٤) أَنْ يَتَصَوَّرَ كَيْفَ

يَشَاءُ، ثُمَّ كَانَ عَلَى مَقْدَمَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ^(٥)، وَشَرِبَ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي مِنْ شَرِبَ مِنْهُ بَقِيَ إِلَى

الصَّيْحَةِ.

١. تفسير القمي ٤٤٤/٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: حالتها.

٣. أ، ر: العِزَّةُ مِنَ الْعِزَّةِ. وفي المصدر: العِزُّ مِنَ الْعِزِّ.

٤. ليس في أ. ٥. ليس في أ، ر.

قال: فخرج من مدينة أبيه رجلاً في تجارة في البحر حتّى وقعا^(١) إلى جزيرة من جزائر البحر، فوجدا فيها الخضر عليه السلام قائماً يصلي، فلما انفتل دعاهما فسألتهما عن خبرهما، فأخبراه.

فقال لهما: هل تكتمان عليّ أمرٍ إن أنا^(٢) رددتكما في يومكما هذا إلى منزلكما؟ فقالا: نعم. فنوى أحدهما أن يكتُم أمره، ونوى الآخر أن رده إلى منزله أخبر أباه بخبره. فدعا الخضر عليه السلام سحابة وقال لها: احملني هذين إلى منزلهما. فحملتهما السحابة حتّى وضعتهما في بلدهما من يومهما، فكتُم أحدهما أمره وذهب الآخر إلى الملك فأخبره بخبره.

فقال له الملك: من يشهد لك بذلك؟

قال: فلان التاجر. فدَلَّ على صاحبه، فبعث الملك إليه، فلما حضر^(٣) أنكره وأنكر معرفة صاحبه.

فقال له الأول: أيها الملك، ابعث معي خيلاً إلى هذه الجزيرة واحبس هذا حتّى آتيك بابنك. فبعث معه خيلاً فلم يجدوه، فأطلق الملك^(٤) عن الرجل الذي كتُم عليه. ثم إنَّ القوم عملوا بالمعاصي فأهلكهم الله تعالى وجعل مدينتهم عاليها سافلها، وابتدرت الجارية التي كتُم عليه أمره والرجل الذي كتُم عليه كل واحد منهما ناحية من المدينة، فلما أصبحا التقيا فأخبر كل واحد منهما صاحبه بخبره، فقالا: ما نجونا إلا بذلك. فآمنا برَبِّ الخضر عليه السلام وحسن إيمانهما، وتزوجها^(٥) الرجل ووقعا^(٦) إلى مملكة ملك آخر، وتوصّلت المرأة إلى بيت الملك، وكانت تزين بنت الملك، فبينما هي تمسّطها يوماً إذ سقط من يدها المشط.

فقال: لا حول ولا قوّة إلا بالله.

-
١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فوقعا.
 ٢. ليس في المصدر.
 ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أحضره.
 ٤. ليس في المصدر.
 ٥. أ، ب، ر: تزوّج. وفي المصدر: تزوّج بها.
 ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: دفعها.

فقال لها بنت الملك: ما هذه الكلمة؟
 فقالت لها: إِنَّ لِي إِلَهًا تجري الأمور كُلُّهَا بحوله وقوته.
 فقالت لها بنت الملك: ألك إله غير أبي؟
 قالت: نعم، وهو إلهك وإله أبيك.
 فدخلت بنت الملك على أبيها فأخبرت أباها^(١) بما سمعت من هذه المرأة، فدعاها
 الملك فسألها عن خبرها. فأخبرته.
 فقال لها: من على دينك؟
 قالت: زوجي وولدي. فدعاهما الملك، فأمرهما بالرجوع عن التوحيد فأبوا عن
 ذلك، فدعا بمرجل^(٢) من ماء فأسخنه وألقاهم فيه، فأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت.
 فقال جبرئيل^(٣) لرسول الله ﷺ: فهذه الرائحة التي شممتها من ذلك البيت.
 ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾: يعني إسكندر الرومي^(٤).
 قيل^(٥): ملك فارس والروم.
 وقيل^(٦): المشرق والمغرب، ولذلك سَمِيَ: ذا القرنين، أو لأنه طاف قرني الدنيا؛
 شرقها وغربها.
 وقيل^(٧): لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس.
 وقيل^(٨): كان له قرنان: أي صغيرتان.
 وقيل^(٩): كان لتاجه قرنان.
 وقيل^(١٠): إنه كان لُقَب بذلك لشجاعته، كما يقال: الكبش للشجاع، كأنه ينطح
 أقرانه.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: أباها الملك. ٢. المرجل: القدر من الحجارة أو النحاس.

٣. ليس في ر.

٤. قيل: في جعل ذي القرنين إسكندر إشكال قوي، وهو أنه كان تلميذ الأرسطاطاليس، وكان على مذهبه،
 فتعظيم الله تعالى إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حق، وذلك ممّا لا سبيل إليه.

٥-١٠. أنوار التنزيل ٢/٢٣٢.

واختُلِفَ في نبوته مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه. والسائلون هم اليهود سألوه امتحاناً، أو مشركوا مكة.

وفي قرب الإسناد^(١) للحميري، بإسناده إلى موسى بن جعفر عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه آيات النبي صلى الله عليه وآله وفيه: ومن ذلك أن نقرأ من اليهود أتوه فقالوا لأبي الحسن جدّي: استأذن لنا على ابن عمك نسأله.

قال: فدخل عليّ عليه السلام فأعلمه.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: وما يريدون منّي؟ فأبى عبد من عبيد الله لا أعلم إلا ما علّمني ربّي. ثم قال: انذن لهم. فدخلوا، فقال: أتسألوني عما جئتم له، أم أنبئكم؟ قالوا: نُبئنا.

قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين. قالوا: نعم.

قال: كان غلاماً من أهل الروم، ثم ملك وأتى مطلع الشمس ومغربها، ثم بنى السدّ فيها.

قالوا: نشهد أن هذا كذا وكذا.

وفي أصول الكافي^(٢): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد عن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: قلت له: ما منزلتكم، ومن تشبهون ممّن مضى؟

قال: صاحب موسى وذو القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيّين.

عدّة من أصحابنا^(٣): عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان محدّثاً.

٢. الكافي ٢٦٩/١، ح ٥.

١. قرب الإسناد ١٣٥.

٣. نفس المصدر والموضع. ح ٤.

فقلت: فتقول نبي؟

قال: فحرّك بيده ^(١) هكذا، ثم قال: أو كصاحب سليمان، أو كصاحب موسى، أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنّه قال: وفيكم مثله.

وفي كتاب الخصال ^(٢): عن محمد بن خالد، بإسناده رفعه [إلى أبي عبد الله عليه السلام] ^(٣) قال: ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فأما المؤمنان فسلیمان بن داود وذوالقرنین، وأما ^(٤) الكافران نمرود وبخت نصر. واسم ذي القرنين: عبد الله بن ضحّاك بن معد.

وفي أمالي شيخ الطائفة ^(٥)، بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: أوّل اثنين تصافحا على وجه الأرض ذوالقرنين وإبراهيم الخليل عليه السلام، استقبله إبراهيم فصافحه.

وفي تفسير العياشي ^(٦)، بعد أن ذكر أبا عبد الله عليه السلام ونقل عنه حديثاً طويلاً قال: وفي خبر آخر عنه: جاء يعقوب إلى نمرود في حاجة، فلمّا وثب عليه وكان أشبه الناس بإبراهيم قال له: أنت إبراهيم خليل الرحمان؟ قال: لا.

وفي عيون الأخبار ^(٧): عن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: [لكلّ أمة] ^(٨) صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب. إنّ عليّاً سفينة نجاتها وباب حطّتها، وإنّه يوشعها [وشمعونها] ^(٩) وذو قرنيها ^(١٠).

١. ليس في أ، ب. ٢. الخصال ٢٥٥/١، ح ١٣٠.

٣. من المصدر. ٤. ليس في المصدر.

٥. أمالي الطوسي ٢١٨/١.

٦. نور الثقلين ٢٩٥/٣، ح ٢٠٩. تفسير العياشي ١٨٩/٢.

٧. العيون ١٢٢/٢، ح ٣٠. ٨. ليس في أ، ب.

٩. من المصدر. ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: ذو قرنها.

﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(١٢): خطاب للسائلين. و«الهاء» لذي القرنين، وقيل^(١١): لله تعالى^(١٢).

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي مكَّنَّا له أمره من التصرف فيها كيف شاء، فحذف المفعول.

﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أرادته وتوجه إليه.

﴿سَبِيًّا﴾^(١٣): وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة.

وفي الكافي^(١٣) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام لأقوام يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف: أخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود؟ ثم ذوالقرنين عليه السلام عبد أحب الله فأحبه الله، وطوى له الأسباب، وملّكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول الحق ويعمل به، ثم لم يجد أحد أحداً عاب ذلك عليه.

﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾^(١٤): أي فأراد بلوغ المغرب، فأتبع سبياً يوصله إليه.

وقرأ^(١٤) الكوفيون وابن عامر، بقطع الألف مخففة التاء.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذات حمأ. من حمئت البشر: إذا صارت ذات حمأة. و«الحمأ» الطين الأسود.

وقرأ^(١٥) ابن عامر وحمزة وأبو بكر: «حامية» أي حارة. ولا تنافي بينهما، لجواز أن يكون العين جامعة للوصفين. أو «حمية» على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها. ولعله بلغ ساحل المحيط فرأها كذلك، إذ لم يكن في مطمح نظره غير الماء،

١. أنوار التنزيل ٢٣/٢.

٢. فيكون المعنى: سأتلو عليكم من الله ذكره، لأن ما يجيء هو مقول الله تعالى وفعله.

٤. أنوار التنزيل ٢٣/٢.

٣. الكافي ٧٠/٥، ح ١.

٥. أنوار التنزيل ٢٣/٢.

لذلك قال: «وجدها تغرب» ولم يقل: كانت تغرب.

وقيل^(١)، إن ابن عباس رضي الله عنه سمع معاوية يقرأ: «حامية»، فقال: «حمئة». فبعث إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟

فقال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٢)، بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ذا القرنين لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله وناصح الله فناصحه، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً، ثم رجع إليهم فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنته.

وإسناده^(٣) إلى الأصم بن نباتة قال: قام ابن الكواء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو على المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن ذي القرنين أنبيأً كان أو ملكاً^(٤)، وأخبرني عن قرنيه أذهب^(٥) أو فضة؟

فقال عليه السلام: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولا كان قرناه من ذهب ولا فضة، ولكنه كان عبداً أحب الله فأحبه الله ونصح الله فنصحه الله، وإنما سُمي: ذا القرنين، لأنه دعا قومه فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً، ثم عاد إليهم فضرب على قرنه الآخر، وفيكم مثله.

وإسناده^(٦) إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله ﷻ حجة على عباده، فدعا قومه إلى الله ﷻ وأمرهم بتقواه، فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً حتى قيل: مات أو هلك، بأي واد سلك، ثم ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنته وإن الله ﷻ مكن لذي القرنين في الأرض وجعل له من كل شيء سبباً، وبلغ المغرب

١. نفس المصدر والمجلد ٢٤/.

٣. نفس المصدر والموضع، ج ٣.

٥. في المصدر زيادة: «كان».

٢. كمال الدين ٣٩٣/، ج ١.

٤. المصدر: أنبي كان أو ملك.

٦. نفس المصدر ٣٩٤/، ج ٤.

والمشرق، وإن الله ﷻ سيجري سنته في القائم من ولدي فيبلغه شرق الأرض وغربها، حتى لا يبقى منهل ولا موضع فيها من سهل أو جبل وطنه [ذو القرنين إلا وطنه] ^(١)، ويظهر الله ﷻ له كنوز الأرض ومعادنها بيده ^(٢)، وينصره بالرعب، ويملا الأرض به عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وفي تفسير العياشي ^(٣): عن أبي الطفيل قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إن ذا القرنين لم يكن نبياً ولا رسولاً، [ولكن] ^(٤) كان عبداً أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه ^(٥)، دعا قومه فضربوه على أحد قرنيه فقتلوه، ثم بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر فقتلوه.

عن أبي حمزة الثمالي ^(٦)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد [نوح] ^(٧): أولهم ذو القرنين واسمه عياش ^(٨)، وداود، وسليمان، ويوسف؛ فأما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأما داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر، وكذلك كان ملك سليمان، وأما يوسف فملك مصر وبراريها ولم يجاوزها إلى غيرها. وفي كتاب الخصال ^(٩)، مثله.

وفي الخرائج والجرائح ^(١٠): قال الحسن العسكري عليه السلام: وسئل [علي] ^(١١) عليه السلام عن ذي القرنين: كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟ فقال: سخر الله السحاب، ويسر له الأسباب، وبسط له النور، وكان الليل والنهار

١. من المصدر. ٢. يوجد في ب.

٣. تفسير العياشي ٣٤٠/٢، ح ٧٣. ٤. من المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: لله ونصحه. ٦. تفسير العياشي ٣٤٠/٢، ح ٧٥.

٧. من المصدر.

٨. في الخصال ٢٥٥/١، ح ١٣٠: اسم ذي القرنين عبدالله بن ضحّاك بن معد.

٩. الخصال ٢٤٨/١، ح ١١٠.

١٠. نور الثقلين ٢٩٦/١، ح ٢١١؛ الخرائج والجرائح، ١١٧٤/٣، ح ٦٨.

١١. من المصدر.

على سواء، وأنه رأى في المنام كأنه قرب من الشمس حتى أخذ بقرنها في شرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه وعزفهم سمّوه: ذا القرنين، فدعاهم إلى الله فأسلموا، ثم أمرهم أن يبنوا له مسجداً فأجابوه إليه، فأمر أن يجعلوا طوله أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعلوه إلى السماء مائة ذراع.

فقالوا: كيف لك بخشبات تبلغ ما بين الحائطين؟

قال: إذا فرغتم من بنیان الحائطين فاكبسوه بالتراب^(١) حتى يستوي مع حيطان المسجد، فإذا فرغتم من ذلك أخذتم من الذهب والفضة على قدره، ثم قطعتموه مثل قلامة الظفر، ثم خلطتموه مع ذلك البكس، وعملت له خشباً من نحاس وصفائح من نحاس تذبّون ذلك وأنتم متمكنون من العمل كيف شئتم وأنتم على أرض مستوية، فإذا فرغتم من ذلك دعوت المساكين لنقل ذلك التراب، فيسارعون فيه لأجل ما فيه من الذهب والفضة.

فبنوا المسجد، وأخرج المساكين ذلك التراب وقد استقل السقف واستغنى المساكين، فجدّهم أربعة أجناد، في كلّ جند عشرة آلاف ونشرهم في البلاد.

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾: عند تلك العين.

﴿قَوْمًا﴾: قيل^(٢): كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر، وكانوا كفّاراً، فخيّر الله بين أن يعذبهم أو يدعهم إلى الإيمان، كما حكى بقوله:

﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعَذَّبَ﴾: أي بالقتل على كفرهم،

﴿وَأِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾^(٣): بالإرشاد وتعلّم الشرائع.

وقيل^(٣): خيّر بين القتل والأسر، وسمّاه إحساناً في مقابلة القتل.

ويؤيد الأول قوله^(٤):

١. كبس البشر: طمّنها بالتراب، أي سواها ودفنها. ٢. أنوار التنزيل ٢/٢٤.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. وجه التأييد أنه يعلم من الكلام أن بعضهم آمن ولا يكون إلا بعد الدعوة، ففهم منه اختيار الدعوة حتى يظهر إصرار البعض وإيمان آخرين.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ (٨٧): أي فاختار الدعوة، وقال: أمّا من دعوته وظلم نفسه بالإصرار على كفره واستمرّ على ظلمه الذي هو الشرك، فتعذّبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل، ثمّ يعذّبه الله في الآخرة عذاباً منكرًا لم يُعهّد مثله.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: وهو ما يقتضيه الإيمان

﴿فَلَهُ﴾: في الدارين.

﴿جَزَاءَ الْحُسْنَى﴾: فعلته الحسنی.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي ويعقوب وحفص: «جزاء» منوًناً منصوباً على الحال، أي فله [المثوبة الحسنی مجزياً بها. أو على المصدر لفعله المقدّر حالاً، أي يجزى بها جزاء. أو التمييز^(٢)].^(٣)

وقرئ^(٤) منصوباً غير منوًن، على أنّ تنوينه حذف لالتقاء الساكنين، ومنوًناً مرفوعاً، على أنّه المبتدأ و«الحسنی» بدله.

ويجوز أن يكون «إمّا» و«إمّا» للتقسيم دون التخيير، أي ليكون شأنك معهم إمّا التعذيب وإمّا الإحسان؛ فالأوّل لمن أصرّ على الكفر، والثاني لمن تاب عنه^(٥).

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): محمّد بن العباس عليه السلام قال: حدّثنا الحسن بن علي بن عاصم، عن الهيثم بن عبدالله قال: حدّثنا مولاي علي بن موسى، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّهُ أتاني جبرئيل عن ربّه ﷻ وهو يقول: ربّي يقرئك السلام ويقول لك: يا محمّد، بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ وَيُؤْمِنُونَ بِكَ وَبِأَهْلِ بَيْتِكَ بِالْجَنَّةِ، وَلَهُمْ عِنْدِي «جَزَاءُ الْحُسْنَى» يَدْخُلُونَ

١. أنوار التنزيل ٢/٢٤.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أو به جزاء أو التميز.

٣. من الهامش. نفس المصدر والموضع.

٤. المعنى على التخيير أنّ تدعو جميعهم أو تقتل جميعهم والتقسيم بأن يعذب بعضهم بعد

٥. تأويل الآيات ١/٢٩٧، ح ٩.

٦. الدعوة ويحسن مع بعضهم.

الجنة، أي جزاء الحسنى، وهي ولاية أهل البيت عليهم السلام دخول الجنة والخلود فيها في جوارهم صلوات الله عليهم.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾: مما نأمر به ^(١).

﴿يُسْرًا﴾ ^(٢): سهلاً ميسراً غير شاق، وتقديره: ذا يسر.

وقرى ^(٣) بضمّتين.

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ ^(٤): [ثمّ اتبع طريقاً يوصله إلى المشرق.

وقرأ ^(٥) الكوفيون وابن عامر، بقطع الألف مخففة التاء] ^(٦).

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من

معمورة الأرض.

وقرى ^(٧) بفتح اللام، على إضمار مضاف، أي مكان مطلع الشمس، فإنه مصدر ^(٨).

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ^(٩): من اللباس، أو البناء، فإن

أرضهم لا تلمسك الأبنية. أو أنهم اتخذوا الأسراب ^(١٠) بدل الأبنية.

وفي تفسير العياشي ^(١١): عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «لم

نجعل لهم من دونها ستراً، كذلك» قال: لم يعلموا صفة ^(١٢) البيوت.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١٣): قال لم يعلموا صفة اللباس.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك. أو أمره

فيهم، كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار.

٢. أنوار التنزيل ٢٤/٢.

١. ر: يسراً مما نأمر به.

٤. ليس في أ، ب، ر.

٣. أنوار التنزيل ٢٤/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. قال صاحب الصحاح: المطلع والمطلع أيضاً موضع الطلوع. وعلى هذا حاجة إلى تقدير مضاف.

٧. الأسراب - جمع السرب - حفيرٌ تحت الأرض لا متغذ له.

٩. المصدر: صنعة.

٨. تفسير العياشي ٣٥٠/٢، ح ٨٤.

١٠. تفسير القمّي ٤١/٢.

ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لـ «وجدها»، أو «نَجَّل»، أو صفة «قوم»، أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم.

﴿وَقَدْ أَحْطَأَ بِمَا لَدَيْهِ﴾: من الجنود والآلات والعدد والأسباب.

﴿خُبْرًا﴾^(٣١): علماً تعلق بظاهره وخفاياه، والمراد: أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير.

﴿ثُمَّ أَتَيْعَ سَبِيًّا﴾^(٣٢): يعني طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب، آخذاً من الجنوب إلى الشمال.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: بين الجبلين المبني بينهما سدّه.

والجبلان قيل^(٣٣): بين^(٣٤) إرمينية وأذربايجان.

وقيل^(٣٥): جبلان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك منيفان^(٣٦)، من ورائهما بأجوج ومأجوج.

وقرأ^(٣٧) نافع وحزمة وابن عامر والكسائي وأبو بكر ويعقوب «بين السدّين» بالضمّ، وهما لغتان.

وقيل^(٣٨): المضموم لما خلقه الله تعالى، والمفتوح لما عمله الناس؛ لأنّه في الأصل مصدر سُمّي به حدث يحدثه الناس.

وقيل^(٣٩): بالعكس.

و«بين» هاهنا مفعول به، وهو من الظروف المتصرفّة.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾^(٤٠): لغربة لغتهم، وقلة فطنتهم.

وقرأ^(٤١) حمزة والكسائي «لا يفقهون» [أي لا يفهمون]^(٤٢) السامع كلامهم ولا

١. أنوار التنزيل ٢/٢٤.

٢. أ، ب: ما بين.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. أي عاليان.

٥. نفس المصدر والمجلد ٢٥/.

٦-٨. نفس المصدر والموضع.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: زيادة «لا يكادون».

١٠. من المصدر.

يَبَيِّنُونَهُ لَتَلْعَلَّكُمْ فِيهِ .

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ : أَيُّ قَالَ مَرَّجَمَهُمْ .

وفي مصحف ابن مسعود عليه السلام ^(١) : قال الذين من دونهم

﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ : قيل ^(٢) : هما قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام .

وقيل ^(٣) : يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل، وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف .

وقيل ^(٤) : عريبان، من أج الظليم : إذا أسرع . وأصلهما الهمزة كما قرأ عاصم . ومُنِعَ صرفهما للتعريف والتأنيث .

وفي كتاب علل الشرائع ^(٥) ، بإسناده إلى سهل بن زياد، عن عبدالعظيم الحسني، عن علي بن محمد العسكري عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه نوحاً عليه السلام وأولاده ساماً وحاماً ويافثاً حين سارت بهم السفينة، ودعا نوح عليه السلام أن يغير الله ماء صلب حام ويافث، وقد كتبناه بتمامه عند قوله تعالى : «وهي تجري بهم في موج كالجبال» وفيه يقول عليه السلام : جميع الترك والسقالب ^(٦) ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا . وفي روضة الكافي ^(٧) : الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبدالله، عن العباس بن أبي ^(٨) العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق .

فقال : خلق الله ألفاً ومائتين في البر، وألفاً ومائتين في البحر، وأجناس بني آدم سبعون جنساً، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٩) : قال أبو عبدالله عليه السلام : ليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه ألف ولد ذكر .

١- ٤ . نفس المصدر والموضع .

٥ . العلل / ٣٢٢ ح ١ .

٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ : السقالب .

٧ . الكافي / ٢٢٠/٨ ، ح ٢٧٤ .

٨ . المصدر : العباس بن العلاء .

٩ . تفسير القمي / ٤١/٢ .

ثُمَّ قَالَ: هُمْ أَكْثَرُ خُلُقٍ خُلِقُوا بَعْدَ الْمَلَائِكَةِ.

وفي كتاب الخصال^(١): عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الدُّنْيَا سَبْعَةُ أَقَالِيمٍ: يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَالرُّومُ، وَالصِّينُ، وَالزَّنْجُ، وَقَوْمُ مُوسَى، وَأَقْلِيمُ^(٢) بَابِلَ.

وفي مجمع البيان^(٣): وَرَدَ فِي خَبَرٍ عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

فَقَالَ: يَأْجُوجُ أُمَّةٌ، وَمَأْجُوجُ أُمَّةٌ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُمِائَةِ أُمَّةٍ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّ قَدْ حَمَلَ السِّلَاحَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَفِّهِمْ لَنَا.

قَالَ: هُمْ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صَنَفٌ مِنْهُمْ أَمْثَالُ الْأَرْضِ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَرْضُ؟

قَالَ: شَجَرٌ بِالشَّامِ طَوِيلٌ^(٤)، وَصَنَفٌ مِنْهُمْ طَوْلُهُمْ وَعَرْضُهُمْ سَوَاءٌ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَقُومُ لَهُمْ جَبَلٌ وَلَا حَدِيدٌ، وَصَنَفٌ مِنْهُمْ يَفْتَرِشُ أَحَدُهُمْ^(٥) أَحَدِي أُذُنِيهِ وَيَلْتَحِفُ بِالْآخَرِي. وَلَا يَمْرُؤُونَ بِفِيلٍ وَلَا وَحْشٍ وَلَا جَمَلٍ وَلَا خَنْزِيرٍ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَكَلُوهُ، مَقْدَمَتُهُمْ بِالشَّامِ وَسَاقَتُهُمْ بِخِرَاسَانَ، يَشْرَبُونَ أَنْهَارَ الْمَشْرِقِ وَبَحِيرَةَ طَبْرِيقَةَ.

﴿مُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فِي أَرْضِنَا، بِالْقَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ وَاتِّلَافِ الزَّرْعِ.

قِيلَ^(٦): كَانُوا يَخْرُجُونَ فِي الرَّبِيعِ، فَلَا يَتْرَكُونَ أَحْضَرَ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَلَا يَبْسَأُ إِلَّا حَمَلُوهُ.

وَقِيلَ^(٧): كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جَعَلًا^(٨) نَخْرِجُهُ مِنْ أَمْوَالِنَا.

٢. المصدر: أقاليم.

٤. المصدر: طوال.

٦. أنوار التنزيل ٢٥/٢.

٨. ليس في أ، ب.

١. الخصال ٣٧٥/٢، ح ٤٠.

٣. المجمع ٤٩٤/٣.

٥. ليس في المصدر.

٧. نفس المصدر والموضع.

- وقرأ^(١) حمزة والكسائي: «خراجاً» وكلاهما واحد، كالنول^(٢) والنوال.
- وقيل^(٣): «الخراج» على الأرض والذمة، و«الخراج» المصدر.
- ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٤): يحجز دون خروجهم علينا.
- وقد ضمه من ضم «السدين» غير حمزة والكسائي.
- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: ما جعلني^(٥) فيه مكيئاً من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج، ولا حاجة بي إليه.
- وقرأ^(٦) ابن كثير: «مكَّنني» على الأصل.
- ﴿فَاعْيُونِي بِقُوَّةٍ﴾: [أي بقوة]^(٧) فَعَلَّة. أو بما أتقوى به من الآلات.
- ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾^(٨): حاجزاً حصيناً، وهو أكبر من السد، من قولهم: ثوب مردم: إذا كان رقاعاً^(٩) فوق رقاع.
- ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: قطعه. و«الزبرة» القطعة الكبيرة.
- وهو لا ينافي^(١٠) ردّ الخراج^(١١) والاقتصار على المعونة، لأن الإيتاء بمعنى المناولة.
- ويدلّ عليه^(١٢) قراءة أبي بكر: «ردماً آتوني» بكسر التنوين موصولة الهمزة، على معنى: جيئوني بزبر الحديد، والباء محذوفة حذفها في: أمرتك الخير، ولأن^(١٣) إعطاء الآلة
-
١. نفس المصدر والموضع.
 ٢. النول: أجرة السفينة.
 ٣. نفس المصدر والموضع.
 ٤. كذا في أنوار التنزيل ٢/٢٥٠. وفي النسخ: أما جعلته.
 ٥. نفس المصدر والموضع.
 ٦. من نفس المصدر والموضع.
 ٧. كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: رقاع.
 ٨. أي طلب إيتاء زبر الحديد غير مناف لردّ الخراج، لأن أداء الخراج أن لا يقبل تملك عين من الأعيان وطلب إيتاء زبر الحديد طلب مناوئته وإن لم يكن ملكاً للطالب.
 ٩. أ، ب: الخرائج.
 ١٠. أي على أن الإيتاء ليس بمعنى الإعطاء والتملك «آتوني» بوصل الهمزة فإن من المعلوم أنه من المناولة.
 ١١. هذا وجه آخر لنفي منافاة ردّ الخراج مع طلب إيتاء زبر الحديد، وتوضيحه: أن ردّ الخراج عدم قبول الأجرة على العمل وطلب آلات العمل غير طلب الأجرة.

من الإعانة بالقوة^(١) دون الخراج على العمل.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ذا القرنين خيّر بين السحاب الصعب والسحاب الذلول، فاختار الذلول فركب الذلول، فكان إذا انتهى إلى قوم كان رسول نفسه إليهم لكي لا يكذب الرسول.
عن حارث بن حبيب^(٣) قال: أتى رجل علياً عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن ذي القرنين.

فقال له: سُخر له السحاب، وقرنت^(٤) له الأسباب، وبُسط له في النور.

فقال له الرجل: كيف بُسط له في النور؟

فقال علي عليه السلام: كان يبصر^(٥) بالليل كما يبصر بالنهار.

ثم قال علي عليه السلام للرجل: أزيدك فيه؟ فسكت.

عن الأصبغ بن نباتة^(٦)، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سُئل عن ذي القرنين.

قال: كان عبداً صالحاً، واسمه: عياش، اختاره الله وابتعثه^(٧) إلى قرن من القرون الأولى^(٨) في ناحية المغرب، وذلك بعد طوفان نوح عليه السلام. فضربوه على قرن رأسه الأيمن فمات منها، ثم أحياه الله بعد مائة عام، ثم بعثه الله^(٩) إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المشرق فكذبوه فضربوه [ضربة على قرن^(١٠) رأسه الأيسر فمات منها، ثم أحياه الله بعد مائة عام وعوّضه [الله]^(١١) من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع^(١٢). الضربتين أجوفين، وجعل عين^(١٣) ملكه وآية نبوته في قرنيه^(١٤).

١. كذا في أنوار التنزيل ٢/٢٥٥. وفي النسخ: والقوة.

٢. تفسير العياشي ٢/٣٣٩-٣٤٠، ح ٧٢. ٣. نفس المصدر والمجلّد ٣٤١، ح ٧٨.

٤. المصدر: قرّبت. ٥. المصدر: يبصره.

٦. تفسير العياشي ٢/٣٤١-٣٤٩، ح ٧٩. ٧. أ، ب: ابعثه.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: الأول. ٩. ليس في المصدر.

١٠. المصدر: قرنه. ١١. من المصدر.

١٢. ليس في أ، ب. ١٣. المصدر: عزّ.

١٤. المصدر: قرنه.

ثُمَّ رَفَعَهُ [الله] ^(١) إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَشَطَ لَهُ عَنِ الْأَرْضِ كُلِّهَا؛ جِبَالَهَا وَسَهُولَهَا وَفُجَاجَهَا، ثُمَّ أَبْصَرَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَآتَاهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عِلْماً يَعْرِفُ بِهِ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَأَيَّدَهُ فِي قَرْنَيْهِ وَبَكَسَفَ ^(٢) مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ. ثُمَّ أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ. وَأَوْحَى إِلَيْهِ: «أَنْ سِرْ فِي نَاحِيَةِ غَرْبِ ^(٣) الْأَرْضِ وَشَرْقَهَا، فَقَدْ طَوَيْتَ لَكَ الْبِلَادَ وَذَلَّلْتَ لَكَ الْعِبَادَ فَأَرْهَبْتَهُمْ مِنْكَ. فَصَارَ ^(٤) ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَى نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ. فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِقَرْيَةٍ زَارَ فِيهَا كَمَا يَزَارُ الْأَسَدُ الْمَغْضَبُ، فَيَنْبَعَثُ ^(٥) مِنْ قَرْنَيْهِ ^(٦) ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ وَصَوَاقِعُ تَهْلِكُ ^(٧) مَنْ نَاوَاهُ وَخَالَفَهُ، فَلَمْ يَبْلُغْ مَغْرِبَ الشَّمْسِ حَتَّى دَانَ لَهُ [أَهْلُ] ^(٨) الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ: «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً، فَاتَّبَعَ سَبَباً، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» إِلَى قَوْلِهِ: «أَمَّا مَنْ ظَلَمَ» وَلَمْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ «فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ» فِي الدُّنْيَا بِعَذَابٍ الدُّنْيَا «ثُمَّ يَرْدُّ إِلَى رَبِّهِ» فِي مَرْجَعِهِ «فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا» إِلَى قَوْلِهِ: «وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا، ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ ^(٩) الشَّمْسِ «سَبَباً».

ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا انْتَهَى مَعَ الشَّمْسِ إِلَى الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ وَجَدَ الشَّمْسَ تَغْرُبُ فِيهَا وَمَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا بِسُلَاسِلِ الْحَدِيدِ وَالْكَلَالِبِ، يَجْرُونَهَا مِنْ قَعْرِ الْبَحْرِ فِي قَطَرٍ ^(١٠) الْأَرْضِ الْأَيْمَنِ، كَمَا تَجْرِي السَّفِينَةُ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ. فَلَمَّا انْتَهَى مَعَهَا إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ سَبَباً «وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ» إِلَى قَوْلِهِ: «بِمَا لَدَيْهِ خَيْرٌ».

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ وَرَدَ عَلَى قَوْمٍ قَدْ أَحْرَقَتْهُمُ الشَّمْسُ وَغَيَّرَتْ

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: يكشف.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: غربي.

٤. المصدر: فسار.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيبعث.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: قرنه.

٧. المصدر: ويهلك.

٨. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: بين.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: في قعر قطر الأرض.

أجسادهم وألوانهم حتَّى صَيَّرْتَهُمْ كَالظُّلْمَةِ، [ثم أتبع ذوالقرنين سبباً في ناحية الظلمة] ^(١) «حتَّى إذا بلغ بين السدَّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، قالوا يا ذا القرنين إنَّ يأجوج ومأجوج» خلف هذين الجبلين وهم يفسدون في الأرض، إذا كان إِيَّان ^(٢) زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السدَّين فرعوا من ثمارنا وزروعنا حتَّى لا يبقون منها شيئاً «فهل نجعل لك خرجاً» نؤذيه ^(٣) إليك في كلِّ عام «على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً» إلى قوله: «زبر الحديد».

قال: فاحتفر له جبل حديد فقلعوا له أمثال ^(٤) اللبن ^(٥) فطرح بعضه على بعض فيما بين الصدفين، وكان ذو القرنين هو أوَّل من بنى ردماً ^(٦) على الأرض، ثمَّ جعل ^(٧) عليه الحطب وألَّه فيه النار، ووضع عليه المنافخ فنفخوا عليه.

قال ^(٨): فلما ذاب قال: ائتوني بقطر ^(٩)، وهو المس الأحمر ^(١٠)، قال: فاحتفروا ^(١١) له جبلاً من مسٍّ فطرحوه على الحديد فذاب معه واختلط به، قال: «فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً» يعني يأجوج ومأجوج «قال هذا رحمة من ربِّي فإذا جاء وعد ربِّي جعله دكاء وكان وعد ربِّي حقاً». إلى هنا رواية علي بن الحسن ^(١٢) ورواية محمَّد بن نصر.

وزاد جبرئيل بن أحمد في حديثه، بأسانيد عن الأصمغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: «وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وتُفْخ» يعني يوم القيامة، وكان ذو القرنين عبداً صالحاً وكان من الله بمكان، نصح الله ^(١٣) فنصح له وأحبَّ

٢. إِيَّان الشيء: أوانه، أو حينه وأوَّله.

١. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: مثال.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أن نؤذيه.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: بناء.

٥. اللبن: الطابوق غير المفخور.

٨. ليس في المصدر.

٧. المصدر: جمع.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: المنبر الآخر.

٩. المصدر: آتوني بقسر.

١٢. بعض نسخ المصدر: الحسين.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فاحتفر.

١٣. المصدر: الله

الله فأحبّه، فكان قد سبّب له في البلاد ومكّن له فيها حتّى ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل^(١) من الملائكة يقال له: رقايل^(٢)، ينزل إليه فيحدثه ويناجيه، فبينما هو ذات يوم عنده إذ قال له ذوالقرنين: يا رقايل^(٣)، كيف عبادة أهل السماء، وأين هي من عبادة أهل الأرض؟

قال رقايل^(٤): يا ذا القرنين، وما عبادة أهل الأرض! فقال: أمّا عبادة أهل السماء ما في السماوات موضع قدم إلّا وعليه ملك قائم لا يقعد أبداً، أو راكع لا يسجد أبداً، أو ساجد لا يرفع رأسه أبداً.

فبكى ذو القرنين بكاء شديداً، فقال: يا رقايل^(٥)، إني أحب أن أعيش حتّى أبلغ من عبادة ربّي وحقّ طاعته بما هو أهله.

فقال له رقايل^(٦): يا ذا القرنين، إنّ الله في الأرض عيناً تدعى عين الحياة، فيها عزيمة من الله أنّه من يشرب منها لم يمّت حتّى يكون هو [الذي]^(٧) يسأل الله الموت، فإن ظفرت بها تعيش ما شئت.

قال: وأين تلك^(٨) العين، وهل تعرفها؟

قال: لا، غير أنا نتحدّث في السماء أنّ الله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جانّ.

فقال ذو القرنين: وأين تلك الظلمة؟

قال رقايل^(٩): ما أدري.

ثمّ صعد رقايل^(١٠)، فدخل ذا القرنين^(١١) حزن طویل من قول رقايل^(١٢) وممّا أخبره عن العين [الظلمة]^(١٣) ولم يخبره بعلم يُنتفع به^(١٤) منهما، فجمع ذو القرنين

١. المصدر: خليلاً.

٢. أ، ب: وقايل. وفي المصدر: رقايل.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: رقايل.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ذلك.

٦. أ، ب: رقايل. وفي المصدر: رقايل.

٧. المصدر: ذوالقرنين.

٨. أ، ب: رقايل. وفي المصدر: رقايل.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: رقايل.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم يخبره بظلمته ولم يخبره بعلم لم ينتفع به.

فقهاء أهل مملكته وعلماءهم وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة، فلما اجتمعوا عنده قال ذو القرنين: يا معشر الفقهاء وأهل الكتب وآثار النبوة، هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله أو من كتب من كان قبلكم من الملوك، أن الله عين تدعى عين الحياة، فيها من الله عزيمة أنه من يشرب منها لم يموت حتى يكون هو الذي يسأل الموت؟ قالوا: لا، يا أيها الملك.

قال: فهل وجدتم فيما قرأتم من الكتب، أن الله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان؟ قالوا: لا، يا أيها الملك.

فحزن عليه ذو القرنين حزناً شديداً وبكى إذ لم يُخبر عن العين والظلمة بما يحب، وكان فيمن حضر غلام من الغلمان من أولاد الأوصياء أوصياء الأنبياء، وكان ساكتاً^(١) لا يتكلم، حتى إذا أيس ذو القرنين منهم قال له الغلام: أيها الملك، إنك تسأل هؤلاء عن أمر ليس لهم به علم، وعلم ما تريد عندي. ففرح ذو القرنين فرحاً شديداً حتى نزل عن فراشه وقال له: ادن مني. فدنا منه، فقال: أخبرني.

قال: نعم، أيها الملك، إنني وجدت في كتاب آدم الذي^(٢) كُتب يوم سُمي له ما في الأرض من عين أو شجرة، فوجدت فيه أن الله عيناً تدعى [عين]^(٣) الحياة، فيها من الله عزيمة أنه من يشرب منها لم يموت حتى يكون هو الذي يسأل الله الموت، بظلمة لم يطأها إنس ولا جان.

ففرح ذو القرنين، وقال: ادن مني يا أيها الغلام، تدري أين موضعها؟ قال: نعم، وجدت في كتاب آدم أنها على قرن الشمس. يعني مطلعها. ففرح ذو القرنين، وبعث إلى أهل مملكته فجمع أشرفهم وفقهاءهم وعلماءهم

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ألتى.

١. أ: ساكتاً.

٣. من المصدر.

وأهل الحكم منهم، فاجتمع إليه ألف حكيم وعالم وفقه، فلما اجتمعوا إليه تهيأ للمسير وتأهب له بأعدّ العدة وأقوى القوة، فسار بهم يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال والفيافي والأرضين والمفاوز [فسار]^(١) اثني عشرة سنة حتى انتهى إلى طرف الظلمة، فإذا هي ليست بظلمة^(٢) ليل ولا دخان، ولكنها هواء يغور فسد^(٣) ما بين الأفقين، [فنزل]^(٤) بطرفها وعسكر عليها، وجمع علماء أهل عسكره وفقهاءهم وأهل الفضل منهم فقال: يا معشر الفقهاء والعلماء، إني أريد أن أسلك هذه الظلمة.

فخرّوا له سجداً وقالوا: يا أيها الملك، [إنّا لنعلم]^(٥) إنّك لتطلب أمراً^(٦) ما طلبه ولا سلكه أحد كان^(٧) قبلك من النبيين والمرسلين، ولا من الملوك.
قال: إنّه لا بدّ لي من طلبها.

قالوا: أيها الملك، إنّا لنعلم إنّك إذا سلكتها ظفرت بحاجتك منها بغير عنت عليك لأمرنا^(٨)، ولكننا نخاف أن يعلق بك منها^(٩) أمر يكون فيه هلاك ملكك وزوال سلطانتك وفساد من في الأرض.

فقال: لا بدّ من أن أسلكها.

فخرّوا سجداً [لله]^(١٠) وقالوا: إنّا نتبرأ إليك ممّا يريد ذو القرنين.

فقال ذو القرنين: يا معشر العلماء، أخبروني بأبصر الدواب.

قالوا: الخيل الإناث البكارة أبصر الدواب.

فانتخب من عسكره فأصاب ستة آلاف فرس إناثاً أبكاراً، وانتخب من أهل العلم

١. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: يعور فرسه.

٥. ليس في المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أمر.

٧. المصدر: أحد من كان

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا موتاً.

٩. ليس في أ، ب.

١٠. من المصدر.

والفضل والحكمة ستة آلاف رجل فدفع إلى كل رجل فرساً، وعقد لأفسحر - وهو الخضر - على ألف فرس فجعلهم على مقدّمته وأمرهم أن يدخلوا الظلمة، وسار ذو القرنين في أربعة آلاف، وأمر أهل عسكره أن يلزموا معسكره^(١) اثني عشرة سنة، فإن رجع هو إليهم إلى ذلك الوقت وإلا تفرّقوا في البلاد ولحقوا ببلادهم أو حيث شاؤوا.

فقال الخضر: أيها الملك، إننا نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضاً، كيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟

فأعطاه ذو القرنين خريزة^(٢) حمراء كأنها مشعلة^(٣) لها ضوء، فقال: خذ هذه الخريزة^(٤)، فإذا أصابكم^(٥) الضلال فارم بها إلى الأرض فإنّها تصيح، فإذا صاحت رجع أهل الضلال إلى صوتها^(٦).

فأخذها الخضر ومضى في الظلمة، وكان الخضر يرتحل وينزل ذو القرنين، فبينا الخضر يسير ذات يوم إذ عرض له واد في الظلمة، فقال لأصحابه: قفوا في هذا الموضع، لا يتحرّكن أحد منكم عن موضعه. ونزل عن فرسه فتناول الخريزة فرمى بها في الوادي، فأبطأت عنه بالإجابة حتّى ساء ظنّه^(٧) وخاف أن لا تجيبه، ثمّ أجابته فخرج إلى صوتها فإذا هي [على جانب]^(٨) العين بقعرها^(٩)، وإذا ماؤها أشدّ بياضاً من اللبن وأصفى من الياقوت وأحلى من العسل فشرب منه، ثمّ خلع ثيابه فاغتسل منها، ثمّ لبس ثيابه، ثمّ رمى بالخريزة نحو أصحابه فأجابه فخرج إلى أصحابه وركب وأمرهم بالمسير فساروا.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: بمعسكره.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: خريزة.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: مشعر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: أصاب بكم.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: سافله.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: سافله.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: سافله.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: سافله.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: سافله.

ومرّ ذو القرنين بعده فأخطأ^(١) الوادي، فسلكوا تلك الظلمة أربعين [يوماً وأربعين] ليلة^(٢)، ثم خرجوا بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر ولكنه نور، فخرجوا إلى أرض^(٣) حمراء ورملة خشخاشة فركة^(٤) كان حصاها اللؤلؤ، فإذا هو بقصر مبني على طول^(٥) فرسخ، فجاء ذو القرنين إلى الباب فعسكر عليه، ثم توجه بوجهه^(٦) وحده إلى القصر، فإذا طائر وإذا حديدة طويلة^(٧) قد وُضع طرفاها على جانبي القصر والطير أسود^(٨) معلق بأنفه^(٩) في تلك الحديدة بين السماء والأرض مزوم^(١٠) كأنه الخطاف، أو صورة الخطاف، أو شبيه الخطاف^(١١)، أو هو خطاف.

فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟

قال: أنا ذو القرنين.

قال^(١٢): أما كفالك ما وراءك حتّى وصلت إلى حدّ بابي هذا. ففرق ذو القرنين فرقاً شديداً، فقال: يا ذا القرنين، لا تخف وأخبرني.

قال: سل.

قال: هل كثر بنيان الآجر والجصّ^(١٣)؟

قال: نعم.

قال: فانتفض الطير وامتلاً حتّى ملأ من الحديد^(١٤) ثلثها، ففرق ذو القرنين.

فقال: لا تخف، وأخبرني.

١. المصدر: فأخطأوا.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: الأرض.

٤. أي كانت لينة بحيث كان يمكن فركها باليد.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: طوله.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: حليّة.

٧. المصدر: الأسود.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: بافقه.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: مرقوم.

١٠. المصدر: بالخطاف.

١١. المصدر: بالطائر يا ذا القرنين بدل «قال».

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحديد.

١٣. في المصدر: زيادة «في الأرض».

١٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحديد.

قال : سل .

قال : هل كثر المعازف ؟

قال : نعم .

قال : فانتفض الطير وامتلاً حتّى ملأ من الحديد ثلثيها ، ففرق ذو القرنين .

فقال : لا تخف ، وأخبرني .

قال : سل .

قال : هل ارتكب الناس شهادة الزور في الأرض ؟

قال : نعم ، فانتفض انتفاضة وانتفخ فسدّ ما بين جداري القصر ، قال : فامتلاً

ذو القرنين عند ذلك فرقاً منه .

فقال له : لا تخف ، وأخبرني .

قال : سل .

قال : هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله ؟

قال : لا .

فانضمّ ثلثه ^(١) ، ثم قال : يا ذا القرنين ، لا تخف وأخبرني .

قال : سل .

قال : هل ترك الناس الصلاة المفروضة ؟

قال : لا .

قال : فانضمّ ثلث آخر .

ثم قال : يا ذا القرنين ، لا تخف وأخبرني .

قال : سل .

قال : هل ترك الناس [^(٢) الغسل من الجنابة ؟

قال : لا .

قال : فانضمّ حتّى عاد إلى حاله الأولى ^(١)، وإذا هو بدرجة مدرجة ^(٢) إلى أعلى القصر .

قال : فقال الطير : يا ذا القرنين ، اسلك هذه الدرجة .

فسلكها وهو خائف لا يدري ما بهجم ^(٣) عليه حتّى استوى على ظهرها ، فإذا هو بسطح ممدود [مدّ] ^(٤) البصر ^(٥)، وإذا هو برجل شابّ أبيض مضيء ^(٦) الوجه عليه ثياب بيض ^(٧)، حتّى كأنّه رجل أو [في صورة رجل أو] ^(٨) شبيه بالرجل أو هو رجل ، وإذا هو رافع رأسه إلى السماء ينظر إليها واضع يده على فيه ، فلمّا سمع خشخشة ذي القرنين قال : من هذا ؟

قال : أنا ذو القرنين .

قال : يا ذا القرنين ، ما كفاك ما وراءك حتّى وصلت إلى !

قال ذو القرنين : مالي أراك واضعاً يدك على فيك ؟

قال : يا ذا القرنين ، أنا صاحب الصور ، وإنّ الساعة قد اقتربت ، وأنا أنتظر أن أؤمر بالنفخ فأنفخ .

ثمّ ضرب بيده فتناول حجراً فرمى به إلى ذي القرنين كأنّه حجر أو شبه ^(٩) حجر أو هو حجر ، فقال : يا ذا القرنين . خذ هذا ^(١٠)، فإنّ جاع جعت وإنّ شبع شبع ، فارجع . فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتّى خرج به إلى أصحابه ، فأخبرهم بالطير وما سألّه عنه وما قال له وما كان من أمره ، وأخبرهم بصاحب السطح وما قال له وما أعطاه ، ثمّ قال

١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : الأول .

٢ . ليس في ب . وفي أ : بدرجة .

٣ . كذا في المصدر . وفي النسخ : هو .

٤ . من المصدر .

٥ . أ ، ب : وأبصر .

٦ . كذا في المصدر . وفي أ ، ب ، ر : بضوء . وفي غيرها : بضوء .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : بياض .

٨ . ليس في أ ، ب ، ر .

٩ . ب : شبيه .

١٠ . في المصدر : خذها ، بدل «خذ هذا» .

لهم: إِنَّهُ أَعْطَانِي هَذَا الْحَجَرَ، وَقَالَ لِي: إِنْ جَاعَ جَعْتَ وَإِنْ شَبِعَ شَبِعْتَ. وَقَالَ: أَخْبِرُونِي بِأَمْرِ هَذَا الْحَجَرِ. [فَوَضَعَ الْحَجَرَ^(١)] فِي أَحَدِي^(٢) الْكَفَّتَيْنِ وَوَضَعَ حَجَرًا مِثْلَهُ فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرَى، ثُمَّ رَفَعَ^(٣) الْمِيزَانَ، فَإِذَا الْحَجَرُ الَّذِي جَاءَ بِهِ أَرْجَحَ يَمِيلُ^(٤) الْآخَرَ، فَوَضَعُوا آخَرَ فَمَالَ بِهِ حَتَّى وَضَعُوا أَلْفَ حَجَرٍ كُلُّهَا مِثْلَهُ ثُمَّ رَفَعُوا الْمِيزَانَ فَمَالَ بِهَا وَلَمْ يَسْتَمَلْ بِهِ الْأَلْفَ حَجَرًا.

فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَا عِلْمَ لَنَا بِهَذَا!

فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّكَ تَسْأَلُ هَؤُلَاءِ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ وَ[قَدْ أَوْتَيْتَ^(٥) عِلْمَ هَذَا الْحَجَرِ^(٦)].

فَقَالَ ذَوَا الْقَرْنَيْنِ: أَخْبِرْنَا بِهِ وَيَتَنَّهُ لَنَا.

فَتَنَاولَ الْخَضِرُ الْمِيزَانَ، فَوَضَعَ الْحَجَرَ الَّذِي جَاءَ بِهِ ذَوَا الْقَرْنَيْنِ فِي كَفَّةِ الْمِيزَانَ، ثُمَّ وَضَعَ حَجَرًا آخَرَ فِي كَفَّةِ أُخْرَى^(٧)، ثُمَّ وَضَعَ كَفًّا^(٨) تَرَابَ عَلَى حَجَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ يَزِيدُهُ ثِقَلًا، ثُمَّ رَفَعَ الْمِيزَانَ فَاعْتَدَلَ، وَعَجِبُوا وَخَرَوْا سَجْدًا لِلَّهِ^(٩)، وَقَالُوا: أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَبْلُغْهُ عِلْمُنَا، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الْخَضِرَ لَيْسَ بِسَاحِرٍ، فَكَيْفَ هَذَا وَقَدْ وَضَعْنَا مَعَهُ أَلْفَ حَجَرٍ كُلُّهَا مِثْلَهُ فَمَالَ بِهَا وَهَذَا قَدْ اعْتَدَلَ بِهِ وَزَادَهُ تَرَابًا؟

قَالَ ذَوَا الْقَرْنَيْنِ: بَيِّنْ - يَا خَضِرُ - لَنَا أَمْرَ هَذَا الْحَجَرِ.

فَقَالَ الْخَضِرُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ نَافِذٌ فِي عِبَادِهِ وَسُلْطَانُهُ قَاهِرٌ وَحُكْمُهُ فَاصِلٌ، وَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَى عِبَادَهُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَابْتَلَى الْعَالَمَ بِالْعَالَمِ وَالْجَاهِلَ بِالْجَاهِلِ وَالْعَالِمَ بِالْجَاهِلِ وَالْجَاهِلَ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّهُ ابْتَلَانِي بِكَ وَابْتِلَاكَ بِي.

٢. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ: أَحَدٌ.

١. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٤. الْمَصْدَرُ: بِمِثْلِ.

٣. الْمَصْدَرُ: رَفَعُوا.

٦. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ زِيَادَةٌ: «عِنْدِي».

٥. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٨. الْمَصْدَرُ: كَفَّهُ.

٧. الْأَظْهَرُ: كَفَّتَهُ الْأُخْرَى.

٩. مِنَ الْمَصْدَرِ.

فقال (ذوالقرنين)^(١): يرحمك الله يا خضر، إنما تقول: ابتلاني بك، حين جُعِلت أعلم منّي وجُعِلت تحت يدي، أخبرني يرحمك الله عن أمر هذا الحجر.

فقال الخضر: أيّها الملك، إنّ هذا الحجر مثل ضربه لك صاحب الصور، يقول: إنّ مثل بني آدم مثل هذا الحجر الذي وُضِعَ ووُضِعَ معه ألف حجر فمال بها، ثمّ إذا وُضِعَ عليه التراب شيع وعاد حجراً مثله، فيقول: كذلك مثلك^(٢)، أعطاك الله من الملك ما أعطاك فلم ترض به حتّى طلبت أمراً لم يطلبه أحد كان قبلك، ودخلت مدخلاً لم يدخله إنس ولا جانّ، يقول: كذلك ابن آدم لا يشيع حتّى يُحْثَى عليه التراب.

قال: فبكى ذو القرنين بكاء شديداً وقال: صدقت يا خضر، صُرب^(٣) لي هذا المثل لا جرم أني لا أطلب أثراً في البلاد بعد مسلّكي هذا.

ثم انصرف راجعاً في الظلمة، فبيناهم^(٤) يسرون إذ سمعوا خشخشة تحت سنابك خيلهم، فقالوا: أيّها الملك، ما هذا^(٥)؟

فقال: خذوا منه، فمن أخذ منه ندم ومن تركه ندم. فأخذ بعض وترك بعض، فلمّا خرجوا من الظلمة إذا هم بالزبرجد فندم الآخذ والتارك، ورجع ذو القرنين إلى دومة الجندل^(٦) وكان بها منزله، فلم يزل بها حتّى قبضه الله إليه.

قال: وكان ﷺ إذا حدّث بهذا الحديث قال: رحم^(٧) الله أخي ذوالقرنين^(٨) ما كان مخطئاً إذ سلك ما سلك وطلب ما طلب، ولو ظفر بوادي الزبرجد في مذهبه لما ترك

١. من المصدر. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: مثلاً.

٣. المصدر: يضرب. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ زيادة: «كذلك».

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: هذه.

٦. دومة الجندل: موضع على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ يقرب من تبوك، وهي إحدى حدود فُدك.

قيل: سمّيت بدوم بن إسماعيل، وسمّيت دومة الجندل لأنّ حصنها مبنيّ بالجندل.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: رحمه. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ذي القرنين.

فيه شيئاً^(١) إلا أخرجه للناس، لأنه كان راعباً، ولكنه ظفر به بعد ما رجع فقد زهد.

جبرئيل بن أحمد^(٢)، عن موسى بن جعفر، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير، ثم حُمِلَ في مسيره ما شاء الله، ثم ركب البحر، فلما انتهى إلى موضع منه قال لأصحابه: دلّوني فإذا حرّكت الحبل فأخرجوني، فإن لم أحرّك الحبل فأرسلوني إلى آخره. فأرسلوه في البحر وأرسلوا^(٣) الحبل مسيرة أربعين يوماً، فإذا ضارب يضرب جنت^(٤) الصندوق ويقول: يا ذا القرنين، أين تريد؟ قال: أريد أن أنظر إلى ملك ربّي في البحر كما رأيته في البر.

فقال: يا ذا القرنين،^(٥) إن هذا الموضع الذي أنت فيه مرّ فيه نوح زمان الطوفان، فسقط منه قدوم، فهو يهوي في قعر البحر إلى الساعة لم يبلغ قعره. فلما سمع ذو القرنين ذلك حرّك الحبل وخرج.

عن جميل بن دراج^(٦)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الزلزلة.

فقال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: إن ذا القرنين لَمَّا انتهى إلى السدّ جاوزه، فدخل الظلمة فإذا هو بملك قائم^(٧) طوله خمسمائة ذراع. فقال له الملك: يا ذا القرنين، أما كان خلفك مسلّك؟ فقال له ذو القرنين: ومن أنت؟

قال: أنا ملك من ملائكة الرحمان موكل بهذا الجبل، وليس من جبل خلقه الله إلا وله عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها.

عن ابن هشام^(٨)، عن أبيه، عن عمّه، عن بعض آل محمد عليه وعليهم السلام قال: إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً طويّت له الأسباب ومكّن له في البلاد، وكان قد

-
١. كذا في المصدر. وفي النسخ: سنة الزهاد.
 ٢. تفسير العياشي ٣/٢٤٩، ح ٨٠.
 ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فأرسلوا.
 ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: خشية.
 ٥. من المصدر.
 ٦. تفسير العياشي ٣/٣٥٠، ح ٨٢.
 ٧. ليس في المصدر.
 ٨. نفس المصدر والموضع ٣٤٠/٣٤١، ح ٧٧.

وُصِفَتْ^(١) له عين الحياة، وقيل له: من يشرب منها شربة لم يمت حتّى يسمع الصوت، وإنّه قد خرج في طلبها حتّى أتى موضعها، وكان في ذلك الموضع ثلاثمائة وستون عيناً، وكان الخضر على مقدّمته وكان من أشدّ أصحابه عنده، فدعاه وأعطاه وأعطى قوماً من أصحابه كلّ رجل^(٢) منهم حوتاً مملّحاً، فقال: انطلقوا إلى هذه المواضع فليغسل كلّ رجل منكم حوته عند عين، ولا يغسل معه أحد^(٣).

فانطلقوا، فلزم كلّ رجل منهم عيناً يغسل^(٤) فيها حوته، وإنّ الخضر انتهى إلى عين من تلك العيون، فلمّا غمس الحوت ووجد الحوت ريح^(٥) الماء حيي فانساب في الماء، فلمّا رأى ذلك الخضر رمى بشيابه وسقط وجعل يرتمس في الماء ويشرب ويجهّد أن يصيبه [ولا يصيبه]^(٦)، فلمّا رأى ذلك رجع فرجع أصحابه.

وأمر ذو القرنين بقبض السمك، فقال: انظروا فقد تخلّفت^(٧) سمكة. فقالوا: الخضر صاحبها.

قال: فدعاه، فقال: ما خلّفت سمكتك؟

قال: فأخبره الخبر.

فقال له: فصنعت ماذا؟

قال: سقطت عليها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها.

قال: فشربت من الماء؟

قال: نعم.

قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: أنت صاحبها.

١. المصدر: وصف.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: رجلاً.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «واحد» بدل «معه أحد».

٤. المصدر: فغسل.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: وليج.

٦. من المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: تخلّف.

عن جابر^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: تغرب الشمس في عين حمئة^(٢) في بحر دون المدينة التي [تلي]^(٣) ممّا يلي المغرب، يعني: جابلقاء^(٤).

﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: بين جانبي الجبلين بتنزيدها^(٥).

وقرأ^(٦) ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمّتين، وأبو بكر بضمّ الصاد وسكون الدال.

وقرئ^(٧) بفتح الصاد وضمّ الدال، كأنها لغات من الصدف، وهو الميل، لأنّ^(٨) كلّ منهما منعزل^(٩) من الآخر. ومنه التصادف، وهو التقابل.

﴿قَالَ انْفُخُوا﴾: أي قال للعملة: انفخوا في الأكوار والحديد.

﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾: جعل المنفوخ فيه.

﴿نَاراً﴾: كالنار بالإجماء.

﴿قَالَ أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾^(١٠): أي آتوني قطراً، أي نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً.

فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وبه تمسك البصريون على أنّ إعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى، إذ لو كان «قطراً» مفعول «أتوني» لأضمر^(١١) لأنّ بضمير مفعول «أفرغ» حذراً من الإلباس^(١٢).

١ . تفسير العياشي ٣٥٠/٢، ح ٨٣.

٢ . المصدر: حامية.

٣ . من المصدر.

٤ . كذا في المصدر. وفي أ، ب، ر: ما خلفهما. وفي غيرها: ما خلفها.

٥ . كذا في أنوار التنزيل ٢٥/٢. وفي النسخ: «أمر بتنزيدها» بدل «تنزيدها».

٦ . نفس المصدر والموضع.

٧ . نفس المصدر والموضع.

٨ . ليس في أ، ب، ر.

٩ . كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: معتدل.

١٠ . كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: لأنّ بضمير.

١١ . فإنّه لو لم يضمّر جاز في هذا التركيب أن يكون «قطر» معمولاً للفعل الأول فلزم الالتباس في أنّ «قطراً» هو مفعوله الأول أو الثاني، وأمّا إذا أضمر ارتفع الالتباس.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي^(٢) وأبو بكر: «قال اثتوني» موصولة الألف.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾: بحذف «التاء» حذراً من تلاقي متقارين.

وقرأ^(٣) حمزة بالإدغام، جامعاً بين الساكنين على غير حذّه.

وقرئ^(٤) بقلب السين صاداً.

﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه.

﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَبَأٌ﴾^(٥): لثخنه وصلابته.

قيل^(٦): حفر للأساس حتّى بلغ الماء وجعله من الصخر^(٧) والنحاس المذاب،

والبنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب والفحم حتّى ساوى أعلى الجبلين، ثم وضع

المنافخ حتّى صارت كالنار، فصبّ النحاس المذاب عليها فاختلط والتصق^(٨) بعضه

ببعض وصار جبلاً صلباً.

وقيل^(٩): بناء من الصخور، مرتبططاً بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحاس

مذاب في تجايفها.

﴿قَالَ هَذَا﴾: هذا السدّ. أو الإقدار على تسويته.

﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾: على عباده.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج. أو بقيام الساعة، بأن

شارف يوم القيامة.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: مذكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض. مصدر بمعنى: مفعول. ومنه

جمل أدك: لمنبسط السنام.

وقرأ^(١٠) الكوفيون: «دكّاء» بالمدّ، أي أرضاً مستوية.

٢. يوجد في ب.

١. نفس المصدر والموضع.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: الصفر.

٣-٥. أنوار التنزيل ٢٦٧/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي أ، ب: التحقه. وفي غيرهما: التحق.

٩. أنوار التنزيل ٢٦٧/٢.

٨. نفس المصدر والموضع.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾^(٥٨): كائناً لا محالة، وهو آخر حكاية ذي القرنين.

وفي تفسير العياشي^(١): عن المفضل قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: «أجعل بينكم وبينهم رداً».

قال: التقية. «فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً» [قال: «ما استطاعوا له نقباً»]^(٢) إذا عملت^(٣) بالتقية لم يقدروا لك^(٤) على حيلة، وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقباً.

عن جابر^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أجعل بينكم وبينهم رداً» [قال: التقية]^(٦). «فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً» [قال: هو التقية]^(٧).

عن المفضل^(٨) قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: «فإذا جاء وعد ربِّي جعله دكاً». قال: رفع التقية عند الكشف فينتقم^(٩) من أعداء الله.

وفي الكافي^(١٠): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام لأقوام يظهرون الزهد، ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف: أخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود؟ ثم ذو القرنين عبدٌ أحب فأحبه الله، طوى له الأسباب وملّكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول الحق ويعمل به، ثم لم نجد أحداً عاب ذلك [عليه]^(١١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٢): «فإذا جاء وعد ربِّي جعله دكاً وكان وعد ربِّي حقاً»

١. تفسير العياشي ٣٥١/٢، ح ٨٦.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: عمل.

٤. المصدر: في ذلك.

٥. تفسير العياشي ٣٥١/٢، ح ٨٥.

٦. من المصدر.

٧. من المصدر.

٨. نفس المصدر والموضع، ح ٨٦.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: فلينتقم.

١٠. الكافي ٧٠/٥، ح ١.

١١. من نور الثقلين ٣٠٨/٣، ح ٢٣٤.

١٢. تفسير القمي ٤١/٢.

قال: إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزمان انهدم ذلك السدّ، وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا وأكلوا الناس.

وفي مجمع البيان^(١): وجاء في الحديث: أنّهم يدأبون في حفرة نهارهم، حتّى إذا أمسوا شعاع كادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا: نرجع غدأ نفتتحة. ولا يستثنون، فيعودون الغد وقد استوى كما كان، حتّى إذا جاء وعد الله قالوا: غدأ نفتح ونخرج، إن شاء الله. فيعودون إليه وهو كهينته^(٢) حين تركوه بالأمس، فيحفرونه^(٣) ويخرجون على الناس، فينشفون المياه ويتحصّن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهينة الدماء، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث^(٤) الله عليهم نغفأ^(٥) في أقفانهم، فيدخل في آذانهم فيهلكون بها.

فقال النبي ﷺ: والذي نفس محمد ﷺ بيده، إنّ دوابّ الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكرأ.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمه الله^(٦)، بإسناده إلى حذيفة [بن] اليمان، عن النبي ﷺ عن أهل يأجوج ومأجوج قال: إنّ القوم لينقرون بمعاولهم دائبين، فإذا كان الليل قالوا: غدأ نفرغ. فيصبحون وهو أقوى منه الأمس، حتّى يسلم منهم^(٨) رجل حين يريد الله أن يبلغ أمره، فيقول المؤمن: غدأ نفتحه، إن شاء الله. فيصبحون، ثمّ يغدون عليه فيفتحه الله. فوالذي نفسي بيده، ليمرّن الرجل منهم على شاطئ الوادي الذي بكوفان وقد شربوه [و] نزحوه^(٩)، فيقول: والله، لقد رأيت هذا الوادي مرّة وإنّ الماء ليجري في عرضه.

-
- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| ١. المجمع ٤٩٥/٣. | ٢. أ: كهينة. |
| ٣. المصدر: فيخرقونه. | ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فبعث. |
| ٥. النغف: دود في أنوف الإبل والغنم. | ٦. أمالي الطوسي ٣٥٦٣٥٥/١. |
| ٧. من المصدر. | ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: منه. |
| ٩. المصدر: ينزحوه. | |

قيل: يا رسول الله، ومتى هذا؟

قال: حين لا يبقى من الدنيا إلا مثل صباية الإناء.

وفي كتاب الخصال^(١): عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كنّا جلوساً في المدينة في ظلّ حائط، قال: وكان رسول الله ﷺ في غرفة فاطلع علينا^(٢) فقال: فيم أنتم؟

قلنا: نتحدّث.

قال: عمّا ذا؟

قلنا: عن الساعة^(٣).

فقال: إنكم لا ترون الساعة حتّى تروا^(٤) قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدّجال، ودابة الأرض، وثلاثة خسوف^(٥) في الأرض؛ خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب^(٦)، وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحداً، تسوق^(٧) الناس إلى المحشر، كلّما قاموا قامت، ثمّ^(٨) تسوقهم إلى المحشر.

عن حذيفة بن أسيد^(٩) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عشر آيات بين يدي الساعة: خمس بالشرق وخمس بالمغرب، فذكر الدابة والدّجال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج، وأنه يغلبهم ويغرقهم في البحر، ولم يذكر تمام الآيات.

١. الخصال ٤٤٩/٢، ح ٥٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: إلينا.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: من.

٤. المصدر: ترون.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: زيادة «يكون».

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: عرب

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: إلا تسوق.

٨. المصدر: لهم.

٩. نفس المصدر والمجلّد ٤٤٦-٤٤٧، ح ٤٦.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: قيل^(١): وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج، حين يخرجون من وراء السد، يموجون [في بعض]^(٢) مزدحمين في البلاد. أو يموج بعض الخلق في بعض، فيضطربون ويختلطون إنهم وجنهم حيارى، ويؤيده:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: لقيام الساعة.

﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾^(٣): للحساب والجزاء.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ﴾: وأبرزناها وأظهرناها لهم

﴿عَرَضًا﴾^(٤).

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾: عن آياتي التي يُنظر إليها، فأذكر

بالتوحيد والتعظيم.

﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾^(٥): استماعاً لذكري وكلامي لإفراط صممهم عن

الحق، فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صح به وهؤلاء كأنهم أصمّت مسامعهم بالكلية.

وفي تفسير العياشي^(٦): عن الأصبع بن نباة، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وتركنا

بعضهم يومئذ يموج في بعض» يعني يوم القيامة.

عن محمد بن حكيم^(٧) قال: كتبت رقعة إلى أبي عبد الله عليه السلام فيها: أتستطيع النفس

المعرفة؟

قال: فقال: لا.

قلت: يقول الله: «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون

سمعا».

قال: هو كقوله: «وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون».

١. أنوار التنزيل ٢٦٧٢.

٣. تفسير العياشي ٣٥١/٢، ح ٨٧.

٢. من المصدر.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٨٨.

قلت: يعاتبهم^(١).

قال: لم يعتبهم^(٢) بما صنع هو بهم^(٣)، ولكن يعاتبهم^(٤) بما صنعوا، ولو لم يتكلفوا لم يكن عليهم شيء.

وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد: حدثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشي قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت، عن عبدالله بن صالح الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً»

فقال: [إن] غطاء العين لا يمنع [من] الذكر والذكر لا يرى بالعين، ولكن الله سبحانه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب بالعميان، لأنهم كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فيه ولا يستطيعون له سمعاً.

فقال المأمون: فرجت عني، فرج الله عنك. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦) قال: كانوا لا ينظرون إلى ما خلق الله من الآيات والسموات والأرض^(٧).

وبإسناده إلى أبي بصير^(٨)، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، وفيه قوله صلى الله عليه وآله: «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى» قال: يعني بالذكر: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: «ذكرى».

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: يعيبهم.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عليهم.

٦. من المصدر.

٨. تفسير القمي ٤٦٢.

١٠. نفس المصدر والمجلد ٤٧.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فعابهم.

٣. في المصدر: «قلوبهم» بدل «هوبهم».

٥. العيون ١/ ١١١-١١٢، ح ٣٣.

٧. من المصدر.

٩. من المصدر.

قلت: قوله ﷺ: «لا يستطيعون سمعاً».

قال: كانوا لا يستطيعون إذا ذكر علي صلوات الله عليه عندهم أن يسمعوا ذكره، لشدة بغض له وعداوة منهم له ولأهل بيته.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أظننوا. والاستفهام للإنكار.

وفي مجمع البيان^(١): قرأ أبو بكر في رواية الأعشى والبرجمي^(٢) عنه، وزيد عن يعقوب: «أفحسب الذين كفروا» برفع الباء وسكون السين، وهو قراءة أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾: اتخاذهم الملائكة والمسيح.

﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: معبودين نافعهم، أو لا أعدبهم به. فحذف المفعول الثاني كما يُحذف الخبر للمقربة، أو سدّ «أَنْ يَتَّخِذُوا» سدّ مفعوليه^(٣).

وقرئ^(٤): «أفحسب الذين كفروا» أي أفكافهم في النجاة. و«أَنْ» بما في حيزها مرتفع بأنّه فاعل «حسب» فإنّ النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل، أو خبر له^(٥).

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا﴾^(٦): ما يقام^(٧) للتنزيل^(٨). وفيه تهكّم وتنبية على أنّ لهم وراءها من العذاب ما تُستحقرّ دونه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٩) متصلاً بقوله: وعداوة منه له ولأهل بيته. قلت: قوله ﷺ: «أفحسب الذين كفروا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا».

١. المجمع ٤٩٦/٣.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: البرجمي.

٣. أي أفحسب الذين كفروا اتخاذا عبادي معبودين نافعهم، أو لا أعدبهم به.

٤. أنوار التنزيل ٢٦٧٢.

٥. أي أو أنّ «أَنْ» بما في حيزها مرتفع بأنّه خبر لـ «حسب».

٦. كذا في تفسير البياضوي لكن ينبغي أن يكون اللفظ هنا «ما يقدّم» لكنّه مع ذلك هو معنى «نزل» بالضم والسكون لا بضمّين كما هنا، انظر مختار الصحاح مادة «نزل».

٧. المصدر: للتنزيل وكذا في تفسير البياضوي. ٨. تفسير القمي ٤٧/٢.

قال: يعنيهما^(١) وأشياعهما الذين اتخذوهما من دون الله أولياء، وكانوا يرون أنهم بحبهم إياهما ينجيانهم من عذاب الله ﷻ وكانوا بحبهما كافرين.

قلت: قوله ﷻ: «إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا» أي منزلاً، فهي لهما ولأشياعهما مُعَدَّة^(٢) عند الله تعالى.

قلت: قوله ﷻ: «نَزْلًا».

قال: مأوئ ومنزلاً.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٣): نُصَب على التمييز وُجِعَ لأنه من أسماء الفاعلين، أو لتنوع أعمالهم^(٤).

وفي عوالي اللئالي^(٥): «وروى محمد بن الفضل، عن الكاظم عليه السلام في قول الله تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» أنهم الذين يتمادون بحج الإسلام ويسوفونه. «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»: ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة^(٦)، فإنهم خسروا دنياهم وآخرتهم.

ومحلّه الرفع على الخبر المحذوف، فإنه جواب السؤال. أو الجرّ على البدل. أو النصب على الذم^(٧).

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٨): بعجبهم، واعتقادهم أنهم على الحق.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمة الله عليه^(٩): عن الأصمغ بن نباتة قال: قال ابن

١. أي الأول والثاني عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٢. المصدر: عتيدة.

٣. فالأول أن يكون الأعمال جمع عامل، كالأشهاد جمع شاهد، وإذا كان التمييز صفة وجبت مطابقتها للمميز. وأما إذا لم يكن من أسماء الفاعلين بل يكون مصدرًا فلا يجمع إلا إذا قصد الأنواع.

٤. عوالي اللئالي ٨٦٢، ح ٢٣٢.

٥. كذا في أنوار التنزيل ٢٧/٢. وفي النسخ: كالرهابنة.

٦. كأن سائلاً يقول: من الأخسرون أعمالاً؟ فقيل: الذين ضلّ سعيهم. والجر بأن يكون بدلاً من «الأخسرين». والنصب بأن يكون التقدير: أذم الذين ضلّ سعيهم.

٧. الاحتجاج ٢٦٠/١ - ٢٦١.

الكواء لأمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني عن قول الله ﷻ: «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً» الآية.

قال: كفره أهل الكتاب اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحق فابتدعوا في أديانهم «وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».

«أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ»: بالقرآن، أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة.

«وَلَقَائِهِ»: بالبعث على ما هو عليه^(١). أو لقاء عذابه.

«فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ»: بكفرهم، فلا يثابون عليها.

«فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا»^(٢): أي فنزدي بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً.

أو لا نضع لهم ميزاناً يوزن به أعمالهم لانحباطها.

وفي عيون الأخبار^(٣)، في باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين: والبراءة من أهل^(٤) الاستنثار، ومن أبي موسى الأشعري وأهل ولايته «الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم» بولاية أمير المؤمنين عليه السلام «ولقائه» كفروا بأن لقوا الله بغير إمامته «فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» فهم كلاب أهل النار.

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن عمر الحلال، عن علي بن سويد عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن العجب الذي يفسد العمل.

١. أي بالبعث على ما هو عليه في الحقيقة، وهو بعث الأبدان أحياء يوم القيامة والجزاء على الأحوال التي أخبرت عنها الشريعة الحقّة، لا على ما قاله أهل الكتاب من أنهم لن تمسهم النار إلا أياتاً معدودة، وقد سبقت الإشارة إلى أهل الكتاب بقوله: كالحريّةيّة. ولا كما قالته الفلاسفة من أن البعث بتجرّد الروح عن

البدن وعدوة الأرواح المجردة. ٢. العيون ١٢٤/٢، ١٢٥، ح ١.

٣. الكافي ٣١٣/٢، ح ٣. ٤. ليس في أ، ب.

فقال: العجب درجات، منها أن يزین للعبد سوء عمله فيراه حسناً [فيعجبه]^(١) ويحسب أنه يحسن صنعا، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيؤمن على الله ﷻ والله عليه فيه المنة^(٢).

وفي تفسير العياشي^(٣): عن أمام بن ربيعي^(٤) قال: قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن أهل هذه الآية.

فقال: أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت^(٥) أعمالهم، وما أهل النهر منهم يبعيد.

وفي مجمع البيان^(٦): وروى العياشي بإسناده، قال: قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وذكر إلى آخر ما سبق، وزاد بعد قوله: يبعيد. يعني الخوارج.

وفيه: «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» وروي^(٧) في الصحيح، أن النبي ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة.

وفي كتاب الاحتجاج^(٨) للطبرسي عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه أهل الموقف وأحوالهم، وفيه: ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة، فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ولا يعاب بهم، [لأنهم لم يعابوا]^(٩) بأمره ونهيه يوم القيامة، فهم في جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

﴿ذَلِكَ﴾: الأمر ذلك، وقوله:

﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾: جملة مبيّنة له.

ويجوز أن يكون «ذلك» مبتدأ، والجملة خبره، والعائد محذوف، أي جزاؤهم به.

٢. المصدر: المن.

٤. أ، ب، ر: ربيعي.

٦. المجمع ٤٩٧/٣.

٨. الاحتجاج ٢٤٤/١.

١. من المصدر.

٣. تفسير العياشي ٣٥٢/٢، ح ٨٩.

٥. المصدر: فحبط.

٧. المجمع ٤٩٧/٣.

٩. ليس في المصدر.

أو «جزاؤهم» بدله، و«جهنم» خبره. أو «جزاؤهم» خبره و«جهنم» عطف بيان للخبر.
 ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾^(١٦): أي بسبب ذلك.
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^(١٧): فيما سبق
 من حكم الله ووعدده.

و«الفردوس» أعلى درجات الجنة، وأصله: البستان الذي يجمع الكرم والنخل.
 ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال مقدرة^(١٨).
 ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾^(١٩): تحوّلًا، إذ لا يجدون أطيب منها حتّى تنازعهم إليه
 أنفسهم. ويجوز أن يراد به: تأكيد الخلود.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢٠): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر^(ع) في
 قوله^(٢١): «قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم
 يحسبون أنهم يحسنون صنعا» قال: هم النصارى والقسيسون والرهبان وأهل
 الشبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع.

وقال علي بن إبراهيم^(٢٢): نزلت في اليهود وجرت في الخوارج.
 وقوله^(٢٣): «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم
 يوم القيامة وزناً» قال: أي حسنة «ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي
 ورسلي هزواً» يعني بالآيات: الأوصياء التي اتخذوها هزواً.

حدّثنا جعفر بن أحمد^(٢٤)، عن عبدالله بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي
 حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله^(ع) في قوله: «خالدين فيها لا يبغيون
 عنها حولاً» قال: «خالدين فيها» لا يخرجون منها. «ولا يبغيون عنها حولاً» قال:
 لا يريدون بها بدلاً.

١. لأن الخلود لا يتحقّق بالفعل، بل أمر مقدّر متصوّر، فإنهم يقدّرون في أنفسهم خلودهم في الجنة.

٢. تفسير القمي ٤٦٢. ٣. نفس المصدر والموضع.

٤. تفسير القمي ٤٦٢. وفيه: «محمد بن [جعفر] ل» بدل «جعفر بن»

قلت: قوله ﷺ «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي» قال: قد أخبرك أنّ كلام الله ليس له آخر ولا ينقطع أبداً. قلت: قوله^(١): «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً».

قال: هذه نزلت في أبي ذرّ والمقداد وسلمان الفارسي وعمّار بن ياسر، جعل الله ﷺ لهم جنّات الفردوس نزلاً، أي مأوى ومنزلاً.

وفي مجمع البيان^(٢): «كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً» وروى^(٣) عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: الجنّة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها درجة، منها تُفجّر أنهار الجنّة الأربعة، فإذا سألتهم الله ﷺ فاسألوه الفردوس.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمّد بن العباس ﷺ: حدّثنا ابن همام بن سهيل^(٥)، عن محمّد بن إسماعيل العلويّ، عن عيسى بن داود النجّار قال: حدّثني مولاي موسى بن جعفر ﷺ قال: سألت أبي عن قول الله ﷺ: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبعثون عنها حولاً». قال: نزلت في آل محمّد صلى الله عليهم.

وقال^(٦) أيضاً: حدّثنا محمّد بن الحسين الخثعميّ، عن محمّد بن عيسى^(٧) الحجريّ، عن عمر بن صخر الهذليّ، عن الصباح بن يحيى، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ رضي الله عنه قال: «لكلّ شيء»^(٨) ذروة^(٩)، وذروة الجنّة^(١٠) الفردوس، وهي لمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وعليهم.

١. من المصدر.

٢. المجمع ٤٩٨/٣.

٣. المجمع ٤٩٨/٣.

٤. تأويل الآيات ٢٩٨/١، ح ١٠.

٥. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٢١٢/٢ وفي النسخ: سهل.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ١١.

٧. المصدر: يحيى.

٨. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: زيادة «وذروة».

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: جنّة.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً﴾: ما يُكْتَبُ به، وهو اسم ما يمدّ به الشيء كالحبر للدواة، والسليط^(١) للسراج.

﴿لِكَلِمَاتٍ رَبِّي﴾: لكلمات علمه وحكمته.

﴿لَتَنفَذَ الْبَحْرُ﴾: لنفذ جنس البحر بأسره، لأن كل جسم متناه.

﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾: فإنها غير متناهية [لا تنفذ كعلمه.

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: بمثل البحر الموجود.

﴿مَدَداً﴾^(٢): زيادة ومعونة، لأن مجموع المتناهيين^(٣) متناه، بل مجموع ما يدخل

في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهياً للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد، والمتناهي ينفذ قبل أن ينفذ غير المتناهي لا محالة.

وقرأ^(٣) حمزة والكسائي: «ينفذ» بالياء. و«مدداً» بالكسر في الميم، جمع مدة، وهي ما يستمدّه الكاتب.

و سبب نزولها أن اليهود قالوا: في كتابكم «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» وتقرؤون: «وما أوتيت من العلم إلا قليلاً»^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): في الحديث السابق المنقول عن أبي عبد الله عليه السلام قلت: قوله: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً».

قال: قد أخبرك أنه كلام ليس له آخر ولا غاية، ولا ينقطع أبداً.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: وإنما تميّزت عنكم بذلك.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: يأمل حسن لقائه.

١. السليط: كل دهنٍ عصر من حب.

٢. ليس في أ، ب، ر.

٣. أنوار التنزيل ٢٧/٢.

٤. يعني أن الحكمة خير كثير وهذه الكثرة لا تنافي القلة، لأنها وإن كانت كثيرة فهي بالنسبة إلى كلمات الله

قليلة.

٥. تفسير القمي ٤٦/٢.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: يرتضيه الله.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١): بأن يرانيه، أو يطلب منه أجراً.

[وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ، وَالْحُسَيْنِ^(٢) بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَصَّاحٍ وَشُعَيْبِ الْعَقْرَقُوفِيِّ، جَمِيعُهُمْ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» قَالَ: يَعْنِي فِي الْخَلْقِ أَنَّهُ مِثْلُهُمْ مَخْلُوقٌ. «يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» قَالَ: لَا يَتَّخِذُ مَعَ وَلَا يَلَايَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ، وَلَا يَتَّبِعُوا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَمَنْ أَشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ بَوْلَايَتِنَا وَكَفَرَ بِهَا وَجَحَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَقَّهُ وَوَلَايَتَهُ.

وفي رواية أبي الجارود^(٣) عن أبي جعفر عليه السلام قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ» الْآيَةَ.

فقال: مَنْ صَلَّى مِرَاةَ النَّاسِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ زَكَّى مِرَاةَ النَّاسِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ صَامَ مِرَاةَ النَّاسِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ حَجَّ مِرَاةَ النَّاسِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ عَمَلَ عَمَلًا مِمَّا أَمَرَ^(٤) اللَّهُ ﷻ بِهِ مِرَاةَ النَّاسِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ ﷻ عَمَلَ مِرَاةٍ^(٥).

وفي كتاب الاحتجاج^(٦) للطبرسي عليه السلام: وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ الْيَهُودَ وَالْمُشْرِكِينَ إِذَا عَابَتُوهُ وَيَحَاجَّهُمْ؟

قال: بلى مراراً كثيرة، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ قَاعِدًا ذَاتَ يَوْمٍ بِمَكَّةَ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ ابْتَدَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَقَدْ أَدْعَيْتَ دَعْوَى عَظِيمَةً وَقُلْتَ

١. تفسير القمي ٤٧/٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. المصدر: مرآة.

٢. ليس في أ.

٤. المصدر: أمر.

٦. الاحتجاج ٣١-٢٩/١.

مقالاً هائلاً، زعمت أنك رسول رب العالمين، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشر^(١) مثلنا تأكل كما نأكل [وتشرب كما نشرب]^(٢) وتمشي في الأسواق كما نمشي!

فقال رسول الله ﷺ: اللهم أنت السامع لكل صوت والعالم بكل شيء، تعلم ما قاله عبادك. فأنزل الله ﷻ عليه: يا محمد «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق» إلى قوله: «رجلاً مسحوراً» ثم أنزل الله عليه: يا محمد «قل إنما أنا بشر مثلكم» يعني أكل الطعام «يوحي إليّ أنما إلهكم إله واحد» يعني قل لهم: أنا في البشرية مثلكم، ولكن ربي خصني بالنبوة دونكم كما يخص بعض البشر بالغنى والصحة والجمال دون بعض من البشر، فلا تنكروا أن يخصني أيضاً بالنبوة دونكم. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب التوحيد^(٣): عن عليّ عليه السلام حديث طويل، يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: فأما قوله: «بل هم بقاء ربهم كافرون» [يعني]^(٤) بالبعث، فسمّاه الله لقاءه، وكذلك قوله: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً» وقوله: «من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت» يعني بقوله: من كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب، فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية، واللقاء هو البعث، فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه فإنه يعني بذلك: البعث.

وفي كتاب علل الشرائع^(٥)، بإسناده إلى شهاب بن عبد ربّه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا توضأ لم يدع أحداً يصب عليه الماء، قال: لا أحب أن أشرك في صلاتي أحداً.

وفي أصول الكافي^(٦): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جراح المدائني،

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: بشرأ.
٢. من المصدر.
٣. التوحيد/ ٢٦٧، ح ٥.
٤. من المصدر.
٥. العلل/ ٢٧٩-٢٧٨، ح ١.
٦. الكافي/ ٢٩٣-٢٩٤، ح ٤.

عن أبي جعفر ^(١) عليه السلام في قول الله ﷻ: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنما يطلب تزكية الناس، يشتهي أن يسمع به الناس ^(٢)، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه.

ثم قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد أسرّ ^(٣) شراً فذهبت ^(٤) الأيام أبداً حتى يظهر الله له شراً.

علي بن إبراهيم ^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسرّه ذلك.

قال: لا بأس، ما من أحد إلا ويحب أن يظهر له في الناس الخير إذا لم يصنع ^(٦) ذلك لذلك.

وفي الكافي ^(٧): علي بن محمد بن عبد الله، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن الحسن بن علي الوشاء قال: دخلت على الرضا عليه السلام وبين يديه إبريق يريد أن يتهنأ للصلاة، فدنوت منه لأصّب عليه فأبى ذلك، وقال: مه يا حسن.

فقلت له: لِمَ تنهاني أن أصّب على يدك ^(٨)، تكره أن أوجر؟

قال: تؤجر أنت وأؤزر أنا.

قلت له: وكيف ذلك؟

قال: أما سمعت الله ﷻ يقول: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً». وها أنا [ذا] ^(٩) أتوضأ للصلاة، وهي العبادة، فأكره أن يشركني فيها أحد.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أن تسمع الناس به.

٤. أ، ب: فذهب.

٦. المصدر: لم يكن صنع.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: عليك.

١. المصدر: أبي عبد الله.

٣. المصدر: يشّر.

٥. الكافي ٢/٢٩٧، ح ١٨.

٧. نفس المصدر ٣/٦٩، ح ١.

٩. من المصدر.

وفي مجمع البيان^(١): «فمن كان يرجو لقاء ربه» الآية [عن سعيد بن جبيرة^(٢)] قال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله، فيذكر [ذلك]^(٣) مني وأحمد عليه فيسرني ذلك وأعجب به. فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً، فنزلت الآية.

وروي^(٤) عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله ﷻ: أنا^(٥) أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك^(٦) فيه غيري فأنا منه بريء، فهو للذي أشرك. أورده مسلم في الصحيح.

وروي^(٧) عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس^(٨) قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: من صلى صلاة يراني بها فقد أشرك، ومن صام صوماً يراني به فقد أشرك، ثم قرأ هذه الآية.

وروي^(٩) أن أبا الحسن الرضا عليه السلام دخل يوماً على المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء، فقال: لا تشرك بعبادة ربك أحداً. فصرف^(١٠) المأمون الغلام، وتولى إتمام وضوئه بنفسه.

وفي تفسير العياشي^(١١): عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً».

قال: من صلى أو صام أو اعتق أو حج يريد محمداً الناس فقد أشرك^(١٢) في عمله،

١. المجمع ٤٩٩/٣.

٢. لا داعي لوجود ما بين المعقوفتين هنا لأن صاحب مجمع البيان يعطي معنى شيء ثم يقول: عن فلان.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: إنما.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يشرك.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. أ، ب، ر: أو ين.

٩. نفس المصدر والموضع.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: فضر.

١١. تفسير العياشي ٣٢٥/٢، ح ٩٢.

١٢. المصدر: اشترك.

فهو مشرك مغفور^(١).

عن علي بن سالم^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله^(٣) لن أقبله إلا ما كان لي خالصاً. وفي رواية أخرى^(٤) عنه [إن الله يقول: ^(٥) أنا خير شريك، من عمل لي ولغيري فهو لمن عمل له دوني].

عن زرارة وحمزان^(٦)، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالوا: لو أن عبداً عمل عملاً يطلب به رحمة الله والدار الآخرة، ثم أدخل فيه رضاء أحد من الناس كان مشركاً. عن سماعة بن مهران^(٧) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحدًا».

قال: العمل الصالح المعرفة بالأنمة «ولا يشرك بعبادة ربّه أحدًا» التسليم لعلّي، لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له ولا هو من أهله.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٨) وقال النبي صلى الله عليه وآله من قرأ هذه الآية عند منامه: «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم إله واحد» إلى آخرها، سطع له نور إلى^(٩) المسجد الحرام، حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون له حتى يصبح.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(١٠)، بإسناده إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما من عبد يقرأ: «قل إنما أنا بشر مثلكم» إلى آخر السورة، إلا كان له نور من مضجعه إلى بيت الله الحرام، وإن من كان له نور من بيت الله الحرام كان له نور إلى^(١١) بيت المقدس.

١. قال الفيض عليه السلام: يعني أنّه ليس من الشرك الذي قال الله تعالى: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به» لأنّ المراد بذلك: الشرك الجلي وهذا هو الشرك الخفي.
٢. تفسير العياشي ٣٥٣/٢ ح ٩٤.
٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: وعمل.
٤. نفس المصدر والموضع، ح ٩٥.
٥. من المصدر.
٦. نفس المصدر والموضع، ح ٩٦.
٧. نفس المصدر والموضع، ح ٩٧.
٨. الفقيه ٢٩٧/١، ح ١٣٨٥.
٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: من.
١٠. ثواب الأعمال ١٣٤، ح ١.
١١. ليس في ر.

وفي مجمع البيان^(١): وروى الشيخ أبو جعفر ابن بابويه بإسناده، عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: ما من عبد يقرأ: «قل إنّما أنا بشر مثلكم» إلى آخرها، إلّا كان له نور في مضجعه إلى بيت الله الحرام، فإن كان من أهل البيت الحرام كان له [نور]^(٢) إلى بيت المقدس.

أبي بن كعب^(٣)، عن النبي ﷺ أنّه قال: ومن^(٤) قرأ الآية التي في آخرها: «قل إنّما أنا بشر مثلكم» حين يأخذ مضجعه كان له من مضجعه نور يتلأل إلى الكعبة، حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتّى يقوم من مضجعه، فإن كان في مكّة فتلاها^(٥) كان له نور^(٦) يتلأل إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلّون عليه حتّى يستيقظ. وقال^(٧) أبو عبدالله عليه السلام: ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلّا تيقظ في الساعة التي يريدّها.

وروى^(٨) هذا الخبر - كما رواه صاحب مجمع البيان - محمّد بن يعقوب، بإسناده إلى عامر بن عبدالله^(٩) بن جذاعة^(١٠) عن أبي عبدالله عليه السلام.

١ . المجمع ٤٩٩/٣ .

٢ . من المصدر .

٣ . نفس المصدر والمجلّد ٤٤٧/ .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ: إن .

٥ . كذا في المصدر . وفي النسخ: صلاها .

٦ . المصدر: نوراً .

٧ . نفس المصدر والمجلّد ٤٩٩/ .

٨ . الكافي ٥٤٠/٢، ح ١٧ .

٩ . كما في جامع الرواة ٤٢٧/١ . وفي المصدر: عبيدالله .

١٠ . كذا في المصدر وجامع الرواة ٤٢٧/١ . وفي النسخ: خزاعة .

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام^(٢) على محمّد وآله أجمعين.

أمّا بعد، فيقول الفقير إلى الله الغنيّ ميرزا محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمّي: قد شرعت في تحرير ثالث مجلّدات كنز الدقائق وبحر الغرائب، بعد أن عاقني عنه مدّة طويلة عوائق الزمان وحوادث الدوران، بإشارة بعض الأحبّاء والخلّان، ومن الله الاستعانة وعليه التكلان.

١. يوجد قبل البسملة في ن، وي بعدها في س: وبه ثقتي. وفي م بعدها: وبه نستعين.

٢. ليس في ن، س، م.

سورة مريم

سورة مريم

مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَتِسْعُونَ^(١).

فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٢): أَبِي بَنْ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بَعْدُ مِنْ صَدَقَ بِزَكَرِيَّا وَكَذَّبَ بِهِ، وَيَحْيَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى وَمُوسَى وَهَارُونَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَإِسْمَاعِيلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ^(٣)، وَبَعْدُ مِنْ دَعَا اللَّهَ وَلَدًا وَبَعْدُ مِنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ وَلَدًا.

وَفِي كِتَابِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ^(٤) بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ أَدَمَّنْ قِرَاءَةَ سُورَةِ مَرْيَمَ، لَمْ يَمُتْ [فِي الدُّنْيَا]^(٥) حَتَّى يَصِيبَ [مِنْهَا]^(٦) مَا يَغْنِيهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ. وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أَصْحَابِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ مِثْلَ^(٧) مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّنْيَا^(٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَمِيعَص﴾^(٩): أَمَالَ أَبُو عَمْرٍو^(٩) الْهَاءَ، وَابْنُ عَامِرٍ الْيَاءَ، وَالْكَسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرِ كَلِمَتَهُمَا، لِأَنَّ أَلْفَاتِ أَسْمَاءِ التَّهْجِي يَاءَاتٍ.

فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(١٠): قَدْ بَيَّنَّا فِي أَوَّلِ الْبَقَرَةِ اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ فِي الْحُرُوفِ الْمَعْجَمِ

١. من م. ٥٠٠/٣. المجمع

٢. ثواب الأعمال/١٣٤، ح ١.

٣. ليس في المصدر.

٤. من م.

٥. المصدر وم: حسنات.

٦. ليس في المصدر.

٧. من ع.

٨. يوجد هاهنا في غير نسخة م: مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ أَيُّهَا ثَمَانٌ وَتِسْعُونَ.

٩. المجمع ٥٠٢/٣.

١٠. أنوار التنزيل ٢٨/٢.

التي في أوائل السور، وشرحنا أقوالهم هناك.

وحدّث عطاء بن السائب ^(١)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس أنّه قال: كاف من كريم. وهاء من هادٍ. وياء من حكيم. وعين من عليم. وصاد من صادق. وفي رواية عطاء ^(٢) والكلبي ^(٣) عنه أنّ معناه: كافٍ لخلقه. هادٍ لعباده. يده فوق أيديهم. عالم ببريّته ^(٤). صادق في وعده.

وعلى هذا، فإنّ كلّ واحد من هذه الحروف يدلّ على صفة من صفات الله.

وروي عن أمير المؤمنين ^(٥) عليه السلام أنّه قال في دعائه: أسألك ^(٦) يا كهيعص.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٧) روي بحذف الإسناد مرفوعاً إلى سعد بن عبدالله بن خلف القميّ رحمه الله عليه قال: أردت نيّفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل، بعد أن لم أجد لها مجيباً. فقصدت مولاي أبا محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام لسرّ من رأى. فلمّا انتهيت منها إلى باب سيّدنا عليه السلام فاستأذناً. فخرج الإذن بالدخول. فلمّا دخلنا ما شَبَّهنا أبا محمّد عليه السلام حين غشّانا نور وجهه، إلّا بداراً قد استوفى ليالي أربعاً بعد العشرة، وعلى ^(٨) فخذّه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر. فسلمنا عليه. فألطف لنا في الجواب، وأمرنا بالجلوس. فلمّا جلسنا، سألته شيعته عن أمورهم في دينهم وهداياهم.

فنظر أبو محمّد العسكريّ إلى الغلام، فقال: يا بنيّ، أجب شيعتك ومواليك. فأجاب كلّ واحد عمّا في نفسه وعن تحفته، من قبل أن يسأله عنها، بأحسن جواب

١. المجمع ٥٠٢/٣.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في م والمصدر. وفي سائر النسخ: الكليني.

٤. ن: عادل في بريّته.

٥. نفس المصدر والموضع. يوجد في غيرهم بعد نقل الرواية هذه الزيادة: ذكر رحمة ربك عبده زكريّا يعني بالرحمة اجابته ايّاه حين دعاه وسأله الولد.

٦. لا يوجد في غيرم.

٧. الاحتجاج ٤٦١-٤٦٤. لخصّ المؤلّف صدر الخبر. وأورد الحديث مسنداً في كمال الدين ٤٥٤/٣.

٨. ليس في ن.

وأوضح برهان، حتى حارت عقولنا في غامر علمه وإخباره بالغايات.

ثم التفت إلي أبو محمد، وقال: ما جاء بك يا سعد؟

قلت: شوقي إلى لقاء مولانا.

فقال: ما المسائل التي أردت أن تسأل عنها؟

قلت: على حالها يا مولاي.

قال: فاسأل قرّة عيني عنها - وأوماً إلى الغلام - وعمّا بدا لك منها.

فكان بعض ما سألته أن قلت: يا ابن رسول الله، أخبرني عن تأويل «كهيعص».

فقال: هذه الحروف من أنباء الغيب. أطلع الله عبده زكريّا عليها. ثم قصّها على محمد ﷺ. وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلمه الأسماء^(١) الخمسة. فأهبط الله عليه جبرئيل، فعلمه إياها. فكان زكريّا إذا ذكر محمداً وعليّاً وفاطمة والحسن، سرى عنه همّه، وانجلي كربه. وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة.

فقال ذات يوم: إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم، تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين ﷺ تدمع عيني وتثور زفرتي؟

فأنباه تبارك وتعالى عن قصّته، فقال: «كهيعص». فالكاف اسم كربلاء. والهاء هلاك العترة. والياء يزيد لعنه الله، وهو ظالم الحسين ﷺ. والعين عطشه. والصاد صبره.

فلما سمع بذلك زكريّا، لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها^(٢) الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب. [وكانت ندبته^(٣)]: إلهي، أتفجع خير [جميع^(٤)] خلقك بولده؟! [إلهي^(٥)] أنزل بلوى هذه الرزية بفنائهِ؟! إلهي، أتلّس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟! إلهي، أتحلّ كرب هذه الفجيعة^(٦) بساحتِهما؟!

ثم كان يقول: إلهي، ارزقني ولداً تقرّب به عيني عند الكبير، [وأجعل له وارثاً وصياً].

١. م: الأسماء.

٢. المصدر: فيهنّ.

٣. المصدر: وكان يرثيه.

٤. من المصدر.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: المصيبة.

واجعل محلّه مني محلّ الحسين^(١). فإذا رزقته، فافتني بحبه. ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك ﷺ بولده. فرزقه الله يحيى، وفجعه به. وكان حمل يحيى ﷺ سنة أشهر. وحمل الحسين ﷺ كذلك.

وفي كتاب المناقب^(٢)، عنه ﷺ مثله.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٣)، عن الصادق ﷺ: معناه: أنا الكافي الهادي الولي العالم الصادق الوعد.

وعنه^(٤) ﷺ: كافٍ لشيعتنا، هادٍ لهم، وليّ لهم، عالم بأهل طاعتنا، صادق لهم وعده^(٥) حتّى يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إياها في بطن القرآن.

﴿ذُكِرَ رَحْمَةً رَبِّكَ﴾: خبر ما قبله إن أول بالسورة أو القرآن، فإنّه مشتمل عليه. أو خبر محذوف. أي هذا المثلوّ ذكر رحمة ربك، أو مبدأ حُذِف خبره، أي فيما يتلّى عليك [ذكرها]^(٦).

وقرئ^(٧): «ذَكَرَ» على الماضي، و«ذَكَرَ» على الأمر.

﴿عَبْدَهُ﴾: مفعول الرحمة [أو الذكر، على أن الرحمة]^(٨) فاعله على الاتّسع كقولك: ذكرني جود فلان.

﴿زَكَرِيَّا﴾^(٩): بدل منه، أو عطف بيان له. وهو اسم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، كان من أولاد هارون أخيه موسى.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾^(١٠): لأنّ الإخفاء والجهر عند الله سيّان، والإخفاء أشدّ إخبائاً وأكثر إخلاصاً. وفي هذا دلالة على أنّ المستحبّ في الدعاء الإخفاء، وأنّ ذلك أقرب إلى الإجابة.

٢. المناقب لابن شهر آشوب ٨٤/٤-٨٥.

٤. نفس المصدر ٢٨/ح ٦.

٦. من أنوار التنزيل ٢٨/٢.

٨. ليس في ن.

١. ليس في المصدر.

٣. المعاني ٢٢/ح ١.

٥. المصدر: وعدهم.

٧. نفس المصدر والموضع.

وفي مجمع البيان^(١): وفي الحديث: خير الدعاء الخفي. وخير الرزق ما يكفي.
أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر. أو لئلا يطَّلَع عليه مواله الذين خافهم.
أو لأنَّ ضعف الهرم أخفى صورته.

واختُلِفَ في سنَّه حيثُذ. فقيل: ستون. وقيل: سبعون. وقيل: خمس وسبعون.
وقيل: ثمانون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾: تفسير للنداء. والوهن: الضعف. وتخصيص
العظم لأنَّه دعامة البدن وأصل بنائه. ولأنَّه أصْلَب ما فيه. فإذا وهن، كان ما وراءه أوهن.
والمراد به الجنس ولذلك وُحِّد.

وقرئ^(٢) بضم العين وكسرها. ونظيره «كمل» في الحركات الثلاث.
﴿وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾: شَبَّهَ الشَّيْبَ فِي بَيَاضِهِ [وَأَنَارَتِهِ بِشَوَاطِئِ النَّارِ، وَانْتِشَارِهِ فِي
الشَّعْرِ بِاشْتِعَالِهَا. ثُمَّ أَخْرَجَ مَخْرَجَ الاسْتِعَارَةِ، وَأَسْنَدَ الْاِشْتِعَالَ إِلَى الرَّأْسِ الَّذِي^(٣) هُوَ
مَحَلُّ الشَّيْبِ مَبَالِغَةً، وَجَعَلَهُ مُمَيِّزًا إِضَاحًا لِلْمَقْصُودِ. وَاكْتَفَى بِاللَّامِ عَنِ الْإِضَافَةِ،
لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْمُخَاطَبِ بِتَعَيِّنِ الْمَرَادِ يَغْنِي عَنِ التَّقْيِيدِ.

وفي كتاب علل الشرائع^(٤) بإسناده إلى حفص بن البخري، عن أبي عبد الله عليه السلام
قال^(٥): كان الناس لا يشيَّبون. فأبصر إبراهيم عليه السلام شيئاً [في لحيته]^(٦) فقال: يا ربَّ ما
هذا؟ فقال: هذا وقار^(٧). فقال: ربَّ زدني وقاراً.

وإسناده^(٨) إلى الحسين^(٩) بن عمار، عن [نعيم، عن]^(١٠) أبي جعفر عليه السلام قال: أصبح
إبراهيم عليه السلام فرأى في لحيته شيئاً شعرة بيضاء. فقال: الحمد لله ربَّ العالمين الذي
بلغني هذا المبلغ، ولم أعص الله طرفة عين.

٢. أنوار التنزيل ٢٨/٢.

١. المجمع ٥٠٢/٣.

٤. العلل ١٠٤/١، ح ١.

٣. ليس في أ.

٦. من المصدر.

٥. من م.

٨. العلل ١٠٤/١، ح ٢.

٧. أن، وقارك.

١٠. ليس في ن.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسن.

وبإسناده^(١) إلى خالد بن إسماعيل بن أيوب المخزومي، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه سمع أبا الطفيل يحدث أن علياً عليه السلام يقول: كان الرجل يموت، وقد بلغ الهرم ولم يشب. فكان الرجل يأتي النادي فيه الرجل وبنوه، فلا يعرف الأب من^(٢) الابن، فيقول^(٣): أيكم أبوكم؟ فلما كان زمن إبراهيم عليه السلام قال^(٤): اللهم اجعل لي شيئاً أعرف به.

فقال^(٥): فشاب وابتضّ رأسه ولحيته.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(٦): أي مخيباً، بل كلما دعوتك، استجبت لي. وهو توسّل بما سلف معه من الاستجابة. وتنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتاداً، فإجابته معتادة. وأنه تعالى عوّده بالإجابة وأطمعه فيها. ومن حقّ الكريم أن لا يخيب من أطمعه.

﴿وَرَأَيْ خِفْتُ الْمَوَالِي﴾: أن لا يحسنوا خلافتي على أمتي، ويبدّلوا عليهم دينهم. في مجمع البيان^(٧): هم^(٨) العمومة وبنو العم، عن أبي جعفر عليه السلام. وقيل: هم الورثة. ﴿مِنْ وَرَائِي﴾: بعد موتي.

وعن ابن كثير^(٩) بالمد والقصر، بفتح الباء. وهو متعلّق بمحذوف. أو بمعنى الموالي. أي خفت فعل الموالي من ورائي، أو الذين يلون الأمر من ورائي. وفي الجوامع: قرأ السجّاد والباقر عليهما السلام: «خَفْتُ»^(١٠). بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء. أي قلّوا وعجزوا عن إقامة الدين. أو خفّوا ودرجوا قدامي. فعلى هذا كان الظرف معلقاً بـ«خَفْتُ».

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: و.

١. العلل/١٠٤، ح ٣.

٤. المصدر: فقال.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيقول.

٦. المجمع ٥٠٢/٣.

٥. المصدر: قال.

٨. أنوار التنزيل ٢٩/٢.

٧. المصدر: لهم.

٩. جوامع الجامع ٢٧٢/.

﴿وَكَاَنَتْ اِمْرَاَتِي عَاقِرًا﴾: عقيماً لا تلد.

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: فَإِنَّ مثله لا يرجئ إلا من فضلك وكمال قدرتك، فيأتي وامراتي لا نصلح للولادة.

﴿وَلِيًّا﴾^(٥): من صليبي، يلي أمري.

﴿يَرْثِي وَيَرْثُ مِنْ آلٍ يَغُفُّوب﴾: صفتان له.

وجزمهما أبو عمرو والكسائي^(١) على أَنهما جواب الدعاء.

وفي مجمع البيان^(٢) عن السَّجَّاد والباقر عليهما السلام أَنهما قرءا: «يرثني وأرث من آل يعقوب».

وهو يعقوب بن ماثان^(٣). وأخوه عمران بن ماثان^(٤) أبو مريم، عن الكلبي ومقاتل. وقيل^(٥)، هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنَّ زكريَّا كان متزوَّجاً بأخت [أم]^(٦) مريم بنت عمران، ونسبها يرجع إلى يعقوب؛ لأنَّها من ولد سليمان بن داود عليه السلام وهو من ولد يهودا بن يعقوب، وزكريَّا [من ولد هارون وهو]^(٧) من ولد لاوي بن يعقوب. عن السَّدي.

ثمَّ اختلف في معناه. فقليل^(٨): «يرثني» مالي «ويرث من آل يعقوب» النبوَّة. وقيل^(٩): يرث نبوَّة وبنوَّة آل يعقوب.

واستدلَّ به أصحابنا على أنَّ الأنبياء يورثون المال، فَإِنَّ المراد بالارث المذكور فيها المال دون العلم والنبوَّة، بأن قالوا: إِنَّ لفظة الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على

١. أنوار التنزيل ٢٩/٢.

٢. المجمع ٥٠٠/٣ و٥٠٢، إلَّا أنَّ فيه: وقراءة علي بن أبي طالب يرثني وأرث.

٣. كذا في م، س، والمصدر. وفي سائر النسخ: ماثان.

٤. كذا في م، س، والمصدر. وفي سائر النسخ: ماثان.

٥. المجمع ٥٠٢/٣-٥٠٣. ٦. من المصدر.

٧. ليس في م. ٨. نفس المصدر والموضع.

٩. نفس المصدر والموضع.

ما ينتقل من الموروث إلى الوارث من الأموال. ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز. ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): لم يكن يومئذ لزكريا ولد يقوم مقامه ويرثه. وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأخبار. وكان زكريا رئيس الأخبار. وكانت امرأة زكريا [أخت مريم بنت عمران بن ماثان [ويعقوب بن ماثان]^(٢). وبنو ماثان إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل]^(٣) وبنو ملوكهم، وهم من ولد سليمان بن داود.

﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٤) ترضاه قولاً وعملاً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس^(٦): حدثنا محمد بن همام بن سهيل^(٧)، عن محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود النجار قال: حدثني أبو الحسن موسى عن جعفر^(٨) قال: كنت عند أبي يوماً قاعداً حتى أتى رجل، فوقف به وقال: أفي القوم^(٩) باقر العلم ورئيسه محمد بن علي؟ قيل له: نعم.

فجلس طويلاً. ثم قام إليه فقال: يا ابن رسول الله، أخبرني عن قول الله^(١٠) في قصة زكريا: «وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ ورائي وكان امرأتي عاقراً» الآية.

قال: نعم. الموالي بنو العم، وأحب الله أن يهب له ولياً من صلبه. وذلك أنه فيما كان علم من فضل محمد^(١١) قال: يا رب، أمع ما شرفت محمداً وكرمته ورفعت ذكره حتى قرنته بذكرك، فما يمنعك - يا سيدي - أن تهب له^(١٢) ذرية من صلبه، فيكون فيها النبوة؟

قال: يا زكريا، قد فعلت ذلك بمحمد. ولا نبوة بعده، وهو خاتم الأنبياء. ولكن الإمامة لابن عمه وأخيه علي بن أبي طالب^(١٣) من بعده. وأخرجت الذرية من صلب

١. تفسير القمي ٤٨/٢.

٢. ليس في ع.

٣. ليس في أ.

٤. تأويل الآيات الباهرة ٣٠١/١-٣٠٢، ح ٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: محمد بن همام، عن سهل.

٦. المصدر: لي.

٧. المصدر: أفيكم.

عليّ إلى بطن فاطمة بنت محمد، وصيّرت بعضها من بعض. فخرجت [منه] ^(١) الأئمة حججني على خلقي. وإني مخرج من صلبك ولداً يرثك ويرث من آل يعقوب. فوهب الله له يحيى عليه السلام.

وفي الكافي ^(٢): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن خالد، عن شريف بن سابق ^(٣)، عن الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال ^(٤) رسول الله صلى الله عليه وآله: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يُعذّب صاحبه. ثمّ مرّ به من قابل، فإذا هو لم يُعذّب. فقال: يا ربّ، مررت بهذا القبر عام أول، فكان يُعذّب. ومررت به العام، فإذا هو ليس بمعذّب!! ^(٥)

فأوحى الله صلى الله عليه وآله إليه: إنّه أدرك له ولد صالح لي ^(٦)، فأصلح طريقاً وآوى يتيماً. فلهاذا غفرت له بما عمل ^(٧) ابنه.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ميراث الله صلى الله عليه وآله من عبده المؤمن ولد يعبدّه من بعده. ثمّ تلا أبو عبد الله عليه السلام آية زكريّا: «هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضياً».

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾: جواب لدائه، ووعد بإجابة دعائه. وإنّما تولّى تسميته تشريفاً له.

﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾ ^(٨): لم يسمّ أحد بيحيى قبله.

قيل ^(٩): وهو شاهد بأنّ التسمية بالأسماء الغريبة تنويه للمسمّى. وفيه أنّه لعلّ المراد سميّاً شبيهاً، كقوله ^(٩): «هل تعلم له سميّاً» لأنّ المتماثلين يشاركان في الاسم.

٢. الكافي ٣/٦-٤، ح ١٢.

٤. ليس في س وأ.

٦. ليس في المصدر.

٨. أنوار التنزيل ٢/٢٩.

١. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: سائق.

٥. من ع ون.

٧. المصدر: فعل.

٩. مريم / ٦٥.

وهو إما أعجمي - وهو الأظهر - أو منقول عن الفعل .

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا حميد بن زياد، عن أحمد بن الحسين بن بكير^(٢) قال: حَدَّثَنَا الحسن^(٣) بن علي بن فضال بإسناده إلى عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله تعالى: «لم نجعل له من قبل سمياً». قال: ذلك يحيى بن زكريا، لم يكن من قبل سمياً. وكذلك الحسين، لم يكن من قبل سمياً. ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً.

قلت: فما كان بكاءها؟ قال: تطلع الشمس حمراء [وتغيب حمراء]^(٤). قال: وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا، وقاتل يحيى بن زكريا ولد زنا.

وروى علي بن إبراهيم^(٥) في تفسيره، عن أبيه، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول - وذكر مثل ما ذكر في الخبر السابق بأدني تغيير غير مغير للمعنى.

وفي إرشاد المفيد^(٦) عليه السلام: روى سفيان بن عيينة [عن علي بن زيد]^(٧)، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: خرجنا مع الحسين بن علي عليه السلام فما نزل منزلاً ولا رحل^(٨) منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقته. وقال^(٩): ومن هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغية من بغايا بني إسرائيل.

وفي مجمع البيان^(١٠) مثله إلا أن فيه: وقال يوماً: ومن هوان الدنيا إلى آخره. «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا»^(١١) من عتا الرجل يعتو: إذا كبر وأسن. وأصله: عتو، كعقور. فاستثقلوا توالي الضمتين

١. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٢/١، ح ٣. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: بكير.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسين. ٤. ليس في المصدر وع ون وس.

٥. تأويل الآيات ٣٠٢/١، ولم نعر على الحديث في تفسير القمي.

٦. الإرشاد ٢٣٦. ٧. من المصدر.

٨. المصدر: ارتحل. ٩. المصدر: وقال يوماً.

١٠. المجمع ٥٠٤/٣.

والواوين، فكسروا التاء. فانقلبت الواو الأولى ياءً. ثُمَّ قُلِبَتِ الثانية وأدغمت.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي وحفص: «عَتِيًّا» بالكسر.

وإنما استعجب الولد من شيخ فإن عجز عاقر، اعترافاً بأن المؤثر فيه كمال قدرته تعالى وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة.

وفي روضه الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عنهم عليه السلام قال^(٣): فيما وعظ الله ﷻ به عيسى عليه السلام: ونظيرك يحيى من خلقي. [وهبته لأنه بعد الكبر من غير قوة بها. أردت بذلك أن يظهر لها سلطاني، وتظهر^(٤) فيك قدرتي.

﴿قَالَ﴾: أي الله^(٥) أو الملك المبشر، تصديقاً:

﴿كَذَلِكَ﴾: أي: الأمر كذلك. أو منصوب بـ «قال» في:

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: و«ذلك» إشاره إلى مبهم يفسره

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: وقراءة الواو^(٦) يؤيد الأول. أي الأمر كما قلت. وهو على ذلك

يهون علي. وكما وعدت، لا أحتاج فيما أريد أن أفعله، إلى الأسباب.

ومفعول «قال» الثاني محذوف.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾^(٧): بل كنت معدوماً صرفاً.

وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: علامة أستدل بها على وقت كونه^(٨).

في مجمع البيان^(٩): وروى الحكم بن عيينة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما ولد يحيى

بعد البشارة له من الله بخمس سنين.

٢. الكافي ١٣٧/٨، ح ١٠٣.

٤. المصدر: يظهر.

١. أنوار التنزيل ٢٩/٢.

٣. ليس في ع.

٥. ليس في أ.

٦. أي قراءة من قرأ: «وهو علي هين». راجع أنوار التنزيل ٢٩/٢.

٧. يوجد في هذه الفقرة بعد الرواية المنقولة من المجمع.

٨. المجمع ٥٠٥/٣.

﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^(١): سَوِيَ الخلق، ما بك من خرس ولا بكم. اعتقل لسانه من غير علة؛ يدعو الله ويسبحه، ولا يمكنه أن يكلم الناس. وهذا أمر خارج عن العادة.

وإنما ذكر الليالي هاهنا، والآيات في «آل عمران»^(٢) للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمَخْرَابِ﴾: من المصلّى. أو من الغرفة. وسَمِيَ المحراب محراباً، لأنّ المتوجّه^(٣) إليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته. والأصل فيه: مجلس الأشراف الذي يحارب دونه، ذنباً عن أهله.

قالوا: وكان زكريّا قد أخبر قومه بما بُشِّر به. فلمّا خرج عليهم، وامتنع من كلامهم، علموا إجابة دعائه، فسرّوا بذلك.

﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾: فأوأمأ إليهم، لقوله^(٤): «إلا رمزاً».

وقيل^(٥): كتب لهم على الأرض.

﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾: بأن سَبَّحُوا. و«أن» يحتمل أن تكون مصدريةً، وأن تكون مفسرةً. أي صلّوا ونزهوا ربكم.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٦): طرفي النهار.

في مجمع البيان^(٧): قال ابن جريح: أشرف عليهم زكريّا من فوق غرفة كان يصلّي فيها لا يصعد إليها إلّا بسلام. وكانوا يصلّون معه الفجر والعشاء. وكان يخرج إليهم فيأذن^(٨) لهم بلسانه. فلمّا اعتقل لسانه، خرج على عادته، وأذن لهم بغير كلام. فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته ببيحيى. فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء.

٢. كذا في المجمع ٥٠٥/٣. وفي النسخ: لأنّه للتوجه.

٤. أنوار التنزيل ٣٠/٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيؤذن.

١. آل عمران ٤١/.

٣. آل عمران ٤١/.

٥. المجمع ٥٠٥/٣.

﴿يَا يَحْيَى﴾: على تقدير القول. وفيه اختصار عجيب تقديره: فوهبنا له يحيى، وآتيناه الفهم والعقل، وقلنا له: يا يحيى.

﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾: التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجَدِّ واستظهار بالتوفيق.

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٣): في مجمع البيان^(١): أي آتيناه النبوة في حال صباه، وهو ابن ثلاث سنين. عن ابن عباس.

وروى العياشي^(٢) بإسناده عن علي بن أسباط قال: قدمت المدينة وأنا أريد مصر، فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وهو إذ ذاك خماسي فجعلت^(٣) أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر. فنظر إلي فقال لي: يا علي، إن الله قد أخذ في الإمامة، كما أخذ في النبوة، فقال [عن يوسف]^(٤): «ولمّا بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً»^(٥). وقال [عن يحيى]^(٦): «وآتيناه الحكم صبيّاً». فقد يجوز أن يؤتى الحكم ابن أربعين سنة. ويجوز أن يعطاه الصبي^(٧).

وفيه^(٨): وعن معمر قال: إن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب. فقال: ما للعب خَلِقْنَا. فأنزل الله تعالى: «وآتيناه الحكم صبيّاً». وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا عليه السلام. وفي أصول الكافي^(٩): «عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد^(١٠) الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: مات زكريّا، فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة، وهو صبي صغير. أما تسمع لقوله عليه السلام: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيّاً».

١. المجمع ٥٠٦٣. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقلت. ٤. لا يوجد في المصدر.

٥. يوسف ٢٢/. ٦. ليس في المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: في الصبي. ٨. نفس المصدر والموضع.

٩. الكافي ٣٨٢/١، ح ١.

١٠. كذا في بعض نسخ المصدر وجامع الرواة ٣٤١/٢ وفي النسخ: بريد.

فلَمَّا بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين، تكلم بالنبوة والرسالة، حين أوحى الله (١) إليه. فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين.

الحسين بن محمد (٢)، عن معلّى بن محمد، عن علي بن أسباط قال: [رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد] (٣) خرج عليّ. فأحدث النظر إليه وجعلت أنظر (٤) إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فبينما أنا كذلك حتى قعد فقال: يا عليّ، إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة، فقال: «وآتيناه الحكم صبيّاً». قال: (٥) «ولمّا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة» (٦) فقد يجوز أن يؤتى الحكمة، وهو صبيّ. ويجوز أن يؤتى الحكمة (٧)، وهو ابن أربعين سنة.

وفي كتاب الاحتجاج (٨) للطبرسي عليه السلام: وروي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم، قال لأُمير المؤمنين عليه السلام: فهذا يحيى بن زكريّا، يقال: أنّه أوتي الحكمة صبيّاً والحلم (٩) والفهم. وأنّه كان يبكي من غير ذنب. وكان يواصل الصوم.

قال له عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. إنّ يحيى بن زكريّا كان في عصر لا أوثان فيه، ولا جاهليّة، ومحمد ﷺ أوتي الحكم والفهم صبيّاً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان. فلم يرغب لهم في صنم قطّ. ولم ينشط لأعيادهم. ولم يُر منه كذب قطّ. وكان أميناً صدوقاً حليماً. [وكان] (١٠) يواصل صوم الأسبوع والأقلّ والأكثر. فيقال له في ذلك، فيقول: إنّني لست كأحدكم. إنّني أظلّ عند ربّ، فيطعمني ويسقيني. وكان يبكي عليه السلام حتى يبتل (١١) مصلّاه، خشية من الله ﷻ من

١. ليس في ع.

٢. الكافي ٣٨٤/١، ح ٧.

٣. لا يوجد في المصدر.

٤. المصدر: «فأنظرت» بدل: «فأحدث... أنظر».

٥. من المصدر.

٦. الأحقاف/١٥.

٧. المصدر: يعطاها.

٨. الاحتجاج/٢٢٣.

٩. م، ن: الحكم.

١٠. ليس في م.

١١. المصدر: تبتّل.

غير جرم. والحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب: محمد بن إسحاق بالإسناد: جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، جنتك في حاجة.

قال: وفيم جنتني؟

قال: تمشي معي إلى ابن عمك محمد عليه السلام فنسأله^(٢) أن يعقد لنا عقداً، ويكتب لنا كتاباً.

فقال: يا أبو سفيان، لقد عقد لك رسول الله صلى الله عليه وآله عقداً لا يرجع عنه أبداً.

وكانت فاطمة عليها السلام من وراء الستر، والحسن يدرج بين يديها، وهو طفل من أبناء أربعة عشر شهراً. فقال لها: يا بنت محمد، قولي لهذا الطفل يكلم لي جدّه فيسود بكلامه^(٣) العرب والعجم.

فأقبل الحسن عليه السلام إلى أبي سفيان، وضرب إحدى يديه على أنفه، والأخرى على لحيته. ثم أنطقه الله تعالى بأن قال: يا أبا سفيان، قل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. حتى أكون [لك] شفيعاً.

فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل من ذرّية محمد المصطفى صلى الله عليه وآله نظير يحيى بن زكريّا؛ «آتيناه الحكم صبيّاً».

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا علي بن سليمان الرازي، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، عن حكم^(٥) بن أيمن قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله، لقد أوتي علي عليه السلام الحكم صبيّاً، كما أوتي زكريّا الحكم صبيّاً.

١. المناقب ٦٤.

٢. المصدر: فتسأله.

٣. كذا في المصدر وفي م: بكلام. وفي سائر النسخ: كلامه.

٤. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٣/١، ح ٦.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٢٦٤/١. وفي النسخ: الحكيم.

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ : ورحمة منا عليه وتعطفاً. [عطف على الحكم] ^(١).

في محاسن البرقي ^(٢): وفي رواية أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله في كتابه: «حناناً من لدنا».

قال: قال: إنه كان يحيى إذا قال في دعائه: «يا رب، يا الله» ناداه الله من السماء: ليبيك يا يحيى. سل حاجتك ^(٣).

وفي أصول الكافي ^(٤): علي بن محمد، عن بعض أصحابه ^(٥)، عن محمد بن سنان، عن أبي سعيد المكاربي، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: فما عني بقوله في يحيى: «وحناناً من لدنا [وزكاة]» ^(٦)؟

قال: تحنن الله.

قلت: فما بلغ من تحنن الله ^(٧) عليه؟

قال: كان إذا قال: يا رب، قال الله ﷻ: ليبيك يا يحيى. [والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة] ^(٨).

﴿وَزَكَاةٌ﴾ : له وطهارة من ذنوب. أو: صدقة.

في مجمع البيان ^(٩): أي وعملاً صالحاً زاكياً. عن قتادة والضحاك وابن جريح.

وقيل ^(١٠): زكاة لمن قبل دينه، حتى يكونوا أذكاء. عن الحسن.

وقيل ^(١١): يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص. عن ابن عباس.

وقيل ^(١٢): معناه: وصدقة تصدق [الله] ^(١٣) به على أبيه. عن الكلبي.

١. ليس في ع.

٢. المحاسن ٣٥/، ح ٣٠.

٣. س، ن، ع: سل، ما حاجتك.

٤. الكافي ٥٣٤/٢ - ٥٣٥، ح ٣٨.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أصحابنا.

٦. من م.

٧. ليس في م.

٨. من م.

٩. المجمع ٥٠٦٣.

١٠. المجمع ٥٠٦٣.

١١. نفس المصدر والموضع.

١٢. نفس المصدر والموضع.

١٣. من المصدر.

وقيل^(١): معناه: وزكّيناه بحسن الثناء عليه، كما يُزكّي الشهود الإنسان. عن الجبائي.

فهذه خمسة أقوال.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾^(٢): أي مخلصاً مطيعاً متّقياً لما نهى الله عنه.

قالوا^(٣): وكان من تقواه أنّه لم يعمل خطيئة، ولم يهّم بها.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: أي بارّاً بهما، محسناً إليهما، مطيعاً لهما، لطيفاً بهما، طالبا مرضاتهما.

﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾: أي متكبراً متطاولاً على الخلق.

وقيل^(٤): الجبار: الذي يقتل ويضرب على الغضب.

﴿عَصِيًّا﴾^(٥): عاقاً، أو عاصي ربّه.

وفي تفسير الإمام^(٦) في سورة البقرة، عند تفسير قوله تعالى: «واستشهدوا شهيدين من رجالكم»: ما ألحق الله صبيّاً برجال كاملين العقول إلّا هؤلاء الأربعة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريّا، والحسن، والحسين عليهم السلام.

ثم ذكر قصّتهم، وذكر في قصّة يحيى قوله تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا». قال: ومن ذلك الحكم أنّه كان صبيّاً، فقال له الصبيان: هلم^(٧) نلعب. قال: والله ما للعب خُلِقنا. وإنّا خُلِقنا للجدّ لأمر عظيم.

ثم قال: «وحناناً من لدنّا» يعني تحنّناً ورحمة على والديه وسائر عبادنا. «وزكاة» يعني طهارة لمن آمن به وصدّقه. «وكان تقيّاً» يتقي الشرور والمعاصي. «وبرّاً بوالديه» محسناً إليهما، مطيعاً لهما. «ولم يكن جبّاراً عصيًّا» يقتل على الغضب، ويضرب على الغضب. لكنّه ما من عبد لله تعالى إلّا وقد أخطأ، أو همّ بخطيئة، ما خلا يحيى بن زكريّا؛ فلم يذنب ولم يهّم بذنب.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. ليس في م.

٣. مجمع البيان ٥٠٦٣.

٤. تفسير الإمام العسكري عليه السلام ٦٥٩.

٥. أم، هل.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾: من الله.

﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾: من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم.

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: من عذاب القبر.

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^(١): من هول القيامة وعذاب النار.

في عيون الأخبار^(١) بإسناده إلى ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج^(٢) من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يُبْعَثُ فيرى أحكاماً لم يرها في الدنيا^(٣). وقد سلم الله ﷻ على يحيى في هذه المواطن الثلاثة، وآمن روعته، فقال: «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا». وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه المواطن الثلاثة، فقال «وَالسَّلَامُ^(٤) عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ يَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا»^(٥).

﴿وَإِذْ كُتِبَ فِي الْكِتَابِ﴾: أي القرآن.

﴿مَرْيَمَ﴾: يعني قصتها.

﴿إِذْ أَنْبَذَتْ﴾: اعتزلت. بدل من مريم، بدل الاشتغال؛ لأنّ الأحيان مشتملة على ما فيها. أو بدل الكل؛ لأنّ المراد بمريم قصتها، وبالظرف الأمور الواقعة فيه، وهما واحد. أو ظرف لمضاف مقدّر.

وقيل^(٦): «إِذْ» بمعنى أن المصدرية؛ كقولك: أكرمتك، إذ لم تكرمني. فتكون بدلاً لا

محالة.

﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾^(٧): من بيت المقدس، أو في شرقي دارها.

٢. المصدر: ويوم يخرج

٤. المصدر: سلام.

٦. أنوار التنزيل ٣٠٢/٢.

١. العيون ٢٠١/١، ح ١١.

٣. المصدر: دار الدنيا.

٥. مريم ٣٣/.

قيل ^(١): ولذلك اتخذ النصراني المشرق قبلة. و«مكاناً» ظرف أو مفعول؛ لأن «انتبذت» متضمنة معنى أنت.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾: سترت من أهلها، لئلا يرونها، وتخلت للعبادة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): قال: في محرابها.

﴿فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: قال ^(٣): يعني جبرئيل.

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ^(٤): قيل ^(٥): في صورة شاب سوي الخلق.

قيل ^(٥): قعدت في مشرقه للاغتسال من الحيض، محتجة بشيء يسترها. وكانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا طهرت. فبينما هي ^(٦) في مغتسلها، أتاه جبرئيل، فتمثل بصورة شاب أمرد سوي الخلق، لتستأنس بكلامه. فأنكرته واستعاذت بالله منه.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾: من غاية عفافها.

﴿إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ ^(٧): تنقي الله وتحتفل بالاستعاذة.

وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله. أي فإني عائذة منك. أو: فتعوذ ^(٧) بتعويدي. أو: فلا تتعرض لي. ويجوز أن يكون للمبالغة. أي إن كنت تقيًّا متورعاً، فإني أعوذ منك، فكيف إذا لم تكن كذلك!

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾: الذي استعذت به.

﴿لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا﴾: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع.

ويجوز أن يكون حكاية لقول الله سبحانه. ويؤيده قراءة أبي عمرو وابن كثير ^(٨) عن نافع ويعقوب بالياء.

٢. تفسير القمي ٤٩/٢.

٤. أنوار التنزيل ٣١/٢.

٦. كذا هو الصحيح. وفي النسخ: هو.

١. أنوار التنزيل ٣٠/٢.

٣. تفسير القمي ٤٩/٢.

٥. مجمع البيان ٥٠٧/٣-٥٠٨.

٧. أنوار التنزيل ٣١/٢. فتعظ.

٨. كذا في نفس المصدر والصفحة. وفي النسخ: الأكثر.

﴿زَكِيًّا﴾^(١): طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير، أي مترقياً من سَنَ إلى سَنٍّ على الخير والصلاح.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: ولم يباشرني رجل بالحلال. فإن هذه الكنايات إنما تُطْلَقُ فيه. وأما الزنا، فإنما يقال فيه: خبث بها، وفجر، ونحو ذلك. ويعضده عطف قوله:

﴿وَلَمْ أَكْ بِعِثَاءَ﴾^(٢): زانية.

وهو فعول من البغي. قُلبت واوه ياءً، وأدغمت. ثم كُسِرَت العين إبتاعاً. ولذلك لم تلحقه التاء. أو فعيل بمعنى الفاعل، ولم تلحقه^(٣) لأنَّه للمبالغة. أو للنسبة، كطالق. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ﴾: أي ونفعل ذلك لنجعله. أو: لنبين به قدرتنا، ولنجعله.

وقيل^(٤): عطف على «لأهب» على طريقة الالتفات.

﴿آيَةً لِلنَّاسِ﴾: علامة لهم وبرهاناً على كمال قدرتنا.

﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾: على العباد يهتدون بإرشاده.

﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(٥): تعلق به قضاء الله في الأزل.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: بأن نفخ في حبيب مدرعتها، فدخلت النفخة في جوفها.

في أصول الكافي^(٦): أحمد بن مهران وعلي بن إبراهيم جميعاً، عن محمد بن علي، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنه قال لرجل نصراني سأله عن مسائل فأجابه عليه فيها:

أعجلك^(٧) أيضاً خبراً لا يعرفه إلا قليل ممن قرأ الكتب. أخبرني ما اسم أم مريم؟ وأي يوم نُفِخت فيه مريم؟ ولكم من ساعة من النهار، وأي يوم وضعت مريم فيه عيسى؟ ولكم من ساعة من النهار؟

١. يعني التاء.

٢. أنوار التنزيل ٣١/٢.

٣. أعجلك: أسبقك، أو أبادرك.

٤. الكافي ٤٧٩/١ - ٤٨٠، ح ٤.

فقال النصراني: لا أدري.

فقال أبو إبراهيم عليه السلام: أما أمّ مريم، فاسمها مرتار^(١). وهي وهيبة بالعربية. وأما اليوم الذي حملت فيه مريم، فهو يوم الجمعة للزوال. وهو اليوم الذي هبط فيه الروح الأمين. وليس للمسلمين عيد كان أولى منه. عظمه الله تبارك وتعالى وعظمه محمد ﷺ فأمر أن يجعله عيداً، فهو يوم الجمعة. وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم، فهو يوم الثلاثاء لأربع ساعات ونصف من النهار. والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه؟
قال: لا.

قال: هو الفرات. وعليه شجر النخل والكرم. وليس يساوي شيء بالفرات للكرم والنخل. فأما اليوم الذي حجت فيه لسانها، ونادى قيدوس^(٢) ولده وأشياعه، فأعانوه وأخرجوا آل عمران لينظروا إلى مريم، فقالوا لها ما قصّ الله عليك في كتابه [وعليها في كتابه]^(٣)، فهل فهمته؟

قال: نعم، وقرأته اليوم الأحداث. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وفي كتاب علل الشرائع^(٤) بإسناده إلى عبدالرحمان بن كثير^(٥) الهاشمي، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل، يقول فيه عليه السلام وقد ذكر فاطمة عليها السلام: فعلمت وحملت بالحسين عليه السلام فحملت ستة أشهر. ثم وضعته ولم يعش مولود^(٦) قطّ لستة أشهر غير الحسين بن علي عليه السلام وعيسى بن مريم عليه السلام.

وفي أصول الكافي^(٧): محمد بن يحيى، عن علي بن إسماعيل، عن محمد بن

١. المصدر: مرتا. س، أ: مرتار.

٢. من المصدر.

٣. ٢٠٦، ح ٣.

٤. كذا في المصدر. وفي ع: مشى. وفي غيرها: مشى.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «وصنعت وليس يعيش ولد». بدل «وضعته ولم يعش مولود».

٦. الكافي ١/٤٦٤-٤٦٥، ح ٤.

عمرو الزيات، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم والحسين بن علي عليهما السلام.

وفي مجمع البيان ^(١): وروي عن الباقر عليه السلام: أنه تناول جيب مدرعتها، فنفخ فيه نفخته. فكمّل الولد في الرحم من ساعته، كما يكمل الولد في أرحام النساء تسعة أشهر. فخرجت من المستحم، وهي حامل مثقل. فنظرت إليها خالتها ^(٢)، فأنكرتها. ومضت مريم على وجهها مستحية من خالتها ومن زكريّا.

وقيل ^(٣): كان حملها في تسع ساعات. وهذا مروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾: فاعتزلت وهو في بطنها.

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ^(٤): بعيداً من أهلها.

في تهذيب الأحكام ^(٥): محمد بن أحمد بن داود، عن محمد بن همام قال: حدثنا [جعفر بن محمد بن مالك قال: حدثنا] ^(٦) سعد بن عمرو الزهري قال: حدثنا بكر بن سالم، عن أبيه، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام في هذه الآية قال: خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء. فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام. ثم رجعت من ليلتها.

﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾: [فألجأها المخاض] ^(٧).

وهو في الأصل منقول من «جاء» لكنه خصّ به، كآتي في أعطى.

وقرئ ^(٨): «المخاض» بالكسر. وهما مصدر مخضت المرأة: إذا تحرّك الولد في بطنها للخروج.

﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: لتستتر به، وتعتمد عليه عند الولادة. وهو ما بين العرق والغصن.

١. المجمع ٥١١/٣.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. ليس في أ.

٧. أنوار التنزيل ٣١/٢.

٢. ليس في ن.

٤. التهذيب ٧٣/٦، ح ١٣٩.

٦. ليس في م ون.

وكانت نخلةً يابسة لا رأس لها ولا خضرة. وكان الوقت شتاء. والتعريف إما للجنس، أو للعهد؛ إذ لم يكن ثَمَّ غيرها، وكانت كالمتعالم عند الناس.

وفي أصول الكافي^(١): عَدَّة من أصحابنا، عن الحسين بن الحسن بن يزيد، عن بدر، عن أبيه قال: حَدَّثني سلام أبو علي الخراساني، عن سلام بن سعيد المخزومي قال^(٢): بينا أنا جالس عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه عباد بن كثير عابد أهل البصرة وابن شريح فقيه أهل مكة. وعند أبي عبدالله عليه السلام ميمون القَدَّاح مولى أبي جعفر عليه السلام. فسأله عباد بن كثير فقال: يا أبا عبدالله، في كم ثوب كُفِّن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: في ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين، وثوب حبرة، وكان في البرد قلة. فكأنما ازور^(٣) عباد بن كثير من ذلك. فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن نخلة مريم إنما كانت عجوة^(٤)، ونزلت من السماء. فما كان^(٥) من أصلها كان عجوة. وما كان من لقاط^(٦) فهو لون.

فلَمَّا خرجوا من عنده، قال^(٧) عباد بن كثير لابن شريح: والله، ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبدالله عليه السلام! فقال ابن شريح: هذا الغلام يخبرك، فإنه منهم. يعني ميمون.

فسأله، فقال ميمون: أما تعلم ما قال لك؟ قال: لا والله.

قال: إنه ضرب لك مثل نفسه، فأخبرك أنه ولد من رسول الله صلى الله عليه وآله [وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٨) عندهم. فما جاء من عندهم، فهو صواب. وما جاء من عند غيرهم، فهو لقاط.

٢. ليس في س.

٤. العجوة: نوع من التمر.

١. الكافي ٤٠٠/١، ح ٦.

٣. أي انحرف، أو: مال.

٥. م والمصدر: نبت.

٦. اللقاط - بالكسر -: جمع لقط - بالتحريك -: ما يلتقط من هاهنا وهاهنا من النوى ونحوه. وبالضم: الشيء

٧. ليس في ع.

الرديء.

٨. ليس في م.

﴿قَالَتَ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾: استحياء من الناس ومخافة لو مهم.
 وقرأ^(١) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر: «مَتَّ» من: مات يموت.
 في مجمع البيان^(٢): وروي عن الصادق عليه السلام: لأنها لم ترفي قومها رشيداً ذا فراسة
 ينزّهاها من السوء.

﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾: [من شأنه أن ينسى] ^(٣) لا يُطَلَّب. ونظيره الذبح لما يُذَبِّح.
 وقرأ^(٤) حمزة وحفص بالفتح. وهو لغة فيه، أو مصدر سمي به.
 وقرئ^(٥) بالهمزة. وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته.
 ﴿مُنْسِيًّا﴾ ^(٦): منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم.
 وقرئ^(٧) بكسر الميم، على الإتياع.
 ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾: عيسى عليه السلام.
 وقيل^(٨): جبرئيل عليه السلام كان يقبل الولد.
 ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾: [أي لا تحزني] ^(٩) أو: بأن لا تحزني.
 ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ^(١٠): جدولاً. كذا في الجوامع^(١١) عن النبي صلى الله عليه وآله.
 وفي مجمع البيان^(١٢): قيل: ضرب جبرئيل برجله، فظهر ماء عذب.
 وقيل^(١٣): بل ضرب عيسى برجله، فظهر عين ماء تجري. وهو المروي عن أبي
 جعفر عليه السلام.

وقيل^(١٤): سيداً من السرو، وهو عيسى.
 ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجُذُعِ النَّخْلَةِ﴾: أميليه إليك. والباء مزيدة للتأكيد. أو: افعلني الهزة به.
 أو: هزى الشجرة بهزة. والهز: تحريك بجذب ودفع.

١. أنوار التنزيل ٣٢/٢. ٢. المجمع ٥١١/٣.
 ٣. ليس في ن. ٤. أنوار التنزيل ٣٢/٢.
 ٥. ليس في ع. ٦. جوامع الجامع ٢٧٣.
 ٧. أنوار التنزيل ٣٢/٢. ٨. المجمع ٥١١/٣.
 ٩. ليس في ن. ١٠. جوامع الجامع ٢٧٣.
 ١١. أنوار التنزيل ٣٢/٢. ١٢. المجمع ٥١١/٣.
 ١٣. ليس في ن. ١٤. جوامع الجامع ٢٧٣.

﴿تَسْقِطْ عَلَيْكَ﴾ : أصله : تتساقط ، فأدغمت التاء الثانية في السين . وحذفها حمزة^(١).

وقرأ^(٢) يعقوب بالياء . وحفص : «تساقط» بمعنى أسقطت . وقرئ^(٣) : «تساقط» و«يسقط»^(٤) و«تسقط» . فالتاء للنخلة ، والياء للجدع .
﴿رُطْبًا جَنِينًا﴾^(٥) : تمييز أو مفعول به ، أي طرياً .

وكانت النخلة قد يبست منذ مدة دهر . فمدّت يدها إلى النخلة فأورقت وأثمرت ، وسقط عليها الرطب الطري ، وطابت نفسها . فقال لها عيسى : قمطيني وسويني ، ثم افعلي كذا وكذا . فقمطته وسوته .

وفي كتاب طب الأئمة^(٦) بإسناده إلى جابر بن يزيد الجعفي أن رجلاً أتى أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فقال : يا ابن رسول الله ، أغثنني ! قال : وماذا ؟ امرأتي قد أشرفت على الموت من شدة الطلق .

قال : اذهب واقرأ عليها : «فأجاءها المخاض» الآية إلى «رطباً جنيناً» . ثم ارفع صوتك بهذه الآية : «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة»^(٧) «قليلاً ما تشكرون»^(٨) كذلك اخرج أيها الطلق . فاخرج بإذن الله تعالى . فإنها تبرأ من ساعتها بإذن^(٩) الله تعالى .

﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي﴾ : من الرطب وماء السري . أو : من الرطب وعصيره .
﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ : وطيتي نفسك ، وارفضي عنها ما أحزنك ، وقرئ^(٩) بالكسر ، واشتقاقه من القرار . فإن العين إذا رأت ما يسر النفس ، سكنت من النظر إلى غيره . أو

١ . أنوار التنزيل ٣٢/٢ . ٢ . أنوار التنزيل ٣٢/٢ .

٣ . أنوار التنزيل ٣٢/٢ . ٤ . من ع .

٥ . طب الأئمة ٦٩/ . ٦ . النحل ٧٨/ .

٧ . الأعراف ١٠/ ، وغيره من السور والآيات . ٨ . المصدر : بعون .

٩ . أنوار التنزيل ٣٢/٢ .

من القرّ. فإنّ دمة السرور باردة، ودمة الحزن حارة. ولذلك يقال: قرّة العين وسختها، للمحبوب والمكروه.

وفي تهذيب الأحكام^(١): عليّ بن الحسن، عن محمّد بن عبد الله بن زرارة، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن كثير النوا، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال وقد ذكر يوم عاشوراء: وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم عليه السلام. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٢): وروى الحسن بن عليّ الوشاء، عن الرضا عليه السلام قال: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام، وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الخصال^(٣) فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه: ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به أفضل من الرطب. قال الله تعالى لمريم: «وهزي إليك» الآية.

وفي الكافي^(٤): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عدّة من أصحابه، عن عليّ بن أسباط، عن عمّه^(٥) يعقوب بن سالم يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب. فإنّ الله ﷻ قال لمريم: «وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً».

قيل: يا رسول الله، فإن لم يكن أبان^(٦) الرطب؟

قال: سبع تمرات من تمر المدينة. فإن لم يكن، فسبع تمرات من تمر أمصاركم. فإنّ الله ﷻ يقول: وعزّتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني، لا تأكل النفساء يوم تلد

٢. الفقيه ٥٤/٢، ح ٢٣٨.

١. التهذيب ٣٠٠/٤، ح ٩٠٨.

٤. الكافي ٢٢/٦، ح ٤.

٣. الخصال ٦٣٧، من حديث أربعمئة.

٦. المصدر: أوّان.

٥. لا يوجد في ع ون. وفي المصدر: عمّه.

الرطب، فيكون غلاماً، إلا كان حليماً. وإن كانت جارية [كانت] ^(١) حليمة. وفي روضة الكافي ^(٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه؛ وعلي بن محمد [جميعاً، عن القاسم بن محمد] ^(٣)، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص قال: رأيت أبا عبدالله عليه السلام يتخلل بساتين الكوفة. فانتهى إلى نخلة، فتوضأ عندها. ثم ركب وسجد. فأحصيت في سجوده ^(٤) خمسمائة تسبيحة. ثم استند إلى النخلة، فدعا بدعوات. ثم قال: يا حفص، إنها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم عليها السلام: «وهزي إليك» الآية ^(٥).

وفي كتاب المناقب ^(٦) لابن شهر آشوب: عبدالله بن كثير قال: نزل أبو جعفر عليه السلام بواد، فضرب خباء فيه. ثم خرج يمشي [حتى انتهى] ^(٧) إلى نخلة يابسة، فحمد الله عندها. ثم تكلم بكلام لم أسمع بمثله. ثم قال: أيتها النخلة، أطعمينا ممّا جعل الله فيك. فتساقط رطباً ^(٨) أحمر وأصفر. فأكل ومعه أبو أمية الأنصاري. فقال: يا أبا أمية، هذه الآية فينا كالأية في مريم أن هزي إليك، تساقط ^(٩) رطباً جنيّاً.

وفي بصائر الدرجات ^(١٠): [حدثنا موسى بن الحسن، عن أحمد بن الحسين، عن أحمد بن إبراهيم، عن عبدالله بن بكير، عن عمر بن بويه] ^(١١)، عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام.

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر ١٤٣/٨، ح ١١١.

٣. ليس في ن.

٤. س، أ، م: سجدة.

٥. في هامش نسخة م: وأما كون نخلة مريم بحوالي الكوفة مع أنها كانت بالشام وكانت تتعبد ببيت المقدس فلا استبعاد فيه لأن الأرض تطوى للأولياء. روى الثمالى عن السجّاد عليه السلام في قوله تعالى: «فانتبذت به مكاناً قصياً» (مريم/ ٢٢) قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليثها. من الوافي: ٢٣٤/٣.

٦. المناقب ١٨٨/٤.

٧. المصدر: رطب.

٨. المصدر: ليس في المصدر.

٩. المصدر: «إذ هزت إليها النخلة، فتساقط عليها» بدل «أن هزي إليك تساقط».

١٠. البصائر ٢٧٤، ح ٥.

١١. من المصدر. وفي النسخ: أحمد بن محمد.

قال: وكان أبو عبدالله البلخي معه، فانتهى إلى نخلة خاوية فقال: أيتها النخلة السامعة الطيبة^(١) المطيعة لربها، أطعمينا ممّا^(٢) جعل الله فيك. قال: فتساقط علينا رطب مختلف ألوانه. فأكلنا حتّى تضرّعنا^(٣). فقال: البلخي: جعلت فداك، سنة فيكم^(٤) كسنة مريم عليها السلام.

الهيثم النهدي^(٥)، عن إسماعيل بن مهران^(٦) [عن عبدالله بن الكناسي^(٧)] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي بن أبي طالب في بعض عمره^(٨) ومعه رجل من ولد الزبير كان^(٩) يقول بإمامته.

قال^(١٠): فنزلوا في منزل في تلك المنازل^(١١) تحت نخل يابس قد^(١٢) يبس من العطش. قال: ففرّش للحسن تحت نخلة، وللزبير تحت نخلة أخرى. قال: فقال الزبير - ورفع رأسه -: لو كان في هذا النخل رطب، لأكلنا منه. فقال له الحسن عليه السلام: وإنك لتشتهي الرطب؟ قال: نعم. فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء، ودعا بكلام لم يفهمه الزبير. فاخضرت النخلة، ثم صارت إلى حالها، فأورقت^(١٣) وحملت رطباً.

قال: فقال له الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله! فقال له الحسن عليه السلام: ويلك! ليس بسحر؛ ولكن دعوة ابن نبي^(١٤) مجاب.

١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: فيما.

٣. تضلع الرجل: امتلأ شبعاً ورثاً.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: «إليك سنة» بدل «البلخي ... فيكم».

٥. البصائر ٢٧٦، ح ١٠.

٦. المصدر: مروان.

٧. ليس في ن.

٨. المصدر: عمرة.

٩. ليس في م.

١٠. ليس في م.

١١. المصدر: «في منهل من تلك المناهل». قال: نزلوا بدل «في منزل في تلك المنازل».

١٢. المصدر: فقد.

١٣. المصدر: وفارقت.

١٤. المصدر: النبي.

قال: فصعدوا إلى النخلة حتّى يصرموا^(١) ما^(٢) كان فيها. فأكفاهم.

﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: إن تري آدمياً.

وقرئ^(٣) «ترئن» بالهمزة على لغة من يقول: لبأت بالحجّ، لتآخ بين الهمزة وحرف اللين. و«ترين» بسكون الباء والتخفيف.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: صمتاً - وقرئ^(٤) به - أو صياماً. وكانوا لا يتكلّمون في صيامهم.

في تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): وقال لها عيسى: «كلي واشربي وقري عيناَ فإمّا ترين من البشر أحداً فقولي إِنِّي نذرت للرحمن صوماً وصمتاً». كذا نزلت.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٦): وروى أبو بصير، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ الصوم^(٧) ليس من الطعام والشراب وحده. إنّ مريم قالت: «إِنِّي نذرت للرحمن صوماً» أي صمتاً. فاحفظوا ألسنتكم، وغضّوا أبصاركم. ولا تحاسدوا ولا تنازعوا^(٨)، فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب.

وفي كتاب المناقب^(٩) لابن شهر آشوب، في مناقب أبي جعفر الباقر عليه السلام: وسأل طاوس اليماني أبا جعفر عليه السلام عن صوم لا يحجز^(١٠) عن أكل وشرب. فقال عليه السلام: الصوم من قوله: «إِنِّي نذرت للرحمن صوماً».

وفي الكافي^(١١): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جراح المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده. ثم قال: قالت مريم: «إِنِّي نذرت للرحمن

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: تصرموا.

٢. المصدر: ممّا.

٣. أنوار التنزيل ٣٢٢/٢.

٤. أنوار التنزيل ٣٢٢/٢.

٥. تفسير القميّ ٤٩/٢.

٦. الفقيه ٦٧/٢، ح ٢٨٠.

٧. المصدر: الصيام.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ولا تحسدوا.

٩. المناقب ٢٠١/٤.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: يحجز.

١١. الكافي ٨٧/٤، ح ٣.

صوماً» أي [صوماً] ^(١) صمتاً [وفي نسخة أخرى: أي صمتاً. فإذا صمتم، فاحفظوا ألسنتكم، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا] ^(٢). والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي محاسن البرقي ^(٣): وعنه، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ستّة كرهها الله لي، فكرهتها للأئمة من ذريتي. ولتكرهها ^(٤) الأئمة لأتباعهم. إلى قوله: قلت: وما الرفث في الصيام؟ قال: ما كره الله لمريم في قوله: «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّم اليوم إنسياً». قال: قلت: من أي شيء؟ قال: من الكذب.

﴿فَلَنْ أَكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ^(٥) بعد أن أخبركم بنذري. إنّما أكلّم الملائكة، وأناجي ربّي.

وقيل ^(٦): أخبرتهم بنذرها بالإشارة. وأمرها بذلك لكرهه المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام. فأنّه قاطع في قطع الطاعن.

﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ مع ولدها.

﴿قَوْمَهَا﴾: راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس.

﴿تَحْمِلُهُ﴾: حاملة إياه.

﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾ ^(٧) بديعاً منكراً. من: فري الجلد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨): ففقدوها في المحراب، فخرجوا في طلبها. وخرج خالها زكريّا فأقبلت وهو في صدرها وأقبلن مؤمنات بنو إسرائيل يبزقن في وجهها. فلن ^(٩) تكلمهن حتّى دخلت في محرابها. فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريّا فقالوا لها: «يا مريم لقد جئت شيئاً فريًّا».

١. من المصدر.

٢. من م.

٣. المحاسن ١٠/، ح ٣١.

٤. المصدر: كرهها. وفي س، أ، م، ن: استكرهها.

٥. أنوار التنزيل ٣٢/٢.

٦. تفسير القمّي ٤٩/٢-٥٠.

٧. المصدر وم: فلم.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: قيل^(١): يعنون هارون النبي ﷺ وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة.

وقيل^(٢): كانت من نسله، وكان بينهما ألف سنة.

وفي مجمع البيان^(٣): عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً إلى النبي ﷺ: إن هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل، يُنسب إليه كل من عُرف بالصلاح.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): إن هارون كان رجلاً فاسقاً زانياً، فشبّهوا به.

وفي كتاب سعد السعود^(٥) لابن طاووس رحمه الله من كتاب عبدالرحمان بن محمد الأزدي: وحدثني سماك بن حرب، عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ بعثه إلى نجران، فقالوا: ألستم تقرؤون: «يا أخت هارون» وبينهما كذا وكذا؟! فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ألا قلت لهم: إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين منهم.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾^(٦): تقرير لأن ما جاءت به فري، وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى. أي كلموه ليجيبكم.

﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٧): ولم نعهد صبيّاً في المهد كلمه

عاقِل!

و«كان» زائدة. و«صبيّاً» حال من المستكّن فيه. أو تامّة، أو دائمة نحو: «وكان الله عليمّاً حكيمّاً». أو بمعنى صار.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾: أنطقه الله به أولاً، لأنه أول المقامات، وللردّ على من زعم ربوبيّته.

﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾: الإنجيل.

١. أنوار التنزيل ٣٢/٢-٣٣.

٢. أنوار التنزيل ٣٢/٢-٣٣.

٣. المجمع ٥١٢/٣.

٤. تفسير القمي ٥٠/٢.

٥. سعد السعود ٢٢١/٢.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١) ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: نفعاً.

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾: حيث كنت.

في كتاب معاني الأخبار^(١) بإسناده إلى عبدالله بن جبلة، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «وجعلني مباركاً أينما كنت» قال: نفعاً.

وفي أصول الكافي^(٢) مثله سواء.

وفي روضه الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عنهم عليه السلام قال: فيما وعظ الله ﷻ به عيسى عليه السلام، إلى قوله: فبوركت كبيراً. وبوركت صغيراً حيثما كنت. أشهد أنك عبدي ابن أمتي.

وفي أصول الكافي^(٤): عذّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن يزيد^(٥) الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبياً حجة الله^(٦) غير مرسل. أما تسمع لقوله حين قال: «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً»؟!

قلت: فكان يومئذ حجة الله على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟! فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها. وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال^(٧). ثم صمت، فلم يتكلم حتى مضت له سنتان. وكان زكريّا الحجة [الله ﷻ بعد صمت عيسى بستين ثم مات زكريّا، فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة، وهو صبي صغير. أما تسمع لقوله^(٨) ﷻ: «يا يحيى خذ

٢. الكافي ١٦٥/٢، ح ١١.

١. المعاني ٢١٢، ح ١.

٤. نفس المصدر ٣٨٢/١، ح ١.

٣. نفس المصدر ١٣٢/٨، ح ١٠٣.

٥. كذا في نسخة من المصدر. وجامع الرواة ٣٤١/٢. وفي النسخ: بريد.

٦. م: الله.

٧. ليس في س، أ، ن.

٨. ليس في أ.

الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً؟! فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين، تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله إليه. فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين. وليس تبقى الأرض - يا أبا خالد - يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس، منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

محمد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى قال: قلت للمرزا علي عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله^(٢) لك أبا جعفر، فكنْتَ تقول: يهب الله لي غلاماً. فقد وهب الله لك، فقرّ عيوننا. فلا أَرانا الله يومك، فان كان كَوُ، فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين؟! قال: وما يضرّه من ذلك شيء، وقد قام عيسى عليه السلام بالحجة، وهو ابن ثلاث سنين.

الحسين بن محمد^(٣)، عن الخيرانى، عن أبيه قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان^(٤) فقال له قائل: [يا سيدي]^(٥) إن كان كَوُ، فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني.

فكانَ القائل استصغرسنَ أبي جعفر عليه السلام. قال أبو الحسن^(٦) عليه السلام إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام.

﴿وَأَوْصَانِي﴾: أي أمرني.

﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٧): قيل^(٨).

عن الرذائل.

٢. ليس في س، أ، ن.

٤. ليس في م.

٦. من م.

١. الكافي ١/٣٨٣، ح ٢.

٣. الكافي ١/٣٨٤، ح ٦.

٥. من المصدر.

٧. أنوار التنزيل ٢/٣٣.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال الصادق عليه السلام في قوله: «وأوصاني بالصلاة والزكاة». قال: زكاة الرؤوس؛ لأن كل الناس ليست لهم أموال، وإنما الفطرة على الفقير والغني والصغير والكبير.

وفي الكافي^(٢): حدثني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله ﷻ ما هو؟

فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة. ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم قال: «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً»؟!

﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ﴾: وباراً بها. عطف على «مباركاً».

وقرئ^(٣) بالكسر، على أنه مصدر وُصِفَ به، أو منصوب بفعل دل عليه «أوصاني». أي وكلفني برّاً بوالدي. ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلاة.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾^(٤): عند الله من فرط التكبر.

في عيون الأخبار^(٥) بإسناده عن الصادق عليه السلام حديث في تعداد الكبائر، يقول عليه السلام: ومنها عقوق الوالدين؛ لأن الله ﷻ جعل العاق جباراً شقيّاً في قوله تعالى حكايةً عن^(٦) عيسى عليه السلام: «وبرّاً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقيّاً».

وفي كتاب الخصال^(٧) عن سماعة بن مهران، عن الصادق عليه السلام في حديث طويل، يقول عليه السلام: وبرّ الوالدين، وضده العقوق.

وفيه^(٨) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: برّوا آباءكم، ببرّكم^(٩) أبناؤكم. وعفّوا عن نساء

١. تفسير القمي ٥٠/٢.

٢. الكافي ٢٦٤/٣، ح ١.

٣. أنوار التنزيل ٣٣/٢.

٤. العيون ٢٢٣/١، ح ٣٣.

٥. المصدر: قال.

٦. الخصال ٥٩٠/١٣، ح ١٣.

٧. نفس المصدر ٥٥/٥٥، ح ٧٥.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: تبرّ.

الناس [تُعَفِّ نَسَاؤُكُمْ] ^(١) [٣].

وفي أصول الكافي ^(٢) بإسناده إلى الحكم بن مسكين، عن محمد بن مروان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والدیه حَيِّينَ أو مَيِّتِينَ، يَصَلِّيَ عنهما ويتصدق عنهما ويحجّ عنهما ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك. فيزيده الله ﷻ ببرّه وصلته خيراً كثيراً.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ^(٣): كما هو على يحيى. والتعريف للعهد.

قيل ^(٤): والأظهر أنه للجنس، والتعريض باللعن على أعدائه. فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه، عرّض بأن ضده عليهم. كقوله ^(٥) تعالى: «والسلام على من أتبع الهدى» فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى.

في عيون الأخبار ^(٦) بإسناده إلى ياسر الخادم، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن: يوم يولد ويخرج ^(٧) من بطن أمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، يوم يُبْعَثُ فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا. وقد سلّم الله ﷻ على يحيى في هذه الثلاثة المواطن، وآمن روعته، فقال: «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبْعَثُ حَيًّا». وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن، فقال: «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبْعَثُ حَيًّا».

وفي كتاب علل الشرائع ^(٨): عن وهب بن منبه اليماني ^(٩) قال: إن يهودياً سأل

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن نسائكم. ٢. ليس في س.

٣. الكافي ١٥٩/٢، ح ٧. ٤. أنوار التنزيل ٣٣/٢.

٥. طه ٤٧. ٦. العيون ٢٠١/١، ح ١١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: يوم ولد ويوم يخرج.

٨. العلل ٧٩-٨٠، ح ١. ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: وهب السّمانّي.

النبي ﷺ فقال: يا محمد، أكنت في أم الكتاب نبياً قبل أن يخلق آدم^(١)؟ قال: نعم.
 قال: وهؤلاء أصحابك المؤمنون مثبتون معك قبل أن يُخلَقوا؟ قال: نعم.
 قال: فما شأنك لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن أمك، كما تكلم عيسى بن مريم على زعمك، وقد كنت قبل ذلك نبياً؟!

فقال النبي ﷺ: إنه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم. إن عيسى بن مريم خلقه الله ﷻ من أم ليس له أب، كما خلق آدم من غير أب ولا أم. ولو أن عيسى حين خرج من [بطن] أمه، لم ينطق بالحكمة، لم يكن لأمه عذر عند الناس وقد أتت به من غير أب، وكانوا يأخذونها كما يؤخذ به مثلها من المحصنات. فجعل الله ﷻ منطقته عذراً لأمه.

وفي أصول الكافي^(٢): الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن أحمد ابن محمد^(٣) بن عبدالله، عن أبي مسعود^(٤)، عن عبدالله بن إبراهيم الجعفري قال: سمعت إسحاق بن جعفر يقول: [سمعت أبي يقول:]^(٥) [الأوصياء إذا حملت بهم أمهاتهم - إلى قوله: - فإذا كان الليلة التي تلد فيها، ظهر لها في البيت نور تراه ولا يراه غيرها إلا أبوه. فإذا ولدت، ولدت قاعداً، ونفجت^(٦) له حتى يخرج متربعا. ثم^(٧) يستدير^(٨) بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كانت بوجهه. ثم يعطس ثلاثاً، يشير بأصبعه بالتحميد. ويقع مسروراً^(٩) مختوناً، ورباعيته من فوق وأسفل وناباه وضاحكاه، ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور. ويقم يومه وليلته تسيل يده ذهباً، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا. وإنما الأوصياء أعلام من الأنبياء.

وفي أمالي الصدوق رحمه الله بإسناده إلى أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر

١. المصدر: «تخلق» بدل «يخلق آدم».

٢. الكافي ١/٣٨٧-٣٨٨، ح ٥.

٣. المصدر: ابن مسعود.

٤. من المصدر.

٥. من المصدر.

٦. أي ارتفعت. وفي المصدر: تفتحت. في س، أ: نفخت.

٧. ليس في المصدر.

٨. س، أ، م: يستدير.

٩. أي مقطوع السرة.

محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: لما وُلد عيسى بن مريم عليها السلام كان ابن يوم كأنه ابن شهرين . فلما كان ابن سبعة أشهر، أخذته ^(١) والدته وجاءت به إلى ^(٢) الكتاب، وأقعدته بين يدي المؤدّب.

فقال له المؤدّب: قل: بسم الله الرحمن الرحيم . [فقال عيسى عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم] ^(٣).

فقال له المؤدّب: قل: أبجد. فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال: وهل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدرّة ليضربه ^(٤). فقال: يا مؤدّب، لا تضربني. إن كنت تدري وإلا فسلني حتّى أفسّر لك. قال: فسّر لي.

فقال عيسى عليه السلام: الألف آلاء الله. والباء بهجة الله ^(٥). والجيم جمال الله. والدال دين الله. هوز: الهاء هول جهنّم. والواو ويل لأهل النار. والزاء زفير جهنّم. حطّ: الخطايا عن المستغفرين. كلمن: كلام الله، لا مبدّل لكلماته. سعفص: صاع بصاع، والجزاء بالجزاء. قرشت: قرشهم فحشرهم.

فقال المؤدّب: أيتها المرأة، خذي بيد ابنك [فقد علم] ^(٦) ولا حاجة له في المؤدّب. ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: الذي تقدّم نعته، هو عيسى بن مريم، لا ما تصفه النصارى.

وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني؛ حيث جعله الموصوف بأضداد ما يصفونه، ثمّ عكس الحكم.

﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾: خبر مبتدأ محذوف. أي هو قول الحقّ الذي لا ريب فيه. والإضافة للبيان.

١. المصدر: أخذت.

٢. ليس في المصدر.

٣. ليس في ع.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليضرب.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: والباء بهجته.

٦. من م.

وقيل ^(١): صفة عيسى أو بدله . أو خبر ثان معناه : وكلمة الله .

وقرأ ^(٢) عاصم وابن عامر ويعقوب : «قَوْلَ» بالنصب ، على أنه مصدر مؤكّد .

وقرئ ^(٣) : «قال الحقّ» وهو بمعنى القول .

«الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» ^(٤) : في أمره يشكّون ، أو يتنازعون ؛ فقالت اليهود : ساحر ، وقالت النصارى : ابن الله .

وقرئ ^(٥) بالتاء ، على الخطاب .

«مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ» : تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه .

«إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ^(٦) : تبكيت لهم بأن من إذا أراد شيئاً ^(٧)

أوجده بـ«كن» ، كان منزهاً من شبه الخلق والحاجة في اتّخاذ الولد بإحبال الإناث .

وقرئ ^(٨) : «فيكون» بالنصب على الجواب .

«وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» ^(٩) : سبق تفسيره في سورة آل

عمران .

وقرئ ^(١٠) «وَأَنَّ» بالفتح على ولأَنَّ ، أو على أنه معطوف على الصلاة .

«فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» : اليهود والنصارى . أو فرق النصارى . نسطورية

قالوا : إنه ابن الله . ويعقوبية قالوا : هو الله ، هبط إلى الأرض ، ثمّ صعد ^(١١) إلى السماء .

وملكانية قالوا : هو عبد الله ونبيّه .

«قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ» ^(١٢) : من شهود يوم عظيم هوله وحسابه و

جزاؤه ، وهو يوم القيامة . أو من وقت الشهود . أو مكانه فيه . أو من شهادة ذلك اليوم

عليهم . وهو أن يشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألستهم بالكفر والفسوق . أو من

وقت الشهادة . أو من مكانها .

٥ . ليس في س وأ .

٧ . نفس المصدر / ٣٤ .

١ - ٤ . أنوار التنزيل ٣٣/٢ .

٦ . أنوار التنزيل ٣٣/٢ .

٨ . ليس في س ، أ ، ن .

وقيل ^(١): هو ما به شهدوا في عيسى وأمه.

في أصول الكافي ^(٢): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم ^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: «وأنزل في الكيل ^(٤)»: «ويل للمطففين». ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً. قال الله تعالى: «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم».

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ﴾: تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم.

﴿يَوْمَ يَأْتُوتَنَا﴾: أي يوم القيامة، جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا أصماً وعمياً في الدنيا. أو تهديد بما سيسمعون وسيبصرون يومئذ.

وقيل ^(٥): أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحق بهم فيه. والمجورور على الأولين في موضع الرفع بالفاعلية. وعلى الثالث في موضع النصب بالمفعولية.

﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾: أوقع الظالمين موقع الضمير، إشعاراً بأنهم ظلموا أنفسهم، حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم. وسجل على إغفالهم بأنه ضلال.

﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ ^(٦) يَوْمَ الْحَسْرَةِ: يتحسر فيه الناس؛ المسيء على إساءته، والمحسن على قلة إحسانه.

وفي كتاب معاني الاخبار ^(٧): أبي جعفر عليه السلام قال: حدثنا سعد بن عبدالله، عن القاسم بن محمد الإصفهاني، عن [سليمان ^(٨) بن] داود، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام [قال: «يوم الحسرة» يوم يؤتى بالموت فيذبح.

٢. الكافي ٣٢/٢، ح ١.

٤. المطففين ١/

٦. أول الآية لا يوجد في م.

٨. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٣٤/٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: سليم.

٥. أنوار التنزيل ٣٤/٢.

٧. المعاني ١٥٦، ح ١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي وَلَادِ الْحَنَاطِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام [٢] قَالَ: سئل عن قوله: «وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ». قال: ينادي منادٍ من عند الله تعالى وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار -: يا أهل الجنة ويا أهل النار، هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون: لا.

فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار. ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت. فيشرفون. ثم يأمر الله تعالى به، فيُذَيِّج. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود، فلا موت أبداً. ويا أهل النار خلود، فلا موت أبداً. وهو قوله تعالى: «وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ». أي قضى على أهل الجنة بالخلود فيها [وقضى على أهل النار بالخلود فيها]^(٣).

وفي مجمع البيان^(٤): وروى مسلم في الصحيح، بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قيل: يا أهل الجنة، فيشرفون^(٥) وينظرون. [وقيل: يا أهل النار، فيشرفون^(٦) وينظرون]^(٧). فيجاء بالموت كأنه كبش أملح. فيقال لهم: هل^(٨) تعرفون الموت؟ فيقولون: هذا هذا. وكلّ قد عرفه.

قال: فيُقَدَّم^(٩)، فيُذَيِّج. ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت. ويا أهل النار خلود فلا موت. قال: فذلك قوله: «وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» الآية^(١٠).

١. تفسير القمي ٥٠/٢.

٢. ليس في ع ون.

٣. ليس في أ.

٤. المجمع ٥١٥/٣.

٥. المصدر: فيشرئبون.

٦. المصدر: فيشرئبون.

٧. ليس في م.

٨. ليس في المصدر.

٩. ليس في س، أ، ن.

١٠. في هامش نسخة «م»: والجمع بين الخبرين أنه إذا نودوا قبل ما ورد الموت مجسماً في صورة من الصور

ورواه أصحابنا^(١) عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. ثم جاء في آخره: فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً، لماتوا فرحاً. ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً، لماتوا.

﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب، وتصادر الفريقان إلى الجنة [والنار]^(٢). و«إذ» بدل من اليوم. أو ظرف للحسرة.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣): حال متعلقة بقوله: «في ضلال مبين». وما بينهما اعتراض. أو بـ«أنذرهم» أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين. فتكون حالاً متضمنة للتعلييل.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: لا يبقى لأحد غيرنا لا عليها ولا عليهم ملك ولا ملك. أو: تنوفى الأرض ومن عليها بالإهلاك والإفناء، توفى الوارث لإرثه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: كل شيء خلقه الله يرثه الله يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ يُزَجِّعُونَ﴾^(٥): يُرْدُّونَ للجزاء.

﴿وَإِذْ كُتِبَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمُ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً﴾: ملازماً للصدق، كثير التصديق^(٦) لكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله.

﴿نَبِيّاً﴾^(٧): استنبأه الله.

﴿إِذْ قَالَ﴾: بدل من إبراهيم، وما بينهما اعتراض. أو متعلق بـ«صديقاً» أو «نبيّاً».

﴿لِأَيِّهِ﴾: قد سبق الكلام في كونه أباه، أو أنه كان عمه أو جدّه لأمه، لطهارة آباء الأنبياء عن الشرك.

⇒ - كما يشعر به الخبر الأول - لا يعرفونه لعدم مشاهدتهم إياه مجسماً، أو لعدم إيقانهم بتجسيم الأعراس سيما الموت لأنه من الأمور التي لها وجود في نفس الأمر دون الوجود الخارجي. نعم يتصف به الأشياء في الخارج كالعمى. وإذا نودوا بعد ما رأوه مصوراً عرفوه بالهام أو غير ذلك. فيقولون: هذا - والله يعلم - كما هو الخط من الجزء الثاني.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ٥١/٢.

٣. ليس في ن.

٤. كذا في أنوار التنزيل ٣٤/٢. وفي النسخ: الصدق.

﴿يَا أَبَتِ﴾: التاء مُعْوَضَةٌ عن ياء الإضافة. فلا يقال: يا أبتى، ويقال: يا أبتا. وإنما تُذَكَّرُ للاستعطف، فلذلك كَرَرَهَا.

﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾: فيعرف حالك، ويسمع ذكرك، ويرى خضوعك؟!

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾^(١): في جلب نفع ودفع ضرر.

دعاه إلى الهدى وبين ضلاله، واحتجَّ عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب [حيث لم يصرِّح بضلاله]^(٢) بل طلب العلة التي تدعوه [إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح، ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي (هي غاية)^(٣) [٢] (٣) التعظيم، ولا تحقُّ إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام^(٤)].

ثم دعاه إلى أن يتَّبعه، ليهديه إلى الحقِّ القويم؛ فقال:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾^(٥): ولم يصفه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق؛ بل نفسه كرفيق في طريق^(٦) يكون أعرف به.

ثم تَبَطَّه عما كان عليه، بأنَّه مع خلوه عن النفع، مستلزم للضرر. فإنَّه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث أنَّه الأمر به. فقال:

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: استهجن ذلك. وبين وجه الضرر فيه، بأنَّ الشيطان مستعص على ربِّكَ المولى المنعم بقوله:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً﴾^(٧): ومعلوم أنَّ المطاوع للعاصي عاصٍ. وكلَّ عاصٍ حقيق بأنَّ تُسْتَرَدَّ منه النعم، ويتنقم منه. ولذلك عَقَبَهُ بتخويفه سوء عاقبته وما يجزئ إليه، فقال:

٢. ليس في أ.

١. من ع.

٤. من ع.

٣. ليس في س.

٥. س، م، ن: مسير طريق.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ﴿١٨﴾: قريناً في اللعن والعذاب، تليه ويليك. أو: ثابتاً في موالاته؛ فإنه أكبر من العذاب. كما أن رضوان الله أكبر من الثواب. وذكر الخوف والمَسّ، وتنكير العذاب، إما للمجاملة، أو لخفاء العاقبة.

ولعلّ اقتصاره على عصيان الشيطان من جنایاته، لارتقاء همّته في الرّبانيّة. أو لأنّه ملاكها. أو لأنّه من حيث أنّه نتيجة^(١) معاداته لآدم وذريّته ومنبه عليها.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ يَأْتِيَنِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾: قابل استعطافه ولطفه في الإرشاد، بالفظاظة وغلظة العناد. فناده باسمه، ولم يقابل «يا أبت» بـ«يا بني». وأخّره، وقدم الخبر على المبتدأ وصدّره بالهمزة، لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجّب، كأنّها ممّا لا يرغب عنها عاقل. ثمّ هدّده فقال:

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾: عن مقالك فيها أو الرغبة [عنها]^(٢).

﴿لَأَرْجِمَنَّكَ﴾: بلساني، يعني الشتم والذمّ. أو: بالحجارة حتّى تموت، أو تبعد منّي.

﴿وَأَعْجُزْنِي﴾: عطف على ما دلّ عليه «لأرجمَنَّكَ». أي فاحذرني، واهجرني.

﴿مَلِيًّا﴾ ﴿١٩﴾: زماناً طويلاً. من الملاوة. أو مليّاً بالذهاب عني.

﴿قَالَ﴾: إبراهيم:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾: توديع ومتاركة، ومقابلة للسّيئة بالحسنة. أي لا أصيبك^(٣)

بمكرهه، ولا أقول لك بعد ما يؤذيك، ولكن

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾: لعلّه يوفّقك للتوبة والإيمان. فإنّ حقيقة الاستغفار للكافر،

الدعاء بالتوفيق لما يوجب مغفرته.

﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ﴿٢٠﴾: بليغاً في البرّ والألطف.

﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: بالمهاجرة بديني.

﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾: وأعبده وحده.

﴿عَسَىٰ الْأَكْثَرُ أَنْ يَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا﴾ (١٨): خائباً ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم.

وفي تصدير الكلام بـ«عسى» التواضع وهضم النفس، والتنبيه على أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب، وأن ملاك الأمر خاتمته، وهو غيب.

في كتاب علل الشرائع (١) بإسناده إلى ابن مسعود قال: احتجوا في مسجد الكوفة، فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة، كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية؟!

فبلغ ذلك علياً عليه السلام. فأمر أن ينادي: الصلاة جامعة (٢). فلما اجتمعوا، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: معاشر الناس، إنّه بلغني عنكم كذا وكذا. قالوا: صدق أمير المؤمنين. قد قلنا ذلك.

قال: إن (٣) لي بسنة من (٤) الأنبياء أسوة فيما فعلت. قال الله تعالى في محكم (٥) كتابه (٦): «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين؟

قال: أولهم إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: «وأعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ». فإن قلت: إن إبراهيم اعتزل قومه لغير مكروه أصابه منهم، فقد كفرتم. وإن قلت: اعتزلهم لمكروه رآه منهم، فالوصي أعذر. والحديث طويل. أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي (٧): عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله عبداً

١. العلل ١٤٨/١-١٤٩، ح ٧.

٣. المصدر: فإن.

٥. ليس في المصدر.

٧. الكافي ٤٧٥/٢، ح ٦.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الجامعة.

٤. ليس في المصدر.

٦. الأحزاب ٢١/١.

طلب من الله ﷻ حاجة فآلَحَ في الدعاء، أَسْتَجِيبَ له أو لم يُسْتَجَب. وتلا هذه الآية: «وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا».

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: بالهجرة إلى الشام.
﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾: ولداً^(١).

﴿وَيَعْقُوبَ﴾: ولد ولد، بدل من فارقهم من الكفرة.

قيل^(٢): لما قصد إلى الشام، أتى أولاً حَرَّانَ، وتزوج بسارة، وولدت له إِسْحَاقَ، وولد منه يعقوب. ولعلَّ تخصيصهما بالذكر، لأنَّهما شجرتا الأنبياء. أو لأنَّه أراد أن يذكر إسماعيل بفضلَه على الانفراد.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾^(٣): وكلاً منهما أو منهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: النبوة والأموال والأولاد [وكلَّ خير ديني ودنيوي]^(٤).

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾^(٥): لسان الصدق: الثناء الحسن. عبَّرَ باللسان عما يوجد به، كما يُعبَّرُ باليد عما يُطْلَقُ باليد، وهو العطية. والعليُّ: المرتفع. فإنَّ كلَّ أهل الأديان يتولَّونه ويشنون عليه وعلى ذرِّيَّته، ويفخرون به. وهي إجابة لدعوته حيث قال^(٦): «واجعل لي لسان صدق في الآخرين».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): «فلما اعتزلهم» يعني إبراهيم. «وما يعبدون من دون الله وهبنا له إِسْحَاقَ ويعقوب وكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا»^(٧) و«هبنا لهم من رحمتنا» يعني لإبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا رسول الله ﷺ. «وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا» يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه. حدَّثني بذلك أبي، عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

٢. أنوار التنزيل ٣٥٢-٣٦.

٤. الشعراء ٨٤/.

٦. ليس في ع ون.

١. ليس في م

٣. من م.

٥. تفسير القمي ٥١/٢.

وذكر الشيخ أبو جعفر ابن بابويه عليه السلام في كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(١) وقال ما هذا لفظه: ثم غاب إبراهيم الغيبة الثانية. وذلك حين ^(٢) نفاه الطاغوت عن مصر فقال: «وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربّي عسى ألا أكون بدعاء ربّي شقيّاً» فقال تقدّس ذكره بعد ذلك: «فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً ووهبنا له من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً» يعني به عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنّ إبراهيم عليه السلام قد كان دعا الله تعالى أن يجعل له لسان صدق في الآخرين. فجعله الله تعالى له وإسحاق ويعقوب لسان صدق عليّاً [يعني به عليّاً] ^(٣).

وذكر أيضاً ^(٤) عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن جدّه أنّه قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن قول الله تعالى: «ووهبنا له من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً». فأخذ الكتاب ووقع تحته: وفّقك الله ورحمك، هو أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٥): وذكر محمّد بن العباس عليه السلام قال: حدّثنا أحمد بن القاسم قال: حدّثنا أحمد بن محمّد السّيّري، عن يونس بن عبد الرحمان قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ قوماً ^(٦) طالبوني باسم أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب الله تعالى: فقلت لهم من قوله تعالى: «وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً» قال: صدقت، هو هكذا.

وفي أصول الكافي ^(٧): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى [عن عثمان بن عيسى] ^(٨)، عن يحيى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لسان الصدق للمرء ^(٩) يجعله ^(١٠) الله في الناس، خير ^(١١) من المال يأكله ويورثه. والحديث طويل،

١. كمال الدين ١٣٩، ح ٧.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «حيث بدل ذلك حين».

٣. لا يوجد في المصدر.

٤. لم نعثر عليه في كمال الدين، ولكن أوردته في تأويل الآيات الباهرة ٣٠٤/١، ح ٩، نقلاً عن تفسير القمّي

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٤/١، ح ١٠.

٦. الكافي ١٥٤/٢، ح ١٩.

٧. من قومي.

٨. من المصدر.

٩. من ع.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: يجعل.

١١. المصدر: خيراً.

أخذت منه موضع الحاجة.

وفي نهج البلاغة^(١): قال عليه السلام: أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرَ لَهُ مِنَ الْمَالِ يورثه من لا يحمده.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: مَوْحِداً أخلص عبادته عن الرياء، وأسلم وجهه لله، وأخلص نفسه عما سواه.

وقرئ^(٢) بالفتح، على أَنَّ الله أخلصه.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٣): أرسله الله إلى الخلق، فأنبأهم عنه. ولذلك قَدِمَ «رسولاً» مع أَنه أَخَصَّ وأعلى.

وفي أصول الكافي^(٤): عَدَّة من أصحابنا [عن أحمد بن محمد]^(٥)، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا» ما الرسول؟ وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في المنام^(٥)، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك. والرسول الذي يسمع الصوت، ويرى في المنام، ويعاين الملك. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: من ناحيته اليمنى. وهي التي يلي يمين موسى. أو: من جانبه الميمون - من اليمن - بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة.

﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾: تقريب تشريف. شَبَّهه بمن قَرَّبَه الملك لمناجاته.

﴿نَجِيًّا﴾^(٦): مناجياً. حال من أحد الضميرين.

وقيل^(٧): مرتفعاً، من النجوة. وهو الارتفاع. حال من المفعول لما روي أَنه رُفِعَ فوق السماوات حتَّى سمع صرير القلم.

١. نهج البلاغة / ١٧٧، الخطبة ١٢٠.

٢. أنوار التنزيل ٣٦٢.

٣. الكافي ١٧٦١، ح ١.

٤. ليس في أو.

٥. المصدر: منامه.

٦. أنوار التنزيل ٣٦٢.

في بصائر الدرجات^(١): أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن عمر^(٢) بن أبان، عن أديم أخي أيوب، عن حمران [بن أعين]^(٣) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك: بلغني أن الله تبارك وتعالى ناجي علياً عليه السلام! قال: أجل، قد كان بينهما مناجاة بالطائف، نزل بينهما جبرئيل.

إبراهيم بن هاشم^(٤)، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن حماد بن عثمان، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن سلمة بن كهيل يروي في عليّ أشياء^(٥)! قال: ما هي؟

قلت: حدثني أن رسول الله ﷺ كان محاصراً أهل الطائف وأنه خلا بعليّ يوماً. فقال رجل من أصحابه: عجباً لما نحن فيه [من الشدة]^(٦) وأنه يناجي هذا الغلام [مثل اليوم]^(٧)! فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بمناجٍ له، إنما يناجي ربه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: [إنما] هذه أشياء يُعرف^(٨) بعضها من بعض.

محمد بن عيسى^(٩)، عن القاسم بن عروة، عن عاصم عن معاوية، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم الطائف، ناجى رسول الله ﷺ علياً^(١٠). فقال أبو بكر وعمر: انتجيته [دوننا؟! فقال: ما انتجيته]^(١١) بل الله ناجاه. عليّ بن محمد^(١٢) قال: حدثني حمدان بن سليمان [النشابوري]^(١٣) قال: حدثني

١. البصائر ٤٣٠/ ح ١.

٢. كذا في المصدر. وجامع الرواة ٦٢٩/١. وفي النسخ: عمرو.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر ٤٣٠/ ح ٢. كذا فيه، ورجال النجاشي ١٨/ وفي النسخ: هشام.

٥. المصدر: شيئاً.

٦. ليس في م. وفي المصدر: منذ اليوم.

٧. من المصدر.

٨. نفس المصدر ٤٣١/ ح ٤.

٩. المصدر: نعرف.

١٠. ليس في م.

١١. نفس المصدر ٤٣١/ ح ٥.

١٢. من المصدر.

عبدالله بن محمد اليماني، عن منيع، عن يونس، عن علي بن أعين، عن أبي رافع قال: لمّا دعا رسول الله ﷺ علياً يوم خيبر، فتغل في عينيه. ثم قال له: إذا أنت فتحتها، فقف بين الناس، فإن الله أمرني بذلك.

قال أبو رافع: فمضى علي وأنا معه. فلما أصبح، افتتح خيبر و^(١)بخيبر وقف بين^(٢) الناس، وأطال الوقوف. فقال الناس: إن علياً يناجي ربه. فلما مكث [ساعة]^(٣) أمر بانتهاب المدينة التي فتحها.

قال أبو رافع: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن علياً وقف بين الناس كما أمرته، فقال قوم^(٤): الله ناجاه. فقال: نعم يا أبا رافع^(٥)، إن الله ناجاه يوم الطائف، ويوم عقبة تبوك، ويوم حنين^(٦).

وعنه^(٧) بهذا الإسناد، عن منيع، عن يونس، عن علي بن أعين، إعن أبي عبدالله عليه السلام^(٨) قال: قال رسول الله ﷺ لأهل الطائف: لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يفتح الله^(٩) به الخيبر، سوطه^(١٠) سيفه^(١١). فتشرف الناس لها^(١٢). فلما أصبح دعا علياً، فقال: اذهب إلى الطائف^(١٣).

ثم أمر الله ﷻ النبي ﷺ أن يرحل^(١٤) إليها بعد أن دخله^(١٥) علي عليه السلام. فلما صار إليها، كان علي^(١٦) على رأس الجبل. فقال له رسول الله ﷺ: اثبت. فثبت، فسمعنا^(١٧) مثل

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «بخيبر» بدل «افتتح خيبر».

٢. ليس في م.

٣. المصدر: «قال قوم منهم يقول: إن» بدل: «فقال قوم».

٤. المصدر: يا رافع.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: خيبر.

٦. نفس المصدر ٤٣٢، ح ١٠.

٧. من م.

٨. المصدر: سيفه سوطه.

٩. المصدر: بالطائف.

١٠. المصدر: رحله.

١١. المصدر: سمعناه.

١٢. المصدر: فيشرف الناس له.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: يدخل.

١٤. ليس في المصدر.

صريح الرحا^(١). فقيل^(٢): ما هذا يا رسول الله؟! قال: إِنَّ الله يَنَاجِي عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: من أجل رحمتنا، أو: بعض رحمتنا.

﴿أَخَاهُ﴾: معاضدة أخيه ومؤازرته، إجابة لدعوته: «واجعل لي وزيراً من أهلي»^(٣).

فإنه كان أسن من موسى بأربع سنين. وهو مفعول أو بدل.

﴿هَارُونَ﴾: عطف بيان له.

﴿نَبِيًّا﴾^(٤): حال منه.

في كتاب كمال الدين وتعام النعمة^(٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ

قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ [عَلِيٍّ بْنِ] ^(٦)

فَضَّالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَسَنُ

أَفْضَلُ أُمِّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

فَقَالَ: الْحَسَنُ أَفْضَلُ مِنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قلت: فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون الحسن^(٧)؟

فقال: إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا ^(٨) أَنْ يَجْعَلَ سَنَةَ مُوسَى وَهَارُونَ جَارِيَةً

فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُمَا كَانَا شَرِيكَيْنِ فِي النُّبُوَّةِ، كَمَا كَانَ الْحَسَنُ

وَالْحُسَيْنُ شَرِيكَيْنِ فِي الْإِمَامَةِ، وَأَنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ النُّبُوَّةَ فِي وَلَدِ هَارُونَ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا فِي

وَلَدِ مُوسَى، وَإِنْ كَانَ مُوسَى أَفْضَلَ مِنْ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبإسناده^(٩) إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: عَاشَ

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِائَةَ وَسِتَّةٍ ^(١٠) وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَعَاشَ هَارُونَ مِائَةَ وَثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

١. المصدر: الرجل.

٢. المصدر: فقال.

٣. طه/٢٩.

٤. كمال الدين ٤١٦/ح ٩.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: دون ولد الحسن.

٧. المصدر: «أحب» بدل «لم يرد بذلك إلا».

٨. نفس المصدر/٥٢٣-٥٢٤، ح ٣.

٩. م: تسعة.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره.

في أصول الكافي^(١): عِدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن بعض أصحابه، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كنَّ فيه كان منافقاً، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف. إنَّ الله ﷻ يقول في كتابه^(٢): «إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْخَائِنِينَ». وقال^(٣): «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٤) إن كان من الكاذبين». وفي قوله تعالى: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد» الآية.

ابن أبي عمير^(٥)، عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إِنَّمَا سَمِّيَ إسماعيل صادق الوعد؛ لأنه وعد رجلاً في مكان، فانتظره [في ذلك المكان]^(٦) سنة. فسماه الله تعالى صادق الوعد. ثم^(٨) إنَّ الرجل آتاه بعد ذلك، فقال له إسماعيل: ما زلت منتظراً لك.

وفي عيون الأخبار^(٩) بإسناده إلى سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أتدري لم سَمِّيَ إسماعيل صادق الوعد؟ قال: قلت: لا أدري. قال: وعد رجلاً، فجلس حوله ينتظره.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١٠): في مجمع البيان^(١١): هو إسماعيل بن إبراهيم. «إنَّه كان صادق الوعد» وكان إذا وعد بشيء وفى به، ولم يخلف. «وكان» مع ذلك «رسولاً نبياً» إلى جرهم^(١٢).

١. الكافي ٢/٢٩٠-٢٩١، ح ٨.

٣. النور/٧.

٥. نفس المصدر ٢/١٠٥، ح ٧.

٧. من المصدر.

٨. المصدر: ثم [قال].

٩. العيون ٢/٧٧، ح ٩.

١١. جرهم: إحدى قبائل العرب.

٢. الأنفال/٥٨.

٤. ليس في ن.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يسمي.

٨. المصدر: ثم [قال].

١٠. المجمع ٥١٨٣.

وقيل ^(١): إِنَّ إسماعيل بن إبراهيم مات قبل أبيه. وإن هذا هو إسماعيل بن حزقيل. وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): «واذكر في الكتاب إسماعيل إِنَّه كان صادق الوعد». قال: وعد وعداً، فانتظر صاحبه سنة. وهو إسماعيل بن حزقيل.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٣) في باب العلة التي من أجلها سُمِّي إسماعيل بن حزقيل صادق الوعد: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته الله قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن الحسن الصفَّار، عن يعقوب بن يزيد ^(٤)، عن مُحَمَّد بن أبي عمير ومُحَمَّد بن سنان، عَنْ ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ إسماعيل الذي قال الله تعالى في كتابه: «واذكر في الكتاب إسماعيل إِنَّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً» لم يكن إسماعيل بن إبراهيم؛ بل كان ^(٥) نبياً من الأنبياء، بعثه الله إلى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه. فأتاه ملك فقال: إِنَّ الله تعالى بعثني إليك، فمرني بما شئت. فقال: لي أسوة بما يُصْنَع بالحسين عليه السلام ^(٦).

وبإسناده ^(٧) إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ إسماعيل «كان رسولاً نبياً» سُلِّط عليه قومه، ففشروا جلده وجهه ^(٨) وفروة رأسه. فأتاه رسول من ربِّ العالمين، فقال له: رَبِّكَ يقرئك السلام، ويقول: قد رأيت ما صُنِع بك. وقد أمرني بطاعتك، فمرني بما شئت. فقال: يكون لي بالحسين بن علي عليه السلام أسوة.

أقول: ويمكن حمل الأخبار الأولى التي استدَلَّ بها من قال بأنَّه إسماعيل بن إبراهيم على هذه؛ لأنَّها مطلقة وهذه مقيدة. والواجب أن تُحْمَلَ المطلقة على المقيدة. وأما ما قيل من أنَّ إسماعيل بن إبراهيم مات قبل أبيه: ففي كتاب كمال الدين وتمام

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ٥١/٢.

٣. العلل ٧٧-٧٨، ح ٢.

٤. كذا في المصدر ورجال النجاشي ١٢١٥. وفي النسخ: زيد.

٥. من ع. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالأنبياء.

٧. نفس المصدر ٧٨، ح ٣.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ففشروا جلده ووجهه.

النعمة^(١)، بإسناده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: عاش إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: اشتغالا بالأهمّ، وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه.

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(٢): لاستقامة أقواله وأحواله وأفعاله.

﴿وَإِذْ نُكِّرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾: قيل^(٣): هو سبط شيث وجدّ أبي نوح، واسمه: أخنوخ.

وروي^(٤) أنّه أنزل عليه ثلاثون صحيفةً. وأنّه أوّل من خطّ بالقلم، ونظر في علم النجوم والحساب، وأوّل من خاط الثياب، وكانوا يلبسون الجلود. واشتقاقه من الدرس^(٥)، يرده منع صرفه. نعم، لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك، فلُقّب به لكثرة درسه.

﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٦): في كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٧) بإسناده إلى إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: كان [بدءاً]^(٨) نبوة إدريس عليه السلام أنّه كان في زمانه ملك جبّار، وأنّه ركب ذات يوم في بعض نزهه. فمرّ بأرض خضرة [نضرة]^(٩) لعبد مؤمن من الرافضة فأعجبه. فسأل وزراءه: لمن هذه الأرض؟ قالوا: لعبد مؤمن من عبيد الملك، فلان الرافضيّ. فدعا به، فقال له: أمتعني بأرضك هذه. فقال له: عيالي أحوج إليّ منك. قال: فُسمني بها أئتمن لك^(١٠). قال: لا أمتعك لها، ولا أسومك. دع عنك ذكرها!

فغضب الملك عند ذلك وأسف وانصرف إلى أهله، وهو مغموّم متفكّر في أمره.

٢. أنوار التنزيل ٣٦/٢ - ٣٧.

٤. كمال الدين ١٢٧ - ١٣٣، ح ١.

٦. من المصدر.

٨. أي بعني أعطيك الثمن.

١. كمال الدين ٥٢٣/٥٢٤، ح ٣.

٣. أنوار التنزيل ٣٦٧ - ٣٧.

٥. كمال الدين ١٢٧ - ١٣٣، ح ١.

٧. من المصدر.

وكانت له امرأة من الأزارقة^(١)، وكان بها معجباً يشاورها في الأمر إذا نزل به. فلما استقر في مجلسه، بعث إليها يشاورها في أمر صاحب الأرض. فخرجت إليه، فرأت في وجهه الغضب. فقالت: أيها الملك، ما الذي دهاك حتى بدا الغضب في وجهك قبل فعلك؟

فأخبرها بخبر الأرض، وما كان من قوله لصاحبها [ومن قول صاحبها]^(٢) له. فقالت: أيها الملك إنما يغتم ويهتم من لا يقدر على التغيير والانتقام. فإن كنت تكره أن تقتله بغير حجة، فأنا أكفيك أمره، وأصير أرضه إليك^(٣) بحجة لك فيها العذر عند أهل مملكتك. قال: وما هي؟ قالت: ابعث إليه أقواماً من أصحابي من الأزارقة حتى يأتوك به، فيشهدوا عليه عندك أنه قد برئ من دينك. فيجوز لك قتله وأخذ أرضه. قال: فافعلي ذلك.

قال: وكان لها أصحاب من الأزارقة على دينها، يرون قتل الرافضة^(٤) من المؤمنين. فبعث إلى قوم من الأزارقة فأتوها. فأمرتهم أن يشهدوا على فلان الرافضي عند الملك أنه قد برئ من دين الملك. [فشهدوا عليه أنه قد برئ من دين الملك]^(٥) فقتله، واستخلص أرضه.

فغضب الله تعالى للمؤمن عند ذلك. فأوحى الله إلى إدريس أن انت عبدي هذا الجبار، فقال له: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتى استخلصت أرضه خالصة لك، فأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟! أما وعزتي، لأنتقمن له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخربن مدينتك، ولأذلن عزك، ولأطعمن

١. الأزارقة من الخوارج أصحاب نافع بن الأزرق كَفَرُوا عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه، وجُوزُوا قتل مخالفيهم وسبي نسايتهم.

فقيل: إن المراد في الحديث أن المرأة كانت بصفة الأزارقة، فكما أن الأزارقة يرون غير أهل نحلتهن مشركاً ويستحلون دمه وأمواله فكذلك هذه المرأة.

٢. المصدر: يديك.

٣. من المصدر.

٤. من المصدر.

٥. المصدر: الرافض.

الكلاب لحم امرأتك. فقد غرّك - يا مبتلى - حلمي عنك!

فأتاه إدریس عليه السلام برسالة ربه - وهو في مجلسه، وحوله أصحابه - فقال: أيها الجبار، إنني رسول الله إليك، وهو يقول لك: أما رضيت أن تقتل عبدي المؤمن ظلماً^(١) حتى استخلصت أرضه خالصة لك، وأحوجت عياله من بعده، وأجعتهم؟! أما وعزتي، لأنتقمن له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخربن مدينتك ولأذلن عزك، ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك. فقال الجبار: أخرج عني يا إدریس، فلن تسبقني بنفسك^(٢).

ثم أرسل إلى امرأته. فأخبرها بما جاء به إدریس. فقالت^(٣): لا يهولنك [رسالة إله إدریس، أنا أكفيك أمر إدریس، أنا^(٤) أرسل إليه من يقتله فتبطل^(٥)] رسالة إلهه وكلما جاء به. قال: فافعلي.

قال: فكان لإدریس أصحاب من الروافض مؤمنون، يجتمعون إليه في مجلس له، فيأنسون به، ويأنس بهم. فأخبرهم إدریس بما كان من وحي الله ﷻ إليه ورسالته إلى الجبار [وما كان من تبليغه رسالة الله إلى الجبار]^(٦) فأشفقوا^(٧) على إدریس أصحابه وخافوا عليه القتل.

وبعثت امرأة الجبار إلى إدریس^(٨) أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوه، فأتوه في مجلسه الذي كان يجتمع إليه فيه أصحابه، فلم يجدوه. فانصرفوا، وقد رأهم أصحاب

١. ليس في أ، س، م.

٢. أي فلن تسبقني بنفسك. وهو تهديد بالقتل. أي لا يمكنك الفرار بنفسك والتقدم بحيث لا يمكنني اللحق بك لإهلاكها. أو لاتغلبني في أمر نفسك بأن تتخلصها مني. ويحتمل أن يكون المراد: لا تغلبني متفرداً بنفسك من غير معاون فلم تتعرض لي. قاله المجلسي رحمته الله.

٣. المصدر: فقال.

٤. ليس في المصدر.

٥. ليس في ع.

٦. ليس في س وأ.

٧. كذا. والأصح: فأشفق. وفي المصدر: فأشفقوا على إدریس وأصحابه و.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: إليه.

إدريس، فحسبوا أنهم أتوا إدريس ليقتلوه. فنفروا في طلبه فلقوه، فقالوا له: خذ حذرك يا إدريس، فإن الجبار قاتلك. قد بعث اليوم أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوك. فاخرج من هذه القرية.

فتنحى إدريس عن القرية من يومه ذلك، ومعه نفر من أصحابه. فلما كان في السحر، ناجى إدريس ربه قال: يا رب، بعثني إلى جبار، فبلغت رسالتك. وقد توعدني هذا الجبار بالقتل؛ بل هو قاتلي إن ظفري. فأوحى الله ﷻ إليه أن تنح عنه، واخرج من قريته، وخلصني وإياه. فوعزتي، لأنفذ فيه أمري. ولأصدق قولك فيه، وما أرسلتك به إليه.

فقال إدريس: يا رب، إن لي حاجة. قال الله ﷻ: سلها، تعطها. قال: أسألك أن لا تمطر السماء على هذه القرية وما حولها وما حوت عليه؛ حتى أسألك ذلك. قال الله ﷻ: يا إدريس، إذا تخرب القرية، ويشد جهد أهلها ويجوعون! قال إدريس: وإن خربت، وجهدوا وجاعوا. قال الله ﷻ: إني قد أعطيتك ما سألت. ولن أمطر السماء عليهم حتى تسألني ذلك، وأنا أحق من وفى بوعده.

فأخبر إدريس أصحابه بما سأل الله من حبس المطر عليهم، وما أوحى الله إليه ووعد أنه لا يمطر السماء على قريتهم^(١) حتى يسأله ذلك. فاخرجوا أيها المؤمنون من هذه القرية إلى غيرها من القرى. فخرجوا منها، وعدتهم يومئذ عشرون رجلاً. فنفروا في القرى، وشاع خبر إدريس في القرى بما سأل ربه.

وتنحى إدريس إلى كهف في الجبل شاق، فلجأ إليه. ووكل الله ﷻ به ملكاً يأتيه بطعامه عند كل مساء. وكان يصوم النهار، فيأتيه الملك بطعامه عند كل مساء. وسلب الله ﷻ عند ذلك ملك الجبار، وقتله، وأحرب مدينته، وأطعم الكلاب لحم امرأته، غضباً للمؤمن. فظهر في المدينة جبار آخر عاص.

١. المصدر: «عليهم» بدل «على قريتهم»

فمكثوا بذلك بعد خروج إدريس عن القرية، عشرين سنةً لم تمطر السماء عليهم قطرة من مائها^(١). فجهد القوم، واشتدَّت حالهم. وصاروا يمتارون الأُطعمة^(٢) من القرى من بعد. فلَمَّا جاهدوا، مشى بعضهم إلى بعض فقالوا: إِنَّ الذي نزل بنا ممَّا ترون بسؤال إدريس ربِّه أن لا يمطر السماء علينا حتَّى يسأله هو. وقد تنحَّى^(٣) إدريس عنَّا، ولا علم لنا بموضعه، والله أرحم بنا منه. فأجمع أمرهم على أن يتوبوا إلى الله ويدعوه، ويفزعوا إليه. ويسألوه أن يمطر السماء عليهم وما حوت^(٤) قريتهم. فقاموا على الرماد، ولبسوا المسوح^(٥)، وحثوا على رؤوسهم التراب. وعجَّوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والبكاء والتضرُّع إليه.

فأوحى الله ﷻ إلى إدريس: [يا إدريس]^(٦) إِنَّ أهل قريتك قد عجَّوا إليَّ بالتوبة والاستغفار والبكاء والتضرُّع. وأنا الله الرحمان الرحيم. أقبل التوبة، وأعفو عن السيئة، وقد رحمتهم، ولم يمتني من إجابتهم إلى ما سألونني من المطر إلَّا مناظرتك فيما سألتني أن لا أمطر السماء عليهم [حتَّى تسألني. فاسألني يا إدريس حتَّى أغيثهم^(٧)، وأمطر السماء عليهم]^(٨) قال إدريس: اللهمَّ إِنِّي لا أسألك ذلك. قال الله ﷻ ألم تسألني يا إدريس فأجبتك إلى^(٩) ما سألت؟! وأنا أسألك أن تسألني، فلم لا تجيب مسألتي؟! قال إدريس: اللهمَّ لا أسألك.

قال: فأوحى الله ﷻ إلى الملك الذي أمره أن يأتي إدريس بطعامه كلَّ مساء، أن احبس عن إدريس طعامه، ولا تأت به. فلَمَّا أمسى إدريس في ليلة يومه ذلك، فلم يؤت بطعامه، حزن وجاع، فصبر. فلَمَّا كان في ليلة اليوم الثاني، فلم يؤتْ بطعامه، اشتدَّ

١. المصدر: «من مائها عليهم» بدل «من مائها». ٢. أي يجمعونها.

٣. المصدر: خفي. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: حول.

٥. كذا في المصدر. وفي سائر النسخ: المسوخ. والمسوح: جمع المسح: الكساء من شعر كتوب الرهبان.

٦. ليس في م. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: أغثهم.

٨. ليس في م. ٩. ليس في م، أ، ن.

حزنه وجوعه، فصبر^(١). فلما كانت ليلة من اليوم الثالث، فلم يؤت بطعامه، اشتدَّ جهده وجوعه وحزنه، وقَلَّ صبره. فنادى ربه: يا ربِّ حبست عني رزقي من قبل أن تقبض روحي؟!

فأوحى الله ﷻ إليه: يا إدريس، جزعت أن حبست عنك طعامك ثلاثة أيام ولياليها، ولم تجزع ولم تذكر جوع أهل قريتك وجهدهم^(٢) منذ عشرين سنة! ثم سألتك عند^(٣) جهدهم ورحمتي إياهم أن تسألني، فأمر السماء عليهم. فلم تسألني، وبخلت عليهم بمسألتك إياي! فأذبتك بالجوع، فقلَّ عند ذلك صبرك، وظهر جزعك. فاهبط من موضعك، فاطلب المعاش لنفسك، فقد وكلتك في طلبه إلى جدك^(٤).

فهبط إدريس عليه السلام من موضعه إلى قرية يطلب أكلة من جوع. فلما دخل القرية، نظر إلى دخان في بعض منازلها. فأقبل نحوه. فهجم على عجوز كبيرة وهي ترقق قرصتين لها على مقلاة^(٥). فقال لها: أيتها المرأة، أطعميني، فأني مجهود من الجوع! فقالت له: يا عبدالله، ما تركت لنا دعوة إدريس فضلاً نطعمه أحداً - وحلفت أنها ما تملك غيره شيئاً^(٦) - فاطلب المعاش من غير أهل هذه القرية. فقال لها: أطعميني ما أمسك به روحي، وتحملني به رجلي إلى أن أطلب. قالت: إنهما قرصتان؛ واحدة لي، والأخرى لابني. فإن أطعمتك قوتي، متُّ. وإن أطعمتك قوت ابني، مات. وما هاهنا فضل أطعمكه. فقال لها: إن ابنك صغير يجزئه نصف قرصة، فيحيى به، ويجزئني النصف الآخر فأحيي^(٧) به. وفي ذلك بلغة لي وله.

فأكلت المرأة قرصتها. وكسرت الأخرى بين إدريس وبين ابنها. فلما رأى ابنها إدريس يأكل من قرصته، اضطرب حتى مات. قالت أمه: يا عبدالله، قتلت عليّ^(٨) ابني

١. ليس في المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: جوعهم.

٣. المصدر: عن.

٤. المصدر: حيلتك.

٥. المقلاة: وعاء يقلّي فيه الطعام.

٦. من م.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فأحييني.

٨. من ع.

جزعاً على قوته! فقال لها إدريس: فأنا أحبيه بإذن الله، فلا تجزعي. ثم أخذ إدريس ^(٢) بعض الصبي. ثم قال: أيتها الروح الخارجة عن بدن هذا الغلام بأمر الله، ارجعي إلى بدنه بإذن الله. وأنا إدريس النبي. فرجعت روح الغلام إليه بإذن الله.

فلما سمعت المرأة ^(١) كلام إدريس وقوله: «أنا إدريس» ونظرت إلى ^(٢) ابنها قد عاش بعد الموت، قالت: أشهد ^(٣) أنك إدريس النبي. وخرجت تنادي بأعلى صوتها في القرية: أبشروا بالفرج ^(٤) فقد دخل إدريس في قريتكم.

ومضى إدريس حتى جلس على موضع مدينة الجبار الأول فوجدها وهي تل ^(٥). فاجتمع إليه أناس من أهل قريته فقالوا له: يا إدريس، أما رحمتنا في هذه العشرين سنة التي جهدنا فيها ومتنا من ^(٦) الجوع والجهد فيها؟! فادع الله لنا أن يمطر السماء علينا. قال: لا حتى يأتيني جباركم هذا وجميع أهل قريتكم مشاة حفاة، فيسألوني ذلك.

فبلغ الجبار قوله، فبعث إليه أربعين رجلاً يأتوه بإدريس. فأتوه، فقالوا له: إن الجبار بعثنا إليك لنذهب بك إليه. فدعا عليهم فماتوا. فبلغ ذلك الجبار، فبعث خمسمائة رجل ليأتوه به. فقالوا له: يا إدريس، إن الجبار بعثنا إليك لنذهب بك إليه. فقال لهم إدريس: انظروا إلى مصارع أصحابكم. فقالوا له: يا إدريس، قتلنا بالجوع منذ عشرين سنة، ثم يريد أن تدعو علينا بالموت! أما لك رحمة؟! فقال: ما أنا بذاهب إليه، و[ما أنا بسائل ^(٧) الله أن يمطر السماء عليكم حتى يأتيني جباركم ماشياً حافياً وأهل قريتكم.

فانطلقوا إلى الجبار، فأخبروه بقول إدريس، وسألوه أن يمضي معهم وجميع أهل قريتهم إلى إدريس مشاة حفاة. فأتوه حتى وقفوا بين يديه خاضعين له، طالبين إليه أن يسأل ^(٨) أن يمطر السماء عليهم، فقال لهم إدريس: أما الآن، فتعم.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنه.

٢. المصدر: على.

٣. من م.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالفرج.

٥. م: فوجدها ضلاً.

٦. المصدر: «ومتنا» بدل «ومتنامن».

٧. ليس في م.

فسأل الله ﷻ إدريس عند ذلك أن يُمطر السماء عليهم وعلى قريتهم ونواحيها. فأظلمت سحابة من السماء. وأرعدت وأبرقت وهطلت عليهم من ساعتهم حتى ظنوا أنه الغرق. فما رجعوا إلى منازلهم حتى أهمتهم أنفسهم من الماء^(١).

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٢) قيل^(٣): يعني شرف النبوة والزلفى عند الله.

وقيل^(٤): السماء السادسة أو الرابعة.

وفي الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن مفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أخبرني جبرئيل عليه السلام أن ملكاً من الملائكة كانت له عند الله منزلة عظيمة. فتعَبَّ عليه. فأهبطه^(٦) من السماء إلى الأرض. فأتى إدريس عليه السلام فقال له: إن لك من الله منزلة، فاشفع لي عند ربك.

فصلى ثلاث ليال لا يقصر^(٧). وصام أيامها لا يفطر. ثم طلب إلى الله ﷻ في السحر في الملك. فقال الملك: إنك قد أعطيت سؤلك، وقد أطلق الله جناحي. وأنا أحب أن أكافئك. فاطلب إلي حاجة. فقال: تريني ملك الموت لعلِّي آنس به. فإنه ليس يهتني مع ذكره شيء.

فبسط جناحه ثم قال: اركب. فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا. فقبل له: اصعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة. فقال الملك: يا ملك الموت مالي أراك قاطباً^(٨)؟ قال: العجب أني تحت ظل العرش حيث أمرت أن أقبض روح آدمي^(٩)

١. أي خوف أنفسهم أو قمعهم في الهموم. أو لم يهتمهم إلا هم أنفسهم وطلب خالصها. ثم اعلم أن الظاهر أن أمره تعالى إدريس عليه السلام بالدعاء لهم لم يكن على سبيل الحتم والوجوب بل على التندب والاستحباب. وكان غرضه عليه السلام في التأخير وفي طلب القوم أن يأتوه متذللين تنبيههم وزجرهم عن الطغيان والفساد لنلا يخالفوا ربه بعد دخوله بينهم، وأن أولياء الله يفضيئون لرهبهم أكثر من سخطه تعالى لنفسه لسعة رحمته وعظم حلمه تعالى شأنه. قاله في البحار.

٢. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

٤. الكافي ٢٥٧/٣، ح ٢٦.

٣. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

٦. المصدر: لا يفطر. الصحيح: لا يفتر.

٥. المصدر: فأحبط.

٨. م: إدريس.

٧. قطب: زوى ما بين عينيه وكلح.

بين السماء الرابعة والخامسة! فسمع إدريس عليه السلام فامتعض^(١)، فخرّ من جناح الملك، فقبض روحه مكانه. وقال الله تعالى: «ورفعناه مكاناً علياً».

عدة من أصحابنا^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن أبي داود، عن عبد الله بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث طويل يذكر فيه مسجد السهلة: أما علمت أنه موضع بيت إدريس النبي عليه السلام الذي [كان]^(٣) يخط فيه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة، فقطع جناحيه^(٥) وألقاه إلى جزيرة من جزائر البحر. فبقي ما شاء الله تعالى في ذلك البحر.

فلما بعث الله تعالى إدريس عليه السلام جاء^(٦) ذلك الملك إليه، فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يرضى عني ويرد عليّ جناحي. قال: نعم. فدعا إدريس عليه السلام. فردّ الله عليه جناحه، ورضي عنه. قال الملك لإدريس: ألك إليّ حاجة؟ قال: نعم. أحب أن ترفعني إلى السماء [حتى أنظر إلى ملك الموت. فإنه لا عيشة لي مع ذكره.

فأخذه الملك على جناحه حتى انتهى به إلى السماء]^(٧) الرابعة. فإذا ملك الموت يحرك رأسه تعجباً. فسلم إدريس عليه السلام على ملك الموت عليه السلام فقال له: ما لك تحرك رأسك؟ قال: إن رب العزة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والسماء الخامسة. [فقلت: (يا رب) ^(٨) وكيف يكون ^(٩) هذا وغلظ ^(١٠) السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام]^(١١) ومن السماء الرابعة إلى الثالثة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الثالثة إلى السماء الثانية مسير خمسمائة عام، [وغلظ السماء الثالثة مسيرة خمسمائة

٢. نفس المصدر ٣/٤٩٤. ح ١

٤. تفسير القمي ٢/٥١-٥٢.

٦. المصدر: جاز

٨. من المصدر.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: غلظة.

١. أي غضب وشق عليه.

٣. من المصدر.

٥. المصدر: جناحه.

٧. ليس في غ.

٩. ليس في المصدر.

١١. من ع.

عام^(١) وكلّ سماءين^(٢) وما بينهما كذلك، فكيف يكون هذا؟! ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة، وهو قوله ﷺ: «ورفعناه مكاناً علياً».

وفيه^(٣) عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه: ثمَّ صعدنا إلى السماء الرابعة، وإذا فيها رجل. فقلت: من هذا، يا جبرئيل؟ قال: هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً. فسَلَّمْتُ عليه. وسَلَّم عليّ، واستغفرت له، واستغفر لي.

وفي علل الشرائع^(٤) بإسناده إلى عبدالله بن سلام أنّه قال لرسول الله - وقد سأله عن الأيّام -: فالخميس؟ قال: هو يوم خامس من الدنيا. وهو يوم [أنيس، لُعن فيه]^(٥) إبليس، ورُفِع فيه إدريس. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج^(٦) للطبرسيّ ﷺ: روي عن موسى بن جعفر [عن أبيه]^(٧) عن آبائه، عن الحسين بن عليّ ﷺ قال: إنّ يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لعليّ ﷺ في كلام طويل: هذا إدريس ﷺ أعطاه الله ﷻ مكاناً علياً. قال له عليّ ﷺ: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. إنّ الله جلّ ثناؤه قال فيه^(٨): «ورفعنا لك ذكرك». فكفى بهذا من الله رفعةً.

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى المذكورين في السورة، من ذكرنا إلى إدريس.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: بأنواع النعم الدينية والدنيوية.

﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: بيان للموصول.

﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾: بدل منه، بإعادة الجارّ. ويجوز أن تكون «من» فيه للتبويض؛ لأنّ المنعم عليهم أعمّ من الأنبياء وأخصّ من ذرّة آدم.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أي ومن ذرّة من حملنا خصوصاً، وهم من عدا إدريس، فإنّ إبراهيم كان من ذرّة سام بن نوح.

١. ليس في المصدر.

٣. نفس المصدر ٨/٢.

٥. ليس في س، أ، ن.

٧. ليس في أ.

٢. المصدر: سماء.

٤. العلل ٤٧١/، ح ٣٣، ج ٢٢٢.

٦. الاحتجاج ٢١١/.

٨. الانشراح ٤/.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: الباقون.

﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾: عطف على إبراهيم. أي ومن ذرية إسرائيل، وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾: ومن جملة من هدينا إلى الحق.

﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾: للنبوة والكرامة.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب، في مناقب زين العابدين عليه السلام: قال عليه السلام: قول الله تعالى: «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا»: نحن غُنيّا بها.

﴿إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٢): خبر لـ «أولئك» إن جعلت الموصول صفة. واستئناف إن جعلته خبره، لبيان أن خشيتهم من الله وإخباتهم له، مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: اتلوا القرآن وابكوا. فإن لم تبكوا، فتباكوا.

والبُكي: جمع باك، كالسجود في جمع ساجد.

وقرئ^(٣): «يتلى» بالياء، لأن التانيث غير حقيقي. وقرئ^(٤): «بُكِيًّا» بكسر الباء.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس: حدثنا جعفر بن محمد الرازي، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد بن معاوية، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يسجد في سورة مريم حين^(٦) يقول: «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا». يقول: نحن غُنيّا بذلك. ونحن أهل الحبة^(٧) والصفوة. ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء.

١. المناقب ١٢٩/٤.

٢. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٥/١، ح ١١.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: «و» بدل «حين».

٧. كذا في المصدر وفي م: الحبة. وفي سائر النسخ: الحبة.

يقال: خَلَفَ صدق، بالفتح. وخَلَفَ سوء، بالسكون.

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: تركوها.

في الكافي^(١): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ: وَلَيْسَ إِنْ عَجَلْتَ قَلِيلاً، أَوْ أَخَّرْتَ قَلِيلاً، بِالَّذِي يَضُرُّكَ مَا لَمْ تَضِيعَ تِلْكَ الْإِضَاعَةَ^(٢). فَإِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ لِقَوْمٍ: الْآيَةُ.

وفي مجمع البيان^(٣): وَقِيلَ: أَضَاعُوهَا بِتَأْخِيرِهَا عَنْ مَوَاقِيتِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرْكُوهَا أَصلاً. وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام.

﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: فِي جَوَامِعِ الْجَامِعِ^(٤): رَوَاهُ عَنْ عَلِيِّ عليه السلام: مِنْ بَنِي الشَّدِيدِ، وَرَكِبَ الْمَنْظُورَ، وَلَبَسَ الْمَشْهُورَ.

وفي كتاب الخصال^(٥): عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ سَلِمَ مِنْ أَمْتِي مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ، فَلَهُ الْجَنَّةُ: مِنَ الدُّخُولِ فِي الدُّنْيَا، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَشَهْوَةِ الْبَطْنِ، وَشَهْوَةِ الْفَرْجِ.

﴿فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(٦): شَرًّا، كَقَوْلِهِ:

فَمَنْ يُلْقِ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَنَّمَا أَوْ: جَزَاءُ غَيٍّ، كَقَوْلِهِ^(٧): «يُلْقِ أَثَامًا» أَوْ: غَيًّا عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

وَقِيلَ^(٨): هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: قِيلَ^(٩): يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ فِي الْكُفْرَةِ. وَأَقُولُ: سَيَجِيءُ مَا يُؤَيِّدُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ.

١. الكافي ٢٧٠/٣، ح ١٣.

٣. المجمع ٥١٩/٣.

٥. الخصال ٢٢٣/٣، ح ٥٤.

٧. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الإضافة.

٤. الجوامع ٢٧٦.

٦. الفرقان ٦٨.

٨. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: وقرأ^(١) ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب، على البناء للمفعول من أدخل.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾: ولا يُنقصون شيئاً من جزاء أعمالهم. ويجوز أن ينتصب «شيئاً» على المصدر.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ بْنِ سَهِيلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الطُّوَيْيِّ^(٣)، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ النَّجَّارِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «أُولَٰئِكَ» الْآيَةِ.

قال: نحن ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَنَحْنُ الْمَحْمُولُونَ مَعَ نُوحٍ، وَنَحْنُ صَفْوَةُ اللَّهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا». فَهَمُ وَاللَّهُ شَيْعَتُنَا الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِمُؤَدَّتِنَا، وَاجْتَبَاهُمُ لِدِينِنَا، فَحَيُّوا عَلَيْهِ، وَامَاتُوا عَلَيْهِ. وَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالْعِبَادَةِ وَالْخُشُوعِ وَرَقَّةِ الْقَلْبِ، قَالَ: «إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمُ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا». ثُمَّ قَالَ تعالى: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا». وَهُوَ جَبَلٌ صَفَرٌ يَدُورُ فِي وَسْطِ جَهَنَّمَ. ثُمَّ قَالَ تعالى: «إِلَّا مَنْ تَابَ» مِنْ غَشَّ آلِ مُحَمَّدٍ «وَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا» إِلَى قَوْلِهِ: «كَانَ تَقِيًّا».

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: بدل من الجنة بدل البعض، لاشتغالها عليها. أو منصوب على المدح.

وقرئ^(٤) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. و«عدن» إما علم لجنة من الجنان، مشتملة على جنات. أو علم للعدن بمعنى الإقامة كبيرة. ولذلك صحَّ وصف ما أضيف إليه بقوله:

﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾: أي وعدّها إيّاهم، وهي غائبة عنهم، أو هم غائبون عنها، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب.

١. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

٢. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٥/١، ح ١٢.

٣. كذا في المصدر وفي م: الطوسي. وفي سائر النسخ: الطويي.

٤. أنوار التنزيل ٣٧/٢.

﴿إِنَّهُ﴾: إِنَّ اللَّهَ.

﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾: الذي هو الجنة.

﴿مَأْتِيًا﴾^(١١): يأتيها أهلها الموعود لهم.

وقيل^(١٢): المفعول هاهنا بمعنى الفاعل: لأن ما أتيته فقد أتاك، وما أتاك فقد أتيته.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فضول الكلام.

﴿إِلَّا سَلَامًا﴾: لكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب. أو إلا تسليم الملائكة

عليهم، أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع، أو على أن التسليم إن كان لغواً، فلا يسمعون لغواً سواء. كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَ فلول من قراع الكتائب

أو على أن معناه الدعاء بالسلامة، وأهلها أغنياء عنه. فهو من باب اللغو ظاهراً، وإنما فائدته الإكرام.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا﴾^(١٣): على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة

والرغبة.

وقيل^(١٤): المراد دوام الرزق ودروره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٥): قال: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة. والدليل على

ذلك قوله تعالى: «بكرة وعشيًا». فالبكرة والعشي لا يكون في الآخرة في جنات

الخلد، وإنما يكون الغدو والعشي في جنات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين،

وتطلع فيها الشمس والقمر.

وفي مجمع البيان^(١٦): المراد أنهم يؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء

والعشاء^(١٧).

٢. أنوار التنزيل ٣٨/٢.

٤. المجمع ٥٢١/٣.

١. مجمع البيان ٥٢١/٣.

٣. تفسير القمي ٥٢/٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: الغداة والعشي.

[وقيل^(١): كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء [والعشاء]^(٢) أعجب به . وكانت تكره الوجبة ؛ وهي الأكلة الواحدة في اليوم . فأخبر الله تعالى أنَّ لهم في الجنة [رزقهم]^(٣) بكرةً وعشيّاً وعلى قدر ذلك الوقت . وليس ثمَّ ليل ، وإنما هو ضوء ونور ، عن قتادة]^(٤).

وقيل^(٥): إنَّهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب .

وفي محاسن البرقي^(٦): عنه ، عن النضر بن سويد ، عن عليّ [بن صامت]^(٧) عن ابن أخي^(٨) شهاب بن عبد ربّه قال : شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من^(٩) الأوجاع والتخم . فقال : تغدّ وتعضّ ، ولا تأكل بينهما شيئاً . فإنّ فيه فساد البدن . أما سمعت الله ﷻ يقول : «لهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً» .

وفي كتاب طب الأنمة عليه السلام^(١٠) : محمّد بن عبد الله العسقلاني - إلى آخر السند - عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾^(١١) : أي نبقئها عليهم من ثمرة تقواهم ، كما يبقى على الوارث مال مورثه .

والوراثه أقوى لفظ استعمل في التملك والاستحقاق ، من حيث أنّها لا تُعقّب بفسخ ولا استرجاع ، ولا تبطل برّد وإسقاط .

وقيل^(١٢) : يورث المتّقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار - لو أطاعوا - زيادةً في كرامتهم .

١ . نفس المصدر والموضع .

٢ . من المصدر .

٣ . من م .

٤ . نفس المصدر والموضع .

٥ . ليس في ن .

٦ . كذا في المصدر . وفي ن : عن أخي . وفي غيرها : عن أبي أخي .

٧ . م : من الغم .

٨ . طب الأنمة عليه السلام / ٥٩ .

٩ . أنوار التنزيل ٣٨/٢ .

وقرئ^(١): «نورث» بالتشديد.

وفي تهذيب الأحكام^(٢) في أدعية نوافل شهر رمضان: سبحان من خلق الجنة لمحمد وآل محمد. سبحان من يورثها محمداً وآل محمد وشيعتهم.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: حكاية قول جبرئيل.

قيل^(٣): حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سُئِلَ عن قصّة أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح، ولم يدر ما يجب رجاء أن يوحى إليه فيه. فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً. وقيل: أربعين - حتّى قال المشركون: ودّعه ربّه [وقلاه]^(٤) ثمّ نزل بيان ذلك. والتّنزّل: النزول على مهل؛ لأنّه مطاوع أنزل. وقد يُطلق بمعنى النزول مطلقاً، كما يطلق نزل بمعنى أنزل. والمعنى: وما ننزل وقتاً غيبً وقت إلا بأمر الله^(٥) على ما تقتضيه حكمته.

وقرئ^(٦): «وما يتنزل» بالياء، والضمير للوحي.

﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحيين.

ولا تنتقل من مكان إلى مكان، ولا تنتزل في زمان دون زمان، إلا بأمره ومشيئته.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٧): تاركاً لك. أي ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به، ولم يكن ذلك عن ترك الله لك توديعه إياك - كما زعمت الكفرة^(٨) - وإنما كان لحكمة رآها فيه.

وقيل^(٩): أوّل الآية حكاية قول المتّقين حين يدخلون الجنّة. والمعنى: وما ننزل^(١٠) الجنّة إلا بأمر الله ولطفه، وهو مالك الأمور كلّها؛ السالفة، والمرتّبة، والحاضرة. فما

١. أنوار التنزيل ٣٨/٢.

٢. لم نعر عليه في المصدر؛ ولكن رواه العروسي في نور الثقلين ٣٥٢/٣، ح ١٢٢؛ تهذيب الأحكام ٩٨٣،

ح ٢٥٨. ٣. أنوار التنزيل ٣٨/٢.

٤. من م. ٥. من ع.

٦. نفس المصدر والموضع. ٧. ليس في س، أ، ن.

٨. نفس المصدر والموضع. ٩. المصدر: نزل.

وجدناه وما نجده من لطفه وفضله. وقوله: «وما كان ربك نسياً» تقرير من الله لقولهم. أي وما كان ربك^(١) ناسياً لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها. في عيون الأخبار^(٢) عن الرضا عليه السلام حديث، وفيه يقول عليه السلام: إِنَّ الله تعالى لا يسهو ولا ينسى [وإنما ينسى]^(٣) ويسهو المخلوق والمحدث. ألا تسمعه ﷻ يقول: «وما كان ربك نسياً»؟!

وفي كتاب التوحيد^(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه لرجل سأله عما اشتبه عليه من آيات الكتاب: وأما قوله: «وما كان ربك نسياً»، فإن ربنا تبارك وتعالى علوّاً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: بيان لامتناع النسيان عليه. وهو خبر مبتدأ محذوف. أو بدل من «ربك».

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾: خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه. أي لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن ينسأك، أو أعمال العباد، فأقبل على عبادته، واصطر بها، ولا تتشوش بإبطاء الوحي ومعاندة هذه الكفرة. وإنما عُدّي باللام، لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يرد عليه من الشدائد والمشاق. كقولك للمحارب: اصطر لقرنك.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾^(٥): مثلاً يستحق أن يُسمى إلهاً. أو: أحداً يُسمى الله. فإن المشركين، وإن سموا الصنم إلهاً، لم يسموه الله قط. وذلك لظهور أحديته وتعالى ذاته عن المماثلة، بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة.

وهو تقرير للأمر في «فاعبده». أي إذا صح أن لا أحد مثله، ولا يستحق العبادة غيره،

١. من ن.

٢. لم نثر عليه في المصدر؛ ولكن رواه العروسي في نور الثقلين ٣/٣٥٢، ح ١٢٤. العيون ١/١٠٢/١. باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد قطعة من ح ١٨.

٣. من نور الثقلين. ٤. التوحيد ٢٦٠/٢، ح ٥.

لم يكن بدّ^(١) من التسليم لأمره، والاشتغال بعبادته، والاصطبار على مشاقها. وفي كتاب التوحيد^(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث السابق، يقول فيه عليه السلام للسائل أيضاً: وأما قوله: «هل تعلم له سمياً»، فإنّ تأويله: هل تعلم أحداً اسمه الله غير الله تبارك وتعالى؟

فإياك أن تفسّر القرآن برأيك حتّى تفقهه^(٣) عن العلماء، فإنّه ربّ تنزيل يشبه كلام^(٤) البشر، وهو كلام الله وتأويله لا يشبه كلام البشر. كما ليس شيء^(٥) من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر. ولا يشبه شيء من كلامه كلام^(٦) البشر. فكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم. فلا تشبه كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضلّ.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: المراد به الجنس بأسره. فإنّ المقول مقول فيما بينهم، وإن لم يقله كلّهم. كقولك: «بنو فلان قتلوا زيداً» وإن قتله واحد منهم، أو بعضهم المعهود. وهم الكفرة، أو أبي بن خلف؛ فإنّه أخذ عظاماً بالية، ففتتها وقال: يزعم أنا تبعث بعد ما نموت!

﴿إِذَا مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا﴾^(٧): من الأرض، أو من حال الموت. وتقدير الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار، لأنّ المنكر ما بعد الموت وقت الحياة. وانتصابه بفعل دلّ عليه «أُخْرِجَ» لابه؛ لأنّ ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، وهي ها هنا مخلصة للتوكيد، مجرّدة عن معنى الحال. فلا ينافي اقترانها بحرف الاستقبال. وقرئ^(٨): «إِذَا مَا مِتْ» بهمزة واحدة مكسورة، على الخبر.

﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾: عطف على «يقول». وتوسط همزة الإنكار بينه وبين

٢. التوحيد / ٢٦٤-٢٦٥، ح ٥.

١. ليس في ن.

٣. كذا في المصدر. وفي ع: تفقه. وفي سائر النسخ: تفقه.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: بشيء.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بكلام.

٧. أنوار التنزيل ٣٩/٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: بكلام.

العاطف - مع أَنَّ الأصل أَنَّ تتقدّمهما - للدلالة على أَنَّ المنكر بالذات هو المعطوف، وَأَنَّ المعطوف عليه إِنَّمَا نشأ منه، فَإِنَّهُ لو تذكّر وتأمل

﴿أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً﴾^(٣٧): بل كان عدماً صرفاً، لم يقل ذلك. فَإِنَّهُ أعجب من جمع^(١) المواد بعد التفريق وإيجاد مثل ما كان من الأعراض.

وقرئ^(٢): «يَذْكُر» من الذكر الذي يراد به التفكير. و«يتذكّر» على الأصل.

في أصول الكافي^(٣): أحمد بن مهران، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، عن علي بن أسباط، عن خلف بن حمّاد، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً». قال: لا مقدراً ولا مكوّناً.

وفي محاسن البرقي^(٤): عنه، عن أبيه، عن إسماعيل بن إبراهيم، ومحمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن حمّان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله: «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً». قال: لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: إقسام باسمه مضافاً إلى نبيّه، تحقيقاً للأمر، وتفخيماً لشأن الرسول ﷺ.

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: عطف أو مفعول معه، لما روي^(٥) أَنَّ الكفرة يُحْشَرُونَ مع قرنائهم من الشياطين الذين أغوهم، كلّ مع شيطانه في سلسلة.

﴿ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾: ليرى السعداء ما نجاهم الله منه، فيزدادوا غبطةً وسروراً، وينال الأشقياء ما اذخروا لمعادهم عدّة، فيزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشماتهم عليهم.

١. كذا في أنوار التنزيل ٣٩/٢. وفي النسخ: جميع.

٢. أنوار التنزيل ٣٩/٢. ٣. الكافي ١٤٧/١، ح ٥.

٤. المحاسن ٢٤٣/٢، ح ٢٣٤. ٥. أنوار التنزيل ٣٩/٢.

﴿جِثْيَا﴾^(٣٨): على ركبهم، بما يدهمهم من هول المحشر. أو لأنه من توابع التوافق للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب، وأهل الموقف جاثون؛ لقوله^(١) تعالى: «وترى كل أمة جاثية» على المعتاد في مواقف التقاول.

أو المراد أن الكفرة يساقون جثاة من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم، لعجزهم عن القيام، لما عراهم من الشدة.

وقرى^(٢) بكسر الجيم.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: من كل أمة شاعت ديناً.

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾^(٣٩): من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم^(٤) فيها.

و«أيهم» مبني على الضم عند سيبويه - لأنَّ حقّه أن يُبنى كسائر الموصولات - لكنّه أعرب حملاً على كلّ وبعض للزوم الإضافة. فإذا حذفت صدر صلتها، زاد نقصه، فعاد إلى حقّه منصوب المحلّ بـ«نزعن» - ولذلك قرئ^(٥) منصوباً.

موقوف عند غيره، إمّا بالابتداء. على أنّه استفهامي خبره «أشدّ» والجملة محكيّة.

وتقدير الكلام: لننزعن من كلّ شيعة الذين يقال فيهم: «أيهم أشدّ». أو مُعلّق عنها «لننزعن» لتضمّنه معنى التمييز اللازم للعلم. أو مستأنفة والفعل واقع على «من كلّ شيعة» على زيادة «من».

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾^(٤٠): أي لنحن أعلم بالذين هم أولى

بالصليّ [أو صليّهم]^(٤١) أولى بالنار. والصليّ: مصدر صليّ يصلي صليّاً، مثل كفى يكفى كفاً، ومضى يمضي مضياً. وهم المنتزعون. ويجوز أن يراد بهم وبـ«أشدّهم عتياً» رؤساء الشيع، فإنّ عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم.

١. الجاثية ٢٨/

٢. أنوار التنزيل ٣٩/٢.

٣. كذا في أنوار التنزيل ٣٩/٢. وفي النسخ: فنطرح جهنم.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. ليس في ن.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي وحفص: «صِلْيَا» بكسر الصاد^(٢).

﴿وَأَنْ مِنْكُمْ﴾: وما منكم.

التفات إلى «الإنسان». ويؤيده أنه قرئ^(٣): «وإن منهم».

﴿إِلَّا وَارِدَهَا﴾: قيل^(٤): إلّا وصلها وحاضر دونها. يمرّ بها المؤمنون، وهي خامدة.

وتنهار بغيرهم.

وروي^(٥) عن رسول الله ﷺ أنه سُئل عن هذه الآية، فقال: إذا دخل أهل الجنة

الجنة، قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها

وهي خامدة. وأما قوله^(٦) تعالى: «أولئك عنها مبعدون» فالمراد: عن عذابها.

وقيل^(٧): ورودها الجواز على الصراط، فإنّه ممدود عليها.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٨): أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدّثنا أحمد بن

محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام

في قوله ﷻ: «وإن منكم إلّا واردها» قال: أما تسمع الرجل يقول: «وردنا ماء بني

فلان»؟! فهو الورد، ولم يدخله.

وفي مجمع البيان^(٩): قال السدّي: سألت مرّة الهمداني عن هذه الآية، فحدّثني أنّ

عبد الله بن مسعود حدّثهم عن رسول الله ﷺ قال: يرد الناس النار، ثمّ يصدّرون^(١٠)

بأعمالهم. فأولهم كلمع البرق، ثمّ كمّر الريح [ثمّ كحضر الفرس]^(١١) ثمّ كالراكب، ثمّ

كشدّ الرجل، ثمّ كمشيه.

وروي^(١٢) أبو صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد، عن أبي سمينة^(١٣) قال:

١. أنوار التنزيل ٤٠/٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٦. الأنبياء ١٠١.

٨. تفسير القميّ ٥٢/٣.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: يصعدون.

١٢. نفس المصدر والموضع.

٢. كذا في م. وفي غيرها: وقرئ بكسر الصاد.

٤ و٥. أنوار التنزيل ٤٠/٢.

٧. نفس المصدر والموضع.

٩. المجمع ٥٢٥/٣-٥٢٦.

١١. ليس في م.

١٣. المصدر: أبي سمينة.

اختلفنا^(١) في الورد. فقال قوم: لا يدخلها مؤمن. وقال آخرون: يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فسألته، فأوماً بإصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمَتَا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: الورد الدخول. لا يبقى برّ ولا فاجر إلا يدخلها. فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار - أو قال: لجهنم - ضجيجاً من بردها. «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً»^(٢).

وروي^(٣) مرفوعاً، عن يعلى^(٤) بن أمية^(٥)، عن رسول الله ﷺ قال: تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمن؛ فقد أطفأ نورك لهبي!

وروي^(٦) عن النبي ﷺ أنه سُئل عن معنى الآية^(٧)، فقال: إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد، ويجمع عليها الخلق. ثم ينادي المنادي أن خذي أصحابك وذري أصحابي. فوالذي نفسي بيده، لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها.

وفي مجمع البيان^(٨): قيل: إن الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب، ليعلم تمام فضل الله عليه، وكمال لطفه وإحسانه إليه، فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها. ولا يدخل أحداً^(٩) النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من أنواع النعيم والثواب، ليكون ذلك زيادة عقوبة له و^(١٠) حسرة على ما فاتته من الجنة ونعيمها. وقد ورد في الخبر أن الحمى من فيح جهنم.

وروي^(١١) أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً، فقال: أبشر، إن الله ﷻ يقول: هي ناري؛ أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظّه من النار.

١. المصدر: اختلفا.

٢. مريم ٧٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. ن: علي.

٥. المصدر: منية.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن المعنى.

٨. نفس المصدر ٥٣٦/٣.

٩. المصدر: أحد.

١٠. ليس في المصدر.

١١. نفس المصدر والموضع.

وفي الكافي^(١): محمد، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن سعدان، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: الحمى رائد الموت، وهي^(٢) سجن المؤمن في الأرض، وهي^(٣) حظ المؤمن من النار.

محمد بن يحيى^(٤) عن موسى بن الحسن، عن الهيثم^(٥) بن أبي مسروق، عن شيخ من أصحابنا مكنى بأبي عبدالله [عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام]^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: الحمى رائد الموت، وسجن الله تعالى في أرضه، وفورها من جهنم، وهي حظ كل مؤمن من النار.

وفي اعتقادات الإمامية^(٧) للصدوق عليه السلام: وروي أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها، وإنما يصيبهم الألم عند الخروج منها، فتكون تلك الألم^(٨) جزاءً بما كسبت أيديهم^(٩) وما الله بظلام للعبيد. ولا يخفى أنه لا اختلاف بين الأخبار عند التأمل.

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(١٠): كان ورودهم واجباً أوجبه الله على نفسه، وقضى بأن وعد به وعداً لا يمكن خلفه.

وقيل^(١١): أقسم عليه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: فيساقون^(١٢) إلى الجنة^(١٣).

وقرئ^(١٤): «نُنَجِّي» بالتخفيف، و«ثُمَّ» بفتح التاء، أي هنالك.

١. الكافي ١١١/٣، ح ٣.

٢. المصدر: هو.

٣. المصدر: هو.

٤. نفس المصدر ١١٢/٣، ح ٧.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٣١٨/٢. وفي النسخ: الهاشم.

٦. ليس في م. الاعتقادات / ٩٠.

٨. من ع. وفي غيرها: الألام.

٩. ليس في ن. أنوار التنزيل ٤٠/٢.

١٠. كذا في أنوار التنزيل ٤٠/٢. وفي النسخ: فيأتون.

١١. ليس في ن.

١٢. نفس المصدر والموضع.

١٣. ليس في ن.

١٤. ليس في ن.

﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾^(٦): منهارة بهم كما كانوا.

﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: مرتلات^(١) الألفاظ، مبيّنات المعاني، أو واضحات

الإعجاز.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: لأجلهم أو معهم.

﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: المؤمنين أو الكافرين.

﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾: موضع قيام، أو مكاناً.

وقرى^(٢) بالضم، أي موضع إقامة ومنزل.

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾^(٣): مجلساً ومجتمعاً.

والمعنى أنهم لما سمعوا الآيات الواضحات، وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا، والاستدلال على أنّ زيادة حظهم فيها، تدلّ على فضلهم وحسن حالهم عند الله، لقصور نظرهم على الحال، وعلمهم بظاهر من الحياة. فردّ عليهم ذلك أيضاً مع التهديد نقضاً بقوله:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِثِيًّا﴾^(٤): و«كم» مفعول «أهلكنا»

و«من قرن» بيانه. وإنما سُمّي أهل كلّ عصر قرناً، لأنّه يتقدّم من بعده. و«هم أحسن» صفة لـ «كم» و«أثاناً» تمييز عن النسبة، وهو متاع البيت. وقيل: هو ما جدّ^(٥) منه والخُرثي ما رث، والرثي: المنظر، فعل من الرؤية كالطحن.

وقرأ^(٦) نافع وابن عامر: «ريّاً» على قلب الهمزة وإدغامها. أو على أنّه من الريّ الذي

هو النعمة، وأبو بكر: «ريياً» على القلب.

وقرى^(٧): «ريّاً» بحذف الهمزة، و«زيّاً» من الزيّ، وهو الجمع، فإنّه محاسن

مجموعة.

١. كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: من ثلاث.

٢. نفس المصدر والموضع. ٣. كذا في أنوار التنزيل ٤٠/٢. وفي النسخ: هو باجل.

٥. نفس المصدر ٤١/.

٤. نفس المصدر ٤٠/٢ - ٤١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): «عنى به الثياب والأكل والشرب. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأثاث المتاع. وأما «رثياً» فالجمال^(٢) والمنظر الحسن.

وفي أصول الكافي^(٣): محمد بن يحيى، عن سلمة^(٤) بن الخطاب، عن الحسن بن عبدالرحمان، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «إِذَا تَلَّى» الآية، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا قريشاً إلى ولايتنا، فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا الذين أقروا لأمير^(٥) المؤمنين ولنا أهل البيت: «أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندباً». تعبيراً منهم. فقال الله ردّاً عليهم: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن» من الأمم السالفة، الآية.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْنُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به.

وإنما أخرجه على لفظ الأمر، إيذاناً بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعل استدراجاً وقطعاً لمعاذيره، كقوله^(٦): «إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً». وكقوله^(٧): «أولم نعمركم ما تذكرون تذكرون».

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَائُوعَدُونَ﴾: قيل^(٨): غاية المد.

وقيل^(٩): غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا: «أي الفريقين [خير]»^(١٠) «حتى إذا رأوا ما يوعدون».

١. تفسير القمي ٥٢/٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «ورباق الجمال» بدل «وأما رثياً فالجمال».

٣. الكافي ٤٣١/١، ح ٩٠.

٤. كذا في المصدر وجامع الرواة ٣٧٢/١. وفي النسخ: مسلمة.

٥. ليس في أ. ٦. آل عمران ١٧٨.

٧. فاطر ٣٧. ٨. أنوار التنزيل ٤١/٢.

٩. أنوار التنزيل ٤١/٢. ١٠. من المصدر.

﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾: تفصيل للموعود؛ فإنه إما العذاب في الدنيا - وهو غلبة المسلمين عليهم، وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً - وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾: من الفريقين، بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه، وعاد ما متعوا به خذلاناً ووبالاً عليهم.

وهو جواب الشرط، والجملة محكية بعد «حتى».

﴿وَأَضَعَفَ جُنْدًا﴾ (٧٧): أي فئة وأنصاراً. قابل به «أحسن ندياً» من حيث أن حسن النادي باجتماع وجوه القوم وأعيانه وظهور شوكتهم واستظهارهم.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾: عطف على الشرطية المحكية بعد القول، كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتعه بالحياة الدنيا ليس لفضله، أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه؛ بل لأن الله أراد به ما هو خير له وعوضه منه.

وقيل (١): عطف على «فليمدد» لأنه في معنى الخبر، كأنه قيل: من كان في الضلالة، [يزيد الله في ضلاله] (٢) ويزيد المقابل له هداية.

وفي أصول الكافي (٣) في الحديث السابق قال: قلت: قوله: «من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً». قال: كلهم كانوا في الضلالة، لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا، فكانوا ضالين مضلين، فيمد (٤) لهم في ضالتهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شراً مكاناً وأضعف جنداً.

قلت (٥): قوله: حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً. قال: أما قوله: «حتى إذا رأوا ما يوعدون» فهو خروج القائم عليه السلام وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه.

٢. من ع.

١. أنوار التنزيل ٤١/٢.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فليمدد.

٣. الكافي ٤٣١/١، ح ٩٠.

٥. ليس في م.

فذلك قوله: «من هو شرّ مكاناً» يعني عند القائم عليه السلام «وأضعف جنداً».

قلت: قوله: «ويزيد الله الذين اهتدوا هدى» قال: ليزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم عليه السلام حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: الطاعات التي تبقى عاندها أبد الآباد.

﴿وَحَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابٌ﴾: عائدة مما مُتَّع به الكفرة من النعم المخذجة^(١) الغانية التي يفتخرون بها. سيما ومآلها النعيم المقيم، ومآل^(٢) هذه الحسرة والعذاب الدائم. كما أشار إليه بقوله:

﴿وَحَيْرٌ مَرْدَأٌ﴾ ﴿٣٦﴾: مرجعاً^(٣) وعاقبة.

والخير هاهنا إمّا لمجرد الزيادة، أو على طريقة قولهم: الصيف أحرّ من الشتاء، أي أبلغ في حرّه منه في برده.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): «الباقيات الصالحات» هو قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وحدّثني^(٥) أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة، فرأيتها قيعاناً يققأ^(٦). ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة ذهب ولبنة فضة، وربما أمسكوا. فقلت لهم: ما لكم ربّما بنيتم وربما أمسكنم؟ فقالوا: حتّى تجيئنا النفقة. فقلت لهم: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن في الدنيا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإذا قال بنياناً، وإذا أمسك أمسكنا.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ ﴿٣٧﴾: في تفسير علي بن

١. أي الناقصة. ٢. كذا في أنوار التنزيل ٤١/٢. وفي النسخ: قال.

٣. ليس في م. ٤. تفسير القمي ٥٣/٢.

٥. نفس المصدر والموضع. ٦. أي شديدة البياض. وفي المصدر: قيعان يقق.

٧. في هامش نسخة «م»: نزلت في العاص بن وائل، كان لخبّاب عليه مال فتقاضاه فقال له: لا حتّى تكفر

إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: أنَّ العاص بن وائل بن هشام القرشيَّ ثمَّ السهميَّ أحد^(٢) المستهزئين، وكان الخبَّاب بن الأرتَّ عليه حقٌّ، فأتاه يتقاضاه. فقال له العاص: ألستم ترعمون أنَّ في الجنة الذهب والفضَّة والحريز؟! قال: بلى. قال: فموعد ما بيني وبينك الجنة! فوالله لأوتينَّ فيها خيراً ممَّا أوتيت في الدنيا! ولَمَّا كان الرؤية أقوى سند الإخبار، استعمل «أرأيت» بمعنى الإخبار والفاء على أصلها. والمعنى: أخبر بقصَّة هذا الكافر عقيب حديث أولئك.

وقرئ^(٣): «وُلِدَا» جمع وَلَدٍ، كأشدَّ في أسدٍ. أو لغة كالعُزْب [والعَرَب]^(٤).
 ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾: قد بلغ من عظم شأنه إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توخَّده الواحد القهار، حتَّى ادَّعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً، وتألَّى^(٥) عليه.
 ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٦): أو اتَّخَذَ من عالم الغيب عهداً بذلك؛ فإنَّه لا يتوصَّل إلى العلم به إلَّا بأحد هذين الطريقين.
 وقيل^(٧): العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح. فإنَّ وعد الله بالثواب عليهما، كالعهد عليه.

﴿كَلَّا﴾: ردع وتنبية على أنَّه مخطئ فيما تصوَّره لنفسه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: سنظهر له أنَّنا كتبنا قوله، كقوله:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة

أي تبين أن لم تلدني لثيمة. أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو، وحفظها عليه. ويجوز أن يكون حرف التسويف لمجرَّد التأكيد. فإنَّ نفس الكتب لا تتأخَّر عن

⇒ بمحمَّد قال: والله لا أكفر بمحمَّد حيًّا ولا ميتاً ولا حين بعثت، قال: فإذا بعثت جنتني، فيكون لي ثمَّ مال وولد، فأعطيك. أنوار التنزيل ٤١/٢. ١. نفس المصدر ٥٥/.

٢. المصدر: وهو أحد. ٣. أنوار التنزيل ٤١/٢.

٤. من المصدر. ٥. أي حلف.

٦. نفس المصدر والموضع.

القول لقوله ^(١): «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد».

﴿وَمَمْدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿٣٨﴾: ونطول له من العذاب ما يستأهله. أو: نزيد عذابه ونضاعف له، لكفره وإفترائه واستهزائه على الله. ولذلك أكدّه بالمصدر، دلالة على فرط غضبه عليه.

﴿وَنُرُثُهُ﴾: بموته.

﴿مَا يَقُولُ﴾: يعني المال والولد ممّا عنده منهما.

﴿وَيَأْتِينَا﴾: يوم القيامة.

﴿فَرْدًا﴾ ﴿٣٩﴾: لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا، فضلاً أن يؤتى ثَمَّةً زائداً.

وقيل ^(٢): فرداً رافضاً لهذا القول، منفرداً عنه.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿٤٠﴾: ليتعزّزوا بهم حيث يكونون لهم

وصلة وشفعاء عنده.

﴿كَلَّا﴾: ردع وإنكار لتعزّزهم بها.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾: ستجحد الآلهة عبادتهم، ويقولون ما عبدتمونا. كقوله ^(٣):

«إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا». أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنّهم عبدوها.

كقوله ^(٤): «ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنّا مشركين».

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ ﴿٤١﴾: فسر الصّدّ بضدّ العزّ، أي ويكونون عليهم ذلاًّ. أو

بضدّهم على معنى أنّها تكون معونة في عذابهم، بأن توقّد بها نيرانهم. أو جعل الواو

للكفرة. أي يكونون كافرين بهم، بعد أن كانوا يعبدونها. وتوحيده لوحدة المعنى

الذي به مضادّتهم فإنّه بذلك كالشيء الواحد. ونظيره قوله ^(٥) ﴿إِنَّمَا﴾: «وهم يد على من

سواهم».

١. ق/ ١٨.

٢. أنوار التنزيل ٤٢/٢.

٣. البقرة ١٦٦.

٤. الأنعام ٢٣.

٥. أنوار التنزيل ٤٢/٢.

وقرئ^(١): «كَلَّا» بالتنوين على قلب الألف نوناً في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله:

أَقْلَى اللوم عاذل والعتابن

أو على معنى: كل هذا الرأي كلاً وكلاً إضمار فعل يفسره ما بعده. أي سيجحدون كلاً، سيكفرون بعبادتهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ^(٣) بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ^(٤) بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية أنه يكون^(٥) هؤلاء الذين اتَّخَذُوهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، ضِدًّا يَوْمَ^(٦) الْقِيَامَةِ، [وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْهُمْ وَمِنْ عِبَادَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]^(٧). ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ الْعِبَادَةُ هِيَ السُّجُودُ، وَلَا الرُّكُوعُ، وَإِنَّمَا هِيَ طَاعَةُ الرِّجَالِ. مَنْ أَطَاعَ مَخْلُوقاً فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، فَقَدْ عَبَدَهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَوْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: بِأَنْ سَلَطْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ، أَوْ قَيَّضْنَا لَهُمْ قِرْنَاء.

﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَرْأَ﴾^(٨): تَهْزُهُمْ وَتَغْرِيبُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي، بِالتَّسْوِيلَاتِ وَتَحْبِيبِ الشَّهَوَاتِ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): لَمَّا طَغَوْا فِيهَا وَفِي فِتْنَتِهَا^(٩) وَفِي طَاعَتِهِمْ، وَمَدَّ لَهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ^(١٠)، أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، «تَوَزُّؤُهُمْ أَرْأَ» أَي تَنْخَسُهُمْ نَخْساً وَتَحْضَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ.

٢. تفسير القمي ٥٥/٢.

١. أنوار التنزيل ٤٢/٢.

٣. المصدر: عبيد الله.

٤. كذا في المصدر وجامع الرواة ٢٠٨/١. وفي النسخ: الحسين.

٦. المصدر: ويوم.

٥. المصدر: يكونون.

٨. نفس المصدر والموضع.

٧. ليس في م.

١٠. المصدر: ظلالهم.

٩. المصدر: فتنها.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بأن يهلكوا، حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم، وتطهر الأرض من فسادهم.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: أيام آجالهم.

﴿عَذَابٌ﴾ (٣٨): والمعنى: لاتعجل بهلاكهم، فإنه لم يبق إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (١) متصلاً بقوله: وإذا أمسك، أمسكنا - عند قوله: «والباقيات الصالحات» - وقوله: «ألم تر» إلى قوله: «أزأ» قال: نزلت في مانعي [الخمس و] (٢) الزكاة والمعروف. يبعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً، فينفق ما يجب عليه من الزكاة [والخمس] (٣) في غير طاعة الله، ويعذب الله على ذلك. وقوله تبارك وتعالى: «فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عذاباً» فقال لي: ما هو عندك؟ قلت: عندي عدد الأيام. قال: إن (٤) الآباء والأمهات ليحصون ذلك، ولكنه عدد الأنفاس.

وفي الكافي (٥): محمد بن يحيى، عن الحسن بن إسحاق، عن علي بن مهزيار، عن علي بن إسماعيل الميثمي، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله ﷻ: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَاباً». قال: ما هو عندك؟ قلت: عدد الأيام. قال: إن الآباء والأمهات يحصون ذلك، ولكنه عدد الأنفاس.

وفي نهج البلاغة (٦): من كلام له عليه السلام: نفَسُ المرء خطاه إلى أجله. وقال عليه السلام: كلُّ معدود مُنْقَضٍ، وكلُّ متوقَّع آتٍ.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾: نجمهم.

﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾: إلى ربهم الذي غمرهم برحمته. ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن، ولعله لأن مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام، وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها.

١. تفسير القمي ٥٣/٢.

٢. من المصدر.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: لا إن.

٥. الكافي ٢٥٩/٣، ح ٣٣.

٦. نهج البلاغة ٤٨٠، الحكمة ٧٤ و ٧٥.

﴿وَفَدَأَ﴾^(٥٥): وافدين عليه، كما يفد الوفاد^(١) على الملوك، منتظرين لكرامتهم وإنعامهم.

والوفد: جمع وافد. وفد يفد وفدأ، وأوفد على الشيء: أشرف عليه.

﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ﴾: كما يساق البهائم

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾^(٥٦): عطاشاً. فَإِنَّ من يرد الماء، لا يبرده إلا لعطش. أو كالدواب

التي ترد الماء. والورْدُ: الجماعة التي ترد الماء.

وفي عيون الأخبار^(٢): حدثنا أبو علي محمد بن أحمد^(٣) بن يحيى المعاذي^(٤) قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عبدالله الحكمي الحاكم بنوقان قال: خرج علينا رجلان من الري برسالة بعض السلاطين بها إلى الأمير نصير^(٥) بن أحمد ببخارا. وكان أحدهما من أهل الري، والآخر من أهل قم، وكان القمي على المذهب الذي كان قديماً إبقم في النصب^(٦) وكان الرازي متشيعاً.

فلما بلغا بنيشابور، قال الرازي للقمي: ألا نبدأ بزيارة الرضا عليه السلام ثم نتوجه إلى بخارا؟ فقال القمي: قد بعثنا سلطاننا برسالة إلى الحضرة ببخارا، فلا يجوز لنا أن نستغل بغيرها حتى نفرغ منها. فقصدنا بخارا، وأذيا [الرسالة]^(٧) ورجعنا حتى حاذيا طوس. فقال الرازي للقمي: ألا تزور الرضا عليه السلام؟ فقال: خرجت من قم^(٨) مرجئاً، لا أرجع إليها رافضياً!

قال: فسلم الرازي أمتعته ودوابه إليه، وركب حماراً وقصد مشهد الرضا عليه السلام. وقال لخدام المشهد: خلوا^(٩) لي المشهد هذه الليلة، وادفعوا إلي مفتاحه. ففعلوا ذلك.

١. كذا في أنوار التنزيل ٤٢/٢. وفي النسخ: الوفاة.

٢. العيون ٢٨٦/٢ - ٢٨٧، ح ٦.

٣. المصدر: محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى.

٤. ن: المعاصر.

٥. ليس في ن.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: أدخلوا.

٨. المصدر: الري.

قال: فدخلت المشهد، وغلقت الباب، وزرت الرضا عليه السلام. ثم قمت عند رأسه، وصليت ما شاء الله تعالى، وابتدأت في قراءة القرآن من أوله. قال: فكنت أسمع صوتاً بالقرآن كما أقرأ. فقطعت صوتي ودرت ^(١) المشهد كله، وطلبت نواحيه، فلم أر أحداً. فعدت إلى مكاني، وأخذت في القراءة من أول القرآن. فكنت أسمع الصوت كما أقرأ لا ينقطع. فسكت هنيئة ^(٢) وأصغيت بأذني؛ فإذا الصوت من القبر، فكنت أسمع مثل ما أقرأ حتى بلغت آخر [سورة] ^(٣) مريم فقرأت: «يوم نحشر ^(٤) المتقين إلى الرحمن وفداً». فسمعت الصوت من القبر: «يوم يُحشَر المتقون إلى الرحمن وفداً ويساق المجرمون إلى جهنم ورداً». حتى ختمت القرآن، وختم.

فلما أصبحت، رجعت إلى نوقان، فسألت من بها من المقرئين عن هذه القراءة. فقالوا: هذه في اللفظ والمعنى مستقيم، لكننا لا نعرف في قراءة أحد. قال: فرجعت إلى نيشابور، فسألت من بها من المقرئين عن هذه القراءة. فلم يعرفها أحد منهم حتى رجعت إلى الري، فسألت بعض المقرئين عن هذه القراءة، فقلت: من قرأ: «يوم يُحشَر المتقون إلى الرحمن وفداً ويساق المجرمون إلى جهنم ورداً»؟ فقال ^(٥) لي: من أين جئت بهذا؟ فقلت: وقع لي احتياج إلى معرفتها في أمر حدث لي.

فقال: هذه قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله من رواية أهل البيت عليهم السلام. ثم استحكاني السبب الذي من أجله سألت ^(٦) عن هذه القراءة. فقصص عليه القصة، وصحت لي القراءة. وفي أصول الكافي ^(٧): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيته، ثم أمتي. ثم أسألهم: ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيته؟

١. المصدر: زرت.

٢. ليس في ع والمصدر.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: يحشر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: قالوا.

٦. من م. لا يوجد في المصدر أيضاً.

٧. الكافي ٦٠٠/٢، ح ٤.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكَ الْعَامِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَاسَلَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷺ: «يَوْمَ نَحْشُرُ» الْآيَةَ. قَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْوَفْدَ^(٢) لَا يَكُونُ إِلَّا رَكْبَانًا. أُولَئِكَ رِجَالٌ اتَّقُوا اللَّهَ ﷻ فَأَحْبَبَهُمُ [اللَّهُ]^(٣) وَاخْتَصَّصَهُمْ وَرَضِيَ أَعْمَالَهُمْ؛ فَسَمَّاهُمْ^(٤) الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، إِنَّهُمْ لَيُخْرِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَبَيَاضُ وَجُوهِمْ كَبَيَاضِ الثَّلَجِ. عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيَاضُهَا كَبَيَاضِ اللَّبَنِ، عَلَيْهِمْ نَعَالُ الذَّهَبِ [شِرَاكِهَا مِنْ لَوْلُو يَتَلَأَلُ].

وفي حديث آخر^(٥) قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَسْتَقْبِلُهُمْ بَنُوقٌ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ، عَلَيْهَا رِحَالُ الذَّهَبِ [مَكَلَّلَةٌ بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، وَجَلَالُهَا الْإِسْتَبْرَقُ وَالسِّنْدُسُ، وَخَطَامُهَا جَذَلٌ^(٦) الْأَرْجَوَانِ، وَأُزْمَتُهُمْ مِنْ زَبَرَجَدٍ، فَطِيرُ بِهِمْ إِلَى الْمُحْشَرِ، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَلْفُ مَلَكٍ مِنْ قَدَامِهِ [وَعَنْ يَمِينِهِ]^(٨) وَعَنْ شِمَالِهِ، يَزْفُونَهُمْ [زَفَاءً]^(٩) حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهِمْ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ الْأَعْظَمِ، وَعَلَى بَابِ الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ الْوَرَقَةُ مِنْهَا يَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِائَةُ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ، وَعَنْ يَمِينِ الشَّجَرَةِ عَيْنٌ مَطْهَرَةٌ مَرْكَبَةٌ.

قَالَ: فَيُسْقَوْنَ مِنْهَا شَرِبَةً، فَيُطَهَّرُ اللَّهُ ﷻ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَسَدِ، وَيَسْقُطُ عَنْ أَبْشَارِهِمُ الشَّعْرُ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ^(١٠): «وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا» مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ الْمَطْهَرَةِ. ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى عَيْنٍ أُخْرَى عَنْ يَسَارِ الشَّجَرَةِ، فَيَغْتَسِلُونَ مِنْهَا؛ وَهِيَ عَيْنُ الْحَيَاةِ، فَلَا يَمُوتُونَ أَبَدًا. ثُمَّ يَوْقِفُ بِهِمْ قَدَامَ الْعَرْشِ، وَقَدْ سَلِمُوا مِنَ الْأَفَاتِ وَالْأَسْقَامِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ [أَبَدًا]^(١١).

١. تفسير القمي ٥٣/٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الوافد.

٣. من المصدر.

٤. من ع. وفي غيرها والمصدر: فسماهم الله.

٥. لا يوجد في أ.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. المصدر: جذل. والجذل: أصل الشجر الخشبي.

٨. من المصدر.

٩. ليس في م.

١٠. من المصدر.

١١. الإنسان ٢١/.

قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة، ولا تفقههم مع الخلائق، فقد سبق رضائي عنهم، ووجبت لهم رحمتي. فكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات؟!

فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم، ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصر^(١) صريراً، فيبلغ صوت صريرها كل حوراء خلقها الله ﷻ وأعدّها لأوليائه، فيتباشرون إذ سمعن^(٢) صوت صرير الحلقة، ويقول بعضهم^(٣) لبعض: قد جاءنا أولياء الله. فيفتح لهم الباب، فيدخلون الجنة ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والأدميين فيقلن: مرحباً بكم؛ فما كان أشدّ شوقنا إليكم! ويقول لهنّ لهم أولياء الله مثل ذلك.

فقال عليّ عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، هؤلاء شيعتك [وشيعتنا]^(٤) المخلصون في ولائك^(٥)، وأنت إمامهم. وهو قول الله ﷻ: «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً» [على الرحائل]^(٦).

وفي روضة الكافي^(٧): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن إسحاق المدني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية. فقال: يا عليّ، إنّ الوفد لا يكون إلّا ركبناً، وذكر نحو ما في تفسير عليّ بن إبراهيم إلى قوله: ويقول لهم أولياء الله مثل ذلك.

وفي محاسن البرقي^(٨): عنه، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن

١. كذا في المصدر. وفي م: فتمر. وفي س، أ، ن: فقر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيتباشرون إذ يسمعون (سموعاً-ع).

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويقولون بعضهم.

٤. من المصدر. ٥. المصدر: لولايتك.

٦. لا يوجد في المصدر. وقد ورد هنا في م والمصدر الآية التالية أيضاً.

٧. الكافي ٩٥/٨، ح ٦٩. ٨. المحاسن ١٨٠/، ح ١٧٠.

وفداً» قال: يُحْشَرُونَ عَلَى النِّجَابِ^(١).

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن عبدالله بن شريك العامري، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ، يخرج يوم القيامة أقوام^(٣) من قبورهم، بياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب، شراكها من اللؤلؤ^(٤) يتلألأ، فيؤثون بنوق من نور، عليها رحائل من ذهب، مكلّل بالدرّ والياقوت. فيركبون عليها حتى ينتهوا إلى [عرش^(٥)] الرحمن، والناس في حساب يهتّمون ويغتمّون^(٦)، وهؤلاء يأكلون ويشربون فرحون.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله ﷺ؟ فقال: يا عليّ، هم شيعتك وأنت إمامهم. وهو قول الله ﷻ: «يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً» على الرحائل «ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً». وهم أعداؤك يساقون إلى النار بلا حساب. ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشِّفَاعَةَ﴾: الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين، وهو الناصب لليوم (في قوله تعالى: «يوم نحشر المتّقين»)^(٧).

﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٨): أي إلّا من تحلّى بما يسعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من [أهل] الإيمان والعمل الصالح، على ما وعد الله. أو: إلّا من اتّخذ من الله إذنًا فيها لقوله^(٩): «لا تنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن». من قولهم: عهد الأمير إلى فلان بكذا: إذا أمره به.

ومحلّه الرفع على البدل من الضمير، أو النصب على تقدير مضاف، أي إلّا شفاعته من اتّخذ عند الرحمن عهداً [أو على الاستثناء].

١. كذا في المصدر. وفي س، أ، ن: المجانب. وفي م: الجائب. وفي ع: العجائب.

٢. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٧/١-٣٠٨، ح ١٤. ٣. المصدر: قوم.

٤. المصدر: لؤلؤ. ٥. من المصدر مع المعقوفتين.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: «يهيمون ويقيمون» بدل «يهتّمون ويغتمّون».

٧. من ع. ٨. طه ١٠٩.

٩. من ع.

وقيل ^(١): الضمير لـ «المجرمين». والمعنى: لا يملكون الشفاعة فيهم، إلا من اتخذ عند الرحمان عهداً يستعذ به أن يشفع له بالإسلام ^(٢).

وفي أصول الكافي ^(٣): محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسن بن عبدالرحمان، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت قوله: «لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً». قال: «إلا من أتى الله بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده، فهو العهد عند الله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): حدثنا جعفر بن أحمد، عن عبدالله ^(٥) بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: لا يشفع ^(٦) لهم، ولا يشفعون «إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً» إلا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده صلوات الله عليهم، فهو العهد عند الله.

حدثني ^(٨) أبي، عن الحسن بن محبوب، عن سليمان بن جعفر، [عن أبيه] ^(٩)، عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يحسن وصيته عند موته، كان نقصاً ^(١٠) في مروءته.

قلت: يا رسول الله، وكيف يوصي [الميت] ^(١١) عند الموت؟ قال: إذا حضرته الوفاة واجتمع الناس إليه، قال: اللهم يا فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمان الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا أنني أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك. وأن محمداً ﷺ عبدك ورسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب حق، والقدر والميزان حق، وأن الدين كما وصفت، وأن

١. أنوار التنزيل ٤٣/٢.

٢. من م.

٣. الكافي ٤٣١/١، ح ٩٠.

٤. المصدر: دان.

٥. تفسير القمي ٥٧٢-٥٧.

٦. المصدر: عبيدالله (عبدالله - ظ).

٧. المصدر: لا يشفع ولا يشفع.

٨. نفس المصدر/ ٥٥-٥٦.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: نقص.

١١. من المصدر.

الإسلام كما شرّعت، وأُنّ القول كما حدّثت، وأُنّ القرآن كما أنزلت، وأُنّك أنت الله^(١) [الملك]^(٢) الحقّ المبين. جزى الله محمّداً خير الجزاء، وحيّا الله محمّداً وآل محمّداً بالسلام.

اللهم يا عدّتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدّتي، ويا وليّني في نعمتي، إلهي وإله آبائي، لا تكلّني إلى نفسي طرفة عين، فإنّك إن تكلّني إلى نفسي^(٣) كنت أقرب من الشرّ وأبعد من الخير، [وأسرّ في الفتن وحدي]^(٤) فأنس في القبر وحشتي، واجعل لي عهداً^(٥) يوم ألقاك منشوراً.

ثمّ يوصي بحاجته. وتصديق هذه الوصيّة في سورة مريم عليها السلام في قوله عَلَيْكَ: «لا يملكون الشفاعة إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً». فهذا عهد الميّت، والوصيّة حقّ على كلّ مسلم [وحقّ عليه]^(٦) أن يحفظ هذه الوصيّة، ويتعلّمها^(٧).

وقال عليّ عليه السلام: علّمناها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: علّمناها جبرئيل.

وفي الكافي وتهذيب الأحكام^(٨) مثل هذه الوصيّة سواء.

وفي جوامع الجامع^(٩): وعن ابن مسعود أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأصحابه ذات يوم:

أعجز أحدكم أن يتّخذ كلّ صباح ومساءً عند الله عهداً؟! قالوا: وكيف ذلك؟

قال: يقول: اللهمّ فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إنّي أعهد إليك بأنّي أشهد أن لا إله إلّا أنت، وحدك لا شريك لك، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، وأنّك إن تكلّني إلى نفسي، تقربني من الشرّ، وتبعدني من الخير. وأنّي لا أتقّ إلّا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفّينيّه يوم القيامة، إنّك لا تخلف الميعاد.

١. من م. ٢. من المصدر.

٣. يوجد في المصدر هاهنا هذه الزيادة: طرفة عين فإنّك إن تكلّني إلى نفسي.

٤. من المصدر. ٥. من ع.

٦. ليس في المصدر. ٧. ليس في ن.

٨. الكافي ٢/٢٧، ح ١؛ وتهذيب ١٧٤/٩، ح ٧١١.

٩. الجوامع ٢٧٨/.

فإذا قال ذلك، طبع الله ^(١) عليه بطابع ويوضع ^(٢) تحت العرش. فإذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين الذين لهم عند الله ^(٣) عهد فيدخلون الجنة؟ ^(٤)

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ قيل ^(٥): الضمير يحتمل الوجهين؛ لأن هذا المكان مقولاً فيما بين الناس، جاز أن ينسب إليهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): حدثنا جعفر بن أحمد، عن عبد الله ^(٧) بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: قوله ﷻ: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً». قال: [هذا] ^(٨) حيث قالت قريش: إن لله ﷻ ولداً، وإن الملائكة إناث ^(٩). فقال الله تبارك وتعالى ردأ عليهم:

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا﴾ ﴿٨٩﴾ قال ^(١٠): أي عظيماً. والالتفات للمبالغة في الذم. أو التسجيل عليهم بالجرأة على الله. والإدّ - بالكسر والفتح -: العظيم المنكر. والأداة: وأدّني الأمر وأدّني: أثقلني وعظم عليّ.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾: وقرئ ^(١١) بالياء.

١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: الرحن.

٤. في هامش نسخة «م»: وعن الصادق عليه السلام عن أبيه، عن أبيه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: «لا يملكون الشفاعة» الآية، أنه إذا كان يوم القيامة، نادى مناد من قبل العرش ألا من كان له قبلي حقّ أو له عندي عهد، فليدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب. قيل: يا رسول الله، وما العهد؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمان الرحيم، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأن علياً صفيك ووليّك، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فتقرّبنا من الشرّ وتباعداً من الخير فإنا لا نثق إلا برحمتك واجعل لنا ذلك عندك عهداً تؤدّيه إلينا يوم نلتقائك إنك مولانا لا تخلف الميعاد. قاله ابن باقي في اختباره، من حواشي جنة الأمان.

٥. أنوار التنزيل ٤٣/٢.

٦. تفسير القمي ٥٧/٢. المصدر: عبيد الله (عبد الله - ط).

٨. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: «وإن من الملائكة إناثاً».

١٠. تفسير القمي ٥٧/٢. ١١. أنوار التنزيل ٤٣/٢.

﴿يَنْفَطِرْنَ﴾: يتشققن مرةً بعد أخرى.

﴿مِنْهُ﴾: قال ^(١): يعني ممّا قالوه وممّا رموه به.

وقرئ ^(٢): «ينفطرن». والأوّل أبليغ؛ لأنّ التفعل مطاوع فعل، والانفعال مطاوع فعل. ولأنّ أصله للتكلف.

﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾: تسقط ممّا قالوه، وممّا رموه به.

﴿هَذَا﴾ ^(٣): أي سقوطاً. أو: مهدودة ومكسورة. أو [تخرّ] ^(٤) للهدّ ممّا قالوه.

وهو تقرير لكونه إذاً. والمعنى: إنّ هول هذه الكلمة وعظمتها، بحيث لو تصوّرت بصورة محسوسة، لم تتحمّلها هذه الأجرام العظام وتفتّتت من ثقلها. أو: إنّ فضاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لو لا حملة، لخزّب العالم، وبدّد قوائمه، غضباً على من تفوّه بها.

﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ^(٥): يُحْتَمَلُ النصب على العلة لـ «تكاد»، أو لـ «هذا» على حذف اللام، وإفشاء الفعل إليه، والجرّ بإضمار اللام، أو بالإبدال من الهاء في «منه». والرفع على أنّه خبر محذوف تقديره والموجب لذلك «أن دعا» أو فاعل «هذا». أي هدّها دعا الولد للرحمان. وهو من «دعا» بمعنى «سمّى» المتعدّي إلى المفعولين. وإنّما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكلّ ما دعي له ولداً ^(٦). أو من «دعا» بمعنى «نسب» الذي مطاوعه ادّعى إلى فلان: إذا انتسب إليه.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ^(٧): ولا يليق به اتّخاذ الولد، ولا يُتَطَلَّبُ له لو طلب مثلاً لأنّه مستحيل.

ولعلّ في ترتيب الحكم بصفة الرحمانية الإشعار بأنّ كلّ ما عداه نعمة ومنعم عليه، فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلّها ومولى أصولها وفروعها، فكيف يمكن أن يتّخذها ولداً؟!.

١. تفسير القمي ٥٧/٢.

٢. أنوار التنزيل ٤٣/٢.

٣. من تفسير الصافي ٢٩٦/٣.

٤. ليس في م.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي ما منهم.

﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ (٣٣): إلا وهو مملوك يأوي إليه بالعبودية والانقياد.

﴿لَقَدْ أَخْصَاهُمْ﴾: حصرهم وأحاط بهم، بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه

وقبضته وقدرته.

﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٣٤): أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم، فإن «كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

بمقدار»^(١).

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٣٥): قال في الحديث السابق (٦): واحداً واحداً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٣): حدّثني أبي، عن إسحاق بن الهيثم، عن سعد بن

طريف (٤)، عن الأصمغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: إنّ الشجر لم يزل حصيداً (٥) كلّهُ

حتّى دُعِيَ للرحمان ولد، عزّ (٦) الرحمان (٧) وجلّ أن يكون له ولد. «تكاد» (٨) السماوات

أن يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً». فعند ذلك اقشعرّ الشجر، وصار

شوك، حذار أن ينزل به العذاب. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٣٦): سيحدّث لهم في

القلوب مودةً من غير تعرّض منهم لأسبابها.

قيل (٩): والسين، لأنّ السورة مكيّة، وكانوا مبغوضين ممقوتين بين الكفرة،

فوعدهم ذلك إذا دجا (١٠) الإسلام. أو لأنّ الموعد القيامة، حين تُعرّض حسناتهم على

رؤوس الأَشْهَاد، فينزغ ما في صدورهم من الغلّ.

١. الرعد ٨/.

٢. تفسير القمّي ٥٧/٢.

٣. نفس المصدر ٨٥/١-٨٦.

٤. كما في رجال النجاشي ٤٦٨، وفي س، أ، م: ظريف.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: حصيلاً. ٦. المصدر: اعز.

٧. من ع. ٨. المصدر وم: فكادت.

٩. أنوار التنزيل ٤٤/٢. ١٠. أي انتشر. وفي غير: رحا.

وروي ^(١) عن النبي ﷺ: إذا أحبَّ الله عبداً يقول لجبرئيل: أحببت فلاناً، فأحبه ^(٢)، فيحبه جبرئيل. ثم ينادي [في أهل السماء] ^(٣): إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً، فأحبَّوه. فيحبه أهل السماء. ثم توضع له المحبة في أهل ^(٤) الأرض.

والإيمان والعمل الصالح، إنما يمتاز بولاية أمير المؤمنين والأئمة. يدل عليه ما رواه علي بن إبراهيم ^(٥) قال: روى فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قال: آمنوا بأمر المؤمنين عليه السلام وعملوا الصالحات بعد المعرفة. معناه: بعد المعرفة بالله وبرسوله والأئمة صلوات الله عليهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦) في الحديث السابق متصلاً بقوله: «واحدًا واحدًا»: قلت: قوله ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِثْقًا». قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. هي الوِثْقُ الذي ذكره الله ﷻ.

وفي أصول الكافي ^(٧): بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام [مثله، إلَّا أَن فِيهِ: هي الوِثْقُ الذي قال الله .

وفي تفسير العياشي ^(٨): عن عمار بن سويد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في هذه الآية ^(٩): «فَلَعَلَّكَ تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» - وذكر حديثاً طويلاً في آخره.

ودعا رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين عليه السلام في آخر صلاته، رافعاً بها صوته يُسمع الناس ^(١٠) يقول: اللهم، هب لعلِّي المودة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في

١. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في م.

٥. تفسير القمي ٥٧/٢.

٧. الكافي ٤٣١/٢، ح ٩٠.

٩. ليس في ن.

١١. ليس في س، أ، ن.

٢. المصدر: فأحبَّوه.

٤. لا يوجد في المصدر.

٦. نفس المصدر ٥٧/.

٨. تفسير العياشي ١٤٢/٢، ح ١١.

١٠. هود ١٢/.

صدور المنافقين. فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» (الآية). وفي الحديث تَمَّتْ تأتي عند قوله ^(١): «قوماً لداً».

وفي مجمع البيان ^(٢): وفي تفسير أبي حمزة الثمالي: حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِعَلِيٍّ: قُلْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ عَهْدًا واجْعَلْ لِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَدًّا. فَقَالَ ^(٣): فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُ: قُلْ يَا عَلِيُّ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَدًّا. فَنَزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٥): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ:

نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ حَبٌّ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ ^(٦).

﴿فَأَنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ﴾: بِأَن أُنزِلْنَا بِلِغَتِكَ.

١. مريم / ٩٧. ٢. المجمع ٥٣٢/٣ - ٥٣٣.

٣. المصدر: فَقَالَهُمَا عَلِيٌّ. ٤. تفسير القمي ٥٧٢.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٩/١، ح ١٨.

٦. في هامش نسخة «م»: وَمِنَ الْغَرَائِبِ كُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مُتَفَكِّرًا فِي عِيُوبِ الدُّنْيَا وَفِي أَحْوَالِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَحَدًا يَقُولُ: مِنْ حِبِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، يَقْدِفُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ وَيَضَعُهُمَا عَلَى أَبْدَانِ مُحِبِّيهِمَا لِيَلْصَقًا بِأَبْدَانِهِمْ. وَقَرَأْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى «سَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ وَدًّا» دَلِيلًا لَذَلِكَ. فَقُلْتُ: بَعْدَ الْيَقِظَةِ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فَلَعَلَّ الْمَرَادَ بِهِ بَطْنُ الْآيَةِ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَعَ حُبِّهِمْ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ حَالَهُمْ هَذِهِ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ أَوْ لَمْ يَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ حُبِّهِمْ إِثَامًا وَيَحْتَمِلُ التَّوْبِيخَ أَوْ التَّمْثِيلَ أَيْضًا فَقَوْلُهُ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فِي الْمَعْنَى «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وَدًّا فَهَلَا مَعَ مُحِبِّيهِمْ وَالْمَعْنَى الْأَخِيرُ أَدَقُّ وَأَوْفَقُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ. (جعفر - عفي عنه).

والباء بمعنى «على» أو على أصله، لتضمّن «يسرناه» معنى أنزلناه. [أي أنزلناه]^(١) بلغتك.

﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلى التقوى.

﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لَدَا﴾^(٢): أشداء الخصومة، آخذين في كلّ لديد، أي شقّ من المراء لفرط لجاجهم.

وفي الحديث السابق المنقول عن تفسير العياشي^(٣): «وتنذره قوماً لداً» بني أمية. فقال رمع^(٤): والله لصاع من تمر في شقّ^(٥) بال أحب إليّ ممّا سأل [محمد]^(٥) ربّه! أفلا سأله ملكاً يعضده، أو كنزاً يستظهر به على فاقته؟! فأنزل الله فيه عشر آيات من هود أولها^(٦): «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك» الآية.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٧): عن الصادق عليه السلام في قوله: «قوماً لداً» قال: أصحاب الكلام والخصومة.

وفي روضة الواعظين^(٨) للمفيد عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً» هو عليّ عليه السلام «فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين» [قال: هو عليّ]^(٩) «وتنذره قوماً لداً» قال: بني أمية، قوماً ظلمة.

وفي أصول الكافي^(١٠): محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسين بن عبد الرحمان، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت قوله تبارك وتعالى: «فإنما يسرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين وتنذره قوماً لداً» قال: إنّما

١. ليس في أ. ٢. تفسير العياشي ١٤٢/٢، ح ١١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: لكع. و«رمع» مقلوب «عمر».

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: شق. والشق: القرية الصغيرة.

٥. من المصدر. ٦. هود/١٢.

٧. تفسير القميّ ٥٦٢. ٨. روضة الواعظين ١٠٦/١.

٩. الكافي ٤٣١/١-٤٣٢، ح ٩٠. ١٠. المصدر.

يَسْرَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى لِسَانِهِ ﷺ حِينَ أَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا [عَلَمًا]^(١)، فَبَشَّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْذَرَهُ الْكَافِرِينَ. وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى «قَوْمًا لَدَا»^(٢) أَيَّ كَفَّارًا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣) بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ مثله.

«وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ»: تخويف للكفرة، وتجسير للرسول ﷺ علي

إنذارهم.

«هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ»: هل تشعر بأحد منهم وتراه؟

«أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا»^(٤): وقرئ^(٥): «تُسْمِعُ» من أسمعت. والركز: الصوت الخفي.

وأصل التركيب هو الخفاء. ومنه: ركز الرمح: إذا غُيِّبَ طرفه في الأرض. والركاز: المال المدفون.

وفي الحديث السابق المنقول عن تفسير علي بن إبراهيم^(٥) أَنَّهُ قَالَ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَهْلَكَ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْأُمَمِ مَا لَا تَحْصُونَ^(٦) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ «هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا» أَيَّ ذِكْرًا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

١. من المصدر.

٢. المصدر: ذكرهم الله تعالى في كتابه «لَدَا».

٤. أنوار التنزيل ٤٤/٢.

٣. تفسير القمي ٥٧/٢.

٦. المصدر: ما لا يحصون له.

٥. تفسير القمي ٥٧/٢.

سورة طه

سورة طه

مَكِّيَّة وهي مائة وخمسة^(١) وثلاثون آية.

في كتاب ثواب الأعمال^(٢): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تَدْعُوا قراءة سورة طه؛ فإن الله يحبها ويحب من قرأها. ومن أدامن قراءتها، أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه، ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأُعطي (في الآخرة من الأجر حتى يرضى). وفي مجمع البيان^(٣): أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من قرأها، أُعطي^(٤) يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار.

أبو هريرة^(٥)، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله تبارك وتعالى قرأ «طه» و«يس» قبل أن يخلق آدم بألفي عام. فلما سمعت الملائكة القرآن، قالوا: طوبى لأمة ينزل^(٦) هذا عليها! وطوبى لأجواف تحمل هذا! وطوبى لألسن تكلم بهذا!^(٧) وعن الحسن^(٨) قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا «يس» و«طه».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه﴾: فُخِّمَهَا^(٩) [قالون وابن كثير و]^(١٠) ابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل. وَفُخِّمَ^(١١) الطاء وحده أبو عمرو لاستعلائه، وكذا ورش. وأما لهما الباقيون.

١. كذا تفسير الصافي ٢٩٩/٣. وفي النسخ: أربع.

٢. ثواب الأعمال/ ١٣٤، ح ١.

٣. المجمع ١/٤.

٤. ليس في ن.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: نزل.

٧. المصدر: تَكَلَّمَ.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. أنوار التنزيل ٤٤/٢.

١٠. ليس في ن.

١١. من م.

وهما من أسماء الحروف. وقد مرَّ بعض الاحتمالات في أول سورة البقرة.

وقيل ^(١): معناه: يا رجل، [على لغة عك] ^(٢).

وقرئ ^(٣): «طَه»، على أنه أمر للرسول ﷺ بأن يطأ الأرض بقدميه، وأن أصله «طأ» فقلبت همزته هاءً.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٤) بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وأما «طه» فاسم من أسماء النبي ﷺ ومعناه: يا طالب الحق الهادي إليه.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٥): تأويل «طه» ذكره صاحب نهج الإيمان، قال: في تفسير الثعلبي قال: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قوله ﷻ: «طه» أي طهارة أهل البيت ^(٦) عليه السلام من الرجس. ثم قرأ: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» ^(٧).

﴿ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ^(٨) خبر «طه» إن جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أو القرآن، والقرآن واقع ^(٩) فيه موقع العائد. وجوابه: إن جعلته مقسماً به. ومنادى له، إن جعلته نداءً. واستثناؤه، إن كانت جملة فعلية بإضمار مبتدأ، أو طائفة من الحروف محكية.

والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب. والشقاء شائع بمعنى التعب. ومنه: أشقى من راض المهر، وسيد القوم أشقاها. قيل ^(١٠): ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل إليه ليسعد.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٠٩/١، ح ١.

٧. الأحزاب ٣٣/.

٩. ليس في ن.

٢. ليس في م.

٤. المعاني ٢٢/، ح ١.

٦. المصدر: أهل بيت محمد.

٨. ليس في ن.

١٠. أنوار التنزيل ٤٥/٢.

وقيل ^(١): ردّ وتكذيب للكفرة، فإنهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا: إنك لتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به!

وفي تفسير علي بن ابراهيم ^(٢): حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن علي بن ^(٣) أبي بصير، عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليه السلام قالوا: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام على أصابع رجله حتّى تورّمت. فأنزل الله تبارك وتعالى: «طه» بلغة طي: يا محمّد «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى».

وفي أصول الكافي ^(٤): حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن وهيب ^(٥) بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها. فقالت: يا رسول الله، لم تُتعب نفسك، وقد غفر [الله] ^(٦) لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! فقال: يا عائشة، ألا أكون عبداً شكوراً؟!

قال: وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجله. فأنزل الله سبحانه: «طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى».

وفي كتاب الاحتجاج ^(٧) للطبرسي رحمته الله: روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد قام رسول الله ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه، وأصفر وجهه. يقوم الليل أجمع حتّى عوتب في ذلك؛ فقال الله ﷻ: «طه»، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» بل لتسعد به. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمته الله ^(٨) بإسناده إلى ابن عباس قال: كنّا جلوساً مع النبي ﷺ إذ

١. أنوار التنزيل ٤٥/٢. ٢. تفسير القمي ٥٨٥٧/٢.

٣. المصدر: علي بن (أبي حمزة، عن - ط). ٤. الكافي ٩٥/٢، ح ٦.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة، وفي النسخ: وهب.

٦. من المصدر. ٧. الاحتجاج ٢١٩/٢٢٠.

٨. رواه العروسي في نور الثقلين ٣/٣٦٧، ح ١١. أمالي الشيخ الطوسي ٣٦٦/١.

هبط عليه الأمين جبرئيل عليه السلام ومعه جام من البلور الأحمر، مملوء مسكاً وغنبراً. وكان إلى جنب رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وولده الحسن والحسين عليهما السلام. فقال له: السلام عليك، الله يقرأ عليك السلام، ويحييك بعده التحية، ويأمرك أن تحيي علياً وولديه.

قال ابن عباس: فلمّا صارت في كف رسول الله ﷺ هلل ثلاثاً، وكبر ثلاثاً. ثم قال بلسان ذرب طلق - يعني الجام: «بسم الله الرحمن الرحيم، طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿الْأْتَذْكِرَةَ﴾: لكن تذكيراً. وانتصابها على الاستثناء المنقطع.

قيل ^(١): ولا يجوز أن يكون بدلاً من محل «تشقى» لاختلاف الجنس، ولا مفعولاً له. «أنزلنا». فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين.

وقيل ^(٢): هو مصدر في موضع الحال من الكاف أو «القرآن» أم مفعول له، على أن «لتشقى» متعلق بمحذوف هو صفة «القرآن» أي ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه.

﴿لَمَنْ يَخْشَى﴾ ^(٣): لمن في قلبه خشية ورقة تتأثر بالإنذار. أو: لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه، فإنه المنتفع.

﴿تَنْزِيلًا﴾: نُصِبَ بإضمار فعله. أو بِـ «يخشى». أو على المدح. أو على البدل من «تذكرة» إن جُعِلَ حالاً. وإن جُعِلَ مفعولاً له لفظاً أو معنى فلا؛ لأن الشيء لا يعمل بنفسه ولا بنوعه.

﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ ^(٤): مع ما بعده إلى قوله: «الأسماء الحسنى» تفخيم لشأن المُنَزَّل بعرض ^(٥) تعظيم المُنَزَّل، بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل، فبدأ بخلق الأرض والسموات التي هي أصول العالم. وقدم الأرض

١. أنوار التنزيل ٤٥/٢.

٢. أنوار التنزيل ٤٥/٢.

٣. كذا في أنوار التنزيل ٤٥/٢. وفي ع وم: لغرض. وفي غيرهما: بغرض.

لأنّها أقرب إلى الحسّ، وأظهر عنده من السماوات العلى - وهو جمع العليا، تأنيث الأعلى - ثم أشار إلى وجهه^(١) إحداث الكائنات وتدبير أمرها بأن قصد العرش، فأجرى منه الأحكام والتقدير، وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير، حسبما اقتضته [حكيمته، وتعلّقت^(٢) به مشيئته، فقال:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣) في كتاب التوحيد^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، وفيه قال السائل: فقول: «الرحمن على العرش استوى»؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه. وكذلك هو مستول على العرش، بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا أن يكون العرش محتازاً^(٥) له. ولكنّا نقول: هو حامل العرش، وممسك العرش، ونقول من ذلك ما قال^(٦): «وسع كرسيه السموات والأرض». فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته، ونفيّا أن يكون العرش أو الكرسي حاوياً له، وأن يكون محتاجاً إلى مكان، أو إلى شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

وفيه^(٧) خطبة عجيبة لأمير المؤمنين عليه السلام وفيها: والمستولي^(٨) على العرش بلا زوال.

وفيه^(٩) عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل يذكر فيه عظمة الله جلّ جلاله، يقول فيه صلى الله عليه وآله بعد أن ذكر الأرضين السبع: ثمّ السماوات^(١٠) السبع^(١١)، والبحر المكفوف، وجبال البرد، وحجب النور، والهواء الذي تحار^(١٢) فيه القلوب. وهذه السبع والبحر المكفوف

-
١. ع: أوجه.
 ٢. ليس في م.
 ٣. التوحيد ٢٤٨/ ح ١.
 ٤. المصدر: ولأن العرش محتاز.
 ٥. البقرة ٢٥٥.
 ٦. نفس المصدر ٣٣/ ح ١. والكافي ١٤٢/١، ح ٧. روى المؤلف عليه السلام هذه العبارة بعينها عن الكافي أيضاً قبل وروده في تفسير الآية الآتية.
 ٧. المصدر: المستوي.
 ٨. نفس المصدر ٢٧٧/ ح ١.
 ٩. ليس في أ.
 ١٠. ليس في ن وأ.
 ١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: تحال.

وجبال البرد والهواء والحجب والكرسي عند العرش، كحلقة في فلاة. ثم تلا هذه الآية: «الرحمن على العرش استوى». ما تحمله ملك^(١) إلا بقول^(٢): لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي روضة الكافي^(٣): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن صفوان، عن خلف بن حماد، عن الحسين بن زيد^(٤) الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله مثله إلى قوله: استوى.

وفي كتاب التوحيد^(٥) بإسناده إلى محمد بن مارد^(٦): أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله ﷻ: «الرحمن على العرش استوى». فقال: استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧) مثله.

أبي جعفر قال^(٨): حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين^(٩)، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمان بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «الرحمن على العرش استوى». فقال استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء^(١٠) لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى من كل شيء.

وفي الكافي^(١١) مثل سواء.

وبإسناده^(١٢) إلى زاذان^(١٣)، عن سلمان الفارسي حديث طويل، يذكر فيه قدوم

١. ع: الملائكة. المصدر: الأملاك.

٣. الكافي ١٥٣/٨، ح ١٤٣.

٥. التوحيد/٣١٥، ح ١.

٦. كذا في المصدر وجامع الرواة ١٨٦/٢. وفي النسخ: مازن.

٧. تفسير القمي ٥٩/٢.

٨. التوحيد/٣١٥، ح ٢.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسن.

١٠. يوجد في م.

١١. الكافي ١٢٨/١، ح ٧ و٨.

١٢. التوحيد/٣١٦، ح ٣.

١٣. كذا في المصدر. وفي ع، أ، وس: مازان. وفي ن: مازن. وفي م: مهاذان.

الجالليق المدينة، مع مائة من النصاري، بعد قبض رسول الله ﷺ وسؤاله أبابكر عن مسائل لم يجبه عنها، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب] ^(١) فسأله عنها، فأجابته. فكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن ربك، أيحمل أو يُحمل؟ فقال علي عليه السلام: إن ربنا ﷻ يحمل ولا يُحمل.

قال النصراني: وكيف ذلك، ونحن نجد في الإنجيل: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية»؟!

فقال علي عليه السلام: إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهينة السرير؛ ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر، وربك ﷻ مالكة، لا أنه عليه، ككون الشيء علي الشيء، وأمر الملائكة بحمله، فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه. قال النصراني: قد صدقت، يرحمك الله.

وبإسناده ^(٢) إلى الحسن بن موسى الخشاب، عن بعض رجاله، رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن قول الله ﷻ: «الرحمن على العرش استوى». فقال: استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

وبإسناده ^(٣) إلى أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زعم أن الله ﷻ من شيء، أو في شيء، أو على شيء، فقد كفر. قلت: فسر لي. قال: أعني بالحواية من الشيء له، أو بإمساكه ^(٤) له، أو من شيء سبقه.

وفي رواية أخرى ^(٥) قال: من زعم أن الله من شيء، فقد جعله محدثاً. ومن زعم أن الله في شيء، فقد جعله محصوراً. ومن زعم أنه على شيء، فقد جعله محمولاً. وبإسناده ^(٦) إلى مقاتل بن سليمان قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله ﷻ: «الرحمن على العرش استوى». فقال: استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

٢. نفس المصدر/٣١٧-٣١٧، ح ٤.

٤. المصدر: بإمساك.

٦. نفس المصدر/٣١٧، ح ٧.

١. من المصدر.

٣. نفس المصدر/٣١٧، ح ٥.

٥. نفس المصدر/٣١٧، ح ٦.

وبإسناده^(١) إلى الحسن بن محبوب، عن حماد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كذب من زعم أن الله تعالى من شيء، أو في شيء، أو على شيء.

وبإسناده^(٢) إلى محمد بن سنان، عن المفصل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زعم أن الله من شيء، أو في شيء، أو على شيء، فقد أشرك. ثم قال: من زعم أن الله من شيء، فقد جعله محدثاً. ومن زعم أنه في شيء، فقد زعم أنه محصور. ومن زعم أنه على شيء، فقد جعله محمولاً.

وبإسناده^(٣) إلى حنان بن سدير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش^(٤) والكرسي. فقال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة. فقلوه^(٥): «رب العرش العظيم» يقول: الملك العظيم. وقوله: «الرحمن على العرش استوى» يقول: على الملك احتوى. وهذا ملك الكيفيّة في الأشياء.

ثم العرش في الوصل منفرد عن الكرسي، لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان، لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه يطلع^(٦) البدع، ومنه الأشياء كلها. والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشية وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحركات والترك، وعلم العود والبدء^(٧). فهما في العلم بابان مقرونان، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي. فمن ذلك قال: «رب العرش العظيم» أي صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان. وفي كتاب علل الشرائع^(٨) بإسناده إلى الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جدّه

١. نفس المصدر/٣١٧، ح ٨.

٢. نفس المصدر/٣١٧، ح ٩.

٣. نفس المصدر/٣٢١-٣٢٢، ح ١.

٤. أ: العرش العظيم.

٥. التوبة/١٢٩، وغيرها من الآيات.

٦. المصدر: مطلع.

٧. كذا في المصدر. وفي ع وم: البدء. وفي سائر النسخ: والبدان والبدء.

٨. العلل/٣٩٨، ح ٢.

الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن أشياء، فكان فيما سألوه عنه، أن قال له أحدهم: لِمَ صار البيت المعمور مرتعاً؟ قال: لَأَنَّهُ بحذاء العرش [وهو مرتع] ^(١).

ف قيل له: ولم صار العرش مرتعاً؟ قال: لَأَنَّ الكلمات التي بني ^(٢) عليها [الإسلام] ^(٣) أربع [وهي] ^(٤): سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٥) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث، وفيه: قوله: «الرحمن على العرش استوى» يعني استوى تدبيره، وعلا أمره.

وعن الحسن بن راشد ^(٦) قال: سئل أبو الحسن موسى عليه السلام عن قول الله ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. [فقال: استولى] ^(٧) على ما دقَّ وجلَّ.

وفي أصول الكافي ^(٨) خطبة مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيها: والمستولي ^(٩) على العرش بلا زوال.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ^(١٠): [الثرى: التراب الندي].

وفي كتاب الخصال ^(١١): عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه تلا هذه الآية فقال: فكل شيء على الثرى، والثرى ^(١٢) على القدرة، والقدرة تحمل كل شيء.

وفي كتاب التوحيد ^(١٣) حديث طويل عن النبي ﷺ يذكر فيه عظمة الله ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وفيه يقول ﷻ بعد أن ذكر الأرضين السبع وما فيهن وما عليهن: والسموات السبع ومن

١. من المصدر. ٢. س، أ: يبنى. ع: تبني.

٣. من المصدر. ٤. من المصدر.

٥. الاحتجاج / ٢٥٠. ٦. نفس المصدر / ٣٨٦.

٧. ليس في ن. ٨. الكافي / ١٤٢/١، ح ٧.

٩. المصدر: والمستوي. ١٠. الخصال / ٥٩٧، ح ١.

١١. لا يوجد في أ. ١٢. التوحيد / ٢٧٧، ح ١.

فيهِنَّ ومن عليهنَّ على ظهر الديك، كحلقة في فلاة قي^(١). والديك له [جناحان]:^(٢) جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، ورجلاه في التخوم^(٣). والسبع والديك بمن فيه ومن عليه، على الصخرة، كحلقة في فلاة قي. والسبع^(٤) والديك والصخرة بمن فيها ومن عليها، على ظهر الحوت، كحلقة في فلاة قي. والسبع والديك والصخرة والحوت، عند البحر المظلم، كحلقة في فلاة قي. والسبع والديك والصخرة والحوت، والبحر المظلم، عند الهواء [كحلقة في فلاة قي. والسبع والديك والصخرة والبحر المظلم والهواء]^(٥) عند الثرى، كحلقة في فلاة قي. ثم تلا هذه الآية: «له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. ثم انقطع الخبر.

وفي روضة الكافي^(٦): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن صفوان، عن خلف بن حماد، عن الحسين بن زيد^(٧) الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله مثله.

وفي كتاب علل الشرائع^(٨) بإسناده إلى محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد^(٩) رفعه قال: قال علي عليه السلام ليهودي - وقد سأله عن مسائل -: أما قرار هذه الأرض، لا يكون إلا على عاتق ملك، وقدا ما ذلك الملك على صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور قوائمه على ظهر الحوت، [والحوت]^(١٠) في اليم الأسفل، واليم على الظلمة، والظلمة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم تحت الثرى إلا الله تعالى. والحديث طويل، أخذنا منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١١): حدَّثني أبي، عن علي بن مهزيار، عن العلاء^(١٢)

١. القمي - بكسر القاف: قفر الأرض والخلاء. ٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي س، م، ن: بالتخوم. وفي ع وأ: بالنجوم.

٤. ليس في ن. ٥. ليس في م ون.

٦. الكافي ١٥٣/٨ - ١٥٤، ح ١٤٣. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: يزيد.

٨. العلل ٢/١، ح ١. ٩. م: زيادة «بإسناده».

١٠. ليس في المصدر. ١١. تفسير القمي ٥٨/٢.

١٢. المصدر: علاء (بن - ط).

المكفوف ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سُئِلَ عن الأرض على أي شيء هي ؟ قال : على الحوت .

قيل له : فالحوت على أي شيء هو ؟ قال : على الماء .

فقيل له : فالماء على أي شيء هو ؟ قال على الثرى .

قيل له : فالثرى على أي شيء هو ؟ قال عند ذلك انقضى علم العلماء .

محمد بن أبي عبدالله ^(١) ، عن سهل ، عن الحسن بن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبان بن تغلب قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الأرض على أي شيء هي ؟ قال : على الحوت .

قلت : فالحوت على أي شيء هو ؟ قال : على الماء .

قلت : فالماء على أي شيء هو ؟ قال : على الصخرة .

قلت : فعلى أي شيء الصخرة ؟ قال : على قرن ثور أملس .

قلت : فعلى أي شيء الثور ؟ قال : على الثرى .

قلت : فعلى أي شيء [الثرى] ^(٢) ؟ قال : هيهات هيهات ! عند ذلك ضلّ علم العلماء .

وفي روضة الكافي ^(٣) : محمد ، عن ^(٤) أحمد ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله .

وفي بصائر الدرجات ^(٥) : أحمد بن محمد وعبدالله بن عامر ، عن محمد بن سنان ، عن الفضل بن عمر الجعفي ^(٦) قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ، وقد ذكر أئمة الهدى عليهم السلام : وجعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها ، والحجة البالغة على من فوق ^(٧) الأرض ومن تحت الثرى .

١ . نفس المصدر / ٥٩ .

٢ . ليس في م .

٣ . الكافي ٨/ ٨٧ .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ : بن .

٥ . البصائر / ٢٢٠-٢٢١ .

٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ : عن محمد الجعفي .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : في .

وفي أصول الكافي^(١) بإسناده إلى المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يذكر فيه الأئمة عليهم السلام وفيه: جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

وبإسناده^(٢) إلى سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يذكر فيه حال الأئمة عليهم السلام وفيه: جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها^(٣)، والحجة البالغة^(٤) على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

﴿وَأَنْ تَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٥): وإن تجهر بذكر الله ودعائه، فاعلم أنه غني عن جهرك، فإنه يعلم السر وأخفى منه، وهو ضمير النفس.

وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما، ليس لإعلام الله تعالى، بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها، ومنعها عن الاشتغال بغيره، وهضمها بالتضرع والابتهاال.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٦): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلِيهِ عليه السلام قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَوْفِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ سَعْدَانَ الْخِطَّاطُ^(٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْكَانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى». قَالَ: «السِّرُّ»^(٨) مَا أَكْتَنَتْهُ^(٩) فِي نَفْسِكَ. وَ«أَخْفَى» مَا خَطَرَ بِبَالِكَ، ثُمَّ أَنْسَيْتَهُ.

وفي مجمع البيان^(١٠): وروي عن السيديين الباقر والصادق عليه السلام: «السِّرُّ» مَا أَخْفَيْتَهُ

١. الكافي ١٩٦/١، ح ١. وهذا نفس الحديث السابق المنقول عن البصائر. ولعل المؤلف عليه السلام لما كان في نسخته من البصائر «محمد الجعفي» بدل «المفضل» جعلها حديثين مختلفين.

٢. نفس المصدر ١٩٧/١، ح ٢. ٣. كذا في ع. وفي سائر النسخ والمصدر: بهم.

٤. ليس في س، أ، ن. ٥. المعاني ١٤٣/١، ح ١.

٦. ليس في ن. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الخياط.

٨. ليس في ن. ٩. المصدر: كتمته.

١٠. المجمع ٣/٤.

في نفسك. و«أخفى» ما خطر ببالك، ثم أنسيته.

ثم لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الألوهية، بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها. فقال:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٥): الحسنی: تأنيث الأحسن.

في مجمع البيان^(١): روي عن النبي ﷺ أنه قال: إن لله سبحانه تسعة وتسعين اسماً. من أحصاها، دخل الجنة.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (٦): قيل^(٢): قفى تمهيد نبوته قصة موسى ﷺ ليأتى به

في تحمّل^(٣) أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد. فإن السورة من أوائل ما نزل.

﴿إِذْ رَأَى نَاراً﴾: ظرف للحديث، لأنه حدث. أو مفعول لـ«اذكر».

قيل^(٤): إنه استأذن شعباً ﷺ في الخروج إلى أمه، وخرج بأهله. فلما وافى وادي طوى - وفيه الطور - ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة، وكانت ليلة الجمعة. وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته، إذ رأى من جانب الطور ناراً.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾: أقيموا مكانكم.

وقرأ^(٥) حمزة: «لأهله امكثوا» هنا، وفي القصص^(٦) بضم الهاء في الوصل. والباقون بكسرها فيه.

﴿إِنِّي أَنَسْتُ نَاراً﴾: أبصرتها إبصاراً لا شبهة فيه.

وقيل^(٧): الإيناس: إبصار ما يؤنس به.

﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾: بشعلة من النار.

٢. أنوار التنزيل ٤٦٢

٤. أنوار التنزيل ٤٦٢

٦. القصص ٢٩

١. مجمع البيان ٣/٤

٣. ليس في م.

٥. أنوار التنزيل ٤٦٢

٧. أنوار التنزيل ٤٦٢

وقيل ^(١): جمرة.

﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ^(٢): هادياً يدلني على الطريق.

قيل ^(٣): أو يهديني أبواب ^(٤) الدين، فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعن ^(٥)

لهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام [في قوله: «أتاكم منها بقبس»] ^(٧) يقول: «أتاكم» بقبس من النار، تصطلون من البرد. [وقوله: ^(٨) «أو أجد على النار هدى»] كان قد أخطأ الطريق. يقول: أو أجد على النار طريقاً.

ولما كان حصولهما مترقباً، بنى الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس، فإنه كان محققاً لهم، ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه.

ومعنى الاستعلاء في «على» أن أهلها مشرفون عليها، أو مستعلون المكان القريب منها، كما قال سيبويه في «مررت بزيد»: إنه لصوق بمكان يقرب منه.

﴿فَلَمَّا آتَاهَا﴾: قيل ^(٩): [لما] أتى النار وجد ناراً بيضاء تتقد في شجرة خضراء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١٠): عن أبي جعفر عليه السلام: فأقبل نحو النار يقتبس، فإذا شجرة ونار تلتهب عليها. فلما ذهب نحو النار يقتبس منها، أهوت إليه. ففرع منها وعدا، ورجعت النار إلى الشجرة. فالتفت إليها، وقد رجعت إلى الشجرة. فرجع الثانية ليقتبس، فأهوت إليه، فعدا وتركها. ثم التفت إليها، وقد رجعت ^(١١) إلى الشجرة. فرجع إليها الثالثة، فأهوت إليه، فعدا «ولم يعقب» ^(١٢) أي لم يرجع. فناداه الله ^(١٣) تعالى.

١. أنوار التنزيل ٤٦٢.

٢. أنوار التنزيل ٤٦٢.

٣. ليس في م.

٤. أي يظهر.

٥. تفسير القمي ٦٠/٢.

٦. يوجد في م.

٧. من المصدر.

٨. أنوار التنزيل ٤٦٢.

٩. تفسير القمي ١٤٠/٢.

١٠. من المصدر. وفي النسخ: رجع.

١١. النمل ١٠/، والقصاص ٣١/.

١٢. ليس في م.

وسياتي تمام الحديث في سورة القصص إن شاء الله.

﴿نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ (٣١) ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾: فتحه (١) ابن كثير وأبو عمرو، أي بأني. وكسره الباقون بإضمار القول وإجراء النداء مجراه. وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق.

قيل (٢): إِنَّهُ لَمَّا نُودِيَ، قال: من المتكلم؟ قال: إِنِّي أَنَا اللهُ. فوسوس إليه إبليس: لعلك تسمع كلام شيطان! فقال: إِنِّي عَرَفْتُ أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، بَأَن أَسْمَعُهُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَبِجَمِيعِ الْأَعْضَاءِ. وهو إشارة إلى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ كَلَامَهُ (٣) روحانياً، ثُمَّ تَمَثَّلَ ذَلِكَ الْكَلَامُ لَبَدَنهُ، وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به، من غير اختصاص ببعض وجهه. ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: أمره بذلك، إمَّا لِأَنَّ الْحَفْوَةَ تَوَاضَعُ لِلَّهِ وَأَدَبٌ، أَوْ لِنَجَاسَةِ نَعْلَيْهِ، أَوْ لِكُلَيْهِمَا.

وما في تفسير علي بن إبراهيم (٤) في حديث أبي جعفر عليه السلام قال: «كأننا من جلد حمار ميت» محمول على الإنكار. وكذا ما روي في كتاب من لا يحضره الفقيه (٥) عن الصادق عليه السلام مثله.

ويمكن أن يكون معناه: فرغ قلبك من حبِّ الأهل والمال.

يدلُّ عليه ما روى الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة (٦) بإسناده إلى سعد بن عبدالله القمي، عن الحجة القائم عليه السلام حديث طويل، وفيه: قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله، عن أمر الله لنبيه موسى عليه السلام: «فاخلع نعليك إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى» (٧). فَإِنَّ فَهْمَهُ الْفَرِيقَيْنِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ إِهَابِ الْمِيتَةِ.

قال صلوات الله عليه: من قال ذلك، فقد افترى على موسى عليه السلام واستجهله في

٢. أنوار التنزيل ٤٦٢.

٤. تفسير القمي ٦٠٢.

٦. كمال الدين ٤٦٠.

١. أنوار التنزيل ٤٦٢.

٣. ليس في س، أ، ن.

٥. الفقيه ١٦٠/١، ح ٧٥١.

٧. من م.

نبوته ؛ لأنه ما خلا الأمر فيها من خصلتين^(١) : إما أن تكون صلاة موسى فيهما جائزة (أو غير جائزة)^(٢) . [فإن كانت صلاته جائزة]^(٣) جاز له لبسهما في تلك البقعة^(٤) . وإن كانت مقدسة مطهرة ، فليست بأقدس وأطهر من الصلاة . وإن كانت صلاته غير جائزة فيهما ، فقد أوجب على موسى ﷺ أنه لم يعرف الحلال من الحرام وما علم ما جاز^(٥) فيه الصلاة وما لم يجز ، وهذا كفر .

قلت : فأخبرني - يا مولاي - عن التأويل فيها^(٦) .

قال صلوات الله عليه : إن موسى ناجى ربه^(٧) بالواد المقدس فقال : يا رب ، إني قد أخلصت لك المحبة مني ، وغسلت قلبي عمن سواك . وكان شديد الحب لأهله . فقال الله تعالى : « اخلع نعليك » أي انزع حب أهلك من قلبك ، إن كانت محبتك لي خالصة ، وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول .

وروي^(٨) : أي خوفك من ضياع أهلك ، وخوفك من فرعون .

وروي^(٩) عن الصادق ﷺ أنه قال لبعض أصحابه : كن لما لا ترجو ، أرجى منك لما ترجو . فإن موسى بن عمران خرج ليقبّس لأهله ناراً ، فرجع إليهم وهو رسول نبي . وفي مجمع البيان^(١٠) : وقال الصادق ﷺ : حدّثني أبي عن جدّي ، عن أمير المؤمنين ﷺ قال : كن لما لا ترجو ، أرجى منك لما ترجو . فإن موسى بن عمران ﷺ خرج ليقبّس لأهله ناراً ، فكلّمه الله ﷻ فرجع نبياً . والحديث طويل ، أخذت منه موضع الحاجة .

١ . المصدر : خطيئتين .

٢ . ليس في م .

٣ . ليس في أ .

٤ . يوجد في جميع النسخ هاهنا هذه الزيادة : إذا لم تكن مقدسة .

٥ . المصدر : تجوز .

٦ . المصدر : فيهما .

٧ . علل الشرائع ٦٦ ، ح ٢ .

٨ . ن : الله .

٩ . نور الثقلين ٣/٣٧٤ ، ح ٤٥ وكمال الدين ، ١٥١/ ، ح ١٣ .

١٠ . نور الثقلين ٣/٣٧٤ ، ح ٤٦ ، مجمع البيان ٩/٤ .

﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: تعليل للأمر باحترام البقعة.

في كتاب علل الشرائع^(١) [بإسناده إلى^(٢)] عبدالله بن يزيد بن سلام أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: أخبرني عن الواد المقدس [لم سمي المقدس]؟^(٣) فقال: لأنه قدّست فيه الأرواح، واصطفيت فيه الملائكة، وكلم الله ﷻ موسى تكليماً. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿طُوًى﴾^(٤): علم البقعة. عطف بيان للوادي. ونونه^(٥) ابن عامر والكوفيتون بتأويل المكان.

وقيل^(٥): هو كثنى من الطي مصدر لـ «نودي» أو «المقدّس». أي نودي نداءين أو قدّس مرتين.

وفي الخرائج والجرائح^(٦): قال علي بن أبي حمزة: كنت مع موسى عليه السلام بمعى، ثم مضى إلى داره بمكة، فأتيت - وقد صلى المغرب - فدخلت عليه، فقال: «اخلع نعليك إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى». فخلعت نعلي، وجلست معه. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: اصطفتك للنبوة.

وقرئ^(٧): «وَأَنَا اخْتَرْنَاكَ».

﴿فَاسْمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(٨): للذي يوحى إليك، أو للوحي. واللام تحتل التعلّق بكلّ من الفعلين.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾: بدل ممّا يوحى، دالّ على أنّه مقصور على التوحيد الذي هو منتهى العلم، والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل.

١. العلل ٤٧١-٤٧٢، ح ٣٣.
٢. يوجد في م.
٣. من المصدر.
٤. أنوار التنزيل ٤٦٢.
٥. نفس المصدر والموضع.
٦. الخرائج ٣١١/١، ح ٤.
٧. أنوار التنزيل ٤٦٢.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٥): قيل (١): «خَصَّهَا بالذكر وأفردتها بالأمر، للعلّة التي أناط بها إقامتها، وهي: تذكّر المعبود، وشغل القلب واللسان بذكره».

وقيل (٢): «لذكرى» لأنّي ذكرتها في الكتب، وأمرت بها. أو: لأن أذكرك بالثناء. أو: لذكرى خاصّة لا ترائي بها [ولا تشوبها] (٣) بذكر غيري. أو: لأوقات ذكرى، وهي مواقيت الصلاة.

وقيل (٤): «لذكر صلاتي؛ لما روى أنس عن النبي ﷺ قال: من نسي صلاة، فليصلها إذا ذكرها، ولا كفارة عليه غير ذلك. وقرأ: «أقم الصلاة لذكرى». رواه مسلم في الصحيح. كذا في مجمع البيان.

وفي الكافي (٥): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد جميعاً، عن القاسم بن عروة، عن عبيد بن زرار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا فاتتك صلاة، فذكرتها في وقت أخرى؛ فإن كنت تعلم أنّك إذا صليت التي فاتتك، كنت من الأخرى في وقت، فابدأ بالتي فاتتك، فإنّ الله ﷻ يقول: «أقم الصلاة لذكرى». وإن كنت تعلم أنّك [إذا] صليت التي فاتتك، [فاتتك] (٦) التي بعدها، فابدأ بالتي أنت في وقتها فصلها، ثمّ أقم الأخرى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٧): «وأقم الصلاة لذكرى» قال: إذا نسيتها، ثمّ ذكرتها، فصلها.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾: كائنة لا محالة.

﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾: قيل (٨): «أريد إخفاء وقتها. أو: أقرب أن أخفيها فلا أقول إنّها آتية. ولولا ما في الأخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعداء، ما أخبرت به. أو: أكاد أظهرها،

٢. نفس المصدر / ٤٧.

٤. مجمع البيان / ٦٤.

٦. من المصدر.

٨. أنوار التنزيل / ٤٧/٢.

١. نفس المصدر / ٤٧.

٣. من المصدر.

٥. الكافي / ٢٩٣/٣، ح ٤.

٧. تفسير القمي / ٦٠/٢.

من أخفاه: إذا سلب خفاه. ويؤيده القراءة بالفتح، من خفاه: إذا أظهره.

وفي مجمع البيان^(١): وروى ابن عباس «أكاد أخفيها من نفسي». وهي كذلك في قراءة أبي، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام.

وفي جوامع الجامع^(٢): وفي مصحف أبي: «أكاد أخفيها من نفسي». وروي ذلك عن الصادق عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): «أكاد أخفيها» قال: «من نفسي». هكذا نزلت. قلت: كيف يخفيها؟ قال: جعلها من غير وقت.

﴿لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٤): متعلق بـ «آتية» أو بـ «أخفيها» بمعنى أظهرها.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾: عن تصديق الساعة، أو عن الصلاة.

﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: نهى الكافر عن أن يصد موسى عنها. والمراد نهيه أن يصد عنها، تنبيهاً على أن الفطرة^(٥) السليمة لو خُلِّيت بحالها لاختارها، ولم يعرض عنها، وأنه ينبغي أن يكون راسخاً في دينه. فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: أي ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة، فقصر نظره عليها.

﴿فَتَزَدَى﴾^(٦): فتهلك بالانصداد بصدّه.

والظاهر أن خطاب موسى عليه السلام بعدم الانصداد بصد الكافر، للتعريض بغيره، بأنه يجب أن لا يصد بصد إبليس أو كافر آخر ممن تبع^(٧) هواه. والتنبيه على أنه مع كونه نبياً كليماً، لو انصد بصد الكافر، ومال عن الحق لوقع في الهلاك والعذاب الدائم، فكيف بغيره!

﴿وَمَا تَلَكَ﴾: استفهام يتضمن استيقاظاً لما يريه فيها من العجائب.

﴿بِإِمِينِكَ﴾: حال من معنى الإشارة.

٢. الجوامع / ٢٨٠.

٤. في أنوار التنزيل ٤٧/٢: فطرته.

١. المجمع ٦/٤.

٣. تفسير القمي ٦٠/٢.

٥. م: يتبع.

وقيل ^(١): صلة «تلك».

﴿يَا مُوسَى﴾ ^(٣٧): تكرير لزيادة الاستثناس والتنبية.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾: وقرئ ^(٣٨): «عَصِي» على لغة هزيل.

قيل ^(٣٩): كانت العصا من آس الجنة، أخرجها آدم عليه السلام وتوارثها الأنبياء إلى أن بلغ شعبياً، فدفعتها إلى موسى.

وقيل ^(٤٠): كانت من عوسج. وكان طولها عشرة أذرع، على مقدار قامة موسى.

﴿أَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا﴾: اعتمد عليها إذا عييت، أو وقفت على رأس القطيع.

﴿وَأَهْشَىٰ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: وأخطب الورق بها على رؤوس غنمي.

وقرئ ^(٤١): «أهش» - من باب الإفعال - وكلاهما من: هَشَّ الخبز يهش: إذا انكسر

لهشاشته.

وقرئ ^(٤٢): بالسين من الهش، وهو زجر الغنم. أي أنحى عليها زاجراً لها.

﴿وَلَيْ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾ ^(٤٣): حاجات أخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه،

فعلق بها أدواته، وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبيتها، وألقى عليها الكساء واستظل به، وإذا قصر الرشاء وصله بها، وإذا تعرضت السباع لغنمه، قاتل بها.

قيل ^(٤٤): فكأن موسى عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها، وما يرى

من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة، ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة - مثل أن تشتعل شعباتها بالليل كالشمع، وتصيران دلوأ عند

الاستقاء وتطول بطول البئر، وتحارب عنه إذا ظهر عدوه، وينبع الماء بركزها،

وينضّب بنزعها، وتورق وتثمر إذا اشتوى ثمرة فركزها - عليم أن ذلك آيات باهرة

ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله، وليست من خواصها. فذكر حقيقتها

[ومنافعها] ^(٤٥) مفصلاً ومجماً على معنى أنها من جنس العصى تنفع منافع أمثالها،

ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه.

﴿قَالَ أَفْقَهَا يَا مُوسَىٰ﴾ (١١) ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (١٢): قيل (١١): لَمَّا أَلْقَاهَا، انقلبت حَيَّةً صفراء بغلظ العصا، ثُمَّ تَوَرَّمت وعظمت. فلذلك سَمَّاهَا «جَانًا» (١٢) تارةً، نظراً إلى المبدأ، و«ثعباناً» (١٣) مرةً باعتبار المنتهى، و«حَيَّة» أخرى بالاسم الذي يعم الحالين.

وقيل (١٤): كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان، ولذلك قال: «كَانَهَا جَانًا». ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾: فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَاهَا حَيَّةً تسرع وتبتلع الحجر [والشجر] (١٥) خاف وهرب منها.

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (١٦): هيئتها وحالتها المتقدِّمة.

وهي فعلة من السير، تجوِّز بها للطريقة والهيئة، وانتصابها على نزع الخافض. أو على أَنَّ «أعاد» منقول من «عاده» بمعنى: عاد إليه. أو على الظرف. أي: سنعيدُها طريقتها. أو على تقدير فعلها. أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبلاً.

وقيل (١٧): لَمَّا قال له رَبُّهُ ذلك، أَطْمَأْنَنَتْ نفسه حتَّى أدخل يده في فمها، وأخذ بلحيها.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: إلى جنبك تحت العضد.

يقال لكلِّ ناحيتين «جناحان» - كجناحي العسكر - استعارةً من جناحي الطائر. سُمِّيَا بذلك، لأنَّه يجنحهما عند الطيران. ﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ﴾: كأنَّها مشعة.

١. أنوار التنزيل ٤٧/٢ - ٤٨.

٢. في النمل / ١٠، والقصاص / ٣١.

٣. في الأعراف / ١٠٧، والشعراء / ٣٢.

٤. نفس المصدر والموضع.

٦. أنوار التنزيل ٤٨/٢.

٥. ليس في ع.

في جوامع الجامع^(١): وروي أنه كان آدم^(٢)، فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: من غير عاهة وقبح.

كنى به عن البرص، كما كنى بالسوأة عن العورة؛ لأن الطباع تعافه وتنفر عنه.

في كتاب طب الأئمة^(٣)، بإسناده إلى جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام: يعني من غير برص^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام: أي علة. وذلك أن موسى عليه السلام كان شديد السمرة، فأخرج يده من جيبه، فأضاءت الدنيا.

﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾^(٦): معجزة ثانية. وهي حال من ضمير «تخرج» كـ«بيضاء». أو من ضميرها. أو مفعول بإضمار خذ أو دونك.

﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾^(٧): متعلق بهذا المضمّر، أو بما دلّ عليه «آية» أو القصّة. أي دللنا بها. أو: فعلنا ذلك «لنريك». و«الكبرى» صفة «آياتنا» أو مفعول «نريك». و«من آياتنا» حال منها.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: بهاتين الآيتين، وادعه إلى العبادة.

﴿إِنَّهُ طَغَى﴾^(٨): عصى وتكبر.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٩) و﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾^(١٠): لما أمره الله تعالى بخطب عظيم وأمر جسيم، سأله أن يشرح صدره، ويفسح قلبه، لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه، ويسهل الأمر عليه، بإحداث الأسباب ورفع الموانع. وفائدة «لي» إبهام المشروح والميسر أولاً، ثم رفعه بذكر الصدر والأمر ثانياً، تأكيداً ومبالغة.

٢. أي أسمر شديد السمرة.

٤. المصدر: مرض.

١. الجوامع ٢٨٠.

٣. طب الأئمة عليه السلام ٥٥/٥٦.

٥. تفسير القمي ١٤٠/٢.

﴿وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾^(٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾^(٨): فَإِنَّمَا يُحَسِّنُ التَّبْلِيغَ مِنَ الْبَلِيغِ .
وكان في لسانه رتّة من جمرّة أدخلها فاه .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ الْحَسَنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينَ^(٢)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَقْتُلُ أَوْلَادَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلَّمَا يَلِدُونَ، وَيُرْتِي مُوسَى وَيَكْرَهُهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ هَلَاكَهُ عَلَى يَدِهِ .

فَلَمَّا دَرَجَ مُوسَى، وَكَانَ يَوْمًا عِنْدَ فِرْعَوْنَ . فَعَطَسَ مُوسَى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَأَنْكَرَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ^(٣) عَلَيْهِ، وَلَطَمَهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟! فَوُثِبَ مُوسَى عَلَى لَحِيَّتِهِ، وَكَانَ طَوِيلَ اللَّحْيَةِ، فَهَلَبَهَا - أَيَّ قَلْعَهَا - فَأَلَمَهُ أَلَمًا شَدِيدًا^(٤) . فَهَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَذَا غَلَامٌ حَدَثٌ، وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ [وَقَدْ لَطَمْتَهُ بِلَطْمَتِكَ إِيَّاهُ]^(٥) فَقَالَ فِرْعَوْنُ: بَلْ يَدْرِي! فَقَالَتْ لَهُ: ضَعْ بَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرًا وَجَمْرًا . فَإِنْ مَيَّزَ بَيْنَهُمَا، فَهُوَ الَّذِي تَقُولُ .

فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرًا وَجَمْرًا، وَقَالَ لَهُ: كُلْ . فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى التَّمْرِ، فَجَاءَ جَبْرِئِيلُ عليه السلام فَصَرَفَهَا إِلَى الْجَمْرِ، فَأَخَذَ الْجَمْرَ فِي فِيهِ، فَاحْتَرَقَ لِسَانَهُ، وَصَاحَ وَيَكُنَى . فَقَالَتْ أَسِيَّةُ لِفِرْعَوْنَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنَّهُ لَمْ يَعْقِلْ؟! فَعَفَا عَنْهُ . وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ .

وَاخْتَلَفَ فِي زَوَالِ الْعُقْدَةِ بِكَمَالِهَا . فَمَنْ قَالَ بِهِ، تَمَسَّكَ بِقَوْلِهِ^(٦): «قَدْ أَوْتَيْتِ سُؤْلَكَ» . وَمَنْ لَمْ يَقُلْ، احْتَجَّ بِقَوْلِهِ^(٧): «هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا» وَقَوْلِهِ^(٨): «لَا يَكَادُ بَيِّنٌ»، وَأَجَابَ عَنِ الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ حَلَّ عُقْدَةٍ لِسَانَهُ مُطْلَقًا، بَلْ عُقْدَةٌ تَمْنَعُ الْإِفْهَامَ، وَلِذَلِكَ نَكَّرَهَا، وَجَعَلَ «يَفْقَهُوا» جَوَابَ الْأَمْرِ .

٢ . كَذَا فِي الْمَصْدَرِ . وَفِي النُّسخِ: رَضِيَ .

٤ . الْمَصْدَرُ: شَدِيدًا بِلَطْمَتِهِ إِيَّاهُ .

٦ . طه ٣٦ .

٨ . الزَّخْرَفُ/ ٥٢ .

١ . تَفْسِيرُ الْقَمِّي ١٣٦/٢ .

٣ . لَا يَوْجَدُ فِي الْمَصْدَرِ .

٥ . لَا يَوْجَدُ فِي الْمَصْدَرِ .

٧ . الْقَصَصُ/ ٣٤ .

و«من لسانى» يحتمل أن يكون صفة «عقدة» وأن يكون صلة «احلل».

﴿وَجَعَلَ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٣٨) ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ (٣٩): يعينني على ما كلفتنى به.

واشتقاق الوزير، إما من الوزر، لأنه يحمل الثقل عن أميره، أو من الوزر، وهو: الملجأ؛ لأن الأمير يعتصم برأيه، ويلتجئ إليه في أموره، ومنه: الموازرة.

وقيل (١): أصله: أوزير. من الأزر، بمعنى القوة. فعيل بمعنى الفاعل، كالعشير والجليس. قُلبت همزته واواً، كقلبها في موازر.

ومفعولاً «اجعل» إما «وزيراً» و«هارون» - قَدَمَ ثانيهما للعناية به، و«لى» صلة أو حال - أو «لى وزيراً»، و«هارون» عطف بيان للوزير، أو «وزيراً» و«من أهلى»، و«لى» تبين كقوله (٢): «ولم يكن له كفواً أحد». و«أخى» على الوجوه بدل من «هارون» أو مبتدأ خبره

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (٤٠) ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (٤١): على لفظ الأمر.

وقرأ (٣) ابن عامر على لفظ الخبر، على أنهما جواب الأمر.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (٤٢) ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ (٤٣): لأن التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايد.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٤٤): عالماً بأحوالنا، وأنّ التعاون ممّا يصلحنا، وأنّ هارون نعم المعين لى فيما أمرتنى به.

وفي مجمع البيان (٤) عن ابن عباس، عن أبي ذر الغفاري قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد [شيئاً] (٥).

فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً!

٢. الإخلاص/٤.

١. أنوار التنزيل ٤٩/٢.

٤. المجمع ٢١٠/٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. من المصدر.

وكان عليّ راکعاً، فأوماً بخنصره اليمنى إليه، وكان يتختمُ فيها. فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي ﷺ.

فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته، رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إِنْ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أَخِي اشد به أَزْرِي وأشركه في أَمْرِي» فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ قرآناً ناطقاً^(١): «سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما» اللهم وأنا مُحَمَّدُ نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسّر لي أَمْرِي، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً، اشد به ظهري.

قال أبوذر: فوالله، ما استتمّ رسول الله ﷺ الكلمة حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله فقال: يا مُحَمَّد، اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال اقرأ: «إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»^(٢).

وفي قرب الإسناد^(٣) للحميريّ بإسناده إلى جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه عليه السلام قال: وقف النبي ﷺ بمعرج^(٤)، ثم قال: اللهم إِنْ عَبْدك [موسى]^(٥) دعاك فاستجبت له، وألقيت عليه محبةً منك، وطلب منك أن تشرح له صدره، وتيسّر له أمره، وتجعل له وزيراً من أهله، وتحلّ العقدة من لسانه. وأنا أسألك بما سألك به عبدك موسى عليه السلام أَنْ تشرح لي^(٦) صدري، وتيسّر لي أَمْرِي، وتجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أَخِي.

وفي إرشاد المفيد^(٧): أنّ النبي ﷺ لما أراد الخروج إلى غزوة تبوك، استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، فقال له: يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بّي، أو بك.

٢. المائدة/٥٥.

١. القصص/٣٥.

٣. قرب الإسناد/١٤.

٤. كذا في المصدر. وفي م: يعرج. وفي سائر النسخ: بعرج.

٥. من المصدر.

٧. الإرشاد/٧١-٧٢.

فحسده أهل النفاق، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروج النبي ﷺ وعلموا أنها تنحرس^(١) به، ولا يكون للعدو فيها مطمع. فساءهم ذلك [وكانوا يؤثرون خروجه معه]^(٢) لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاف^(٣) عند خروج النبي ﷺ عنها. فأرجفوا به ﷺ وقالوا: لم يستخلفه رسول الله ﷺ إكراماً له ولا إجلالاً ومودة، وإنما استخلفه استئقلاً له!

فلما بلغ أمير المؤمنين ﷺ إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبه وفضيحتهم. فلحق بالنبي ﷺ فقال يا رسول الله، إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استئقلاً ومقتاً. فقال رسول الله ﷺ: أرجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟!

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس ﷺ: حدثنا محمد بن الحسن الخثعمي، عن عباد بن يعقوب، عن علي بن هاشم، عن عمرو^(٥) بن حارث، عن عمران بن سليمان، عن حصين الثعلبي^(٦)، عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله ﷺ بإزاء شبير^(٧) وهو يقول: أشرق شبير^(٨) أشرق شبير^(٩). اللهم إني أسألك ما سألك أخي موسى ﷺ أن تشرح لي صدري، وأن تسر لي أمري، وأن تحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، وأن تجعل لي وزيراً من أهلي علياً [أخي]^(١٠) «اشدد به أزرى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً». وفيه^(١١): روى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن رجاله، عن ابن عباس قال: أخذ

١. المصدر: تنحرس.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: الاختلاط.

٤. تأويل الآيات الباهرة ٣١٠/١، ح ٢.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٦١٩/١. وفي النسخ: عمر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: الثعلبي.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: شبير.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: شبير.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: شبير.

١٠. نفس المصدر، ح ٣.

١١. من المصدر.

النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وبيدي، ونحن بمكة، وصلى أربع ركعات. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني نبيك موسى بن عمران سألك فقال: «رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري» الآية. وأنا محمد نبيك، أسألك [رب] ^(١) اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً ^(٢) اشد به أزري، وأشركه في أمري.

قال [ابن عباس]: ^(٣) فسمعت منادياً ينادي: قد أوتيت ما سألت.

وفيه ^(٤): وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي عليه السلام عن رجاله مسنداً إلى الفضل بن شاذان يرفعه إلى بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي، إن الله تعالى أشهدك معي سبعة ^(٥) مواطن:

أما أولهنّ، فليلة أسري بي إلى السماء، فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: ودعته خلفي. قال: فادع الله، فليأتك به. فدعوت الله، فإذا أنت معي، وإذا الملائكة صفوف وقوف فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الملائكة يباهيهم الله بك. فأذن لي، فنطقت بمنطق لم تنطق الخلائق بمثله. نطقت بما خلق الله، وبما هو خالق إلى يوم القيامة.

والموطن الثاني: أتاني جبرئيل، فأسرى بي إلى السماء، فقال لي: أين أخوك؟ قلت: ودعته خلفي. قال: فادع الله، فليأتك به. فدعوت الله ﷻ. فإذا أنت معي. فكشف الله لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتى رأيت ^(٦) سكّانها وعمّارها، وموضع كلّ ملك منها، فلم أر من ذلك شيئاً إلّا وقد رأيته.

والموطن الثالث: ذهبت إلى الجنّ ^(٧)، ولست معي. فقال جبرئيل: أين أخوك؟

٢. ليس في م. وفي المصدر: علي بن أبي طالب أخي.

٤. نفس المصدر ٣١١-٣١٤، ح ٤ و ٥.

٦. ليس في ن.

١. من المصدر.

٣. من المصدر.

٥. المصدر: بسبعة.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الجنة.

قلت: ودعته خلفي. فقال: فادع الله، فليأتك به. فدعوت الله ﷻ فإذا أنت معي. فلم أقل لهم شيئاً، ولم يردوا عليّ شيئاً، إلّا وقد سمعته وعلمته، [كما سمعته وعلمته] ^(١).

والموطن الرابع: أنّي لم أسأل الله شيئاً إلّا أعطانيه فيك، إلّا النبوة؛ فإنّه قال ^(٢): يا محمّد، خصصتك بها [وختمتها بك] ^(٣).

والموطن الخامس: خُصّصنا بليلة القدر، وليست لغيرنا.

والموطن السادس: أتاني جبرئيل، فأسرى بي إلى السماء. فقال لي: أين أخوك؟ قلت: ودعته خلفي. قال: فادع الله ﷻ فليأتك به. فدعوت الله ﷻ فإذا أنت معي. فأذن جبرئيل، فصلّيت بأهل السماوات جميعاً، وأنت معي.

والموطن السابع: إنّنا نبقي ^(٤) حين لا يبقى أحد، وهلاك الأحزاب بأيدينا.

فمعنى قوله: «نبقى» ^(٥) حين لا يبقى أحد، وهلاك الأحزاب بأيدينا» دليل على أنّهما يكرّان إلى الدنيا، ويلبثان فيها ما شاء الله. كما روي عن الأئمة في حديث الرجعة، ثمّ يبقيان حين لا يبقى أحد من الخلق.

وقوله: «هلاك الأحزاب [بأيدينا]». والأحزاب ^(٦) هم أحزاب الشيطان وأهل الظلم والعدوان، فعليهم لعنة الرحمان، ما كرّ الجديان، وما أطرد الخافقان.

ومما ورد ^(٧) في الأمور التي شارك فيها أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله ﷺ فيها، وأنّ أمره أمره ^(٨)، ونهيّه نهيه ^(٩)، وأنّ الفضل جرى له كما جرى لرسول الله ﷺ ولرسول الله الفضل على جميع خلق الله ﷻ فيكون هو كذلك؛ هو ما رواه الشيخ في أماليه عن رجاله، عن سعيد الأعرج قال: دخلت أنا وسليمان بن خالد على أبي عبد الله عليه السلام

١. لا يوجد في ن.

٢. ليس في م.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: نفى.

٥. المصدر: نفى.

٦. ليس في ن.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. ليس في ن.

٩. ليس في ن.

فابتدأني فقال: يا سعيد، ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام يؤخذ به. وما نهى عنه، يُنتهى عنه. جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله. ولرسول الله الفضل على جميع الخلق. العائب على أمير المؤمنين في شيء، كالعائب على رسول الله صلى الله عليه وآله والراد عليه في صغير أو كبير ^(١) على حدّ الشرك [بالله] ^(٢).

كان - والله - ^(٣) أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وسببه ^(٤) الذي من تمسك بغيره هلك. وكذلك جرى الحكم للأئمة واحداً بعد واحد ^(٥) جعلهم [الله] ^(٦) أركان الأرض وهم الحجّة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

أما علمت أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقر لي جميع الملائكة والروح بمثل ما أقرّوا لمحمد صلى الله عليه وآله. ولقد حملت مثل حمولة محمد، وهي حمولة الرب. وأنّ محمداً يدعى فيكسى، ويستنطق فينطق، وأنا أدعى فأكسى، وأستنطق فأنطق. ولقد أعطيت خصالاً لم يعطها أحد قبلي: علّمت المنايا والقضايا ^(٧) وفصل الخطاب.

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ ^(٨): أي مسؤولك، فُعل بمعنى المفعول، كالخبز والأكل، بمعنى المنخوز والمأكول.

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ ^(٩): أنعمنا عليك في وقت آخر.

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾: قيل ^(١٠): بإلهام، وفي منام، أو على لسان نبي في وقتها، أو ملك - لا على وجه النبوة - كما أوحى إلى مريم.

﴿ مَا يُوْحِي ﴾ ^(١١): ما لا يعلم إلا بالوحي. أو ممّا ينبغي أن يوحي ولا يخل به، لعظم شأنه وفرط الاهتمام به.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: صغر أو كبير. ٢. من المصدر.

٣. ليس في المصدر. ٤. المصدر: سبيله.

٥. المصدر: وكذلك جرى حكم الأئمة بعده واحد بعد واحد.

٦. من المصدر. ٧. ليس في م.

٨. أنوار التنزيل ٤٩/٢.

﴿أَنْ أَقْذِفَهُ فِي التَّابُوتِ﴾: بأن أقذفه لأن الوحي بمعنى القول.

﴿فَأَقْذِفْهُ فِي الْيَمِّ﴾: والقذف يقال للإلقاء وللوضع.

﴿فَلْيُلْقِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾: قيل^(١): لما كان إلقاء البحر إياه إلى الساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به، جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك، وأخرج الجواب مخرج الأمر. والأولى أن يجعل الضمائر كلها لموسى، مراعاة للنظم. فالمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل، وإن كان التابوت بالذات، فموسى بالعرض.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾: جواب «فليلقه». وتكرير «عدو» للمبالغة، أو لأن الأول

باعتبار الواقع، والثاني باعتبار المتوقع.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾: أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب، بحيث

لا يكاد يصبر عنك من رآك، فلذلك أحبك فرعون.

ويجوز أن يتعلق «منّي» بـ«ألقيت». أي أحبيتك. ومن أحبه الله، أحبه القلوب.

وظاهر اللفظ أن اليم ألغاه بساحله، وهو شاطئه؛ لأن الماء يسحله فالتقط منه.

ولا ينافيه ما قيل^(٢): «إِنَّ أُمَّهَ جَعَلَتْ فِي التَّابُوتِ قُطْنًا، وَوَضَعَتْهُ فِيهِ. ثُمَّ قَبِرَتْهُ،

وَأَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ. وَكَانَ يَشْرَعُ مِنْهُ إِلَى بَسْتَانَ فَرْعُونَ نَهْرًا، فَدَفَعَهُ الْمَاءُ إِلَيْهِ، فَأَذَاهُ إِلَى بَرَكَةِ

فِي الْبَسْتَانِ. وَكَانَ فَرْعُونَ جَالِسًا عَلَى رَأْسِهَا مَعَ امْرَأَتِهِ أَسِيَةَ بِنْتِ مِزَاحِمَ. فَأَمْرَبَهُ،

فَأَخْرَجَ فَفُتِحَ فَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ أَصْبَحَ النَّاسُ وَجْهًا، فَأَحْبَبَهُ حُبًّا شَدِيدًا» لأنه لا يبعد أن يؤول

الساحل بحيث يشمل فوهة نهره.

﴿وَلْيَضْحَكْ عَلَى عَيْنِي﴾^(٣) ولتربني ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك. والعطف

على علة مضمرة؛ مثل: لِيَتَعَطَّفَ عَلَيْكَ. أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلّل؛

مثل: فعلت ذلك.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

وقرى^(١): «ولتصنع» بكسر اللام وسكونها والجزم، على أنه أمر؛ «ولتصنع» بالنصب وفتح التاء، أي وليكون عملك على عين مني، لنأخذ تخالف به عن أمري.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي^(٣): روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي^(٤) قال: إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين^(٥) عليه السلام: فلقد ألقى الله على موسى محبةً منه.

قال له علي^(٦) عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد أعطى الله محمداً^(٧) ما هو أفضل منه. لقد ألقى الله^(٨) عليه محبةً منه. فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم، إذ تم من الله^(٩) به الشهادة؟! فلا تتم الشهادة إلا أن يقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله^(١٠). ينادي به على المنابر، فلا يرفع صوت بذكر الله^(١١) إلا رُفِعَ بذكر محمد معه. **«إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ»**: ظرف لـ «ألقيت» أو لـ «تصنع». أو بدل من «إذا أوحينا» على أن المراد بها وقت متسع.

«فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ»: وذلك أنه كان لا يقبل ثدي المراضع، فجاءت اخته متفحصة خبره، فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها، فقالت: هل أدلكم؟ فجاءت بأمه^(١٢)، فقبل ثديها.

«فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ»: وفاء لقولنا^(١٣): «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ».

«كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا»: بلفائك.

«وَلَا تَحْزَنْ»: هي بفراقك، أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها.

في تفسير علي بن إبراهيم^(١٤): حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر^(١٥) قال: [إن موسى^(١٦)] لما حملت به أمه، لم يظهر حملها إلا عند وضعها له، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساءً من

٢. الاحتجاج/٢١٥/٢١٦٢١٥.

٤. القصص/٧.

٦. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٥٠/٢.

٣. من ع.

٥. تفسير القمي ١٣٥/٢.

القبط يحفظوهنَّ. وذلك^(١) لما كان بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون: إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران، يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده. فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون. وفرق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس.

فلما وضعت أم موسى عليها السلام نظرت إليه، وحزنت عليه، واغتتمت وبكت وقالت يُذبح الساعة! فعطف الله الموكلة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفر لونك؟! فقالت: أخاف أن يُذبح ولدي. فقالت: لا تخافي. وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه، وهو قول الله: «وألقيت عليك محبة مني». فأحبته القبطية الموكلة بها^(٢).

وأُنزل الله^(٣) على أم^(٤) موسى التابوت، ونوديت أمه: ضعيه في التابوت. «فاقدفيه في اليم» وهو البحر «ولا تخافي ولا تحزني إننا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين»^(٥). فوضعت في التابوت وأطبقتها^(٦) عليه وألقته في النيل.

وكان لفرعون قصر^(٧) على شط النيل متزهياً^(٨). فنظر من قصره ومعه آسية امرأته، [فنظر]^(٩) إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج، والرياح تضربه حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه، فأخذ التابوت ورفعه إليه، فلما فتحه وجد فيه صبياً. فقال: هذا إسرائيلي! فألقى الله تعالى في قلب فرعون لموسى محبة شديدة، وكذلك في قلب آسية.

وأراد فرعون أن يقتله، فقالت آسية: لا تقتله «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون»^(١٠) أنه موسى، ولم يكن لفرعون ولد.

١. المصدر: وذلك أنه.

٢. المصدر: به.

٣. ليس في أ.

٤. ليس في المصدر.

٥. القصص ٨.

٦. المصدر: أبطقت.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: قصور.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: منزهات.

٩. من المصدر.

١٠. القصص ٩.

فقال: انتوا ظئراً^(١) تربيّه. فجاءوا بعدّة نساء قد قُتِل أولادهنّ، فلم يشرب لبن أحد من النساء. وهو قول الله ﷻ: «وحرّمتنا عليه المراضع من قبل». وبلغ أمّه أن فرعون قد أخذه، فحزنت وبكت كما قال الله ﷻ: «وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به» قال: كادت^(٢) أن تخبر بخبره، أو تموت. ثمّ حفظت نفسها كما قال الله ﷻ: «لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين» «وقالت لأختها [-أي لأخت موسى] - قصّيه»^(٣) أي اتّبعيه. فجاءت أخته إليه «فبصرت به عن جنب» أي عن بعدٍ «وهم لا يشعرون»^(٤).

فلما لم يقبل موسى ثدي أحد من النساء، اغتمّ فرعون غمّاً شديداً. «فقال» أخته: «هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون»؟^(٥) فقال: نعم. فجاءت بأمّه، فلما أخذته في حجرها، وألقمته ثديها، التقمه وشرب. ففرح فرعون وأهله، و^(٦) أكرموا أمّه. فقالوا لها: ربّيه لنا، ولك الكرامة ما تختارين^(٧). فسأله الراوي: فكث موسى غائباً عن أمّه حتّى رده الله عليها؟ قال: ثلاثة أيّام. «وَقَتَلْتُ نَفْسًا»: نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي، كما يأتي في قصّته في سورة القصص.

في مجمع البيان^(٨): وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: رحم الله أخي موسى! قتل رجلاً خطأ، وكان ابن اثنتي عشرة سنة. «فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ»: غمّ قتله، خوفاً من عقاب الله واقتصاص فرعون، بالمغفرة والأمن منه، بالهجرة إلى مدين.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقال: أعطوه امرأة.

٢. القصص / ١٢. ٣. القصص / ١٠.

٤. المصدر: «يعني كادت» بدل «إن كادت... كادت».

٥. القصص / ١٠. ٦. من المصدر.

٧. القصص / ١١. ٨. القصص / ١١.

٩. القصص / ١٢. ١٠. ليس في المصدر.

١١. المصدر: ربّيه لنا فإنّا نفعل بك ما نفعل.

١٢. المجمع / ١١٤.

﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: أي ابتليناك ابتلاءً، أو أنواعاً من الابتلاء - على أنه جمع فتن أو فتنه، على ترك الاعتداد بالتاء، كحجوز وبدور، في حجة وبدرة - فخلصناك مرة بعد أخرى.

وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الآلاف، والمشى راجلاً على حذر، وفقد الزاد، وأجر نفسه، إلى غير ذلك. أو له ولما سبق ذكره.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين. في تفسير علي بن إبراهيم ^(١) عند قوله ^(٢): «أبما الأجلين قضيت إفلا عدوان علي» ^(٣) قال: قلت للصادق عليه السلام: أي الأجلين قضى؟ قال: أتمها عشر حجج ^(٤).

و«مدین» على ثمان مراحل من مصر.

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾: قدرته، لأن أكلّمك وأستنبئك غير مستقدم ولا متأخر وقته المعين. أو: على مقدار من السنّ يوحى فيه إلى الأنبياء.

قيل ^(٥): وهو رأس أربعين سنة.

﴿يَا مُوسَى﴾ ^(٦): قيل ^(٧): كرّره عقيب ما هو غاية الحكاية، للتنبيه على ذلك.

﴿وَاضْطَعْنَكَ لِنَفْسِي﴾ ^(٨): وأخذتك صنعتي وخالصتي، واصطفيتك لمحبتتي ورسالتي وكلامي. مثله فيما حوّله من الكرامة، بمن قرّبه الملك واستخلصه لنفسه.

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِأَيَّامِي﴾: بمعجزاتي.

﴿وَلَا تَنِينَا﴾: ولا تنفرا [ولا تقصرا] ^(٩).

وقرئ ^(١٠): «تينا» بكسر التاء.

﴿فِي ذُرِّيِّ﴾ ^(١١): لاتنسياني حيثما تقلّبتما.

٢. القصص ٢٨.

٤. ليس في س، أن.

٦. أنوار التنزيل ٥٠/٢.

٨. نفس المصدر والموضع.

١. تفسير القمي ١٣٩/٢.

٣. من م.

٥. المجمع ١١/٤.

٧. ليس في س، أن.

وقيل ^(١١): «في تبليغ ذكرى والدعاء إلي».

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ^(١٢): قيل ^(١٣): «أمر به أولاً موسى وحده، وهاهنا إياه وأخاه؛ فلا تكرير».

قيل ^(١٤): «أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى».

وقيل ^(١٥): «سمع بمقبله فاستقبله».

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾: [مثل] ^(١٦): «هل لك إلى أن تزكّي وأهديك إلى ربك فتخشى» ^(١٧)

فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة، حذراً أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكم، أو احتراماً لما له من حق التربية عليك.

وقيل ^(١٨): «كتّياه». وكان له ثلاث كُنَى: أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مرة.

وقيل ^(١٩): «عده شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا يزول إلا بالموت».

﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ^(٢٠): متعلق بـ «أذهب» أو بـ «قولا» أي باشرا الأمر على

رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما؛ فإن الراجي مجتهد، والآيس متكلف.

والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن،

إلزام الحجة وقطع المعذرة، وإظهار ما ظهر في تضاعيف ذلك من الآيات، والتذكير

للتحقيق ^(٢١) والخشية للمتوهم، ولذلك قدّم الأول. أي إن لم يتحقق صدقكما، ولم

يتذكر؛ فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٢٢): «حدثنا [الحاكم] ^(٢٣) أبو محمد جعفر بن نعيم بن شاذان

النشاپوري رحمته الله عن عمه، عن ^(٢٤) أبي عبد الله محمد بن شاذان قال: حدثنا الفضل بن

شاذان عن محمد بن أبي عمير قال: قلت لموسى بن جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول

١- ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. من أنوار التنزيل ٥٠/٢.

٦. النازعات ١٨/ ١٩.

٧. نفس المصدر والموضع.

٩. في أنوار التنزيل ٥٠/٢: والتذكّر للمتحقّق.

١٠. العلل ٦٧/ ح ١.

١١. من المصدر.

١٢. ليس في المصدر.

الله ﷺ لموسى عليه السلام [وهارون] ^(١): «اذهبا إلى فرعون» الآية، فقال:

أما قوله: «فقلوا له قولاً لئناً» أي كُتِيَاه وقولاً له: يا أبا مصعب. وكان ^(٢) فرعون ^(٣) أبا مصعب الوليد بن مصعب.

وأما قوله: «لعلّه يتذكر أو يخشى» فإنما قال ذلك ^(٤) ليكون أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب. وقد علم الله ﷻ أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية البأس. ألا تسمع [الله ﷻ] ^(٥) يقول ^(٦): «حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه ^(٧) لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين». فلم يقبل الله إيمانه وقال ^(٨): «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين».

وفي الكافي ^(٩) عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: واعلم أن الله جل ثناؤه قال لموسى عليه السلام حين أرسله إلى فرعون: «فقلوا له قولاً لئناً لعلّه يتذكر أو يخشى». [وقد علم أنّه لا يتذكر ولا يخشى] ^(١٠) ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى على الذهاب. «قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا»: أن يعجل علينا بالعقوبة، ولا يصبر على إتمام الدعوى وإظهار المعجزة. من فرط: إذا تقدّم. ومنه: الفارط، وفرس فرط: يسبق الخيل.

وقرئ ^(١١): «يُفْرِط» بالبناء للمفعول. من أفرطته: إذا حملته على العجلة. أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جنّي على المعالجة بالعقاب. و«يُفْرِط» بالبناء للفاعل، من الإفراط في الأذية.

-
- | | |
|--|-------------------------|
| ١. من المصدر. | ٢. المصدر: كان اسم. |
| ٣. ليس في أ. | ٤. ليس في المصدر. |
| ٥. من المصدر. | ٦. يونس ٩٠/. |
| ٧. ليس في م. | ٨. يونس ٩١/. |
| ٩. تفسير نور الثقلين ٣/٣٨١، ح ٧١، نقلاً عن الكافي ج ٧، ص ٤٦٠، ج ١. | |
| ١٠. ليس في س، أ، ن. | ١١. أنوار التنزيل ٥١/٢. |

﴿أَوْ أَنْ يَطْفَنُ﴾^(٥): أن يزداد طغياناً فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾: بالحفظ والنصر.

﴿أَسْمِعْ وَارْأَى﴾^(٦): ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأحدث في كل حالة ما يصرف شره عنكما، ويوجب نصرتي لكما.

ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى: إنني حافظكما، سامعاً مبصراً^(١). والحافظ إذا كان قادراً سميعاً بصيراً، ثم الحفظ.

﴿فَأَيُّهَا قُتُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَارْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أطلقهم.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان. فإنيهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم، ويتعبونهم في العمل، ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام.

قليل^(٢): وتعقيب الإتيان بذلك، دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان. ويجوز أن يكون للتدرج في الدعوة.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾: جملة مقررّة لما تضمنته الكلام السابق من دعوة الرسالة. وإنما وُحِدَ الآية، وكان معه آيتان؛ لأنّ المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجّة وتعدّدها. وكذلك قوله^(٣): «قد جئناكم ببينة»، فائت بآية^(٤)، «أو لو جئناك بشيء مبين»^(٥).

﴿وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾^(٦): [سلام الملائكة]^(٧) وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة في الدارين لهم.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٨): أي عذاب^(٩) الدنيا والآخرة على المكذّبين للرسول.

٢. نفس المصدر والموضع.

٤. الشعراء ١٥٤.

٦. ليس في أ.

١. ن: بصيراً.

٣. الأعراف ١٠٥.

٥. الشعراء ٣٠.

٧. م: عقاب.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (١٥): أي بعد أن أتياه، وقال له ما أمرا به. والحذف لدلالة الحال عليه.

وإنما خاطب الاثنين وخصّ موسى بالنداء، تأكيداً لأنّه الأصل وهارون وزيره وتابعه. أو لأنّه عرف أنّ له رتّة ولأخيه فصاحة، فأراد أن يفحّمه.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾: من الأنواع.

﴿خَلَقَهُ﴾: صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له. أو: أعطى خليقته كلّ شيء يحتاجون إليه، ويرتفعون به. فقدّم المفعول الثاني، لأنّه المقصود بالبيان. أو: أعطى كلّ حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجاً.

وقرئ^(١): «خليقته»^(٢) صفة للمضاف إليه أو المضاف على شذوذ. فيكون المفعول الثاني محذوفاً. أي أعطى كلّ مخلوق ما يصلحه.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾ (١٦): قيل^(٣): [٤] ثمّ عزّفه كيف يرتفع بما أعطي، وكيف يتوصّل به إلى بقائه وكماله، اختياراً أو طبعاً.

وفي الكافي^(٥): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن إبراهيم بن ميمون، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى». قال: ليس شيء من خلق الله، إلّا وهو يعرف من شكله الذكر من الأنثى.

قلت: ما معنى «ثُمَّ هَدَى»؟ قال: هداة للنكاح والسفاح من شكله.

واعلم أنّ هذا الجواب في غاية البلاغة، لاختصاره وإعراجه عن الموجودات بأسرها على مراتبها، ودلالته على أنّ الغنيّ القادر بالذات المنعم على الإطلاق، هو الله تعالى وأنّ جميع ما عده مفتقر إليه منعم عليه في حدّ ذاته وصفاته وأفعاله. ولذلك بهت الذي كفر، وأفحم عن الدخل عليه، فلم ير إلّا صرف الكلام عنه.

١. أنوار التنزيل ٥١/٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: خلقه.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. ليس في أ.

٥. الكافي ٥٦٧/٥، ح ٤٩.

٦. المصدر: يعني.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٣٨): فما حالهم بعد الموت من السعادة والشقاوة؟
 ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾: أي أنه غيب لا يعلمه إلا الله، وإنما أنا عبد مثلك، لا أعلم منه
 إلا ما أخبرني به.

﴿فِي كِتَابٍ﴾: مثبت في اللوح المحفوظ.
 قيل (١): ويحتمل أن يكون تمثيلاً لتمكّنه في علمه، بما استحفظه العالم وقيّده
 بالكتابة. ويؤيده:

﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (٣٩): الضلال: أن تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد إليه.
 والنسيان: أن تذهب عنه بحيث لا يخطر بالبال، وهما محالان على العالم بالذات.
 قيل (٢): ويجوز أن يكون (٣) سؤاله دخلاً على إحاطة قدرة الله بالأشياء كلّها
 وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة، بأنّ ذلك يستدعي علمه بتفاصيل
 الأشياء وجزئياتها. والقرون الخالية، مع كثرتهم وتمادي مدّتهم وتباعد أطرافهم،
 كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم؟ فيكون معنى الجواب أنّ علمه محيط
 بذلك كلّه، وأنّه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: مرفوع صفة لـ: «رَبِّي». أو خبر لمحذوف. أو
 منصوب على المدح.

وقرأ (٤) الكوفيون: «مَهْدًا». أي كالمهد تتمهدونها، وهو مصدر سمي به. والباقون:
 «مهادًا». وهو اسم ما يمهد كالفرش، أو جمع مهد.

﴿وَسَلَّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾: وحصل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري،
 تسلكونها من أرض إلى أرض، لتبتغوا منافعها.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مطراً.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: عدل به عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلّم على الحكاية لكلام الله

٢. نفس المصدر والموضع.

١. أنوار التنزيل ٥٢/٢.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: يكن.

تعالى تنبيهاً^(١) على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة، وإيداناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته، ولهذا نظرنا في القرآن.

﴿أَزْوَاجاً﴾: أصنافاً، سُميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض.

﴿مِنْ نَبَاتٍ﴾: بيان أو صفة لـ «أزواجاً». وكذلك

﴿شَتَّى﴾^(٢)، ويحتمل أن يكون صفة لـ «نبات». فإنه من حيث أنه مصدر في الأصل،

يستوي فيه الواحد والجمع. وهو جمع شتيت كمريض ومرضى. أي متفرقات الصور والأغراض والمنافع، يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم. فلذلك قال:

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: وهو حال من ضمير «فأخرجنا» على إرادة القول. أي

أخرجنا أصناف النبات، قائلين: «كلوا وارعوا أنعامكم». والمعنى: مُعَدِّهَا لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾^(٣): لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل

وارتكاب القبائح، جمع نهية.

وفي أصول الكافي^(٤): عنه، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن

سليمان بن عمرو النخعي قال: وحدثني الحسين بن سيف، عن أخيه علي، عن

سليمان، عن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام. [ثم قال: وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام]^(٥) قال:

قال النبي ﷺ: إن خياركم أولو النهى.

قيل: يا رسول الله ﷺ ومن أولو النهى؟

قال: هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة^(٦)، وصلة الأرحام، والبررة

بالأمهات والآباء، والمتعاهدين^(٧) للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام،

ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون.

٢. الكافي ٢/٢٤٠، ح ٣٢.

٤. أي الأصلية.

١. يوجد في م.

٣. ليس في ن.

٥. م، ن: المقاصدين.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَجْجُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِثَابٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النِّهْيِ» قَالَ: نَحْنُ - وَاللَّهُ - أَوَّلُو النِّهْيِ.

قلت: ما معنى «نحن أولو النهي»؟ قال: ما أخبر الله به رسوله مما يكون بعده من ادِّعاء أبي فلان الخلافة والقيام بها، [والآخر من بعده]^(٢)، والثالث من بعدهما^(٣)، وبني أمية^(٤)، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً. [فكان ذلك كما أخبر الله به نبيه، وكما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً]^(٥)، وكما انتهى إلينا من علي فيما يكون من بعده من الملك في بني أمية وغيرهم.

فهذه الآيات^(٦) التي ذكرها [الله]^(٧) في الكتاب [العزیز]^(٨): «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النِّهْيِ». فنحن أولو النهي الذين انتهى إلينا علم ذلك كله، فصبرنا لأمر الله تعالى. فنحن قوام الله على خلقه، وخزانه على دينه؛ نخزنه ونستره ونكتُم^(٩) به من عدونا، كما اكتُم^(١٠) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أذن الله له في الهجرة وجهاد المشركين. فنحن على مناج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يأذن الله لنا في إظهار^(١١) دينه بالسيف، وندعو الناس إليه فنضربهم عليه عوداً، كما ضربهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدءً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٢) قال: وروي عن العالم أنه قال: نحن أولو النهي، أخبر الله نبيه بما يكون من بعده من ادِّعاء الخلافة. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

١. تأويل الآيات الباهرة ١/٣١٤-٣١٥، ج ٧. ٢. ليس في ن.

٣. المصدر: «ادِّعاء الخلافة والقيام بها بعده ومن بعدهما» بدل «ادِّعاء أبي فلان... والثالث من بعدهما».

٤. يوجد في المصدر بعد هذه الكلمة: قال. ٥. ليس في ن.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: الآية. ٧. من المصدر.

٨. من المصدر. ٩. المصدر: نكتُم.

١٠. كذا في المصدر. وفي ع وم: كتم. وفي سائر النسخ: نكتُم.

١١. المصدر: بإظهار. ١٢. تفسير القمي ٦١/٢ مسنداً.

أمير المؤمنين عليه السلام بذلك. وانتهى إلينا ذلك من أمير المؤمنين، فنحن أولو النهى، علم ذلك كله إلينا.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾: فَإِنَّ التراب أصل خلقه أول آباءكم وأول مواد أبدانكم.

﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾: بالموت وتفكيك الأجزاء.

﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (١): بتأليف أجزائكم المفتتة المختلطة بالتراب، على

الصورة السابقة، ورد الأرواح إليها.

وفي علل الشرائع (٢) بإسناده إلى عبد الرحمان بن حماد قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الميت، لِمَ يُغْسَلُ غسل الجنابة؟ قال: إِنَّ الله تبارك وتعالى أعلى وأخلص من أن يبعث الأشياء (٣) بيده، إِنَّ الله تبارك وتعالى ملكين خلّاقين. فإذا أراد أن يخلق خلقاً، أمر أولئك الخلّاقين، فأخذوا (٤) من التربة التي قال الله ﷻ في كتابه: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى» فيعجنونها (٥) بالنظفة المسكونة في الرحم، فإذا عُجِنَت النظفة بالتربة، قالوا: يا ربّ، ما تخلق (٦)؟ فيوحى الله تبارك وتعالى إليهما ما يريد من ذلك؛ ذكرأ أو أنثى، مؤمناً أو كافراً، أسود أو أبيض، شقيّاً أو سعيداً. فإن فات سالت منه تلك النظفة بعينها لا غيرها، فمن ثمّ صار الميت يُغْسَلُ غسل الجنابة.

وبإسناده (٧) إلى أبي عبد الله القزويني قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام: لأيّ علة يولد الإنسان هاهنا، ويموت في موضع آخر؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه، خلقهم من أديم الأرض. فمرجع كلّ إنسان إلى تربته.

وبإسناده (٨) إلى أحمد بن عليّ الراهب قال: قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام يا ابن عمّ

١. العلل/ ٣٠٠-٣٠١، ح ٥.

٢. المصدر: أشياء.

٣. المصدر: فأخذوا.

٤. المصدر: فعجنوها. والظاهر أنّ الصحيح: فيعجنانها، أو: فعجنّاها.

٥. المصدر: ما نخلق.

٦. نفس المصدر/ ٣٠٨، ح ١.

٧. نفس المصدر/ ٣٣٦، ح ٤.

خير خلق الله، ما معنى السجدة الأولى؟ فقال: تأويله: اللهم إنيك منها خلقتنا. يعني من الأرض. ورفع رأسك: ومنها أخرجتنا. والسجدة الثانية: وإليها تعيدنا. ورفع رأسك من الثانية: ومنها تخرجنا [تارة أخرى]^(١).

وفي الكافي^(٢): علي بن محمد بن عبدالله، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله ﷻ خلق خلّاقين. فإذا أراد أن يخلق خلقاً، أمرهم فأخذوا من التربة التي [قال]^(٣) في كتابه: «منها خلقتناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى». فعجن النطفة بتلك التربة التي يُخلق منها، بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة. فإذا تمت لها أربعة أشهر، قالوا: يا رب، تخلق^(٤) ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى، أبيض أو أسود. فإذا خرجت الروح من البدن، خرجت هذه النطفة بعينها منه، كائناً ما كان، صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى. فلذلك يُغسل الميت غسل الجنابة. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

عده من أصحابنا^(٥) عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن مسكان، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام قال: من خُلق من تربة دُفن فيها.

عده من أصحابنا^(٦)، عن سهل بن زياد، عن الحجاج، عن ابن بكير^(٧)، عن أبي منهال، عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن النطفة [إذا وقعت في الرحم، بعث الله ﷻ ملكاً، فأخذ من التربة التي يُدْفَن فيها، فماتها في النطفة]^(٨). فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يُدْفَن فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا﴾: بَصَرْنَاهُ إِيَّاهُ. أَوْ: عَرَفْنَاهُ صَحَّتْهَا.

﴿كُلُّهَا﴾: تأكيد لشمول الأنواع، أو لشمول الأفراد، على أن المراد بـ«آياتنا» آيات

٢. الكافي ١٦١/٣، ١٦٣، ح ١.

٤. المصدر: تخلق.

٦. نفس المصدر ٢٠٣، ح ٢.

٨. ليس في أ.

١. ليس في ع.

٣. من المصدر.

٥. نفس المصدر ٢٠٢، ح ١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن أبي بكر.

معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى. أو أنه عليه آياته، وعدد عليه ما أوتي غير من المعجزات.

﴿فَكَذَّبَ﴾: من فرط عناده.

﴿وَأَبَى﴾^(٦): الإيمان والطاعة لعتوه.

﴿قَالَ أَحِثْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ﴾

﴿يَسْحِرْكَ يَا مُوسَى﴾^(٧): قيل^(١): هذا تعلل وتحير، ودليل على أنه علم كونه محققاً حتى خاف منه على ملكه، فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾: مثل سحرك.

﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾: وعداً، لقوله:

﴿لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾: فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان.

﴿مَكَاناً سُوًى﴾^(٨): قيل^(٢): أي منتصفاً يستوي إلينا وإليك.

وانتصاب «مكاناً» بفعل دلّ عليه المصدر لا به، فإنه موصوف. أو بأنه بدل من «موعداً» على تقدير مكان مضاف إليه. وعلى هذا يكون^(٣) طباق الجواب في قوله:

﴿قَالَ مَوْعِدْكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾: من حيث المعنى، فإن يوم الزينة يدلّ على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم. أو بإضمار مثل: مكان موعدكم مكان يوم الزينة. كما هو على الأول. أو: وعدكم وعد يوم الزينة.

وقرئ^(٤): «يوم» بالنصب وهو ظاهر في أنّ المراد بهما المصدر.

وقيل^(٥) في «يوم الزينة»: يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم عيد كان لهم في كل عام.

﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى﴾^(٩): عطف على اليوم أو الزينة.

٢. مجمع البيان ١٧/٤؛ وأنوار التنزيل ٥٣/٢.

٤. أنوار التنزيل ٥٣/٢.

١. أنوار التنزيل ٥٣/٢.

٣. من م.

٥. أنوار التنزيل ٥٣/٢.

وقرى^(١) على البناء للفاعل - بالتاء - على خطاب فرعون، والياء على أن فيه ضمير اليوم، أو ضمير فرعون على كون^(٢) الخطاب لقومه^(٣).

﴿فَقُولِي فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: ما يكاد به، يعني السحرة وآلاتهم.

﴿ثُمَّ أَتَى﴾^(٤): بالموعد.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بأن تدعوا آياته سحراً.

﴿فَيُشْجِكُكُمْ بِعَذَابٍ﴾: فيهلككم ويستأصلكم به.

وقرأ^(٥) حمزة والكسائي وحفص ويعقوب^(٥) بالضم من الإسحات، وهو لغة نجد

وتميم. والسحت لغة الحجاز.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾^(٦): كما خاب فرعون.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أي تنازعت السحرة في أمر موسى، حين سمعوا كلامه،

فقال بعضهم: ليس هذا من كلام السحرة!

﴿وَأَسْرَوْا النَّجْوَى﴾^(٧): بأن موسى إن غلبنا اتبعناه. أو: تنازعوا واختلفوا فيما

يعارضون به موسى، وتشاوروا في السر.

وقيل^(٨): الضمير لفرعون وقومه. وقوله:

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾: تفسير لـ«أسروا النجوى». كأنهم تشاوروا في تلفيقه

حذراً أن يغلبا فيتبعهما الناس.

و«هذان» اسم «إن» على لغة بني الحارث بن كعب، فإِنَّهم جعلوا الألف للثنائية،

وأعربوا المثني تقديراً.

وقيل^(٩): اسمها ضمير الشأن المحذوف و«هذان لساحران» خبرها.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. من م.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: لقوله.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. كذا في م. وفي غيرها: وقرئ.

٦. أنوار التنزيل ٥٣/٢.

٧. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١١): «إِنَّ» بمعنى نعم، وما بعدها مبتدأ وخبر. وفيهما أَنَّ اللام لا تدخل خبر المبتدأ.

وقيل ^(١٢): أصله: إِنَّهُ هذان لهما ساحران. وفيه أَنَّ المؤكّد باللام لا يليق به الحذف. وقرأ ^(١٣) أبو عمرو «إِنَّ هذين» وهو ظاهر. وابن كثير وحفص: «إِنَّ هذان» على أنها هي المخففة، واللام هي الفارقة أو النافية، واللام بمعنى إلا.

﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: بالاستيلاء عليها. ﴿يَسْخَرُهُمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ ^(١٤): بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب، بإظهار مذهبه وإعلاء دينه. لقوله: «إِنِّي أخاف أن يبدّل دينكم» ^(١٥).

وقيل ^(١٥): أرادوا: أهل طريقته، وهم بنو إسرائيل. فإنهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى: «أرسل معنا بني إسرائيل» ^(١٦).

وقيل ^(١٧): الطريقة اسم لوجه القوم وأشرفهم، من حيث أنهم قدوة لغيرهم. ﴿فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾: فازمعوه ^(١٨) [واجعلوه] ^(١٩) مجمعاً عليه لا يتخلف عنه واحد منكم.

وقرأ ^(١١٠) أبو عمرو ^(١١١): «فاجمعوا». ويؤيده قوله ^(١١٢): «فجمع كيده». والضمير في «قالوا» إن كان للسحرة، فهو قول بعضهم لبعض ^(١١٣).

﴿ثُمَّ اتَّوَا صَفًّا﴾: مصطفين، لأنه أهيّب في صدور الرائيين. كما قيل ^(١١٤): كانوا سبعين

١. نفس المصدر والموضع. ٢. نفس المصدر ٥٤-٥٣.

٣. نفس المصدر ٥٤. ٤. غافر ٢٦.

٥. أنوار التنزيل ٥٤/٢. ٦. طه ٤٧.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. أزمع الأمر، وبه، وعليه: عزم عليه وثبت وجدّ في إمضائه.

٩. من أنوار التنزيل ٥٤/٢. ١٠. نفس المصدر والموضع.

١١. كذا في م. وفي غيرها: قرئ. ١٢. طه ٦٠.

١٣. ليس في ع. ١٤. أنوار التنزيل ٥٤/٢.

أَلْفَا مَعَ كُلِّ [واحد]^(١) مِنْهُمْ حَبْلٌ وَعَصَا، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ إِبْقَالَةً وَاحِدَةً.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^(٢): فاز بالمطلوب من غلب. وهو اعتراض.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾^(٣): أي بعد ما أتوا، مراعاةً

للأدب. و«أن» بما بعده منصوب بفعل مضمر، أو مرفوع بخبر محذوف. أي اختر اللقاء أولاً، أو اللقاءنا. (أو: الأمر إلقاءك أو إلقاءنا)^(٤).

﴿قَالَ بَلَىٰ أَلْقُوا﴾: مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم، وإسعافاً إلى ما أوهموه

من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم، ولأن يأتوا بأقصى وسعهم، ثم يظهر الله سلطانه، فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٥): أي ألقوا، فإذا حبالهم.

و«إذا» للمفاجأة، وهي أيضاً ظرفية على التحقيق تستدعي متعلقاً ينصبها وجملة

تضاف إليها، لكنها خُصَّت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية.

والمعنى: فألقوا، ففاجأ موسى تخيُّله وقت تخييل سعي حبالهم وعصيَّهم من سحرهم.

قيل^(٦): وذلك بأن لَطَّخُوها بالزئبق. فلما ضربت عليها الشمس^(٧)، اضطربت

فتخيَّل إليها أَنَّها تتحرَّك.

وقرئ^(٨): «تُخَيَّلُ» بالتاء، بإسناده إلى ضمير الحبال والعِصِيِّ، وإبدال «أنها تسعي»

منه بدل الاشتمال. و«يُخَيَّلُ» على إسناده إلى الله. و«تُخَيَّلُ» بمعنى تتخيَّل.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٩): فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو

مقتضى الجبلة البشرية، أو من أن يخالجه الناس^(١٠) شك فلا يتبعوه.

وفي نهج البلاغة^(١١): قال عليه السلام: لم يوجس موسى خيفة على نفسه، [بل]^(١٢) أشفق من

غلبة الجهال ودول الضلال.

١. من المصدر.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. النهج/ ٥١، الخطبة ٤.

٢. ليس في م.

٤. ليس في ن.

٦. يوجد في م.

٨. من المصدر.

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام: عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ مُوسَى لَمَّا أَلْقَى عَصَاهُ وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لَمَّا آمَنَتَنِي. قال الله ﷻ: «لا تخف إنك أنت الأعلى». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾: ما توهمت.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٢): تعليل للنهي، وتقرير لغلبته، مؤكداً بالاستئناف وحرف التحقيق، وتكرير الضمير وتعريف الخبر، ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة، وصيغة التفضيل.

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾: أبهم ولم يقل «عصاك» تحقيراً لها، أي لا تبال بكثرة جبالهم وعصيتهم، وألقى العويذة^(٣) التي في يده، أو تعظيماً لها. أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمتها؛ فإن ما في يمينك أعظم منها أثراً، فألقه.

﴿تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا﴾: تبتلعه بقدرة الله تعالى. وأصله: تلتقف، فحذفت إحدى التاءين. وتاء المضارعة تحتل التانيث والخطاب على إسناد الفعل إلى المسبب.

وقرئ^(٤) بالرفع، على الحال أو الاستئناف. وبالجزم والتخفيف، على أنه من لقفته.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾: أي إن الذي زوره وافتعلوا.

﴿كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾: وقرئ^(٥) بالنصب، على أن «ما» كافة، وهو مفعول «صنعوا».

وقرئ^(٥) «سحر» بمعنى ذي سحر، أو بتسمية الساحر سحراً على المبالغة، أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان، كقولهم: علم فقه.

وإنما وحد الساحر، لأن المراد به الجنس المطلق. ولذلك قال:

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾: أي هذا الجنس.

١. ن: العود.

١. الاحتجاج / ٤٨٤٧.

٢. نفس المصدر / ٥٥.

٣. أنوار التنزيل / ٥٥-٥٤.

٥. نفس المصدر / ٥٥.

وتنكير الأول لتكثير المضاف، كأنه قيل: إنَّما صنعوا كيد سحري.

﴿حَيْثُ أَتَى﴾ (٣٦): حيث كان وأين أقبل.

﴿فَأَلْفَيَا السَّحْرَةَ سُجَّدًا﴾: أي فألقي، فتلقَّت. فتحقَّق عند السحرة أنَّه ليس بسحر، وإنَّما هو من آيات الله ومعجزاته. فألقاهم ذلك على وجوههم سُجَّدًا لله، توبة لله عمَّا صنعوا، وتعظيمًا لما رأوه.

﴿قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٣٧): قدَّم هارون لكبر سنِّه، أو لرؤوس الآي.

قيل^(١): أو لأنَّ فرعون ربِّي موسى في صغره. فلو اقتصر على موسى، أو قدَّم ذكره، فربَّما تُوهَّم أنَّ المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾: لموسى. واللام لتضمَّن الفعل معنى الإتيان.

﴿قَبْلَ أَنْ أَذْنَ لَكُمْ﴾: في الإيمان له!؟

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾: لعظيمكم في فنكم، وأعلمكم به. أو: لأستاذكم.

﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾: وأنتم تواطأتم على ما فعلتم.

﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: اليد اليمنى والرجل اليسرى.

و«من» ابتدائية، كأنَّ القطع ابتداء من مخالفة العضو [العضو]^(٢) وهي مع المجرور بها في حيِّز النصب على الحال. أي لأقطعتها مختلفات.

وقرئ^(٣): «وَلَا قُطْعَنَ» و«لَا ضَلْبَنَ» بالتخفيف.

﴿وَلَا صَلْبَيْنَكُمُ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: شبه تمكَّن المصلوب بالجذع، بتمكَّن

المظروف بالظرف.

قيل^(٤): وهو أوَّل من صلب.

﴿وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا﴾: قيل^(٥): يريد نفسه وموسى لقوله: «آمَنْتُمْ لَهُ». واللام مع الإيمان في

كتاب الله لغير الله. أراد به توضيح موسى^(٦) والهزاء به، فإنَّه لم يكن من التعذيب في شيء.

٢. من أنوار التنزيل ٥٥/٢.

٦. ليس في م.

١. نفس المصدر والموضع.

٣-٥. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): رَبِّ مُوسَى الَّذِي آمَنُوا بِهِ .
 ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ^(٢): وَأُدُومَ عِقَابًا .
 ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾: لَنْ نَخْتَارَكَ
 ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا﴾: مُوسَى بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِيهِ لِـ«مَا» .
 ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الْمَعْجَزَاتُ الْوَاضِحَاتُ .
 ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: عَطَفَ عَلَيَّ «مَا جَاءَنَا»، أَوْ قَسَمَ .
 ﴿فَأَنْقِصْ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: مَا أَنْتَ قَاضِيهِ، أَيُّ صَانِعِهِ . أَوْ: حَاكِمِهِ بِهِ .
 ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ^(٣): إِنَّمَا تَصْنَعُ مَا تَهْوَاهُ، أَوْ تَحْكُمُ بِمَا تَرَاهُ، فِي هَذِهِ
 الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى . فَهُوَ كَالْتَعْلِيلِ لِمَا قَبْلَهُ، وَالتَّهْمِيدِ لِمَا بَعْدَهُ .
 وَقُرِئَ ^(٤) بِالْإِسْنَادِ إِلَى مَا بَعْدَهُ، كَقَوْلِكَ: صَمَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .
 ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾: مِنْ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي .
 ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾: فِي مَعَارِضِهِ الْمَعْجَزَةِ .
 فِي الْجَوَامِعِ ^(٥): رَوَى أَنَّهُمْ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: أَرْنَا مُوسَى نَائِمًا . [فَفَعَلَ] ^(٦) فَوَجَدُوهُ
 تَحْرُسَهُ الْعَصَا . فَقَالُوا: مَا هَذَا بِسِحْرٍ، فَإِنَّ السَّاحِرَ إِذَا نَامَ بَطَلَ سِحْرُهُ . فَأَبَى [فِرْعَوْنَ] ^(٧)
 إِلَّا أَنْ يَعَارِضُوهُ ^(٨) .
 ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ^(٩): جَزَاءً . أَوْ: خَيْرٌ ثَوَابًا، وَأَبْقَى عِقَابًا .
 ﴿إِنَّهُ﴾: أَيُّ الشَّأْنِ .
 ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾: بَأَنْ يَمُوتَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ .
 ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فَيَسْتَرِيحُ .
 ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ^(١٠): حَيَاةً مَهْنَأَةً .

٢ . نفس المصدر والموضع .

٤ . من المصدر .

٦ . المصدر: يعملوا .

١ . نفس المصدر والموضع .

٣ . جوامع الجامع / ٢٨٣ .

٥ . من المصدر .

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾: في الدنيا.

﴿قَاوِلْكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٣٨): المنازل الرفيعة.

في أصول الكافي^(١): عن عَمَّار السَّاباطِي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى^(٢): «أَفَمَنْ آتَبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ». فقال: الذين آتَبَعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ، هُمُ الْأَنْعَمَةُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ - وَاللَّهُ يَا عَمَّارُ - دَرَجَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَبَوْلَانَهُمْ وَمَعْرِفَتَهُمْ إِيَّانَا، يَضَاعَفُ [اللَّهُ]^(٣) لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَيَرْفَعُ اللَّهُ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى.

وفي تفسير العياشي^(٤) عن عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: بدل من «الدَّرَجَاتِ».

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: قد سبق معنى جري الأنهار تحت الجَنَّاتِ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال، والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٣٩): تطهر من أدناس الكفر والمعاصي.

والآيات الثلاث يُحْمَلُ أَنْ تَكُونَ مِنْ كَلَامِ السَّحَرَةِ، وَأَنْ تَكُونَ ابْتِدَاءَ كَلَامِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: أي من مصر.

﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾: فاجعل. من قوله: ضرب له في ماله سهماً. أو: فأتخذ. من:

ضرب اللبن: إذا عمله.

﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾: أي يابساً. مصدر وصف به.

وقرئ^(٥): «يَيْسًا». وهو إما مخفَّف منه، أو وصف على فعل كَصَغَب، أو جمع يابس

كَصَخَب، وصف به الواحد مبالغة، أو لتعدُّده معنى، فإنه جعل لكل سبط منهم طريقاً.

١. الكافي ٤٣٠/١، ح ٨٤.

٢. آل عمران ١٦٢-١٦٣.

٣. من المصدر.

٤. تفسير العياشي ٢٠٥/١، ح ١٤٩.

٥. أنوار التنزيل ٥٦٢.

في كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام: روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آباءه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إنَّ يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام في أثناء كلام طويل: فإنَّ موسى عليه السلام قد ضُربَ له طريق في البحر^(٢) فهل لمحمدُ فُعل^(٣) شيء من هذا؟

فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمدٌ ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. خرجنا معه إلى خيبر^(٤)، فإذا نحن بواد يشخب^(٥). فقدَرناه، فإذا هو أربع عشرة^(٦) قامة. فقال أصحابه^(٧): يا رسول الله، العدو من ورائنا، والوادي أماننا. كما قال أصحاب موسى عليه السلام: «إنا لمدركون»^(٨). فنزل رسول الله ﷺ. ثم قال: اللهم^(٩) إنيك جعلت لكل مرسل دلالة، فأرني قدرتك. وركب ﷺ فعبرت الخيل لا تندي حوافرها، والإبل لا تندي أخفافها. فرجعنا، فكان فتحنا.

﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا﴾: حال من المأمور. أي أماناً من أن يدرككم العدو. أو صفة ثانية، والعائد محذوف.

وقرئ^(١٠): «لا تخف» على أنه جواب الأمر.

﴿وَلَا تَخْشَى﴾^(١١): استئناف. أي وأنت لا تخشى الغرق. أو عطف. أو حال بالواو. وفي كتاب طب الأئمة عليه السلام^(١٢) علي بن عروة الأهوازي قال: حدَّثنا الديلمي، عن داود الرقي، عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: من كان في سفر، فخاف اللصوص والسبع، فليكتب على عُرْفِ دابَّته: «لا تخاف دركاً ولا تخشى»؛ فإنه يأمن بإذن الله تعالى. قال داود الرقي: فحججت، فلما كنَّا بالبادية، جاء قوم من الأعراب، فقطعوا على

١. الاحتجاج ٢١٨.

٣. المصدر: فهل فعل بمحمد.

٥. أي يسيل.

٧. المصدر: فقالوا.

٩. يوجد في م.

١١. طب الأئمة عليه السلام ٣٦-٣٧.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: في البحر طريقاً.

٤. المصدر: حينئذ.

٦. المصدر: أربعة عشر.

٨. الشعراء ٦١.

١٠. أنوار التنزيل ٥٦٢.

القافلة، وأنا فيهم. فكتبت على عرف جملي: «لا تخاف دركاً ولا تخشى». فو الذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة، وخصه بالرسالة، وشرف أمير المؤمنين ﷺ بالإمامة، ما نازعني أحد منهم! أعماهم الله عني.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾: وذلك أن موسى خرج بهم أول الليل. فأخبر فرعون بذلك، فقص أثرهم. والمعنى: فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده، فحذف المفعول الثاني.

وقيل ^(١): «فأتبعهم» بمعنى فأتبعهم. [ويؤيده القراءة به. والباء للتعدي.

وقيل ^(٢): الباء مزيدة. والمعنى: فأتبعهم] ^(٣) جنوده وزادهم خلفهم.

﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ﴾ ^(٤): الضمير لجنوده، أو له ولهم. وفيه مبالغة ووجازة. أي غشيهم ما سمعت قصته، ولا يعرف كنهه إلا الله.

وقرئ ^(٥): «فغشاهم ما غشاهم» [أي غطاهم ما غطاهم] ^(٥) والفاعل هو الله، أو «ما غشيهم»، أو فرعون، لأنه الذي ورطهم للهلاك.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ ^(٦): أي أضلهم في الدين، وما هداهم - وهو تهكم به في قوله: «وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» ^(٧) - أو: أضلهم في البحر وما نجا.

في كتاب سعد السعود ^(٨) لابن طاوس رحمه الله عن تفسير الكلبي، عن ابن عباس أن جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ في حديث في حال فرعون وقومه: وإنما قال لقومه: «أنا ربكم الأعلى» ^(٩) حين انتهى إلى البحر فرآه قد يبست فيه الطريق، فقال لقومه: ترون البحر قد يبس من فرقي؟! فصداقوه لما رأوا ذلك. فذلك قوله تعالى: «وأضلّ

١. أنوار التنزيل ٥٦/٢.

٢. أنوار التنزيل ٥٦/٢.

٤. أنوار التنزيل ٥٦/٢.

٦. غافر ٢٩.

٥. ليس في ن.

٧. سعد السعود ٢١٨.

٨. النازعات ٢٤. ويوجد في المصدر بعد هذه الآية: وهي كلمة الآخرة من هما وإنما قال.

فرعون قومه وما هدى». ويأتي تمام القصة في سورة الشعراء، إن شاء الله تعالى.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون، على إضمار قلنا؛ أو للذين منهم في عهد النبي ﷺ بما فعل آبائهم.

﴿قَدْ أَتَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾: فرعون وقومه.

﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: لمناجاة موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه.

وإنما عُدَّت المواعدة إليهم، وهي لموسى - أوله وللسبعين المختارين - للملابسة.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ (٥٨): يعني في التيه.

﴿تَكُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: لذائذه أو حلالاته.

وقرئ^(١): «أنجيبتكم» و«واعدتكم» و«ما رزقتكم»، و«وعدتكم» و«وعدناكم»، و«الأيمن» بالجَرَ، على الجوار، مثل: جحرُ ضَبٍ خرب.

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾: فيما رزقناكم، بالإخلال بشكره، والتعدي لما حدَّ الله لكم فيه؛ كالسرف والبطر والمنع عن المستحق.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: فيلزمكم عذابي، ويجب لكم. من حلَّ الدين: إذا وجب أدأوه.

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (٥٩): فقد تردَّى وهلك.

وقيل^(٢): [وقع في الهاوية].

وقرئ^(٣): «يُحَلَّ» [٥٩] و«يحلل» بالضم، من: حلَّ يُحلَّ: إذا نزل.

وفي بصائر الدرجات^(٤): عبدالله بن محمد، عن موسى بن القاسم، عن جعفر بن محمد بن سماعة، عن عبدالله بن مسكان، عن الحكم بن الصلت، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خذوا بحجزة هذا الأنزع - يعني علياً - فإنه الصديق الأكبر،

١. أنوار التنزيل ٥٧/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. لا يوجد في ن.

٥. «بصائر» ٧٣/٢، ح ٢.

وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله، ومن أبغضه أضله الله، ومن تخلف عنه محقه الله. ومنه سبطا أمّتي الحسن والحسين وهما ابناي، ومن الحسين أنمة الهدى؛ أعطاهم الله فهمي وعلمي، فأحبّوهم وتولّوهم، ولا تتخذوا وليجة من دونهم، فيحلّ عليكم غضب من ربكم. ومن يحلل عليه غضب من ربه، فقد هوى. «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»^(١).

وفي كتاب التوحيد^(٢) بإسناده إلى حمزة بن الربيع، عمّن ذكره قال: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد، فقال له: [جعلت فداك]^(٣) قول الله تبارك وتعالى: «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى»، ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو، إنّ من زعم أنّ الله ﷻ زال من شيء، فقد وصفه صفة مخلوق. إنّ الله ﷻ لا يستغفّره شيء، ولا يغيّره.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي عليه السلام: روي أنّ عمرو بن عبيد وفد على محمد بن علي الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال عنه. فقال له: جعلت فداك، أخبرني عن قوله تعالى: «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى»، ما غضب الله تعالى؟ [فقال أبو جعفر عليه السلام: غضب الله]^(٥) عقابه يا عمرو، ومن زعم^(٦) أنّ الله يغيّره شيء، فقد كفر^(٧).

﴿وَأَنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾: عن الشرك.

﴿وَأَمِّنْ﴾: بما يجب الإيمان به.

﴿وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٨): ثم استقام على الهدى المذكور.

وفي أصول الكافي^(٨): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عمّن ذكره، عن محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي

١. آل عمران/ ١٨٥، والحديد/ ٢٠.

٢. التوحيد/ ١٦٧، ح ١.

٣. ليس في ع.

٤. الاحتجاج/ ٣٢٦-٣٢٧.

٥. ليس في ن.

٦. المصدر: ظنّ.

٧. المصدر هلك.

٨. الكافي/ ٤٧/٢، ح ٣.

عبدالله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا بِالْوَفَاءِ^(١) بِالشُّرُوطِ وَالْعَهْدِ. فَمَنْ وَفَى اللَّهَ ﷻ بِشُرْطِهِ، وَاسْتَعْمَلَ^(٢) مَا وَصَفَ فِي عَهْدِهِ، نَالَ مَا عِنْدَهُ، وَاسْتَكْمَلَ وَعْدَهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْبَرَ الْعِبَادَ بِطَرَقِ^(٣) الْهُدَى، وَشَرَعَ لَهُمْ فِيهَا الْمَنَارَ، وَأَخْبَرَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ؛ فَقَالَ: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى». وَقَالَ^(٤): «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ». فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ، لَقِيَ اللَّهَ مُؤْمِنًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٥)، عَنْ صَالِحِ بْنِ السَّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ وَهُوَ دَاخِلٌ، وَأَنَا خَارِجٌ، وَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ فَقَالَ: يَا سَدِيرُ، إِنَّمَا أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ فَيُطَوُّوا بِهَا؛ ثُمَّ يَأْتُونَا فَيَعْلَمُونَا وَلَا يَتَّهِمُنَا. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ إِلَيَّ وَلَا يَتَنَا. وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٦)؛ وَقَوْلِهِ: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» قَالَ: إِلَى الْوَلَايَةِ.

حَدَّثَنَا^(٧) أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٨) عَنْ السَّنْدِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبَانَ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو^(٩)، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ

١. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ، وَفِي النُّسخ: الْوَفَاءُ. ٢. الْمَصْدَرُ: بِشُرْطِهِ وَاسْتَكْمَلَ.

٣. الْمَصْدَرُ: بِطَرِيقٍ. ٤. الْمَانِدَةُ ٢٧/٢.

٥. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٣٩٢/١-٣٩٣، ح ٣. ٦. تَفْسِيرُ الْقَمِّي ٦١/٢.

٧. تَفْسِيرُ الْقَمِّي ٦١/٢.

٨. الْمَصْدَرُ: الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - ط).

٩. الْمَصْدَرُ: يَحْيَى.

وَأَمِنْ وَعَمِلْ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدِ» قال: ألا ترى كيف اشترط ولم تنفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى؟! والله، لو جهد أن يعمل^(١) ما قُبِلَ منه حتى يهتدي.

قال: قلت إلى من؟ جعلني الله فداك، قال: إلينا.

وفي أمالي الصدوق^(٢) عليه السلام بإسناده إلى النبي ﷺ حديث طويل، وفيه يقول لعلي عليه السلام ولقد ضلّ عنك من ضلّ عنك. ولن يهتدى إلى الله من لم يهتد إليك وإلى ولايتك. وهو قول ربّي ﷻ: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى». يعني إلى ولايتك.

وفي مجمع البيان^(٣): وقال أبو جعفر عليه السلام: «ثُمَّ اهْتَدَى» إلى ولايتنا أهل البيت. فوالله، لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام؛ ثُمَّ [مات و]^(٤) لم يجئ بولايتنا، لأَكَبَهُ^(٥) الله في النار على وجهه. رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده. وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق.

وفي تفسير العياشي^(٦) عن أبي عمرو الزبيری، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى» قال: لهذه الآية تفسير يدلّ ذلك التفسير على أن الله لا يقبل من أحد^(٧) عملاً^(٨) إلا مِمَّنْ لقيه بالوفاء منه بذلك التفسير، وما اشترط فيه على المؤمنين. قال^(٩): «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ». يعني: كلّ ذنب عمله^(١٠) العبد - وإن كان به عالماً - فهو جاهل حين خاطر^(١١) بنفسه في معصية ربّه.

١. المصدر: يعمل بعمل.

٢. لم نثر عليه في المصدر. ولكن رواه العروسي في نور الثقلين ٣/٣٨٧، ح ٩٤. أمالي صدوق ٤٠٠/ح ١٣.

٣. المجمع ٢٣/٤.

٤. ليس في ن.

٥. المصدر: إلأكبه.

٦. تفسير العياشي ١/٢٢٨، ح ٦٢.

٧. المصدر: عبد.

٨. أ، ن، س، ع: عهداً.

٩. النساء ١٧.

١٠. م: يعمله.

١١. كذا في المصدر. وفي ع: خاطبه. وفي سائر النسخ: خاطب.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب: أبو الجارود وأبو الصباح الكناني عن الصادق عليه السلام وأبو حمزة عن السجاد عليه السلام في قوله: «ثم اهتدي»: إلينا أهل البيت.

وفي محاسن البرقي^(٢): عنه^(٣)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى فيما أعلم عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدي» قال: إلى ولايتنا والله. أما ترى كيف اشترط [الله] ﷻ؟! ^(٤)

﴿وَمَا أَغْبَلَكْ عَنْ قَوْلِكَ يَا مُوسَى﴾^(٥): سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث أنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال لقوم وإيهام^(٦) التعظيم عليهم. فلذلك أجاب موسى عن الأمرين، وقدم جواب الإنكار لأنه أهم.

في مجمع البيان^(٧): كانت المواعدة أن يوافي الميعاد هو وقومه. وقيل^(٨): مع جماعة من وجوه قومه، فتعجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربّه، وخلفهم ليلحقوا به.

﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ آثَرِي﴾^(٩): ما تقدّمهم إلا بخطى يسيرة لا يُعتدّ بها عادة، ليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدّم بها الرفقة بعضهم بعضاً.

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾^(١٠): فإنّ المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك.

وفي مصباح الشريعة^(١١): قال الصادق عليه السلام: المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ شرباً، ولا يستطيع رقاداً، ولا يستأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس لباساً، ولا يقرّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشاق إليه،

٢. المحاسن/١٤٢، ح ٣٥.

٤. من المصدر.

٦. المجمع ٢٣/٤.

٨. ليس في ن.

١٠. مصباح الشريعة ١٩٦.

١. المناقب ١٢٩/٤.

٣. ليس في أ والمصدر.

٥. في أنوار التنزيل ٥٧/٢. إيهام.

٧. المجمع ٢٣/٤.

٩. ليس في ن.

ويناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريره. كما أخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد ربه بقوله: «وعجلت إليك رب^(١) لترضى». وفسر النبي ﷺ عن حاله أنه ما أكل، ولا شرب ولا نام، ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً، شوقاً إلى ربه.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا مِنْ بَعْدِكَ﴾: ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم. وهم الذين خلفهم [مع هارون]^(٢).

قيل^(٣): وكانوا ستمائة ألف، وما نجا من عبادة العجل منه إلا اثنا عشر [ألفاً]^(٤).

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥): باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته.

وقرئ^(٥): «أضلهم» أي أشدهم ضلالةً، لأنه كان ضالاً مضلاً.

قيل^(٦): هو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها «السامرة».

وقيل^(٧): كان علجاً^(٨) من كرمان.

وقيل^(٩): من أهل باجرما، واسمه: موسى بن ظفر، وكان منافقاً.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾: بعد ما استوفى الأربعين، وأخذ التوراة.

﴿غَضَبَانِ﴾: عليهم.

﴿أَسِفًا﴾: حزيناً بما فعلوا.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور؟!

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾: أي الزمان، يعني زمان مفارقتهم لهم.

﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: يجب عليكم.

﴿غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: بعبادة ما هو مثل في الغباوة.

١. المصدر: ربي.

٢. ليس في م.

٣. أنوار التنزيل ٥٧/٢.

٤. من المصدر.

٥-٧. نفس المصدر والموضع.

٨. العلج: كل جاف شديد من الرجل.

٩. نفس المصدر والموضع.

﴿فَاَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ (٨٣): أي وعدكم إيتاي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به.

وقيل (٨١): هو من: أخلفت وعده: إذا وجدت الخلف فيه. أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعودة بعد الأربعين.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾: بأن ملكنا أمرنا؛ إذ لو خُلِّينا وأمرنا، ولم يسؤل لنا السامري لما أخلفناه.

وقرئ (٧) بالفتح وبالضم، وثلاثتها [من الأصل لغات] (٣) في مصدر ملكت الشيء. ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: قيل (٤): أحمالاً من حلّي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس.

وقيل (٥): استعاروا العيد كان لهم، ثم لم يردّوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به. وقيل (٦): ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم، فأخذوه.

قيل (٧): ولعلهم سمّوها أوزاراً، لأنها آثام. فَإِنَّ الغنائم لم تكن تحلّ بعد. أو لأنهم كانوا مستأمنين، وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي.

وقرئ (٨): «حَمَلْنَا» (٩) بالفتح والتخفيف.

﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾: أي في النار لتذوب.

﴿فَكَذَّبَكَ الْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥): أي ما كان معه منها.

قيل (١٠): روي أنهم لما حسبوا أنّ العدة قد كملت، قال لهم السامري: إنّما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلّي القوم، وهو حرام عليكم. فالرأي أن نحفر حفيرة ونسجر فيها ناراً، ونقذف كلّ ما معنا فيها. ففعلوا.

﴿فَاَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً﴾: من تلك الحلّي المذابة.

١. أنوار التنزيل ٥٧/٢.

٢. نفس المصدر ٥٨/.

٣. من المصدر.

٤-٨. نفس المصدر والموضع.

٩. ليس في ن.

١٠. نفس المصدر والموضع.

﴿لَهُ خُورَازْمٌ﴾: صوت العجل .

في محاسن البرقي^(١): عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان وإسحاق بن عمار [جميعاً]^(٢)، عن عبيد الله^(٣) بن الوليد الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ فِيما ناجى الله به موسى عليه السلام أَنْ قال: يا رَبِّ، هذا السامري صنع العجل، الخوار مَنْ صنعه؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إِنَّ تلك فتنتي فلا تفحص^(٤) عنها.

﴿فَقَالُوا﴾: أي السامري ومن افتتن به أول ما رآه:

﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَاللهُ مُوسَى فَكَيْفَ﴾^(٥): أي نسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور. أو:

فنسي السامري؛ أي ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾: أفلا يعلمون

﴿أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: أَنَّهُ ليرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً؟!

وقرئ^(٥): «يرجع» بالنصب، وهو ضعيف، لأن «أَنْ» الناصبة لا تقع بعد أفعال

اليقين.

﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾^(٦): لا يقدر على إنقاذهم وإضرارهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): حَدَّثَنِي أَبِي، عن إسحاق بن الهيثم، عن سعد بن طريف^(٨)، عن الأصمعي بن نباتة: أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام سئل عن قول الله^(٩) ﴿يَعْلَمُ﴾: «وسع كرسيه السماوات والأرض». [قال: السماوات والأرض]^(١٠) وما بينهما من مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملون بإذن الله: فأما الملك الأول^(١١) ففي صورة آدميين - إلى أَنْ قال عليه السلام -:

١. المحاسن/ ٢٨٤، ح ٤٢٥.

٢. المصدر: عبيد الله.

٣. أنوار التنزيل ٥٨/٢.

٤. تفسير القمي ٨٥/١.

٥. كما في رجال النجاشي ٤٦٨. وفي م، ن، المصدر: ظريف.

٦. البقرة/ ٢٥٥.

٧. ليس في ن.

٨. كذا في المصدر. وفي ع: «ملك» بدل «الملك الأول» وفي سائر النسخ: «ملك منهم».

والملك الرابع في صورة الأسد، وهو سيد السباع. وهو يرغب إلى الله [ويتضرع إليه]^(١) ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع، ولم يكن من هذه الصور^(٢) أحسن من الثور، ولا أشد انتصاباً منه، حتى اتخذ الملائكة من بني إسرائيل العجل [الهاء]^(٣). فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله، خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه، وتخوف أن ينزل به العذاب. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾: [من قبل]^(٤) رجوع موسى، أو قال السامري. كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك، وبادر تحذيرهم.

﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: بالعجل.

﴿وَأَنْ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ﴾: لا غير.

﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(٥): في الثبات على الدين.

﴿قَالُوا لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ﴾: على العجل وعبادته

﴿عَاكِفِينَ﴾: مقيمين.

﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^(٦): وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): فهموا بهارون، فهرب منهم^(٨) [وبقوا في ذلك حتى تم ميقات موسى أربعين ليلة. فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة، أنزل الله عليه]^(٩) الألواح فيها التوراة وما يحتاج^(١٠) إليه من أحكام السير والقصص. ثم أوحى الله إلى موسى «إنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري» وعبدوا العجل وله خوار.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الصورة.

٤. يوجد في م.

١. ليس في المصدر.

٣. من المصدر.

٥. تفسير القمي ٦٢/٢.

٦. المصدر: «حتى حرب من بينهم» بدل «فهرب منهم».

٨. المصدر: يحتاجون.

٧. لا يوجد في ع.

فقال ﷺ: يا رب، العجل من السامري، فالخوار مَن؟ قال: مني يا موسى! إنني لمَّا رأيتهم قد ولّوا عني إلى العجل، أحببت أن أزيدهم فتنةً. فرجع موسى إلى قومه كما حكى الله.

﴿قَالَ يَا هَارُونُ﴾: أي قال له موسى لَمَّا رجع:

﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾^(١): بعبادة العجل.

﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾: أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به. أو: أن تأتي عقبي وتلحقني. و«لا» مزيدة كما في قوله^(١): «ما منعك أن لا تسجد».

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(٢): بالصلابة في الدين والمحاماة عليه؟

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): ثم رمى بالألواح، وأخذ بلحية أخيه ورأسه يسجره إليه، فقال: [يا هارون]^(٣) ما منعك؟

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ﴾: خص الأم، استعطافاً وترقيقاً.

وقيل^(٤): لأنه كان أخاه من الأم. والجمهور على أنهما كانا من أب وأم.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: أي بشعر رأسي.

قيل^(٥): قبض عليهما يسجره إليه، من شدة غيظه وفرط غضبه لله. وكان ﷺ حديداً خشناً متصلباً في كل شيء، فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل.

وقيل^(٦): كانت العادة جارية في القبض عليهما في ذلك الزمان، كما أن العادة في زماننا هذا، القبض على اليد والمعانقة. وذلك ممَّا يختلف العادة فيه بالآزمنة والأمكنة. وقيل^(٧): إنّه أجراه مجرى نفسه^(٨)، إذا غضب في القبض على لحيته، لأنه لم يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه.

٢. تفسير القمي ٦٣/٢.

٤. أنوار التنزيل ٥٩-٥٨/٢.

٦. مجمع البيان ٢٧/٤.

٨. ليس في م.

١. الأعراف ١٢/.

٣. من المصدر.

٥. نفس المصدر ٥٩/.

٧. نفس المصدر والموضع.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾: لو قاتلت أو فارتت بعضهم ببعض^(١).

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٢): حين قلت: «اخلفني في قومي وأصلح»^(٣). فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء^(٤) والمداراة بهم، إلى أن ترجع إليهم فتدارك الأمر برأيك. وفي كتاب علل الشرائع^(٥) بإسناده إلى علي بن سالم، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، وفيه قال: قلت: فلم أخذ برأسه يجزّه إليه وبلحيته، ولم يكن له في اتخاذهم العجل وعبادتهم له ذنب؟

فقال: إنما فعل ذلك به، لأنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك، ولم يلحق بموسى. وكان إذا فارقهم، ينزل بهم العذاب. ألا ترى أنه قال له موسى: «يا هارون^(٦) ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعن أفعصيت أمري». قال هارون: لو فعلت ذلك، لتفرّقوا. وإني خشيت أن تقول^(٧) فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي».

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾^(٨): أي ثم أقبل عليه، وقال له منكرًا: ما خطبك؟! أي ما طلبك له وما الذي حملك عليه؟! وهو مصدر خطب الشيء: إذا طلبه.

﴿قَالَ﴾^(٩) بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ: وقرئ^(١٠) بالثناء على الخطاب. أي علمت بما لم تعلموه^(١١) وفطنت بما لم تفطنوا^(١٢) له. وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه. أو: رأيت ما لم تروه. وهو أن جبرئيل جاءك على فرس الحياة.

١. كذا في أنوار التنزيل ٥٩/٢. وفي النسخ: لو قاتلت بعضهم وفارتت ببعض.

٢. الأعراف ١٤٢/٢. ٣. الدهماء: عامة الناس وسوادهم.

٤. العلل ٦٨، ح ١.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ألا ترى أنه قال لهارون...

٦. المصدر: إذا.

٧. المصدر: تقول لي.

٨. ليس في م.

٩. أنوار التنزيل ٥٩/٢.

١٠. كذا في م. وفي سائر النسخ: يعلموه.

١١. س، أ، م: يتفطنوا.

وقيل ^(١): إِمَّا عرفه، لأنَّ أُمَّه أَلْقَتْه حين ولدته خوفاً من فرعون، وكان جبرئيل يغذوه حتَّى استقلَّ.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾: من تربة موطنه. والقبضة: المرّة من القبض. فأطلق على المقبوض؛ كضرب الأمير.

وقرئ ^(٢) بالصاد. والأوّل للأخذ بجميع الكفّ. والثاني للأخذ بأطراف الأصابع. ونحوهما الخضم والخضم. و«الرسول»: جبرئيل.

قيل ^(٣): ولعلّه لم يسمّه، لأنّه لم يعرف أنّه جبرئيل. أو أراد أن ينبّه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور.

﴿فَنَبَذْنَاهَا﴾: في الحليّ المذابة - أو: في جوف العجل - حتّى حيي.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ ^(٤): زَيَّنْتَهُ وَحَسَّنَتْهُ إِلَيَّ.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٥): فأخرج موسى العجل، فأحرقه بالنار، وألقاه في البحر.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾: عقوبةً عليّ ما فعلت.

﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: خوفاً من أن يمسّك أحد، فتأخذك الحمى ومن مسّك.

فتحامى الناس ويحاموك ^(٦)، وتكون طريداً وحيداً كالوحش النافر.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٧): ما دمت حيّاً، وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة أن

تقول: لا مساس [يعني] ^(٨) [حتّى تُعرّفوا أنّكم سامريّة فلا يغترّ ^(٩) بكم الناس. فهم إلى

الساعة بمصر والشام يُعرّفون بـ«لا مساس»] ^(١٠) قال: ثم هم موسى بقتل السامريّ.

١. نفس المصدر والموضع. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع. ٤. تفسير القمّي ٦٣/٢.

٥. كذا في أنوار التنزيل ٥٩/٢. وفي النسخ: فتخافي الناس ويخافوك.

٦. تفسير القمّي ٦٣/٢. ٧. من المصدر.

٨. كذا في المصدر. وفي ع: يعثر. ٩. يوجد في ع.

فأوحى الله إليه : لا تقتله - يا موسى - فإنه سخي .

وفي مجمع البيان ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام : إن موسى هم ، الحديث .

وقرئ ^(٢) : « لا مساس » - كفجار - وهو علم للمسة .

﴿وَأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ : في الآخرة .

﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ : لن يخلفك الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا .

وقرئ ^(٣) بكسر اللام . أي لن تخلف الواعد إياه وستأتيه لا محالة . فحذِف المفعول

الأول ، لأن المقصود هو الموعد . ويجوز أن يكون من : أخلفت الموعد : إذا وجدته خلفاً .

وقرئ ^(٤) بالنون ، على حكاية قول الله .

وفي كتاب [الخصال ^(٥)] قال : ^(٦) قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن في التابوت الأسفل [من

النار اثني عشر] ^(٧) ستة من الأولين وستة من الآخرين . فأما الستة من الأولين : فابن آدم

قاتل أخيه ، وفرعون الفراعنة ، والسامري ، الحديث .

﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ : ظلت على عبادته مقيماً ، فخذف اللام

الأولى تخفيفاً .

وقرئ ^(٨) بكسر الظاء على نقل حركة اللام إليها .

﴿لَتُحَرِّقَنَّهُ﴾ : أي بالنار - ويؤيده قراءة «لَتُحَرِّقَنَّهُ» من باب الإفعال - أو بالمبرد ، على

أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد . ويعضده قراءة «لَتُحَرِّقَنَّهُ» من باب التفعيل .

﴿كُمُ لَتَنَسِفُنَّهُ﴾ : لندزبنه رماداً أو مبروداً .

وقرئ ^(٩) بضم السين .

٢-٤ . أنوار التنزيل ٥٩/٢ .

٦ . ليس في ن .

٨ . أنوار التنزيل ٥٩/٢ .

١ . المجمع ٢٩/٤ .

٥ . الخصال ٤٨٥/ح ٥٩ .

٧ . لا يوجد في المصدر .

٩ . نفس المصدر ٦٠/٦ .

﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^(٣٧): فلا يصادف منه شيء.

والمقصود من ذلك زيادة عقوبته، وإظهار غباوة المُفْتَنَيْنِ به، لمن له أدنى نظر.
في كتاب الخصال^(١)، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: شرُّ الأولين والآخرين اثنا عشر: ستّة من الأولين، وستّة من الآخرين.

ثم سَمِيَ الستّة من الأولين: ابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون، وهامان، وقارون، والسامري، والدجال اسمه في الأولين ويخرج في الآخرين.

وأما الستّة من الآخرين: فالعجل، وهو نعلل. وفرعون، وهو معاوية. وهامان هذه الأمة، وهو زياد. وقارونها، وهو سعيد. والسامري، وهو أبو موسى عبدالله بن قيس - لأنه قال كما قال سامري موسى: «لا مساس»، أي لا قتال -.. والأبتر، وهو عمرو بن العاص.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(٢) بإسناده إلى إسحاق بن عمار الصيرفي، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: جعلت فداك، حدّثني فيهما بحديث، فقد سمعت عن أبيك فيهما أحاديث [عدة]^(٣). قال: فقال لي: يا إسحاق، الأوّل بمنزلة العجل. والثاني بمنزلة السامري. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي عليه السلام وعن أبي يحيى الواسطي قال: لمّا افتتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة^(٥)، اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح. فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع؟ قال: أكتب^(٦) آثاركم لنحدّث بها بعدكم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنّ لكلّ قوم سامري؛ وهذا سامري هذه الأمة. ألا^(٧) إنّه

٢. ثواب الأعمال/ ٢٥٦-٢٥٥، ح ٣.

٤. الاحتجاج/ ١٧١-١٧٢.

٦. المصدر: نكتب.

١. الخصال/ ٤٥٨، ح ٢.

٣. من المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٧. المصدر: أما.

لا يقول: «لا مساس» ولكنه يقول: لا قتال.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾: المستحق لعبادتك.

﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١١): وسع علمه كلما يصح أن يعلم؛ لا العجل الذي يصاب ويحرق، وإن كان حياً في نفسه، كان مثلاً في الغباوة.

وقرئ^(١١): «وسع» فيكون انتصاب «علماً» على المفعولية، لأنه وإن انتصب على التمييز في المشهورة، لكنه فاعل في المعنى. فلما عُدِّي الفعل بالتضعيف إلى المفعولين، صار مفعولاً.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الاقتصاص، يعني اقتصاص قصة موسى.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: من أخبار الأمور الماضية في الأمم الدارجة، تبصرة لك وزيادة في علمك، وتكثيراً لمعجزاتك، وتنبيهاً وتذكيراً للمستبصرين من أمتك.

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾^(١٢): أي كتاباً مشتملاً على هذه الأفاضيص والأخبار، حقيقةً بالتفكير والاعتبار. والتذكير فيه للتعظيم.

وقيل^(١٢): ذكراً جميلاً وصيئاً عظيماً بين الناس.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة.

وقيل^(١٣): عن الله.

﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾^(١٣): عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه. سمّاها

وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفرح الحامل وينقض ظهره. أو: إثماً عظيماً.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾: في الوزر. أو: في حمله.

والجمع فيه والتوحيد في «أعرض» «لحمل» على المعنى واللفظ.

﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾^(٣): أي بنس لهم.

فيه ضمير يفسره «حملاً». والمخصوص بالذم محذوف. أي ساء حملاً وزرهم.

واللام في «لهم» للبيان كما في «هيت لك»^(١). ولو جعلت «ساء» بمعنى أحزن^(٢) والضمير الذي فيه للوزر، أشكل أمر اللام ونصب «حملاً»^(٣) ولم يفد مزيد معنى^(٤).

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: وقرأ^(٥) أبو عمرو بالنون، على إسناد النفخ إلى الأمر به تعظيماً به، أو للنافخ.

وقرئ^(٦) بالياء المفتوحة، على أن فيه ضمير الله، أو ضمير إسرافيل - وإن لم يجر ذكره - لأنه المشهور بذلك.

وقرئ^(٧): «في الصُّور». وهو جمع صورة. وقد سبق بيان^(٨) ذلك.

﴿وَنَحْشُرَ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾: وقرئ^(٩): «وَيُحْشَرُ المجرمون».

﴿زُرْقًا﴾^(١٠): زرق العيون.

وصفوا بذلك، لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب. فإن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق. [ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكبد، أصهب السبيل^(١١)، أزرق العين. أو: عمياً، فإن حدة الأعمى تزرق]^(١٢).

١. يوسف ٢٣/

٢. أي يجب على هذا التقدير أن يكون الكلام هكذا: وساء لهم يوم القيامة حملهم.

٣. في هامش نسخة «م»: قوله: ونصب حملاً؛ أي وأشكل نصب حملاً ويمكن أن يقال: إن اللام مزيدة حيثن في مفعول «ساء» وحملاً منصوب على التمييز أو أن «ساء» متضمن لمعنى حصل وحملاً مفعول حصل، أي آخرتهم الوزر محصلاً لهم يوم القيامة حملاً، والله يعلم. (جعفر)

٤. لأنه إذا كان بمعنى أحزن كان المناسب أن يقال: ساء لهم يوم القيامة كقولهم: لا يحزنهم الفزع الأكبر وأيضاً لا جدوى في قوله.

٥-٧. نفس المصدر والموضع.

٩. نفس المصدر والموضع.

٨. ليس في ع.

١٠. الأصهب: ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والياض. والسبال: جمع سبلة، وهي: طرف

الشارب من الشعر، أو مقدّم اللحية. ١١. لا يوجد في ن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): تكون أعينهم [مراقبة لا يقدر أن يطفئها].
 وقيل^(٢) عطاش^(٣) يظهر في أعينهم^(٤) كالزرقه.
 ﴿بَتَّخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول.
 والخفت: خفض الصوت وإخفاؤه.
 وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): يشير بعضهم إلى بعض.
 ﴿إِنْ لَبِثْتُ إِلَّا عَشْرًا﴾^(٦): أي في الدنيا. يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها، أو
 لاستطالتهم مدة الآخرة، أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد، وعلموا أنهم استحقوا
 على إضاعته في قضاء الأوطار واتباع الشهوات.
 أو: في القبر؛ لقوله^(٧): «يوم تقوم الساعة» إلى آخر الآيات.
 ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: - وهو مدة لبثهم -.
 ﴿إِذْ يَقُولُ آمَنَّا بِكَ طَرِيقَةً﴾: أعد لهم رأياً أو عملاً.
 ﴿إِنْ لَبِثْتُ إِلَّا يَوْمًا﴾^(٨): استرجاع^(٩) لقول من يكون أشد تفاؤلاً^(١٠) منهم.
 ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: عن مآل أمرها.
 قيل^(١١): وقد سأل عنها رجل من ثقيف.
 ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾^(١٢): يجعلها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها.
 ﴿فَيَذَرُهَا﴾: فيذر مقارها، أو الأرض.
 وإضمارها من غير ذكر، لدلالة الجبال عليها، كقوله^(١٣): «ماترك على ظهرها من
 دابة».

١. تفسير القمي ٦٤/٢.

٢. مجمع البيان ٢٩/٤. وفيه: عطاشاً في مظهر عينهم كالزرقه.

٣. العطاش: داء يصيب الإنسان والحيوان يشرب الماء فلا يروى.

٤. لا يوجد في ن. ٥. تفسير القمي ٦٤/٢.

٦. الروم ٥٦٥٥. ٧. كذا في أنوار التنزيل ٦١/٢. وفي النسخ: استرجاع.

٨. المصدر: نقلاً. ٩. أنوار التنزيل ٦١/٢.

١٠. فاطر ٤٥.

﴿قَاعاً﴾: خالياً.

﴿صَفْصَفًا﴾^(٦٧): مستوياً، كأنَّ أجزاءها على صَفٍّ واحد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): القاع: الذي لا تراب عليه. والصفصف: الذي لا نبات له.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾^(٦٨): اعوجاجاً ولا نتوء، إن تأملت فيها بالقياس الهندسي.

وقيل^(٦٩): وثلاثتها أحوال مترتبة، فالأولان باعتبار الإحساس، والثالث باعتبار المقياس. ولذلك ذكر للعوج بالكسر^(٧٠) وهو يخص المعاني، والأمْت وهو النتوء اليسير.

وقيل^(٧١): «لا ترى» استئناف مبين للحالين.

وفي عيون الأخبار^(٧٢) بإسناده إلى علي بن النعمان، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إنَّ بي تأليل^(٧٣) كثيرة، وقد اغتممت بأمرها. فأسألك أن تعلمني شيئاً أنتفع به.

فقال عليه السلام: خذ لكل ثُلُول^(٧٤) سبع شعيرات. واقرأ على كل شعيرة سبع مرّات: «إذا وقعت الواقعة» إلى قوله: «فكانت هباءً منبثاً»^(٧٥) وقوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾. ثم^(٧٦) تأخذ الشعير شعيرة [شعيرة]^(٧٧). فامسح بها على كل ثُلُول، ثم صيرها في خرقه جديدة واربط^(٧٨)

١. تفسير القمي ٦٧/٢.

٢. أنوار التنزيل ٦١/٢.

٣. ليس في ع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. العيون ٥٠/٢، ح ١٩٣.

٦. تأليل: جمع الثُلُول: بئر صغير صلب مستدير يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها.

٨. الواقعة ٦١/٦.

٧. المصدر: بثور.

٩. من المصدر.

٩. لا يوجد في المصدر.

١١. المصدر: فاربط.

على الخرقة حجراً، وألقها في كنيف.

قال: ففعلت، فنظرت إليها يوم السابع؛ فإذا هي مثل راحتي. وينبغي أن يُفعل^(١) ذلك في محاق الشهر.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم إذ نسفت، على إضافة اليوم إلى وقت النسف. ويجوز أن يكون بدلاً ثانياً من يوم القيامة.

﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: داعي الله إلى المحشر.

قيل^(٢): هو إسرافيل يدعو الناس قائماً على صخرة بيت المقدس، فيقبلون من كل أوب إلى صوبه.

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: لا يعوج له مدعو، ولا يعدل عنه.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قال محمد بن العباس: حدثنا محمد بن همام بن سهيل^(٤)، عن محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: سألت أبي عن قول الله ﷻ: «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ؟ قال: الداعي أمير المؤمنين.

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾: خضعت^(٥) لمهابته.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(٦): صوتاً خفياً. ومنه الهميس لصوت أخفاف الإبل. وقد فُسِّر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي محمد الوابشي، عن أبي الورد، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إذا كان يوم القيامة، جمع الله ﷻ الناس في صعيد واحد حفاة عراة، فيوقفون في

١. م: زيادة «من تنمة الخير».

٣. تأويل الآيات الباهرة ٣١٦/١، ح ١٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: سهل.

٦. تفسير القمي ٦٤-٦٥.

٥. في أنوار التنزيل ٦١/٢: خففت.

٢. أنوار التنزيل ٦١/٢.

المحشر حتَّى يعرقوا عرقاً شديداً، وتشتد أنفاسهم. فيمكثون في ذلك مقدار^(١) خمسين عاماً. وهو قول الله: «وخشعت الأصوات للرحمان فلا تسمع إلّا همساً».

قال^(٢): ثمّ ينادي مناد من تلقاء العرش: أين النبيّ الأُمّيّ؟ فيقول الناس: قد أسمعتم فسّمه^(٣) باسمه. فينادي: أين نبيّ الرحمة؟ أين محمّد بن عبد الله الأُمّيّ؟

فيتقدّم رسول الله ﷺ أمام الناس^(٤) كلّهم، حتّى ينتهي إلى حوض طوله ما بين إيلة وصنعاء، فيقف عليه. فينادي بصاحبكم، فيتقدّم عليّ أمام الناس، فيقف معه. ثمّ يؤذن للناس، فيمرّون. فبين وارد الحوض يومئذ^(٥) وبين مصروف عنه.

فإذا رأى رسول الله ﷺ من يُصرف عنه^(٦) من محبّينا، يبكي^(٧) فيقول: يا ربّ، شيعة عليّ [أراهم قد صُرفوا تلقاء أصحاب النار، ومُنّعوا ورود حوضي]!^(٨)

قال: قال: فيبعث الله إليه ملكاً، فيقول له: ما يبكيك يا محمّد؟ فيقول: أبكي لأناس من شيعة عليّ [أراهم قد صُرفوا تلقاء أصحاب النار، ومُنّعوا ورود الحوض].

قال: [٩] فيقول له الملك: إنّ الله يقول [لك: يا محمّد، إنّ شيعة عليّ]^(١٠) قد وهبهم لك يا محمّد وصفحت لهم عن ذنوبهم، بحبّهم لك ولعترتك، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون^(١١) به، وجعلناهم في زمرك، فأوردهم حوضك.

قال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: «يا محمّد»^(١٢) إذا رأوا ذلك، ولا يبقى أحد يومئذ يتوالانا ويحبّنا، ويتبرأ من عدوّنا ويبغضهم، إلّا كانوا في حزبنا ومعنا ويردون^(١٣) حوضنا.

-
١. ليس في المصدر.
 ٢. ليس في ن.
 ٣. المصدر: فسّم.
 ٤. ليس في ن.
 ٥. من ع.
 ٦. ليس في المصدر.
 ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: بكى.
 ٨. ليس في المصدر.
 ٩. من ع.
 ١٠. ليس في المصدر.
 ١١. المصدر: يتولّون.
 ١٢. المصدر: يا محمّداً.
 ١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: يرد.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ : الاستثناء من الشفاعة. أي إلا شفاعة من أذن. أو من أعم المفاعيل. أي من أذن في أن يشفع له، فإن الشفاعة تنفعه. فد «من» على الأول مرفوع على البدلية، وعلى الثاني منصوب على المفعولية.

﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (٣٥) : أي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة. أو: رضى لأجله قول الشافع في شأنه، أو قوله لأجله وفي شأنه.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١) قال محمد بن العباس عليه السلام : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ (٢)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (٣) الْعُلُوِّيِّ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ، وَرَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى : «يَوْمَئِذٍ (٤) لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ [قَوْلًا]». قَالَ : لَا يَنَالُ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ بِطَاعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ، وَرَضِيَ لَهُ (٥) قَوْلًا وَعَمَلًا فِيهِمْ، فَحَبِي عَلَى مَوَدَّتِهِمْ، وَمَاتَ عَلَيْهَا، فَرَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِيهِمْ. ثُمَّ قَالَ : «وَعَنْتُ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا لَأَلَّ مُحَمَّدٌ كَذَا نَزَلَتْ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : ما تقدّم من الأحوال.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : (وما بعدهم ممّا يستقبلونه).

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٦) قال : «ما بين أيديهم» ما مضى من أخبار الأنبياء «وما خلفهم» (٧) من أخبار القائم عليه السلام.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (٨) : ولا يحيط علمهم بمعلوماته.

وقيل (٨) : بذاته.

١. تأويل الآيات الباهرة ٣١٨/١، ح ١٥.

٢. كذا في المصدر. وفي ن: يحيى. وفي غيرها: حماد.

٣. م، ن، ع: سعيد.

٤. من المصدر.

٥. لا يوجد في ن.

٦. تفسير القمي ٦٥/٢.

٧. لا يوجد في ع.

٨. أنوار التنزيل ٦١/٢.

وقيل ^(١): الضمير لأحد الموصولين، أو لمجموعهما، فإنهم لم يعلموا جميع ذلك، ولا تفصيل ما علموا منه.

وفي كتاب التوحيد ^(٢) حديث طويل عن عليّ عليه السلام يقول فيه - وقد سأله رجل عما اشبهه عليه من الآيات في هذه الآية -: لا يحيط الخلائق بالله ﷻ علماً؛ [إذ هو] ^(٣) تبارك وتعالى جعل على أبصار القلوب الغطاء، فلا فهم يناله بالكيف، ولا قلب يشبه بالحدود. فلا تصفه ^(٤)، إلّا كما وصف نفسه. «ليس كمثله شيء» [وهو السميع البصير] ^(٥) العليم ^(٦)، الأوّل والآخر، والظاهر والباطن، الخالق البارئ المصور. خلق الأشياء فليس من الأشياء شيء] ^(٧) مثله تبارك وتعالى.

وفي أصول الكافي ^(٨): أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام. فاستأذنته في ذلك، فأذن. فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام [والأحكام] ^(٩) حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنّنا روينّا أنّ الله قَسَمَ الرؤية والكلام بين نبيّين؛ فقسّم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين من الجنّ والإنس: «لا تدركه الأبصار» ^(١٠) و«لا يحيطون به علماً» و«ليس كمثله شيء» ^(١١)؟! أليس محمد؟! قال: بلى.

قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: «لا تدركه الأبصار» و«لا يحيطون به علماً» و«ليس

٢. التوحيد/ ٢٦٣-٢٦٤، ح ٥.

٤. المصدر: فلا يصفه.

٦. ليس في المصدر.

٨. الكافي ٩٦٩٥/١، ح ٢.

١٠. الأنعام/ ١٠٣.

١. أنوار التنزيل ٦١/٢.

٣. من المصدر.

٥. الشورى/ ١١.

٧. ليس في أ و.

٩. من المصدر.

١١. الشورى/ ١١.

كمثله شيء» ثم يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟! أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة [أن ترميه^(١)] بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

إلى قوله عليه السلام: وقد قال الله^(٢): «ولا يحيطون به علماً». فإذا رآته الأبصار، فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذب بالروايات؟!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفةً للقرآن، كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، و«ليس كمثله شيء».

وفي كتاب التوحيد^(٣) خطبة عن علي عليه السلام فيها: قد يشت من استنباط الإحاطة به طوامح^(٤) العقول، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزلّيته.

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾: ذلت وخضعت له خضوع العنا، وهم الأسارى في يد الملك القاهر.

وظاهرها يقتضي العموم، ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين، فيكون اللام بدل الإضافة.

وفي كتاب التوحيد^(٥) خطبة لعلي عليه السلام فيها: وعنت الوجوه من مخافته.

وفي نهج البلاغة^(٦): وتعنو الوجوه لعظمته.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (٣١)

يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعض الطاعات.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات.

١. ليس في ن.

٢. ليس في ن.

٣. التوحيد ٧١، ٧٠، ح ٢٦.

٤. طوامح: جمع الطامح: المرتفع من كل شيء.

٥. التوحيد ٥٢، ح ١٣.

٦. النهج ٢٥٨، الخطبة ١٧٩.

﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾: [منع ثواب مستحقّ بالوعد^(١)].

﴿وَلَا هُضْمًا﴾^(٢): ولا كسراً منه بنقصان، أو جزاء ظلم وهضم، لأنّه لم يظلم غيره ولم يهضم حقّه.

وقرئ^(٣): «فلا يخف» على النهي.

وفي الحديث السابق المنقول عن تأويل الآيات الباهرة^(٤) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» قال: مؤمن بمحبّة آل محمّد، ومبغض لعدوّهم.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: عطف على «كذلك [نقص]»^(٥) أي مثل ذلك^(٦) [الإنزال. أو: مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد.

﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: كلّ على هذه الوتيرة

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾: مكرّرين فيه آيات الوعيد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي، فتصير التقوى لهم ملكة.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٧): عظة واعتباراً حين يسمعونها، فيثبّطهم عنها. ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم والإحداث إلى القرآن.

وفي كتاب الاحتجاج^(٨) للطبرسي عليه السلام: وروي عن صفوان بن يحيى قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام لأبي قرّة صاحب شبرمة: التوراة والإنجيل [والزبور]^(٩) والفرقان وكلّ كتاب أنزل^(١٠)، كان كلام الله أنزله للعالمين نوراً^(١١)، وهدي، وهي كلّها محدثة، وهي غير الله؛ حيث يقول «أو»^(١٢) يحدث لهم ذكراً.

١. ليس في ن. ٢. أنوار التنزيل ٦٢/٢.

٣. تأويل الآيات الباهرة ٣١٨/١، ح ١٥. ٤. طه ٩٩.

٥. ليس في ن. ٦. الاحتجاج ٤٠٥.

٧. يوجد في م. ٨. يوجد في ع.

٩. ليس في ن. ١٠. المصدر: و.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾^(١): في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين؛ لا يماثل كلامه كلامهم، كما لا يماثل ذاته ذاتهم.

وفي أصول الكافي^(٢) خطبة مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام وفيها: والمتعالي على الخلق بلا تباعد منهم، ولا ملازمة منه لهم.

﴿الْمَلِكُ﴾: النافذ أمره ونهيه، الحقيق بأن يُرجى وعده ويُخشى وعيده.

﴿الْحَقُّ﴾: في ملكوته يستحقّه لذاته. أو: الثابت في ذاته وصفاته.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: قيل^(٣): نهى عن الاستعجال في تلقّي الوحي من جبرئيل ومساوقته [في القراءة]^(٤) حتّى يتمّ وحيه بعد ذكر الإنزال، على سبيل الاستطراد.

وقيل^(٥): نهى عن تبليغ ما كان مجملًا قبل أن يأتي بيانه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦) قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن، بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية والمعنى. فأنزل الله: «ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه» أي يفرغ من قراءته.

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٧): أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال. فإنّ ما أوحى إليك، تناله لا محالة.

وفي أصول الكافي^(٨) بإسناده إلى أبي يحيى الصنعاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا يحيى، لنا في ليالي الجمعة لشأننا من الشأن.

قال: قلت: جعلت فداك، وما ذلك؟

قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصي الذي

٢. الكافي ١/١٤٢، ح ٧.

٤. يوجد في م.

٦. تفسير القمي ٦٥/٢.

١. ليس في ن.

٣. أنوار التنزيل ٦٢/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. الكافي ١/٢٥٣-٢٥٤، ح ١.

بين أظهركم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها، فتطوف به أسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين. ثم تُردّ إلى الأبدان التي كانت فيها، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملّثوا سروراً. و يصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير.

وبإسناده^(١) إلى المفضل قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام ذات يوم - وكان لا يكتنني قبل ذلك - يا أبا عبدالله، قال: قلت: لبيك. قال: إن لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً.

قال: قلت: زادك الله، وما ذلك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة، وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام معه، ووافينا معهم. فلا تردّ أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا.

وبإسناده^(٢) إلى يونس، أو المفضل، عن أبي عبدالله عليه السلام [نحوه بتغيير يسير. وبإسناده^(٣) إلى صفوان بن يحيى قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام] ^(٤) يقول: كان جعفر بن محمد عليه السلام يقول ^(٥) لولا أنا نزداد، لأنفدنا.

[وبإسناده^(٦) إلى ذريح المحاربي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا ذريح، لولا أنا نزداد، لأنفدنا] ^(٧).

محمد بن يحيى^(٨)، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نصر، عن ثعلبة، عن زارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لولا أنا نزداد، لأنفدنا.

قال: قلت نزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: أما إنه إذا كان ذلك، عُرض على رسول الله، ثم على الأئمة، ثم انتهى الأمر إلينا.

١. نفس المصدر/ ٢٥٤، ح ٢.

٢. نفس المصدر، ح ٣.

٣. نفس المصدر، ح ١.

٤. لا يوجد في ن.

٥. ليس في أ و ن.

٦. نفس المصدر، ح ٢.

٧. ليس في أ.

٨. نفس المصدر ٢٥٥، ح ٣.

علي بن إبراهيم^(١)، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمان، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس يخرج شيء من عند الله ﷻ حتى يبدأ برسول الله ﷺ ثم بأمر المؤمنين عليه السلام ثم بواحد بعد واحد، لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا. وفي مجمع البيان^(٢): روت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله، فلا بارك الله لي في طلوع شمس.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣): وروى المعلى بن محمد البصري، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن عمرو بن زياد، عن مدرك بن عبد الرحمان، عن أبي عبد الله الصادق^(٤) جعفر بن محمد عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله ﷻ الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين. فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء.

وفي علل الشرائع^(٥) بإسناده إلى أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ﷻ يجمع العلماء يوم القيامة ويقول لهم: لم أضع نوري وحكمتي في صدوركم، إلا وأنا أريد بكم خير الدنيا والآخرة. اذهبوا فقد غفرت لكم على ما كان منكم. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾: ولقد أمرناه.

يقال: تقدّم الملك إليه، وأوعز إليه وعزم عليه، وعهد إليه: إذا أمره. واللام جواب قسم محذوف.

قيل^(٦): وإنما عطف قصّة آدم على قوله: «وصرّفنا فيه من الوعيد» للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان، وعرقهم راسخ في النسيان.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل هذا الزمان

﴿فَنَسِيَ﴾: العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه.

٢. المجمع ٣٢/٤.

٤. ليس في م.

٦. أنوار التنزيل ٦٢/٢.

١. نفس المصدر، ح ٤.

٣. الفقيه ٢٨٤/٤، ح ٨٤٩.

٥. العلل ٤٦٨، ح ٢٨.

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(١): تصميم رأي وثباتاً^(٢) على الأمر.

وهو إن كان من الوجود الذي بمعنى العلم، فـ«له عزمًا» مفعولاه. وإن كان من الوجود المناقض للعدم، فـ«له»، حال من «عزمًا» أو متعلق بـ«نجد».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: فيما نهاه عنه من^(٤) أكل الشجرة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥): حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق^(٦) قال: حدثنا أحمد بن محمد الهمداني قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن محمد بن الفضل^(٧)، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر^(٨) قال: إن الله تبارك وتعالى عهد إلى آدم^(٩) أن لا يقرب الشجرة. فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله تبارك وتعالى أن يأكل منها، نسي، فأكل منها. وهو قول الله تبارك وتعالى: «ولقد عهدنا» الآية. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي^(١٠): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن الفضل^(١١)، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر^(١٢) قال: إن الله تبارك وتعالى عهد إلى آدم^(١٣) أن لا يقرب هذه الشجرة. فلما بلغ الوقت الذي كان في علم الله أن يأكل منها، نسي، فأكل منها، وهو قول الله تعالى: «ولقد عهدنا» الآية. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي^(١٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر^(١٥) في هذه الآية قال: فقال: [إن الله]^(١٦) لَمَّا قال لآدم: «اسكن أنت وزوجك

١. كذا في أنوار التنزيل ٦٢/٢. وفي النسخ: تعميم رأي وثبات.

٢. تفسير القمي ٦٥/٣. ٣. لا يوجد في المصدر.

٤. كمال الدين ٢١٣/٢، ح ٢. ٥. المصدر: الفضيل.

٦. الكافي ١١٣/٨، ح ٩٢. ٧. المصدر: الفضيل.

٨. نفس المصدر ٤٤٨٤٤٧/٧، ح ٢. وللحديث ذيل.

٩. يوجد في م.

الجنة^(١) قال له: يا آدم، لا تقرب هذه الشجرة. قال: وأراه إياها. فقال آدم لربه: كيف أقرّبها، وقد نهيتني عنها أنا وزوجتي؟!

قال: فقال لهما: لا تقرباها؛ يعني: لا تأكلا منها. فقال آدم وزوجته: نعم يا ربنا، لا نقربها، ولا نأكل منها. ولم يستثنيا في قولهما: نعم. فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢): أبي جعفر عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن المفضل بن صالح، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال^(٣): عهد إليه في محمد والأئمة من بعده. فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا. وإنما سموا^(٤) أولو العزم، لأنهم عهد إليهم في محمد ﷺ والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به. وفي أصول الكافي^(٥) كذلك سواء.

وفي بصائر الدرجات^(٦): أبو جعفر أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن مفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام مثله سواء.

وفي أصول الكافي^(٧): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن جعفر بن محمد بن عبيدالله^(٨)، عن محمد بن عيسى القمي، عن محمد بن سليمان، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي». هكذا والله أنزل^(٩) على محمد ﷺ.

١. البقرة/٣٥. وفي المصدر بدلها: «دخل الجنة».

٢. العلل/١٢٢، ح ١.

٣. الكافي ٤١٦١، ح ٢٢.

٤. المصدر: سني.

٥. الكافي ٤١٦١، ح ٢٣.

٦. البصائر/٩٠، ح ١.

٧. في غير نسخة وبعض نسخ المصدر: عبدالله.

٨. المصدر: نزلت.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن داود العجليّ، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق [الخلق]^(٢)، خلق^(٣) ماءً عذباً وماءً مالحاً^(٤) أجاجاً. فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض، فعرّكه^(٥) عركاً شديداً. فقال لأصحاب اليمين - وهم كالذرّ يدبّون^(٦): إلى الجنة بسلام! وقال لأصحاب الشمال: إلى النار! ولا أبالي. ثمّ قال^(٧): «ألست برّبكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين».

ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين، فقال: ألست برّبكم؟ وأنّ هذا محمّد رسولي؟ وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين؟ فقالوا: بلى. فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم: أنّي ربّكم، ومحمّد رسولي، وعليّ أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده ولاية أمري وخزان علمي، وأنّ المهديّ صلوات الله عليه أنتصره لديني، وأظهره دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرهاً. قالوا: أقرنا يا ربّ وشهدنا.

ولم يجحد آدم، ولم يقرّ. فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ، ولم يكن لآدم عزيمة^(٨) على الإقرار به. وهو قوله صلى الله عليه وآله: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً». قال: إنّما [هو] فترك.

ثمّ^(٩) أمر ناراً، فأججت. فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها! فهابوها. وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها! فدخلوها. فكانت عليهم برداً وسلاماً. فقال أصحاب الشمال: يا ربّ، ألقنا! فقال: قد أفلتكم. اذهبوا فادخلوها. فهابوها. فثمّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية.

٢. من المصدر.

١. نفس المصدر ٨/٢ ح ١.

٤. ع: ملحقاً.

٣. ليس في س، أو ن.

٥. أي دلّكه.

٦. كذا في المصدر. وفي ع: «وهم». بدل «وهم كالذرّ يدبّون» وفي سائر النسخ: «وهم كالربون».

٨. المصدر: عزم.

٧. الأعراف/ ١٧٢.

٩. ليس في ن وم.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب، عن الباقر عليه السلام في قوله: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد عليه السلام وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والأئمة من ذريتهم». كذا نزلت على محمد عليه السلام.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن موسى بن محمد بن علي، عن أخيه، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: الشجرة التي نهى الله تعالى [آدم] وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد. عهد إليهما أن لا ينظر^(٣) إلى من فضل الله عليه وعلي خلائقه بعين الحسد، ولم يجد له عزماً^(٤).

عن جميل بن دراج^(٥)، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما عليه السلام قال: سألته: كيف أخذ الله آدم بالسيان؟

فقال: إنه لم ينس، وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين»^{(٦)(٧)}
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: مقدر باذكر.

قال^(٨): أي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي، ولم يكن من أولي العزيمة والثبات.

١. المناقب ٣٢٠/٣. ٢. تفسير العياشي ٩/٢، ح ٨.

٣. من المصدر. ٤. أ.ع، س: ينظر.

٥. في هامش نسخة «م»: لعل وجه الجمع بين الأخبار التي وقع في بعضها أن الشجرة المنهية كانت شجرة الحنطة، وفي بعضها أنها شجرة الحسد، وفي الآخر شجرة التفكر في القضاء والقدر، وأمثال ذلك إن وجد إما كذا هو الصحيح. وفي النسخ: «هما» مكان «إمّا» عن كل واحد واحد أو كانت شجرة الحنطة التي تجعل الحسد والتفكر في أكلها مما وقع أنها كانت شجرة الحنطة معمول على ما ذكر فيه السبب والآخر المسبب، والله يعلم. (جعفر). ٦. نفس المصدر ٩/٢-١٠، ح ٩.

٧. الأعراف ٢٠/٢.

٨. في هامش نسخة «م»: لعل وجه الجمع بين هذا الخبر وخبري أبي حمزة وسلام أن آدم عليه السلام لم ينس بعد ما نهى إلى قريب من وقت الأكل فنسي فأكل كما في الخبرين السابقين، والله يعلم. (جعفر).

٩. أنوار التنزيل ٦٢/٢.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: قد سبق القول فيه .

﴿أَبَى﴾ (٣٦): جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود، وهو الاستكبار. وعلى هذا لا يُقدَّر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله: «فسجدوا» لأنَّ المعنى أظهر الإباء عن المطاوعة.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾: فلا يكونَنَّ سبباً لإخراجكما. والمراد نهيهما من أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما من الجنة.

﴿فَتَشَقَّى﴾ (٣٧): أفردته بإسناد الشقاء إليه بعد اشتراكهما في الخروج، اكتفاءً باستلزام شقائه شقاءها، من حيث أنه قِيمَ عليها، ومحافظةً على القواصل. ولأنَّ المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش؛ وذلك وظيفه الرجال.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (٣٨) ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (٣٩): بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والرِّي والكسوة والكن^(١)، مستغنياً عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسى أن ينقطع ويزول منها بذكر نقائصها، ليترك سماعه بأصناف الشقوة المُحذَّر منها^(٢).

و«تصحى» من: صحى الرجل يضحى صحى: إذا برز للشمس.

وقرأ^(٣) نافع وأبو بكر: «إِنَّكَ لَا تَظْمَأُ» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها^(٤).

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾: فأنهى إليه وسوسته.

﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾: الشجرة التي من أكل منها، خلد ولم

يمت أصلاً. فأضافها إلى «الخلد» وهو الخلود، لأنها سببه بزعمه.

﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (٤٠): لا يزول ولا يضعف.

١. أي المسكن.

٢. من هنا إلى موضع ذكره ليس في س.

٣. نفس المصدر / ٦٣.

٤. ليس في ن.

﴿فَاَكْلًا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: أخذوا يلزقان الورق على سؤاتهما للتستر.

قيل ^(١): وهو ورق التين.

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾: بأكل الشجرة.

﴿فَقَوَى﴾ ^(٢): فضل عن المطلوب وخاب؛ حيث طلب الخلد بأكل الشجرة. أو: عن المأمور به. أو: عن الرشد، حيث اغترَبَقول العدو.

وقرئ ^(٣): «فغوي» من: غوي الفصل: إذا اتخمت من اللبن.

وفي النعي عليه بالعصيان والغواية - مع صغر زلته - تعظيم للزلّة، وزجر بليغ لأولاده عنها.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٤) بإسناده إلى الحسين ^(٥) بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه [عن النبي ﷺ]: لَمَّا أَنْ وَسَّوسَ الشَّيْطَانُ إِلَى آدَمَ، دَنَامِنْ الشَّجَرَةِ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، ذَهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ. ثُمَّ قَامَ وَمَشَى إِلَيْهَا، وَهِيَ أَوَّلُ قَدَمٍ مَشَتْ إِلَى الْخَطِيئَةِ. ثُمَّ تَنَاوَلَ بِيَدِهِ مِمَّا عَلَيْهَا فَأَكَلَ، فَطَارَ الْحَلِي وَالْحُلُّ عَنْ جَسَدِهِ.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق له.

من: جبي إلى كذا، فاجتباها؛ مثل: جلبت على العروس، فاجتلبتها. وأصل الكلمة: الجمع.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فقبل ^(٦) [توبته لما تاب] ^(٧).

﴿وَهَدَى﴾ ^(٨) إلى الثبات على التوبة والتشبّث بأسباب العصمة.

وفي عيون الإخبار ^(٩) بإسناده إلى عليّ [بن محمّد] ^(٩) بن الجهم قال: حضرت

٢. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: الحسن.

٦. يوجد في م ون.

٨. العيون ١/١٥٦، ح ١.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. العلل ٢٨٠/ ح ١.

٥. يوجد في م.

٧. ليس في أ.

٩. ليس في م.

مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فما معنى قول الله ﷻ: «وعصى^(١) آدم ربه فغوى»؟

قال عليه السلام: إن الله تعالى قال لآدم: «اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة» وأشار لهما إلى شجرة الحنطة «فتكونا من الظالمين»^(٢). ولم يقل لهما ولا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها. فلم يقربا تلك الشجرة [ولم يأكلا منها]^(٣) وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: مانها كما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما^(٤) أن تقربا غيرها. ولم ينهكما عن الأكل منها إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. «وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين»^(٥). ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك [من]^(٦) يحلف بالله كاذباً «فدلّاهما بغرور»^(٧) فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله.

وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار. وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم. فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً، كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة. قال الله تعالى: «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»^(٨). وقال الله ﷻ: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين». وفيه^(٩)، في باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين: إن ذنوب الأنبياء عليهم السلام صغائر^(١٠) موهوبة.

١. المصدر: فعصى.

٢. من المصدر.

٣. الأعراف/ ٢١.

٤. من المصدر.

٥. الأعراف/ ٢٢.

٦. آل عمران/ ٣٣.

٧. الأعراف/ ١٩. وفيها: ... فكلما من حيث ...

٨. المصدر: يتهاكما.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: فهدي.

١١. نفس المصدر: ٢/ ١٢٦-١٢٥، ح ٢.

١٢. المصدر: صغائرهم.

وبإسناده^(١) إلى أبي الصلت الهروي قال: لَمَّا جمع المأمون لعلِّي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات - من اليهود والنصارى والمجوس والصائبين وسائر المقالات - فلم يَقم أحدٌ إلَّا وقد ألزمه حجَّته كَأَنَّهُ أَلِقم حجراً، قام إليه علي بن محمَّد بن الجهم^(٢) فقال له: يا ابن رسول الله ﷺ أتقول بعصمة الأنبياء؟ فقال: نعم. قال: فما تقول^(٣) في قول الله ﷻ: «وعصى آدم ربه فغوى»؟ فقال عليه السلام: إِنَّ الله ﷻ خلق آدم حجَّةً في أرضه وخليفةً^(٤) في بلاده، لم يخلقه للجنة. وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض^(٥)، لتتمَّ مقادير [أمر]^(٦) الله ﷻ. فلمَّا أهبط إلى الأرض، وجُعِل حجَّةً وخليفةً، عُصِم بقوله^(٧) ﷻ: «إِنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين».

وفي كتاب الاحتجاج^(٨) للطبرسي رحمته الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة - وقد قال ذلك الزنديق: وأجده قد شهره فوات أنبيائه بقوله: «فعصى آدم ربه فغوى»!؛ وأما فوات الأنبياء عليهم السلام وما بيَّنه الله في كتابه [ووقع الكناية من أسماء من اجترم أعظم ممَّا اجترمه الأنبياء ممَّن شهد الكتاب بظلمهم]^(٩) فإنَّ ذلك من أدلِّ الدلائل على حكمة الله ﷻ الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزَّته الظاهرة؛ لأنَّه علم أنَّ براهين الأنبياء عليهم السلام تكبر في صدور أممهم، وأنَّ منهم من يتَّخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم. فذكرها دلالةً على تخلفهم عن الكمال الذي انفرد^(١٠) به ﷻ.

١. نفس المصدر ١٥٣/١، ح ١.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: على من جبههم (حجتهم - أ، ن).

٣. كذا في ن، وفي سائر النسخ: تعمل. ٤. أ، ن: خليفة.

٥. توجد في المصدر هاهنا هذه الزيادة: وعصمته تجب أن تكون في الأرض.

٦. من المصدر. ٧. آل عمران/٣٣.

٨. الاحتجاج/٢٤٥-٢٤٩. ٩. من المصدر. ولعلَّ المؤلَّف رحمته الله أسقطها للتلخيص.

١٠. المصدر: تفرد.

وعن داود بن قبيصة^(١)، عن الرضا، عن أبيه عليه السلام أنه قال: وأما ما سألت: هل نهى عما أراد؟ فلا يجوز ذلك. ولو جاز ذلك، لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة، أراد منه أكلها. ولو أراد منه أكلها، لما نادى عليه صبيان الكتاتيب^(٢): «وعصى آدم ربه فغوى». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

واعلم أن المعصية أطلقت على خلاف الأولى في تلك الآية والأخبار؛ وبهذا تندفع الشبهة من الآيات والأخبار، وهو حمل مشهور شائع من الإمامية رضوان الله عليهم، يدل عليه ما رواه شيخ الطائفة في التهذيب^(٣) عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، [عن ابن أذينة]^(٤) عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال - وقد ذكر النوافل اليومية -:

وإنما هذا كله تطوع وليس بمفروض، إن تارك الفريضة كافر، وإن تارك هذا ليس بكافر، ولكنها معصية. [لأنه]^(٥) يُستحب إذا عمل الرجل عملاً من الخير أن يدوم عليه. **«قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً»**: الخطاب لآدم وحواء.

وقيل^(٦): أوله وإبليس.

ولما كانا أصلي الذرية، خاطبهما مخاطبتهم^(٧) فقال:

«بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ»: لأمر المعاش كما عليه [الناس من]^(٨) التجاذب والتحارب. أو: لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر^(٩).

١. نفس المصدر/٣٨٧.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الكتائب.

٣. التهذيب ٧/٢، ح ١٣.

٤. ليس في ع وس.

٥. من المصدر.

٦. أنوار التنزيل ٦٣/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ولما كان أصلاً للذرية خاطبهما مخاطبتهم.

٨. يوجد في م.

٩. في هامش نسخة «م»: ورأيت في بعض الأخبار أن قوله تعالى: «بعضكم لبعض عدو» خطاب لآدم وحواء عليهما السلام وإبليس لعنه الله. أقول: فلو لم يخص البعض بالذكر وقيل - مثلاً -: اهبطا منها جميعاً أعداء لم يكن بين آدم وحواء أيضاً مودة حكيم كما لا يكون بين أولاد آدم وإبليس والحيّة مودة إلى يوم القيامة بل بين أولادهما أيضاً، والله يعلم. (جعفر).

﴿فَمَا يَا تَيْتَبُكُمْ مِنِّي هُدًى﴾: كتاب ورسول.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا.

﴿وَلَا يَشْقَى﴾ (٣٧٢): في الآخرة.

وفي أصول الكافي^(١): الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن السياري، عن أبي عبدالله^(٢) قال: سأله رجل عن هذه الآية، فقال: من قال بالأئمة، واتبع أمرهم، ولم يجز طاعتهم.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾: عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي.

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾: ضيقاً^(٣). مصدر وصف به، ولذلك سُوي فيه المذكر والمؤنث.

وقرئ^(٤): «ضنكى» كسكرى. وذلك لأن مجامعهم^(٥) يكون إلى أعراض الدنيا، متهاكاً على ازديادها، خائفاً على انتقاصها، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة. مع أنه تعالى قد يضيق بشوم الكفر، ويوسع ببركة الإيمان.

وقيل^(٦): هو الضريع والزقوم في النار.

وقيل^(٧): عذاب القبر.

وفي روضة الكافي^(٨) خطبة^(٩) لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها عليه السلام: ولئن تقمصها دوني الأشقيان^(١٠)، ونازعاني فيما ليس لهما بحق^(١١)، وركبها ضلالة، واعتقداها جهالة، فلبس ما عليه وردا! ولبس ما لأنفسهما مهذا! يتلاعنان في دورهما، ويتبرأ كل منهما من صاحبه. يقول لقرينه إذا التقيا^(١٢): «يا ليت بيني وبينك بعد

٢. المصدر: عن علي بن عبدالله.

١. الكافي ١/٤١٤، ح ١٠.

٤. أنوار التنزيل ٦٣/٢-٦٤.

٣. ليس في م وأ.

٦. نفس المصدر والموضع.

٥. لا يوجد في س، أ، ع.

٨. الكافي ٢٨٢٧/٨، ح ٤.

٧. نفس المصدر والموضع.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: الأشقياء.

٩. إلى هنا ليس في س.

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: القيا.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: حق.

المشرقين فبئس القرين»^(١). فيجيبه الأشقي على رثوته^(٢): يا ليتني لم أتخذك خليلاً! لقد أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني «وكان الشيطان للإنسان خذولاً»^(٣). فأنا الذكر الذي عنه ضلّ.

[وفي أصول الكافي^(٤) عن الصادق عليه السلام قال: أعمى البصر في الآخرة، أعمى القلب في الدنيا عن ولاية علي عليه السلام]^(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدّثنا أحمد بن محمد، عن عمر^(٧) بن عبدالعزيز، عن إبراهيم بن المستنير، عن معاوية [بن عمار]^(٨) قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله: «إِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً»؟ قال: هي والله للنصّاب^(٩). قال: قلت: جعلت فداك، قد نراهم دهرهم الأطول في كفاية حتّى ماتوا! قال: ذلك والله في الرجعة، يأكلون العذرة.

﴿وَنَحْشُرُهُ﴾: [وقرئ^(١٠) بسكون الهاء على لفظ الوقف. وبالجزم عطفاً على محلّ «فإنّ له معيشةً ضنكاً»^(١١) لأنّه جواب الشرط]^(١٢).

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١٣): [أعمى البصر أو]^(١٤) القلب.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١٥): وروي عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل لم يحجّ قطّ، وله مال. فقال: هو ممّن قال الله ﷻ: «ونحشره يوم القيامة أعمى». فقلت: سبحان الله أعمى! فقال: أعماه الله عن طريق الخير.

٢. أي على هيئته القبيحة.

١. الزخرف/٣٨.

٤. الكافي ٤٣٥/١، ح ٩٢.

٣. الفرقان/٢٩.

٦. تفسير القمي ٦٥/٢.

٥. من أ.

٧. كذا في المصدر. وفي أ، س، ن، ع: عمير. وفي م: حدّثنا أحمد عمر.

٩. المصدر: النصّاب.

٨. ليس في ن.

١١. من المصدر.

١٠. أنوار التنزيل ٦٤/٢.

١٣. ليس في ن.

١٢. لا يوجد في ع.

١٤. الفقيه ٢٧٣/٢، ح ١٣٣٢.

وفي الكافي^(١): حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من مات وهو صحيح مؤسر لم يحجّ، فهو ممّن قال الله ﷻ: «ونحشره يوم القيامة أعمى». قال^(٢): قلت: سبحان الله! أعمى؟! قال: نعم، إنّ الله أعماه عن طريق الحقّ. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): حدّثني [أبي، عن^(٤) ابن أبي عمير، عن^(٥) فضالة، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل لم يحجّ قطّ وله مال. فقال: هو ممّن قال الله: «ونحشره يوم القيامة أعمى». قلت: سبحان الله! أعمى؟! قال: أعماه الله عن طريق الجنة.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٦): وقد أمالهما^(٧) حمزة والكسائي؛ لأنّ الألف منقلبة^(٨) من الياء. وفرّق أبو عمرو بأنّ الأوّل رأس الآية ومحلّ الوقف، فهو جدير بالتغيير.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: أي مثل ذلك فعلت. ثمّ فسره فقال:

﴿أَتُنَكِّ آيَاتِنَا﴾: واضحة نيرة.

﴿فَنَسِيَهَا﴾: فعميت عنه، وتركها غير منظور إليها.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل تركك إياها،

﴿الْيَوْمَ تُنْصَى﴾^(٩): تُترك في العمى والعذاب.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾: بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات.

﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: بل كذّبها وخالفها.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾: وهو الحشر على العمى.

٢. ليس في ع.

٤. ليس في م.

٦. أنوار التنزيل ٦٤/٢.

١. الكافي ٢٦٩/٤، ح ٦.

٣. تفسير القمي ٦٧٢.

٥. المصدر: و.

٧. من م.

وقيل ^(١): عذاب النار. أي: والنار بعد ذلك.

﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ ^(٢٧): من ضنك العيش. أو: منه ومن العمى. ولعله إذا دخل النار، زال عماه ليرى محلّه وحاله. أو: ممّا فعله من ترك الآيات والكفر بها.

وفي أصول الكافي ^(٣): محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسين بن عبدالرحمان، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً» قال: يعني ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

قلت: «ونحشره يوم القيامة أعمى»؟ قال: يعني أعمى البصر في الآخرة، أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: وهو متحير في القيامة يقول: «لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا» قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها». قال: الآيات الأئمة. «فنسيتها وكذلك اليوم تُنسَى» يعني تركتها، وكذلك اليوم تُترك في النار، كما تركت الأئمة عليهم السلام فلم تطع أمرهم ^(٣)، ولم تسمع قولهم.

قلت: «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى»؟ قال: يعني من أشرك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام غيره «ولم يؤمن بآيات ربّه» ترك الأئمة عليهم السلام معاندة، فلم يتبع آثارهم، ولم يتولّهم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: مسند إلى الله أو الرسول، أو ما دلّ عليه.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾: أي إهلاكنا إياهم. أو الجملة بمضمونها. والفعل

على الأولين معلق يجري مجرى اعلّم. ويدلّ عليه القراءة بالنون.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾: ويشاهدون آثار هلاكهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (٣٨): لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي .
وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود النجار، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: قال: إنه سأل أباه عن قول الله تعالى: «فمن أتبع هداي فلا يضل ولا يشقى» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس، اتبعوا هدى الله [تهتدوا وترشدوا؛ وهو هداي. وهداي هدى علي بن أبي طالب عليه السلام]. فمن اتبعه^(٢) في حياتي وبعد موتي، فقد اتبع هداي. ومن اتبع هداي، فقد اتبع هدى الله. (ومن اتبع هدى) [الله^(٣)] فلا يضل ولا يشقى. قال: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ويحشره يوم القيامة أعمى قال ربِّ لمْ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسئ» وكذلك نجزي من أسرف، في عداوة آل محمد «ولم يؤمن بآيات ربِّه ولعذاب الآخرة أشدَّ وأبقى». ثم قال الله تعالى: «أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى» وهم الأئمة من آل محمد، وما كان في القرآن مثلاً. ويقول الله تعالى: «ولو لا كلمة سبقت من ربِّك لكان لزاماً وأجل مسمى فاصبر» يا محمد نفسك وذريتك «على ما يقولون وسيح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٤): وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة.
﴿لَكَانَ لِرِزَاماً﴾ مثل ما نزل بعد وشمود لازماً لهؤلاء الكفرة.

وهو مصدر وُصف به. أو اسم آلة سُمي به اللازم [الفرط لزومه]^(٥) كقولهم: لَزَّاز^(٦) خصم.

١. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٠/١، ح ١٩.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: هداي.

٣. ليس في ن.

٤. لا يوجد في س.

٥. ليس في س وأ.

٦. لا يوجد في ن.

٧. اللزاز مأخوذ من لَزَّ: إذا شدَّ وألصقه.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (٣٨): عطف على «كلمة». أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمًى لأعمارهم. أو لعذابهم - وهو يوم القيامة أو بدر^(١) - لكان [العذاب لزماً]. والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب، ويجوز عطفه على المستكن في «كان» أي لكان^(٢) الأخذ العاجل وأجل مسمًى لازمين لهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: اللزام الهلاك.

قال^(٤): وكان^(٥) ينزل بهم العذاب، ولكن قد أخرهم لأجل مسمًى.

﴿فَاضْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: وصل وأنت حامد لربك، على هدايته وتوفيقه. أو: نزّهه عن الشريك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص، حامداً له على ما ميزك بالهدى، معترفاً بأنه المولى للنعم كلها.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: يعني الفجر.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: يعني الظهر والعصر، لأنهما من آخر النهار. أو العصر وحده.

﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ﴾: ومن ساعاته، جمع إناء، بالكسر والقصر، أو أناء، بالفتح والمد.

﴿فَسَبِّحْ﴾: يعني المغرب والعشاء.

وأما قدم الزمان فيه، لاختصاصه بمزيد الفضل؛ فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة، فكانت العبادة فيه أحمز. ولذلك قال تعالى: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْرَبَ قِيلاً»^(٦).

﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: تكرير لصلاتي الصبح والمغرب، إرادة الاختصاص^(٧).

ومجيئه بلفظ الجمع، لأن الإلباس، كقوله: ظهراهما مثل ظهور الترسين.

أو أمر بصلاة الظهر، فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير.

١. كذا في أنوار التنزيل ٦٤/٢. وفي النسخ: بدل. ٢. ليس في ن.

٣. تفسير القمي ٦٧/٢. ٤. نفس المصدر ٦٧.

٥. المصدر: ما كان. ٦. المزمّل ٦٧.

٧. فإن صلاة الصبح فيها مشقة لكونه وقت شدة النوم وصلاة المغرب وقتها ضيق فكثر ليحتمل بهما.

وجمعه باعتبار النصفين، أو لأنَّ النهار جنس، أو بالتطوُّع في أجزاء النهار.
﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾^(٣٧): متعلِّق بِـ«سَبَّحَ». أي سَبَّحَ في هذه الأوقات، طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك.

وقرأ^(٣٨) الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول. أي يرضيك ربك.
 وفي كتاب الخصال^(٣٩): عن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ [وقبل غروبها]». فقال: فريضة على كلِّ مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرَّات وقبل غروبها^(٤٠) عشر مرَّات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كلِّ شيء قدير.

قال: فقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي. فقال: يا هذا، لاشكَّ في أن الله يحيي ويميت، ويميت ويحيي؛ ولكن قل كما قلت.

وفي الكافي^(٤١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: «وأطراف النهار لعَلَّكَ ترضى»؟ قال: يعني تطوُّع بالنهار.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: أي نظر عينيك.

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾: استحساناً له، وتمنيّاً أن يكون لك مثله.

﴿أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾^(٤٢): أصنافاً من الكفرة.

ويجوز أن يكون حالاً من الضمير [في «به»]^(٤٣) والمفعول «منهم». أي إلى الذي مَتَّعْنَا به، وهو أصناف بعضهم وناساً منهم.

٢. الخصال ٤٥٢/٢، ح ٥٨.

١. أنوار التنزيل ٦٥/٢.

٤. الكافي ٤٤٤/٣، ح ١١.

٣. ليس في ن.

٦. من أنوار التنزيل ٦٥/٢.

٥. ليس في ن.

﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: منصوب بمحذوف دلّ عليه «متّعنا» أو «به» على تضمينه معنى أعطينا، أو بالبدل من محلّ «به»، أو من «أزواجاً» بتقدير مضاف ودونه، أو بالذم. وهي الزينة والبهجة.

وقرأ^(١) يعقوب بالفتح، وهي لغة كالجَهْرَة في الجَهْرَة، أو جمع زاهر. وصف لهم بأنهم زاهروا الدنيا لتنعّمهم وبهاء زيّهم، بخلاف ما عليه المؤمنون الزهّاد.

﴿ لَنُفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾: لنبلوهم وتختبرهم. أو: لنعذبهم في الآخرة بسببه.

﴿ وَرَزَقْ رِيكَ ﴾: وما ادّخر لك في الآخرة. أو: ما رزقك من الهدى والنبوة.

﴿ خَيْرٌ ﴾: ممّا منحهم في الدنيا.

﴿ وَأَبْقَى ﴾^(٣): فإنّه لا ينقطع.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٢): وقوله: «ولا تمدّد عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ريك خير وأبقى». قال أبو عبدالله عليه السلام: لما نزلت هذه الآية، استوى رسول الله ﷺ جالساً، ثم قال: من لم يتعزّ بعزاء الله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات. ومن اتّبع بصره ما في أيدي الناس، طال همّه، ولم يشف غيظه. ومن لم يعرف أنّ الله عليه نعمة إلّا في مطعم أو^(٣) في مشرب، قصر أجله، ودنا عذابه.

وفي روضة الكافي^(٤): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن أبي المغراء^(٥)، عن زيد الشحام، عن عمرو بن سعيد بن هلال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إياك وأن تطمح نفسك إلى من فوقك، وكفى بما قال الله ﷻ لرسول

١. أنوار التنزيل ٦٥/٢. ٢. تفسير القمي ٦٦/٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «لا في مطعم ولا» بدل «إلّا في مطعم أو».

٤. الكافي ١٦٨/٨، ح ١٨٩.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٤١٨/٢. وفي النسخ: أبي المعز.

٦. التوبة ٥٥/.

الله ﷺ: «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم». وقال الله ﷻ لرسول الله ﷺ: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾: أمره بأن يأمر أهل بيته والتابعين له من أمته بالصلاة، بعد ما أمره بها، ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم، ولا يهتموا بأمر المعيشة، ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة.

﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: وداوم عليها.

وفي عوالي اللثالي^(١): وروي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» قال: أمر الله تعالى نبيه أن يخص أهل بيته وأهله دون الناس، ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم. فأمرهم مع الناس عامة، ثم أمرهم خاصة. وفي عيون الأخبار^(٢)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون، في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل، وفيه: قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً، فأول ذلك - إلى أن قال -: وأما الثاني عشر فقوله تعالى: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها». فخصنا الله تعالى بهذه الخصوصية، إذ أمرنا مع الأمة بإقام الصلاة، ثم خصنا من دون الأمة. فكان رسول الله ﷺ يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر، كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات، فيقول: الصلاة! رحمكم الله. وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء عليهم السلام بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصنا^(٣) من دون جميع أهل بيتهم.

فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله^(٤) أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيراً. فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا، إلا عندكم.

١. العوالي ٢/٢٢، ح ٤٩.

٢. العيون ١/١٨١-١٨٨، ح ١.

٣. لا يوجد في م. وفي المصدر: خصصنا.

٤. ليس في ن.

وفي الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي: أنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان إذا حضر الحرب، يوصي المسلمين بكلمات فيقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرَّبوا بها - إلى أن قال عليه السلام -: وكان رسول الله ﷺ منصَّباً^(٢) لنفسه بعد البشْرى له بالجنة من ربه، فقال ﷺ: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» الآية. فكان يأمر بها أهله، ويصبر عليها نفسه. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وقوله: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» فإن الله أمره أن يخص أهله دون الناس، ليعلم الناس أنَّ لأهل محمد ﷺ عند الله منزلة خاصة ليست للناس؛ إذ أمرهم مع الناس [عامَّةً]^(٤) ثم أمرهم خاصةً.

فلما أنزل الله هذه الآية، كان رسول الله ﷺ يجيء كل يوم عند صلاة الفجر حتَّى يأتي باب علي وفاطمة [والحسن والحسين عليهما السلام]^(٥) فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام: وعليك السلام يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته. ثم يأخذ بعضادتي الباب فيقول: الصلاة! الصلاة! يرحمكم الله. «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»^(٦). فلم يزل يفعل ذلك كل يوم إذا شهد المدينة حتَّى فارق الدنيا.

وقال أبو الحمراء^(٧) خادم النبي ﷺ: أنا شهدت به يفعل ذلك. وفيه أيضاً^(٨): «وأمر أهلك بالصلاة» أي أمتك. «واصطبر عليها لانسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى». قال: للمتقين.

٢. أي متعباً. وفيه: نصباً.

٤. من المصدر.

٦. الأحزاب/٣٣.

٨. نفس المصدر ٦٦.

١. الكافي ٣٧٥-٣٧، ح ١.

٣. تفسير القمي ٦٧/٢.

٥. من المصدر.

٧. نفس المصدر والموضع.

وفي نهج البلاغة^(١): وكان رسول الله ﷺ نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة؛ لقول الله سبحانه: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» فكان يأمر بها [أهله]^(٢) ويصبر عليها نفسه.

وفي مجمع البيان^(٣): روى أبو سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية، كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعليّ عليه السلام تسعة أشهر عند كل صلاة، فيقول: الصلاة! رحمكم الله، «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». رواه ابن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت، وعن غيرهم مثل أبي بردة^(٤) وأبي رافع.

﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾: أن ترزق نفسك ولا أهلك.

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَإِيَّاهُمْ﴾: ففرغ بالك لأمر الآخرة.

﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: المحمودة

﴿لِلتَّقْوَى﴾^(٥): لذوي التقوى.

في أمالي شيخ الطائفة^(٥) بإسناده إلى أبي الحمراء قال: شهدت النبي ﷺ أربعين صباحاً يجيء إلى باب عليّ وفاطمة عليه السلام فيأخذ بعصا دتي الباب، ثم يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته. الصلاة! يرحمكم الله، «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». قال عز من قائل: «لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى».

وفي كتاب الخصال^(٦)، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إِنْ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُ بِهِ النَّارَ [مِنْ] أُمَّتِي الْأَجُوفَانِ. قالوا: يا رسول الله، وما الأجوفان؟ قال: الفرج والفم. وأكثر ما

٢. من المصدر.

١. النهج ٣١٧/ الخطبة ١٩٩.

٤. المصدر: أبي برزة.

٣. المجمع ٣٧/٤.

٦. الخصال ٧٨/، ح ١٢٦.

٥. الأمالي ٢٥٦/١ - ٢٥٧.

٧. من المصدر.

يدخل به الجنة تقوى الله وحسن الخلق.

وفي كتاب التوحيد^(١) بإسناده إلى الأصمغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى، احفظ وصيتي لك بأربعة - إلى أن قال - .
والثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد نفذت، فلا تغتم بسبب رزقك.

وبإسناده^(٢) إلى الأصمغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد؛ فإن الاهتمام بالدنيا غير زائد في الموظف، وفيه تضييع الزاد^(٣). والإقبال على الآخرة غير ناقص في المقدور، وفيه إحراز المعاد. وأنشد يقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء مملوسة^(٤) ملس نواحيها
رزق لنفس يراها الله لانفلقت عنه فأدت إليه كل ما فيها
أو كان بين طباق السبع مجمعة لسهل الله في المرقى مراقبها
حتى يوفي الذي في اللوح خط له إن هي آتته^(٥) وإلا فهو آتيها
﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾: آية تدل على صدقه في ادعاء النبوة - أو بآية مقترحة - إنكاراً^(٦) لما جاء به من الآيات، أو للاعتداد به، تعتناً وعناداً. فالزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأتقنها؛ لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل، على وجه خارق للعادة؛ ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدراً، وأبقى أثراً، وكذا ما كان من هذا القبيل. ونبهم أيضاً على وجه^(٧) أبين من وجوه إعجازه المختصة بهذا الباب فقال:

﴿أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٣٧﴾: من التوراة والإنجيل وسائر الكتب

١. التوحيد/٣٧٢، ح ١٤.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: للزاد.

٣. المصدر: ملمومة.

٤. كذا في المصدر. وفي ع: آتيته. وفي غيرها: آتته.

٥. كذا في أنوار التنزيل ٦٥/٢. وفي النسخ: إنكار.

٦. ليس في م.

السماءية، فإن اشتغالها على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية، مع أن الآتي بها أمي لم يرها، ولم يتعلم ممن علمها، إعجاز بين.

وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته، برهان لما تقدمه من الكتب؛ من حيث أنه معجز، وتلك ليست كذلك، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها.

وقرى^(١): «أولم تأتهم» بالتاء والياء.

وقرى^(٢): «الصحف» بالتخفيف.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل محمد ﷺ أو البينة. والتذكير لأنها في معنى البرهان. أو المراد بها القرآن.

﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾: بالقتل والسي في الدنيا.

﴿وَنُخْزِي﴾^(٣): بدخول النار يوم القيامة.

وقد قرئ^(٤) بالبناء للمفعول [فيهما].

﴿قُلْ كُلُّ﴾: كل واحد منا ومنكم.

﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: وقرئ^(٥): «فتمتعوا».

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: المستقيم.

وقرى^(٦): «السواء» أي الوسط الجيد، و«السوأي» و«السوء» أي الشر، و«السوي»

وهو تصغيره.

﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾^(٧): من الضلالة.

و«من» في الموضعين للاستفهام، ومحلها الرفع بالابتداء. ويجوز أن تكون الثانية

٢. نفس المصدر ٦٦.

٤. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٦٥/٢.

٣. نفس المصدر ٦٦.

٥ و٦. نفس المصدر والموضع.

موصولة بخلاف الأولى، لعدم العائد. فتكون معطوفة على محلّ الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل، على أنّ العلم بمعنى المعرفة، أو على «أصحاب» أو على «الصراط» على أنّ المراد به النبي ﷺ.

وفي كشف المحجّة^(١) لابن طاوس^(٢) حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام، فيه: وقيل: فمن الولي يا رسول الله؟ قال: وليكم في هذا الزمان أنا، ومن بعدي وصي، [ومن بعد وصي]^(٣) لكلّ زمان حجج الله، لكي لا تقولون كما قال الضلال من قبلكم فارقمهم نبيهم: «ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزي». وإنّما كان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات؛ وهم الأوصياء. فأجابهم الله: «قل كلّ متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى». وإنّما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء حتّى يعلن إمام علمه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤) في هذه الآية: حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رثاب، قال لي أبو عبد الله عليه السلام^(٥): والله نحن السبيل^(٦) الذي أمركم الله باتباعه، ونحن - والله - الصراط المستقيم، ونحن - والله - الذين أمر الله [العباد]^(٧) بطاعتهم، فمن شاء فليأخذ هنا [ومن شاء فليأخذ من هنا]^(٨) لا تجدون^(٩) والله عنّا محيصاً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٠): قال علي بن إبراهيم عليه السلام: روى النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «قل كلّ متربص» إلى قوله: «ومن اهتدى» قال: إلى ولايتنا.

١. كذا في تفسير الصافي ٣٢٨/٣. وفي النسخ: الحجّة.

٢. لم نثر عليه في المصدر؛ ولكن يوجد الصافي ونور الثقلين ذيل الآية المفسرة.

٣. من المصدرين. ٤. تفسير القمي ٦٦٢-٦٧.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن علي بن رثاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ...

٦. المصدر: سبيل الله. ٧. من المصدر.

٨. من المصدر. ٩. المصدر: لا يجدون.

١٠. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٢/١، ح ٢٣.

قال محمد بن العباس ^(١) : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرَ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : «فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى» . قَالَ : اهْتَدَى إِلَى وَلَايَتِنَا .

وَقَالَ أَيْضاً ^(٢) : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَشَّارٍ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ : «فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى» [قَالَ : عَلِيٌّ صَاحِبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ . «وَمَنِ اهْتَدَى»] ^(٣) أَيَّ إِلَى وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ .

وَقَالَ أَيْضاً ^(٤) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعُلُوِّيِّ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ النَّجَّارِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : «فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى» . قَالَ ^(٥) : أَيَّ إِلَى وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ .

وَقَالَ أَيْضاً ^(٦) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعُلُوِّيِّ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ النَّجَّارِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : «فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى» . قَالَ : «الصِّرَاطِ السَّوِيِّ هُوَ الْقَائِمُ ، وَالْهَدَى مِنْ اهْتَدَى إِلَى طَاعَتِهِ . وَمِثْلُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ ^(٧) : «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى» . قَالَ : إِلَى وَلَايَتِنَا .

١ . نفس المصدر / ٣٢٣، ح ٢٤ .

٢ . نفس المصدر، ح ٢٥ .

٣ . من المصدر .

٤ . نفس المصدر، ح ٢٦ .

٥ . لا يوجد في س، أ، ن .

٦ . نفس المصدر والموضع .

٧ . طه / ٨٢ .

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء

مَكِّيَّةٌ، وهي مائة واثننا عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة الأنبياء حباً لها، كان كمن رافق النبيين أجمعين في جنات النعيم. وكان مهيباً في أعين الناس حياة الدنيا.

وفي مجمع البيان^(٢): أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال: من قرأ سورة الأنبياء، حسبه الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلّم عليه كل نبي^(٣) ذكر اسمه في القرآن. ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: قيل^(٤): بالإضافة إلى ما مضى، أو عند الله؛ لقوله^(٥): ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ أو لأن كل ما هوآت قريب، وإنما البعيد ما انقرض ومضى.

وفي مجمع البيان^(٦): وإنما وصف ذلك بالقرب؛ لأن أحد أشرط الساعة مبعث^(٧) [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]. فقد قال^(٨): بُعثت أنا والساعة كهاتين. وفي الجوامع^(٩) عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن الدنيا ولت حذاء^(١٠)، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء.

٢ . المجمع ٣٨/٤.

٤ . أنوار التنزيل ٦٧٢.

٦ . المجمع ٣٩/٤.

٨ . ليس في م.

١٠ . أي سريعة.

١ . ثواب الأعمال/ ١٣٥، ح ١.

٣ . أ، س، م، ن: شيء.

٥ . المعارج ٦٧ و ٧٠.

٧ . كذا في المصدر. وفي النسخ: بعث.

٩ . جوامع الجامع ٢٨٨.

واللام صلة لـ «اقرب». أو تأكيد للإضافة، وأصله: اقرب حساب الناس، ثم اقرب للناس الحساب، ثم اقرب للناس حسابهم.

قيل ^(١): وخَصَّ الناس بالكفَّار لتقييدهم بقوله:

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ ^(٢): أي في غفلة من الحساب، معرضون عن التفكر فيه.

وهما خبران للضمير. ويجوز أن يكون الظرف حالاً من المستكن في «معرضون».

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾: ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: صفة لـ «ذكر» أو صلة لـ «يأتيهم».

﴿مُحَدِّثٍ﴾: تنزيله، ليكرّر على أسماعهم التنبيه، كي يتعظوا.

وقرئ ^(٣) بالرفع، حملاً على المحلّ.

﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ^(٤): يستهزئون به، لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن

النظر في الأمور والتفكر في العواقب ^(٥). و«هم يلعبون» حال من الواو. وكذلك

﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾: أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء [به، والتلهي والذهول عن

التفكر فيه. ويجوز أن يكون الحال من واو «يلعبون».

وقرئ ^(٦) بالرفع ^(٧) على أنه خبر آخر للضمير.

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾: بالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث خفي نتائجها بها.

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من واو «أسروا» للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به. أو فاعل

له، والواو لعلامة الجمع. أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره. وأصله: وهؤلاء أسروا

النجوى. فوضع الموصول موضعه، تسجيلاً على [فعلهم بأنه ظلم. أو منصوب على

الذمّ.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٨): قال محمد بن العباس: حدّثنا أحمد بن القاسم، عن

١. أنوار التنزيل ٦٦٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. أس، ع، ن، الأحوال.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٤/١، ح ١.

٥. لا يوجد في ن.

أحمد بن^(١) محمد السيارى، عن محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن علي، عن علي بن حماد الأزدي، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷺ: «وأسروا النجوى [الذين ظلموا] قال: ^(٢) الذين ظلموا آل محمد حقهم.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: بأسره في موضع النصب، بدلاً من «النجوى» أو مفعولاً لقول مقدر.

قيل^(٣): كأنهم استدلوا بكونه بشراً على كذبه في ادعاء الرسالة، لا اعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق - القرآن - سحر، فأنكروا حضوره. وإنما أسروا به، تشاوراً في استنباط ما يهدم أمره، ويظهر فسادة للناس عامة.

وفي روضة الكافي^(٤): [علي بن محمد عن^(٥) علي بن عباس، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنه عليم بذات الصدور»^(٦) يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظلم بعدك. وهو قول الله ﷻ: «وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: جهراً كان أو سراً، فضلاً عما أسروا به. وقرأ^(٨) حمزة والكسائي وحفص: «قال» بالإخبار عن الرسول.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه ما تسرون، ولا ما تضمرون. ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾: قيل^(٩): إضراب لهم عن قولهم هو

١. ليس في أ.

٣. أنوار التنزيل ٦٧/٢.

٤. الكافي ٣٧٩/٨، ح ٥٧٤.

٦. ليس في أ.

٥. ليس في ن.

٨. أنوار التنزيل ٦٧/٢.

٧. الأنفال/٤٣.

٩. نفس المصدر والموضع.

سحر، إلى أنه تخالط الأحلام، ثم إلى أنه كلام افتراه، ثم إلى أنه قول شاعر. والظاهر أن «بل» الأولى لتمام الحكاية والابتداء بأخرى. أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول ﷺ وما ظهر عليه من الآيات، إلى تقاولهم في أمر القرآن. والثانية والثالثة لإضرابهم عن كونه أباطيل خُيِّلَ إليه وخُطِطَ عليه، إلى كونه مفتریات اختلقها من تلقاء نفسه، ثم إلى أنه كلام شعر يُخَيَّلُ إلى السامع معاني لا حقيقة لها، ويرغِّبه فيها.

ويجوز أن يكون الكل^(١) من الله تنزيلاً لأقوالهم في درج الفساد؛ لأن كونه شعراً أبعد من كونه مفترئاً لأنه مشحون بالحقائق والحكم، وليس فيه ما يناسب قول الشعراء. وهو من كونه أحلاماً؛ لأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع، والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الأحلام. ولأنهم جرَّبوا رسول الله ﷺ نيفاً وأربعين سنة، وما سمعوا منه كذباً قط. وهو من كونه سحراً؛ لأنه يجانسه من حيث إنهما من خوارق العادة.

﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾^(٢): أي كما أرسل به الأولون؛ مثل اليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى.

وصحّة التشبيه^(٣) من حيث أن الإرسال يتضمّن الإتيان بالآية.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: من أهل قرية.

﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: باقتراح الآيات لما جاءتهم.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤): لو جنتهم بها؟! وهم أعتى منهم.

وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح، للإبقاء عليهم. إذ لو أتى به لم يؤمنوا، واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قال: كيف يؤمنون، ولم يؤمن من كان قبلهم

٢. كذا في أنوار التنزيل ٦٧/٢. وفي النسخ: التنبية.

١. من م.

٣. تفسير القمي ٦٨/٢.

بالآيات حتَّى هلكوا؟!)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا يُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥):

جواب لقولهم: «هل هذا إلا بشر».

قيل (١): يأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة، لتزول عنهم الشبهة. والإحالة عليهم، إمّا للإلزام، فإنّ المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي ﷺ ويتقون بقولهم. أو لأنّ إخبار الجَمّ الغفير يوجب العلم، وإن كانوا كفّاراً.

وفي شرح الآيات الباهرة (٢): قال محمّد بن العباس ﷺ حدّثنا [أحمد بن] (٣) محمّد بن سعيد، عن أحمد بن الحسن، عن أبيه، عن الحسين بن مخارق، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ أمير المؤمنين ﷺ في قوله ﷻ: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» قال: نحن أهل الذكر.

وقال أيضاً (٤): حدّثنا عليّ بن سليمان الرازي، عن محمّد بن خالد الطيالسي، عن العلاء بن رزين عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ قال: قلت له: إنّ مَنْ عندنا يزعمون أنّ قول الله: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» أنّهم اليهود والنصارى! قال: إذا يدعوكم إلى دينهم. قال: ثمّ أوماً بيده إلى صدره وقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم (٥): حدّثنا محمّد بن جعفر قال: حدّثنا عبدالله بن محمّد، عن أبي داود سليمان بن سفيان، عن ثعلبة، عن زرارة، عن أبي جعفر ﷺ في قوله: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون». من المعنيّون بذلك؟ قال: نحن [والله] (٦).

قلت: فأنتم المسؤولون؟ قال: نعم.

١. أنوار التنزيل ٦٧/٢.

٢. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٤/١، ح ٢.

٣. نفس المصدر، ح ٣.

٤. من م.

٥. من المصدر.

٦. تفسير القميّ ٦٨/٢.

قلت: ونحن السائلون المسلمون؟ قال: نعم.

قلت: فعلينا أن نسألكم؟ قال: نعم.

قلت: وعليكم أن تجيبونا؟ قال: لا! ذاك إلينا. إن شئنا فعلنا، وإن شئنا تركنا. ثم قال: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»^(١).

وقرأ^(٢) حفص: «نوحى» بالنون.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾^(٣) قيل^(٤): نفى لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقاً لأنهم كانوا أبشاراً مثلهم.

وقيل^(٥): جواب لقولهم: «ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق»^(٦). و«ما كانوا خالدين» تأكيد وتقرير له. فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤذي إلى الفناء. وتوحيد الجسد لإرادة الجنس، أو لأنه مصدر في الأصل، أو على حذف المضاف، أو تأويل الضمير بكل واحد، وهو جسم ذو لون، ولذلك لا يُطلق على الماء والهواء، ومنه: «الجساد» للزعفران.

وقيل^(٧): جسم ذو تركيب، لأن أصله لجمع الشيء واشتداده.

وفي مجمع البيان^(٨): وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام بالإسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وحمز بن أعين، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: تُبدل الأرض خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى يُفْرَغَ من الحساب. قال الله تعالى: «وما جعلناهم جسداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ».

وفي تفسير العياشي^(٩): عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله^(١٠) تعالى: «يوم تُبدل الأرض غير الأرض» قال: يعني تُبدل^(١١) خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى

٢-٤. أنوار التنزيل ٦٨/٢.

٦. نفس المصدر والموضع.

٨. تفسير العياشي ٢٣٧/٢، ح ٥٣.

١٠. ليس في س.

١. النمل ٣٩.

٥. الفرقان ٧.

٧. المجمع ٣٢٤/٣.

٩. إبراهيم ٤٨.

يُفْرِغَ مِنَ الْحَسَابِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ».

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾: أي في الوعد.

﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾: يعني المؤمنين بهم، ومن في إبقائه حكمة كمن سيؤمن

هو، أو واحد من ذريته.

قيل^(١): ولذلك حُميت العرب من عذاب الاستئصال.

﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢): في الكفر والمعاصي.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا قريش.

﴿كِتَاباً﴾: يعني القرآن.

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: أي صيتكم. أو ما موعظتكم. أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم

الأخلاق.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣): فتؤمنون؟!

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ بْنُ

إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَيْسَى بْنِ دَاوُدَ [النَّجَّارِ]^(٥) عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام فِي هَذِهِ

الآيَةِ قَالَ: الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ النَّبِيِّ عليه السلام.

ومعنى ذلك أنَّ الذي [أُنْزِلَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي]^(٦) فِيهِ ذِكْرُكُمْ وَشَرْفُكُمْ [وَعَزَّكُمْ]^(٧) هُوَ

طَاعَةُ الْإِمَامِ الْحَقِّ بَعْدَ النَّبِيِّ عليه السلام.

﴿وَكَمْ قَصَفْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾: القصم: كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القضم.

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: صفة لأهلها وُصف بها لما أُقيمت مقامه.

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: بعد إهلاك أهلها.

﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٨): مكانهم.

١. أنوار التنزيل ٦٨/٢.

٢. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٥/١، ح ٥.

٣. من المصدر.

٤. من المصدر.

٥. من م.

﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾: فلما أدركوا شدة عذابنا، إدراك المشاهد المحسوس .
والضمير للأهل المحذوف^(١).

﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾^(٢): يهربون مسرعين راكضين دوابهم . أو مشبهين^(٣) بهم من فرط إسراعهم .

﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾: على إرادة القول . أي قيل لهم استهزاءً: لا تركضوا . إمّا بلسان الحال ، أو المقال . والقائل ملك أو مَنْ تَمَّ من المؤمنين .
﴿ وَازْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾: من التمتع والتلذذ ، والإتراف: إبطار النعمة .
﴿ وَمَسَاكِكُمْ ﴾: التي كانت لكم .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾^(٤): غداً عن أعمالكم . أو: تُعَذَّبُونَ . فإنَّ السؤال من مقدّمات العذاب . أو: تُقَصَّدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل .
﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾^(٥): قيل^(٦): لَمَّا رَأَوْا العذاب ، ولم يروا وجه النجاة .
فلذلك لم ينفعهم .

وقيل^(٧): إِنَّ أَهْلَ «حُضُور» من قرى اليمن ، بُعِثَ إليهم نبيّ ، فقتلوه . فسَلَطَ الله عليهم بخت نصر ، فوضع السيف فيهم . فنادى من السماء : يا لشارت الأنبياء ، فندموا وقالوا ذلك .

أقول : وسيأتي أن البأس خروج القائم عليه السلام .
﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾: فما زالوا يرددون ذلك .
وإنما سمّاه دعوى ، لأنَّ المولود^(٨) كأنه يدعو الوليل ويقول : يا ويل ، تعال ، فهذا أوانك .

١ . كذا في أنوار التنزيل ٦٨/٢ . وفي النسخ: للمحذوف .

٢ . كذا في نفس المصدر والموضع . وفي النسخ: متبهين .

٣ . أنوار التنزيل ٦٨/٢ . ٤ . نفس المصدر والموضع .

٥ . كذا في أنوار التنزيل ٦٨/٢ . وفي النسخ: المدلول .

قيل ^(١): وكل من «تلك» و«دعواهم» يُحتَمَل الاسميّة والخبريّة. وفيه نظر يعرف من له تتبّع في العربيّة.

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾: مثل الحصيد، وهو النبت المحصود، ولذلك لم يُجَمع. ﴿خَامِدِينَ﴾ ^(٢): ميتين. من: خمدت النار.

وهو مع «حصيداً» بمنزلة المفعول الثاني، كقولك: جعلته حلوأ حامضاً، إذ المعنى: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود. أو صفة له. أو حال من ضميره.

وفي روضة الكافي ^(٣) كلام ^(٤) لعليّ بن الحسين عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا، يقول فيه عليه السلام: لقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم، حيث قال: «وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة». وإثماً عنى بالقرية أهلها، حيث يقول: «وأنشأنا بعدها قوماً آخرين». فقال عليه السلام: «فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون» يعني يهربون. قال: «لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون».

فلما أتاهم العذاب، قالوا: «يا ويلنا إنا كنّا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين». وأيم الله إن هذه عظة لكم وتخويف، إن اتعظتم وخفتم. عليّ بن إبراهيم ^(٥)، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأسديّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا قام القائم صلوات الله عليه وبعث إلى بني أميّة بالشام، هربوا إلى الروم فتقول لهم الروم: لا ندخلكم حتى تنصروا. فيعلّقون في أعناقهم الصلبان، فيدخلونهم.

فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم، طلبوا الأمان والصلح. فيقول أصحاب القائم: لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منّا. فيدفعونهم إليهم. فذلك قوله: «لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون».

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ٧٤/٨، ح ٢٩.

٤. نفس المصدر ٥٢٠١/٥٢، ح ١٥.

٣. ليس في م.

قال: يسألهم الكنوز وهو أعلم بها. فيقولون: «يا ويلنا» إلى قوله: «خامدين» أي بالسيف^(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢) ما يقرب منه، قال: وهذا مله مما لفظه ماضٍ ومعناه مستقبل. وهو مما ذكرناه مما تأويله بعد تنزيله.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قال محمد بن العباس: حدثنا الحسين بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن منصور، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷻ: «فلما أحسوا بأسنا». قال: خروج القائم^(٤) عليه السلام. «إذا هم منها يركضون». قال: الكنوز التي كانوا يكتزون. «قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً» بالسيف «خامدين» لا تبقى منهم عين تطرف.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(٥) وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع، تبصرة للنظار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبيحاً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد. فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغتروا بزخارفها؛ فإنها سريعة الزوال.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾: ما يلهي به ويلعب.

﴿لَا تَخْذَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: قيل^(٦): من جهة قدرتنا. أو: من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات، لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة، كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها.

وقيل^(٧): اللهو: الولد، بلغة اليمن.

وقيل^(٨): الزوجة. والمراد به الرد على النصارى.

﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٩): ذلك. ويدل على جوابه الجواب المتقدم.

١. يوجد في س، أ، م بعدها هذه الزيادة: وهو سعيد بن عبد الملك الأموي صاحب نهر سعيد بالرحبة.

٢. تفسير القمي ٦٨٢.

٣. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٦/١، ح ٧.

٤. أنوار التنزيل ٦٩/٢.

٥. المصدر: قال: وذلك عند قيام القائم.

وقيل ^(١): «إن» نافية. والجملة كالنتيجة للشرطية.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾: إضراب من اتّخاذ اللهو، وتنزيه لذاته من اللعب. أي بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجدّ على الباطل الذي من عداده اللهو. ﴿فَيَذْمُوهُ﴾: فيمحقّه. وإنّما استعار لذلك القذف - وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي - والدمغ الذي هو كسر الدماغ، بحيث يشقّ غشاه، المؤدّي إلى زهوق الروح، تصويراً لإبطاله به، ومبالغة فيه.

وقرئ ^(٢): «فيدمّغه» بالنصب. ووجهه مع بُعد الحمل على المعنى، والعطف على الحق.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: هالك.

والزهوق: ذهاب الروح. وذكره لترشيح المجاز.

﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ^(٣): ممّا تصفونه به، ممّا لا يجوز عليه.

وهو في موضع الحال. و«ما» مصدرية، أو موصولة، أو موصوفة.

وفي الكافي ^(٤)، محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن يونس بن يعقوب، عن عبد الأعلى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الغناء، وقلت: إنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله رخص في أن يقال: جئناكم، جئناكم ^(٥)، حيّونا، حيّونا نحْيَكم ^(٦).

فقال: كذبوا. إن الله تعالى يقول: «وما خلقنا السموات» إلى قوله: «ولكم الويل ممّا تصفون». ثم قال: ويل لفلان ممّا يصف ^(٧) رجل لم يحضر المجلس.

وفي محاسن البرقي ^(٨) عنه، عن أبيه، عن يونس بن عبد الرحمان، رفعه قال: قال

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ٤٣٣/٦، ح ١٢.

٣. ليس في المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي ع: «جئتونا جئتونا» بدل «حيّونا حيّونا نحْيَكم». وفي سائر النسخ: «جئونا،

٥. جئونا».

٦. غير م: وصف.

٧. المحاسن ٢٢٦/٢، ح ١٥٢.

أبو عبدالله عليه السلام: ليس من باطل ^(١) يقوم بإزاء الحق ^(٢)، إلا غلب الحق الباطل. وذلك قول الله: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق».

عنه ^(٣)، عن يعقوب بن يزيد، عن رجل، عن الحكم بن مسكين، عن أيوب بن الحر بن بكير الهروي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أيوب، ما من أحد إلا وقد يرد ^(٤) عليه الحق حتى يصدع قلبه؛ قبله، أم تركه. وذلك أن الله ^(٥) يقول في كتابه: «بل نقذف بالحق» الآية.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: يعني الملائكة المنزلين منه، لكرامتهم عليه، منزلة المقربين عند الملوك.

وهو معطوف على «من في السموات». وإفراده للتعظيم. أو لأنه أعم منه من وجه. أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ في السماء والأرض. أو مبتدأ خبره:

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: لا يتعظمون عنها.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ^(٦): ولا يعيون منها.

وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور، تنبيهاً على أن عبادتهم بثقلها ودوامها، حقيق بأن يستحسر منها، ولا يستحسرون.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: ينزهونه ويعظمونه دائماً.

﴿لَا يَقْتُرُونَ﴾ ^(٧): حال من الواو في «يسبحون». وهو استئناف أو حال من ضمير

قبله.

في عيون الأخبار ^(٨) في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت، حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبايح بالطف

٢. المصدر: حق.

١. ن: الباطل.

٤. ن: ير. والمصدر: يرز.

٣. نفس المصدر ٢٧٦، ح ٣٩١.

٦. العيون ٢١٠/١، ح ١.

٥. ليس في ن.

الله تعالى فيهم، قال الله ^(١) تعالى فيهم: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون». وقال ﷻ: «وله من في السموات» إلى قوله: «لا يفترون».

وفي كتاب التوحيد ^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله ﷻ [ويحمده من ناحيته ^(٣) بأصوات مختلفة، لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله ﷻ] ^(٤).

وعن علي بن الحسين ^(٥) عليه السلام حديث طويل في صفة خلق العرش، يقول فيه: له ثمانية أركان، على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلا الله ﷻ. «يسبحون الليل والنهار لا يفترون».

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٦) بإسناده إلى داود بن فرقد العطار، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن الملائكة: أينامون؟ فقال: ما من حي إلا وهو ينام، خلا الله وحده. والملائكة ينامون.

فقلت: يقول الله «يسبحون الليل والنهار لا يفترون»؟ قال: أنفاسهم تسبيح.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٧) حديث طويل عن النبي ﷺ في ذكر ما رأى في المعراج، وفيه قال النبي ﷺ: ثم مررنا بملائكة من ملائكة الله ﷻ خلقهم الله [كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء. ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا] ^(٨) وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة. أصواتهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله.

فسألت جبرئيل عنهم. فقال: كما ترى خَلِقُوا. إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما

١. التحريم ٦.

٢. التوحيد / ٢٨٠، ح ٦.

٣. المصدر: ناحية.

٤. ليس في ن.

٥. نفس المصدر ٣٢٦، ح ١.

٦. كمال الدين ٦٦٧، ح ٨.

٧. تفسير القمي ٨٧/٢.

٨. ليس في ن.

كَلِمَةً قَطً، وَلَا رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ إِلَى مَا فَوْقَهَا، وَلَا خَفَضُوهَا إِلَى مَا تَحْتَهَا^(١) خَوْفَ اللَّهِ^(٢) وَخُشُوعاً.

فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِمْ. فَرَدُّوا عَلَيَّ إِيمَاءَ بَرُؤُسِهِمْ، وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ مِنَ الْخُشُوعِ. فَقَالَ لَهُمْ جِبْرِئِيلُ: هَذَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ. أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى الْعِبَادِ رَسُولاً وَنَبِيّاً. وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُهُمْ. أَفَلَا تَكَلِّمُونَهُ؟!

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ جِبْرِئِيلَ، أَقْبَلُوا عَلَيَّ بِالسَّلَامِ وَأَكْرَمُونِي، وَبَشَّرُونِي بِالْخَيْرِ لِي وَلِأُمَّتِي.

وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ^(٣): قَالَ ﷺ فِي وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ: وَيَسْبَحُونَ^(٤) لَا يَسْأَمُونَ. وَلَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾: بَلِ اتَّخَذُوا. وَالْهَمْزَةُ لِانْكَارِ اتِّخَاذِهِمْ.

﴿مِنْ الْأَرْضِ﴾: صِفَةُ «آلِهَةٍ». أَوْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْفِعْلِ، عَلَى مَعْنَى الْإِبْتِدَاءِ. وَفَائِدَتُهَا التَّحْقِيرُ دُونَ التَّخْصِصِ.

﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾^(٥): الْمَوْتَى.

وَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحُوا بِهِ، لَكِنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ ادِّعَائِهِمْ لَهَا الْإِلَهِيَّةَ؛ فَإِنَّ مِنْ لَوَازِمِهَا الْإِقْتِدَارَ عَلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ. وَالْمُرَادُ تَجْهِيلُهُمْ وَالتَّهَكُّمَ بِهِمْ. وَلِلْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ زَيْدُ الضَّمِيرِ الْمَوْهَمِ لاختصاص الإنْشَارِ بِهِمْ.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾: غَيْرُ اللَّهِ.

وُصِفَ بِـ«إِلَّا» لَمَّا تَعَذَّرَ الْإِسْتِثْنَاءُ، لِعَدَمِ شُمُولِ مَا قَبْلُهَا لَمَّا بَعْدَهَا^(٦)، وَدَلَالَتُهُ^(٧) عَلَى

١. المصدر: تحتهم. ٢. المصدر: خوفاً من الله.

٣. النهج ٤١/، الخطبة ١. ٤. المصدر: مسبحون.

٥. أي إِنْما حمل «إلا» على معنى «غير» وجعل صفة للآلهة لتعذر حملها على الاستثناء لأنه إخراج شيء عن شيء لو لم يكن الاستثناء به لكان الأول داخلاً في الثاني، لكن الأمر ههنا ليس كذلك لأن آلهة جمع منكور غير محصور فلا يعلم أن الله داخل فيها أو لا.

٦. هذا دليل آخر على جعل «إلا» بمعنى الصفة؛ وتوضيحه: أنه لو جعل «إلا» بمعنى الاستثناء به لكان

ملازمة الفساد، لكون الآلهة فيهما دونه، والمراد ملازمته لكونها مطلقاً أو معه. حملاً لها على غير، كما استثنى بغير، حملاً عليها. ولا يجوز الرفع على البدل، لأنه متفرع على الاستثناء، ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب^(١).

﴿لَفَسَدَتَا﴾: لبطلتا، لما يكون بينهما من الاختلاف والتمايز. فإنها إن توافقت في المراد، تطاردت عليه القدر. وإن تخالفت فيه، تعاوقت عنه.

في كتاب التوحيد^(٢) بإسناده إلى هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبدالله عليه السلام وكان من قول أبي عبدالله عليه السلام له: لا يخلو قولك: إنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين؛ أو يكونا ضعيفين؛ أو يكون أحدهما قوياً، والآخر ضعيفاً. فإن كانا قويين، فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه، وينفرد بالتدبير؟! وإن زعمت أن أحدهما قوي، والآخر ضعيف، ثبت أنه واحد - كما نقول - للعجز

الظاهر في الثاني.

وإن قلت: إنهما اثنان. لا يخلو من أن يكونا متفقين من كل جهة، أو متفرقين من كل جهة. فلما رأينا الخلق منتظماً، والفلك جارياً، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دل^(٣) صحة الأمر والتدبير واتلاف الأمر [على]^(٤) أن المدبر واحد.

ثم يلزمك، إن ادعيت اثنين، فلا بد من فرجة بينهما، حتى يكونا اثنين. فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما. فيلزمك ثلاثة.

فإن ادعيت ثلاثة، لزمك ما قلنا في الاثنين، حتى يكون بينهم فرجتان، فيكون خمساً. ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.

⇒ المعنى: لو كان فيهما آلهة يستثنى منها الله لفسدتا. فلزم أنه لو كان فيهما آلهة لم يستثن منها الله تعالى لم الآلهة مطلقاً؛ أي من غير تقييد بأن ليس الله تعالى منهم أو بأن يُقيدوا بإدخال الله تعالى فيهم. وأما إذا جعل «إلا» بمعنى «غير» لزم الفساد على كل حال، إذ المعنى لو كان فيهما آلهة متصفة بكونهم غير الله لزم الفساد.

١. ليس في ن. ٢. التوحيد/٢٤٣-٢٤٤، ح ١.

٤. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: دل على.

حدَّثنا ^(١) محمد بن الحسن ^(٢) بن أحمد بن الوليد قال: حدَّثنا محمد بن الحسن الصفَّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أن الله واحد؟ قال: اتصال التدبير وتمام الصنع. كما قال ﷺ: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» ^(٣).

﴿قُسِبَحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾: المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ^(٤): من اتخذ الشريك والصاحبة والولد.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: لعظمته وقوة سلطانه، وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية.

﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ^(٥): لأنهم مملوكون مستعبدون. والضمير للآلهة أو للعباد.

وفي كتاب التوحيد ^(٦) بإسناده إلى ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت

١. نفس المصدر/٢٥٠، ح ٢.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسين.

٣. في هامش نسخة «م»: قال صاحب الكشاف: «لو» بمعنى «إن» في أن الكلام معه موجب أشهر. قيل: إن الغرض محض الملازمة، لأن الكلام معه موجب، وصرح به ابن حاجب أيضاً، فقال: النفي المعنوي لا يجري مجرى النفي اللفظي ألا ترى أنك تقول: أبي القوم إلا زيداً بالنصب ليس إلا. ولو كان النفي المعنوي كاللفظي لجاز أبي القوم إلا زيد فكان المختار وهاهنا أولى إذ النفي في «أبي» محقق وفي «لو» مقدّر ما بعدها الإثبات وقال المالكي في شرح التسهيل: فلا يجوز أن يجعل «الله» بدلاً لأن من شرط البديل في الاستثناء صحة الاستثناء به عن الأول وذلك متنع بعد «لو» كما يمتنع بعد لا (هاهنا كلمة لا تقرأ في النسخة) حرفاً شرط والكلام معهما موجب أشهر، والمشهور بين المتكلمين برهان التمانع المشار إليه بقوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» تقديره أنه لو أمكن إلهان لأمكن بينهما تمناع بأن يريد أحدهما حركة زيد والآخر سكونه لأن كلا منهما في نفسه أمر ممكن وكذا تعلق الإرادة بكل منهما. إذ التناذ بين الإرادتين بين المرادين حينئذ إما أن تحصل الأمر أن يجتمع الضدان، وإلا فيلزم عجز أحدهما عن الآخر وهو أمانة الحدوث والإمكان لما فيه من شأنه الاحتجاج فالتعدد مستلزم للإمكان التمانع المستلزم للمحال فيكون حالاً هذا التفضيل ما يقال: أن أحدهما إن لم يقدر على مخالفة الآخر لزم عجزه. وإن قدر لزم عجز الآخر، وبما ذكرنا يندفع ما يقال: إنه يجوز أن يتفقا من غير تمناع، وأن تكون الممانعة والمخالفة لاستلزامهما المحال، وأن يمتنع اجتماع الإرادتين؛ كإرادة واحد حركة زيد وسكونه معاً. من فتوحات الشيخ البهائي رحمه الله.

٤. التوحيد/٣٦٩، ح ٢.

فذاك، ماتقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع العباد يوم القيامة، سألهم عما [عهد إليهم، ولم يسألهم عما] ^(١) قضى عليهم.

وبإسناده ^(٢) إلى عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا ابن رسول الله، إننا نرى الأطفال منهم من يولد ميتاً، ومنهم من يسقط غير تام، ومنهم من يولد أعمى، أو أخرس، أو أصم، ومنهم من يموت من ساعته، إذا سقط إلى الأرض، ومنهم من يبقى إلى الاحتلام، ومنهم من يعمر حتى يصير شيخاً. فكيف ذلك وما وجهه؟

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أولى بما يدبره من أمر خلقه منهم. وهو الخالق والمالك لهم. فمن منعه التعمير، فإنما منعه ما ليس له ^(٣). ومن عمره، فإنما أعطاه ما ليس له. فهو المتفضل بما أعطى، وعادل فيما منع «ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون». قال جابر: فقلت له: يا ابن رسول الله، فكيف لا يسأل عما يفعل؟

قال: لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبر الجبار، والواحد القهار. فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء مما قضى كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد. عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ^(٤) قال: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء. وبقوتي أديت إلي فرائضي. وبنعمتي قويت على معصيتي ^(٥). جعلتك سمياً بصيراً قوياً. «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» ^(٦). وذلك أني أولى بحسناتك منك. وأنت أولى بسيئاتك مني. وذلك أني لا أسأل عما أفعل، وهم يسألون.

وفي عيون الأخبار ^(٧): بإسناده إلى محمد بن أبي يعقوب البلخي قال: سألت أبا

١. ليس في ن. ٢. نفس المصدر/٣٩٧، ح ١٣.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما ليس له من عمره.

٤. التوحيد/٣٣٨، ح ٦. ٥. ليس في ع.

٦. النساء/٧٩. ٧. العيون/٨٠٢، ح ١٧.

الحسن عليه السلام فقلت: لأيّ علّة صارت الإمامة في ولد الحسين دون [ولد] ^(١) الحسن؟ فقال: لأنّ الله تعالى جعلها في ولد الحسين، ولم يجعلها في ولد الحسن. والله لا يُسأل عمّا يفعل.

وفي كتاب الخصال ^(٢) عن المفضّل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام حديث طويل. وفيه قال: فقلت له: يا ابن رسول الله، كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون [ولد] ^(٣) الحسن؟ وهما جميعاً ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة.

فقال عليه السلام: إنّ موسى وهارون كانا نبيّين مرسلين أخوين، فجعل الله النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى عليه السلام ولم يكن لأحد أن يقول: لمّ فعل الله ذلك؟ وإنّ الإمامة خلافة [من] ^(٤) الله تعالى. ليس لأحد أن يقول: لمّ جعلها في صلب الحسين دون صلب ^(٥) الحسن. لأنّ الله هو الحكيم في أفعاله «لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون». وفي كتاب علل الشرائع ^(٦) عن عليّ عليه السلام حديث طويل، يقول عليه السلام في أثنائه - وقد ذكر خلقه آدم - : فاغترف تبارك وتعالى غرفة من الماء العذب الفرات فصلصلها، فجمدت. ثمّ قال لها: منك أخلق النبيّين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمّة المهتدين الدعاة إلى الجنّة، وأتباعهم إلى يوم القيامة؛ ولا أبالي. ولا أسأل عمّا أفعّل وهم يُسألون. يعني بذلك خلقه [أنّهم يُسألون] ^(٧).

وفي إرشاد المفيد ^(٨) قال عليه السلام وقد ذكر أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : وممّا حفظ عنه من موجز القول في العدل قوله لزراعة بن أعين: يا زارة، أعطيك جملةً في القضاء والقدر؟ قال له زارة: نعم، جعلت فداك. قال له: إذا كان يوم القيامة، وجمع الله

٢. الخصال ٣٠٥، ح ٨٤.

٤. من المصدر.

٦. العلل ١٠٦، ح ١.

٨. الإرشاد ٢٦٥.

١. من المصدر.

٣. من المصدر.

٥. ليس في م ون.

٧. لا يوجد في المصدر.

الخلائق، سألهُم عَمَّا عَهِدَ إِلَيْهِم، ولم يسألهم عَمَّا قَضَى عَلَيْهِم.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِهَةٍ﴾: كَرَّرَهُ اسْتِعْظَاماً لِكُفْرِهِم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيئاً وإظهاراً لجهلهم. أو ضمّاً لإنكار ما يكون لهم مسنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل، على معنى: أوجدوا آلهة يُنْشِرُونَ الموتى، فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواصّ الألوهية؟ أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم، فاتخذوهم متابعة للأمر.

ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدلّ على فساده عقلاً. وعلى الثاني ما يدلّ على فساده نقلاً.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على ذلك؛ إما من العقل، أو من النقل. فإنه لا يصحّ القول بما لا دليل عليه. كيف، وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً؟!

﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾: من الكتب السماوية، فانظروا هل تجدون فيها إلّا الأمر بالتوحيد، والنهي عن الإشراك.

والتوحيد، لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب، صحّ الاستدلال فيه بالنقل.

و«من معي» أمته. و«من قبلي» الأمم المتقدمة. وإضافة الذكر إليهم، لأنه عظمتهم.

وقرئ^(١) بالتنوين والإعمال، وبه، وب«من» الجارة^(٢)، على أن «مع» اسم هو ظرف، كقبل وبعد.

وفي مجمع البيان^(٣): «هذا ذكر [من معي وذكر]^(٤) من قبلي». قال أبو عبد الله عليه السلام: يعني بـ«ذكر من معي»^(٥) ما هو كائن وبـ«ذكر من قبلي» ما قد كان.

١. أنوار التنزيل ٧٠/٢.

٢. أي قرئ بالتنوين وبـ«من» الجارة على أن «مع» اسم كقبل، فكما أن «قبل» وشبهه قد يدخل «من» عليه فيقال: من قبلي، كذلك يقال: من معي.

٣. المجمع ٤٤/٤.

٥. يوجد في المصدر بعدها: من معه و.

٤. ليس في ن.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعُلُوِّيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ [النَّجَّارِ]^(٢) عَنْ مَوْلَانَا أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «هَذَا ذَكَرَ مِنْ مَعِيَ وَذَكَرَ مِنْ قَبْلِي» قَالَ: «ذَكَرَ مِنْ مَعِيَ» عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ«ذَكَرَ مِنْ قَبْلِي» الْأَنْبِيَاءُ^(٣) [وَالْأَوْصِيَاءُ]^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: وَلَا يَمَيِّزُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ.

وقرئ^(٥): «الْحَقُّ» بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مَحْذُوفٌ وَسُطٌ لِلتَّأْكِيدِ بَيْنَ السَّبَبِ وَالْمَسَبِّ.

﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٦): عَنْ التَّوْحِيدِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٧): تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ. فَإِنَّ «ذَكَرَ مِنْ قَبْلِي» مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ خَبَرٌ لِاسْمِ الْإِشَارَةِ مُخْصِصٌ بِالْمَوْجُودِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَهُوَ الْكُتُبُ الثَّلَاثَةُ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: قِيلَ^(٨): نَزَلَتْ فِي خِرَازَةِ حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ.

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تَنْزِيهِهُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ.

﴿بَلْ عِبَادٌ﴾: بَلْ هُمْ عِبَادٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ وَلَيْسُوا بِأَوْلَادٍ.

﴿مُكْرَمُونَ﴾^(٩): مَقْرَبُونَ. وَفِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى مَدْحُضِ الْقَوْمِ.

وقرئ^(١٠) بِالتَّشْدِيدِ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): وَقَوْلُهُ ﷻ: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» قَالَ: هُوَ مَا قَالَتِ النَّصَارَى: إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. وَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيرُ

٢. من المصدر.

١. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٧/١، ح ٩.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ذكر الأنبياء. ٤. من م. لا يوجد في المصدر أيضاً.

٨. تفسير القمي ٦٩/٢.

٥-٧. أنوار التنزيل ٧٠/٢.

ابن الله . وقالوا في الأئمة ما قالوا . فقال الله ﷻ : «سبحانه» [أنفة له] ^(١) «بل عباد مكرمون» يعني هؤلاء الذين زعموا أنهم ولد الله . وجواب هؤلاء الذين زعموا ذلك في سورة الزمر في قوله ﷻ ^(٢) : «لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى ممّا يخلق ما يشاء سبحانه» .
﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ : لا يقولون شيئاً حتّى يقوله ، كما هو ديدن العبيد المؤذنين .
وأصله : لا يسبق قولهم قوله ^(٣) . فُنسب السبق إليه واليه ، وجعل القول محلّه وأداته ، تنبيهاً على استهجان السبق المعرّض به للقائلين على الله ما لم يقله . وأنسيبت اللام عن الإضافة ، اختصاراً وتجافياً عن تكرير الضمير .

وقرئ ^(٤) : «لا يسبقونه» بالضمّ ، من : سابقته ^(٥) فسبقته ^(٦) أسبقه .

﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ^(٧) : لا يعملون قطّ ما لم يأمرهم به .

وفي عيون الأخبار ^(٨) في الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السلام المنقولة عن الجواد عليه السلام :
السلام على الدعاة إلى الله - إلى قوله - والمظهرين لأمر الله ونهيه ، وعباده المكرمين الذين «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» .

وفي كتاب الاحتجاج ^(٩) للطبرسي رحمته الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل ، وفيه :
وألزمهم الحجّة بأن خاطبهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحيده . وبأنّ لهم أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله : فهم العباد المكرمون «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» .

قال السائل : من هؤلاء الحجج ؟ قال : هم رسول الله ﷺ ومن حلّ محلّه من أصفياء الله الذين قال ^(١٠) : «فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» . الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله ، وفرض

١ . لا يوجد في ع . وفي المصدر : إبطالاً له .

٢ . سورة الزمر/٤ .

٣ . ليس في ن .

٤ . أنوار التنزيل ٧١/٢ .

٥ . ليس في م .

٦ . ليس في ن .

٧ . العيون ٢٧٨/٢ ، ح ١ .

٨ . بل عن عليّ بن محمّد الهادي صلوات الله عليهما .

٩ . الاحتجاج/٢٥٢ .

١٠ . البقرة/١١٥ .

على العباد من طاعتهم، مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه.

وفي الخرائج والجرائح^(١) في أعلام أمير المؤمنين عليه السلام في روايات الخاصة: اختصم رجل وامرأة إليه. فعلا صوت الرجل على المرأة. فقال له علي عليه السلام: اخسأ! وكان خارجياً. فإذا رأسه رأس الكلب.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، صحت بهذا الخارجي فصار رأسه رأس الكلاب^(٢) فما يمنعك عن معاوية؟!

فقال: ويحك! لو أشاء أن آتي بمعاوية إلى هاهنا على سريره، لدعوت الله حتى فعل؛ ولكن لله خزان، لا على ذهب ولا فضة، ولكن^(٣) على أسرار. هذا تدبير الله. أما تقرأ: «بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»!

وروى الأصمعي بن نباتة^(٤) قال: كنّا نمشي خلف علي عليه السلام ومعنا رجل من قریش. فقال لأمر المؤمنين عليه السلام: قد قتلت الرجال، وأيتمت الأطفال، وفعلت وفعلت! فالتفت إليه عليه السلام وقال: اخسأ! فإذا هو كلب أسود. فجعل يلوذ به ويبصيص. فرآه عليه السلام فرحمه. فحرك شفثيه فإذا هو رجل كما كان.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، أنت تقدر على مثل هذا، ويناولك^(٥) معاوية! فقال: نحن عباد مكرمون؛ لا نسبقه بالقول، ونحن بأمره عاملون.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قال محمد بن العباس: حدّثنا محمد بن الحسن^(٧) بن علي بن مهزيار قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن علي بن حديد، عن منصور بن يونس، عن أبي السفاج، عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «وقالوا اتّخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» وأوماً بيده إلى صدره وقال: «لا يسبقونه» الآية.

١. الخرائج ١/١٧٢، ح ٣. ٢. لا يوجد في ن.

٣. كذا في تفسير الصافي ٣/٣٦٣. وفي النسخ والمصدر: ولا انكار.

٤. نفس المصدر ١/٢١٩، ح ١٣. ٥. ناوأة: عاداء.

٦. تأويل الآيات الباهرة ١/٣٢٨، ح ١٠. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسين.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : لا يخفى عليه خافية مما قَدَمُوا وأَخَرُوا .
وهو كالعلة لما قبله ، والتمهيد لما بعده . فإنهم لإحاطتهم بذلك ، يضبطون أنفسهم ،
ويراقبون أحوالهم .

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ : أن يشفع له ، مهابة منه .

﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ : عظمته ومهابته

﴿مُشْفِقُونَ﴾ (١٨) : مرتعدون .

وأصل الخشية خوف (١) مع تعظيم . ولذلك خص بها العلماء . والإشفاق خوف (٢)
مع (٣) اعتناء . فإن عُدِّي بِ«من» فمعنى الخوف فيه أظهر . وإن عُدِّي بِ«على» فبالعكس .
وفي مصباح شيخ الطائفة (٤) روي في خطبة مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام : وإن الله
اختص لنفسه بعد نبيه ﷺ من بريته خاصة علاهه بتعليته ، وسما بهم إلى رتبته .
وجعلهم الدعاة بالحق إليه ، والأدلاء بالرشاد عليه لقرن قرن وزمن زمن .

أنشأهم في القدم قبل كل مذكور ومبرور أنواراً أنطقها بتحميمه ، وألهمها شكره
وتمجيده . وجعلها الحجج على كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية .
واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات نجوعاً له بأنه (٥) فاطر الأرضين والسموات .
وأشهدهم (٦) خلقه ، ولأهم ماشاء به من أمره .

جعلهم تراجعاً مشيئته ، وألسن إرادته ؛ عبيداً «لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته
مشفقون» .

١ . كذا في أنوار التنزيل ٧١/٢ . وفي النسخ : الحزن .

٢ . من ع .

٣ . هكذا في المصدر المذكور . وفي ع : «مع خوف» بدل «خوف مع» .

٤ . المصباح/٦٩٧-٦٩٨ . ٥ . المصدر : فأنه .

٦ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : أشدهم .

وفي تهذيب الأحكام^(١) بإسناده إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام وفيها يقول الزائر: يا ولي الله، إن لي ذنباً كثيرة؛ فاشفع لي إلى ربك ﷻ. فإن لك عند الله مقاماً محموداً. وإن لك عند الله جاهاً وشفاعة. وقال الله تعالى: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى».

وفي الكافي^(٢) مثله سواء.

وفي عيون الأخبار^(٣) بإسناد إلى الحسين بن خالد، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يؤمن بحوضي، فلا أورده الله حوضي. ومن لم يؤمن^(٤) بشفاعتي، فلا أناله الله شفاعتي. ثم قال ﷺ: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. فأما المحسنون، فما عليهم من سبيل. قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، فما معنى قول الله ﷻ: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى»؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: هذه شرائع الدين، إلى أن قال عليه السلام: وأصحاب الحدود فساق؛ لا مؤمنون ولا كافرون. لا يخلّدون في النار، ويخرجون منها يوماً. والشفاعة جائزة لهم، وللمستضعفين إذا ارتضى الله دينهم.

وفي كتاب التوحيد^(٦): حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني^(٧) قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم^(٨)، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن موسى بن جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه: فقلت له: يا ابن رسول الله، فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟

١. التهذيب ٢٨/٦، ح ٥٤.

٢. الكافي ٥٦٩/٤، ح ١.

٣. العيون ١١٢/١، ح ٣٥.

٤. ليس في س وأ.

٥. الخصال ٦٠٣-٦٠٨، ح ٩.

٦. التوحيد ٤٠٧-٤٠٨، ح ٦.

٧. كذا في النسخ والمصدر. وفي جامع الرواة ٥٠/١ أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني - بالذال المعجمة.

٨. كذا في المصدر، وفي النسخ: هشام.

فقال: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّمَا شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكِبَائِرِ [من أمتي]. فَأَمَّا الْمُحْسِنُونَ مِنْهُمْ، فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ.

قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا ابن رسول الله، كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر^(١) والله تعالى يقول: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى»؟! ^(٢) ومن يرتكب الكبيرة^(٣)، لا يكون مرتضى!

فقال: يا مُحَمَّد، ما من مؤمن يرتكب ذنباً، إِلَّا ساءه ذلك، وندم عليه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: كَفَى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً. وقال عليه السلام: من سرته حسنة، وساءته سيئة^(٤) فهو مؤمن. فمن لم يندم على ذنب يرتكبه، فليس بمؤمن، لم تجب^(٥) له الشفاعة، وكان ظالماً. والله تعالى ذكره يقول^(٦): «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يَطَاعُ».

فقلت له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد، ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي - وهو يعلم أنه سيعاقب عليها - إِلَّا ندم على ما ارتكب. ومتى ندم، كان تائباً مستحقاً للشفاعة. ومتى لم يندم عليها، كان مصرّاً. والمصرّ لا يُغْفَرُ له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب. ولو كان مؤمناً بالعقوبة^(٧) لندم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.

وأما قول الله تعالى: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» فَإِنَّهُمْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى دينه. والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات. فمن ارتضى الله دينه، ندم على ما ارتكبه من الذنوب، لمعرفته بعاقبته^(٨) في القيامة.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من الملائكة، أو من الخلائق.

١. لا يوجد في ن.

٢. ليس في ع.

٣. المصدر: الكبائر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: من سرته حسنة وساءه سيئة.

٥. كذا في المصدر. وفي م: ومن لا تجب. وفي سائر النسخ: ومن تجب.

٦. غافر/١٨.

٧. ليس في م، أ، ن.

٨. ليس في ن.

﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾: يريد به نفي الربوبية وادّعاء ذلك عن الملائكة في تهديد المشركين بتهديد مدّعي الربوبية.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قوله: «ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم» قال: من زعم أنه إمام، وليس بإمام.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢): من ظلم بالإشراك وادّعاء الربوبية.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أولم يعلموا.

وقرأ^(٣) ابن كثير بغير واو.

﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: ذات رتق، أو مرتوقتين. وهو: الضم

والالتحام.

قيل^(٤): أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة.

﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: بالتنوع والتمييز. أو: كانت السماوات واحدة، ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً. وكانت الأرضون واحدة، فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم.

وقيل^(٥): كانت بحيث لا فرجة بينهما، ففرج.

وقيل^(٥): «كانتا رتقاً» لا تمطر ولا تنبت «ففتقناهما» بالمطر والنبات. فيكون المراد بـ«السَّمَاوَاتِ» سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الآفاق. أو السماوات بأسرها، على أن لها مدخلاً في الأمطار. والكفرة - وإن لم يعلموا ذلك - فهم متمكنون من العلم به نظراً. فإن الفتق عارض مفقتر إلى مؤثر واجب ابتداءً، أو بواسط، أو استفساراً من العلماء ومطالعة الكتب. وإنما قال: «كانتا» ولم يقل: كنن، لأن المراد جماعة السماوات وجماعة الأرض.

وقرئ^(٦): «رتقاً» بالفتح، على تقدير: شيئاً رتقاً، أي مرتوقاً. كالرفض بمعنى المرفوض.

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي^(٢) : وروى [بعض أصحابنا]^(٣) أن عمرو بن عبدي وفد على محمد بن علي الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال عنه . فقال له : جعلت فداك ، ما معنى قول الله تعالى : «أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما» ؟ ما هذا الرتق والفتق ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : كانت السماء رتقاً لانزل القطر . وكانت الأرض رتقاً لانخرج النبات . ففتق الله السماء بالقطر ، وفتق الأرض بالنبات . فانقطع عمرو ، ولم يجد اعتراضاً ومضى .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤) : حدثني أبي ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خرج هشام بن عبد الملك حاجاً ، ومعه الأبرش الكلبي . فلقي أبا عبد الله عليه السلام في المسجد الحرام . فقال هشام للأبرش : تعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا الذي تزعم الشيعة أنه نبي من كثرة علمه . فقال الأبرش : لأسأله عن مسألة^(٥) لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي . فقال هشام : وددت أنك فعلت ذلك .

فلقي الأبرش أبا عبد الله عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله ، أخبرني عن قول الله : «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما» . فما كان رتقهما ؟ وما كان فتقهما ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا أبرش ، هو كما وصف نفسه . «وكان عرشه على الماء»^(٦) والماء على الهواء ، والهواء لا يحد . ولم يكن يومئذ خلق غيرهما . والماء يومئذ عذب فرات .

فلما أراد الله أن يخلق الأرض ، أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً . ثم أزيد ، فصار زبداً واحداً . فجعله في موضع البيت . ثم جعله جبلاً من زيد . ثم دحا الأرض

١ . الاحتجاج / ٣٢٢-٣٢٦ .

٢ . من المصدر .

٣ . المصدر : مسائل .

٤ . تفسير القمي / ٦٩-٧٠ .

٥ . هو د / ٧ .

٦ . هو د / ٧ .

من تحته. فقال الله ^(١) تبارك وتعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا». ثُمَّ مكث الربُّ تبارك وتعالى ما شاء.

فلَمَّا أراد الله أن يخلق السماء، أمر الرياح فضربت البحور حتَّى أزيدتها ^(٢). فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار. فخلق منه السماء، وجعل فيها البروج والنجوم، ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك. وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر. وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب. وكانتا مرتوتقتين ليس لهما أبواب. ولم يكن للأرض أبواب، وهو النبات، ولم تمطر السماء عليها فتنبت. ففتق السماء بالمطر. وفتق الأرض بالنبات. وذلك قوله: «أولم ير الذين كفروا أنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا».

فقال الأبرش: والله ما حدَّثني بمثل هذا الحديث أحد قط! أعدده عليّ. فأعاده عليه. وكان الأبرش ملحدًا - فقال: وأنا أشهد أنَّك ابن نبيّ. ثلاث ^(٣) مرّات.

وفي روضة الكافي ^(٤): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن داود، عن محمّد بن عطية قال: قال رجل من أهل الشام لأبي جعفر عليه السلام: يا أبا جعفر، قول الله ﷻ: «أَوَّلَ مَا يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا».

فقال له أبو جعفر عليه السلام: استغفر ربّك. فإنّ قول الله ﷻ: «كَانَتَا رَتْقًا» يقول: كانت السماء رَتْقًا لَا تُنْزَلُ المطر. وكانت الأرض رَتْقًا لَا تُنْبِتُ الحَبَّ. فلَمَّا خلق الله تبارك وتعالى الخلق، وبثَّ فيها من كل دابة، فتق السماء بالمطر، والأرض بنبات الحَبِّ. فقال الشامي: أشهد أنَّك من ولد الأنبياء، وأنّ علمك علمهم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

٢. المصدر: أزيدت بها.

١. آل عمران/٩٦.

٤. الكافي ٩٤/٨ - ٩٥، ح ٦٧.

٣. ليس في س وأ.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي، وأبو منصور، عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي كان حجَّ فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب. فقال: يا أبا جعفر، أخبرني عن قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا».

قال: إِنَّ الله تبارك وتعالى أبط آدم^(٢) إلى الأرض وكانت السماء^(٣) [رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لاتنبت شيئاً. فلَمَّا تاب الله تعالى على آدم صَلَّى الله عليه، أمر السماء^(٤) [فقطرت بالغمام. ثُمَّ أمرها، فأرخت عزاليها^(٥). ثُمَّ أمر الأرض، فأنبتت الأشجار، وأثمرت الثمار، وتفتّحت^(٦) بالأنهار. فكان ذلك رتقها، وهذا فتقها.

فقال نافع: صدقت يا ابن رسول الله. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وفي نهج البلاغة^(٧): قال عليه السلام: «وفتق بعد الارتقاق^(٨) صوامت أبوابها. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾: وخلقنا من الماء كلّ حيوان؛ لقوله^(٩): «والله خلق كلّ دابة من ماء».

وذلك لأنّه من أعظم موائده، ولفرط احتياجه إليه، وانتفاعه به بعينه. أو: صيّر كلّ شيء بسبب من الماء لايحيا دونه.

وقرئ^(١٠): «حَيًّا» على أنّه صفة «كُلِّ» أو مفعول ثانٍ، والظرف لغو، والشيء مخصوص بالحيوان.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١١) مع ظهور الآيات!

١. نفس المصدر/ ١٢٠-١٢١، ح ٩٣.

٢. المصدر: لنأ أبط.

٣. المصدر: السنوات.

٤. العزالي: جمع العزلاء: مصب الماء من الراوية.

٥. أي فتحت أفواهها. وفي المصدر: «تفتّحت». أي أمتلأت.

٦. النهج/ ١٢٨، الخطبة ٩١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الارتقاق.

٨. أنوار التنزيل ٧١/٢.

٩. النور/ ٤٥.

وفي كتاب طب الأئمة عليهم السلام: عبدالله بن بسطام قال: حدثنا إسحاق^(١) بن إبراهيم، عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: حضرته يوماً، وقد شكأ إليه بعض إخواننا فقال: يا ابن رسول الله، إن أهلي يصيبهم كثيراً هذا الوجع الملعون.

قال: وما هو؟ قال: وجع الرأس.

قال: خذ قدحاً من ماء، وقرأ عليه: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون». ثم أشربه، فإنه لا يضره إن شاء الله تعالى.

وبإسناده^(٢) إلى حماد بن عيسى يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا اشتكى أحدكم وجع الفخذين، فليجلس في تور^(٣) كبير أو طشت في الماء المسخن. وليضع يده عليه، وليقرأ: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون». قال نسب كل شيء أفلا يؤمنون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قوله: «وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» قال: نسب كل شيء إلى الماء ولم ينسب الماء إلى غيره^(٥).

وفي تفسير العياشي^(٦): [عن سيف بن عميرة]^(٧) عن شيخ من أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كنّا عنده، فسأله شيخ فقال: لي وجع وأنا أشرب له النبيذ. ووصفه له الشيخ. فقال له: ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي؟! [قال: لا يوافقني، الحديث].

وفي مجمع البيان^(٩): وروى العياشي بإسناده^(١٠) عن الحسين بن علوان^(١١) قال:

١. أ، س، ع، م: ابن إسحاق.

٢. نفس المصدر/ ٣١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: طور.

٤. تفسير القمي ٧٠/٢.

٥. المصدر: ولم يجعل للماء نسباً إلى غيره.

٦. تفسير العياشي ٢٦٤/٢، ح ٤٥.

٧. من المصدر.

٨. من المصدر.

٩. المجمع ٤٥/٤.

١٠. ليس في م.

١١. ع و ن: عن الحسين بن محبوب، عن علوان.

سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ طَعْمِ الْمَاءِ. فَقَالَ لَهُ: سَلْ تَفْقَهَا، وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَنَّا. طَعْمُ الْمَاءِ طَعْمُ الْحَيَاةِ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ».

وفي قرب الإسناد ^(١) للحميري بإسناده إلى الحسين بن علوان، عن جعفر عليه السلام ^(٢) قال: كنت عنده جالساً، إذ جاءه رجل، فسأله عن طعم الماء. وكانوا يظنون أنه زنديق. فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضرب فيه ويصعد. ثم قال له: ويلك! طعم الماء طعم الحياة. إن الله تعالى يقول: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ».

وفي مصباح الشريعة ^(٣): قال الصادق عليه السلام: وقال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» ^(٤). فكما أحيى به كل شيء من نعيم الدنيا، كذلك بفضلِهِ ورحمته حياة القلوب والطاعات.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّ: ثَابِتَاتٍ. مِنْ رَسَا الشَّيْءِ: إِذَا ثَبِتَ.

﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾: كَرَاهَا أَنْ تَمِيلَ بِهِمْ وَتُضْطَرِبَ.

وقيل ^(٥): أَنْ لَا تَمِيدَ فَحَذَفَ «لَا» لِأَمْنِ اللَّبْسِ.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: لِلْأَرْضِ أَوِ الرُّوَاسِي.

﴿فَجَاجًا سُبُلًا﴾: مَسَالِكٌ وَاسِعَةٌ.

وَأَمَّا قَدَمُ «فَجَاجًا» وَهُوَ وَصْفٌ لَهُ، لِيَصِيرَ حَالًا، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حِينَ خَلَقَهَا كَذَلِكَ. أَوْ لِيَدُلَّ مِنْهَا «سُبُلًا» فَيَدُلُّ ضَمْنًا عَلَى أَنَّهُ خَلَقَهَا وَوَسَّعَهَا لِلْسَّابِلَةِ، مَعَ مَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّوَكُّيدِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ^(٦): إِلَى مَصَالِحِهِمْ.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا﴾: [عَنِ الْوُقُوعِ بِقُدْرَتِهِ، أَوِ الْفَسَادِ وَالْإِنْحِلَالِ إِلَى

الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ بِمَشِيئَتِهِ، أَوْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بِالشَّهْبِ.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبي جعفر.

١. قرب الإسناد/ ٥٥.

٤. في المصدرون بعدها: «أفلا يؤمنون».

٣. مصباح الشريعة/ ١٢٨- ١٢٩. باب ٦٠.

٦. أنوار التنزيل/ ٧١/٢.

٥. المصدر: جعل حياة.

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾: ^(١) الدالة أحوالها على وجود الصانع ووحدته، وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يُحَسَّ ببعضها ويُبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة، ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ^(٢): غير متفكرين.

وفي نهج البلاغة ^(٣): قال عليه السلام - بعد ذكره السماوات السبع: جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): [قوله: «وجعلنا السماء»] ^(٥) سقفاً محفوظاً. يعني من الشياطين؛ أي لا يسترقون السمع.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: بيان لبعض تلك الآيات.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾: أي واحد منهما. والتنوين بدل المضاف إليه. والمراد بالفلك الجنس؛ كقولهم: كساهم الأمير حلة.

﴿يَسْبَحُونَ﴾ ^(٦): يسرعون على سطح الفلك، إسراع السابح على سطح الماء.

وهو خبر «كل». والجملة حال من «الشمس والقمر». وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس ^(٧). والضمير لهما، وإنما جُمِعَ باعتبار المطالع، وجعل واو العقلاء، لأن السباحة فعلهم ^(٨).

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ^(٩): قيل ^(١٠): نزلت حين قالوا: «نترى به ريب المنون» ^(١١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١٢): إنه لما أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ بما يصيب أهل بيته بعده ﷺ وأدعاء من ادعى الخلافة دونهم، اغتم رسول الله ﷺ. فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

١. ليس في ن. ٢. النهج/٤١، الخطبة ١.

٣. تفسير القمي ٧٠/٢. ٤. ليس في ع ون.

٥. أي جاز جعل الجملة حالاً منهما فقط دون غيرهما مع اشتراكهما بين جميع الكواكب لعدم الالتباس والاشتباه في عدم اختصاصهما بهما، إذ من المعلوم أن الجملة ليست مخصوصة بهما.

٦. ليس في ع. ٧. أنوار التنزيل ٧٢/٢.

٨. الطور/٣٠. ٩. تفسير القمي ٧٠/٢.

والفاء لتعلق الشرط بما قبله. والهمزة لإنكاره^(١) بعد ما تقرّر ذلك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: ذائقة مرارة مفارقتها جسدها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): قال أمير المؤمنين عليه السلام يوماً، وقد تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال: كأن الموت فيها على غيرنا كُتِبَ! وكأن الحق فيها على غيرنا وجب! وكأن الذي نشيخ^(٣) من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون. ننزلهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلّدون بعدهم! قد نسينا كلّ واعظة، ورمينا بكلّ جائحة^(٤).

وفي تفسير العياشي^(٥): عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة، واستخفيت ذلك. قلت: لأسألن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي، فقلت: أخبرني عمّن قُتِلَ أمات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل.

قلت: ما أحد يُقْتَلُ إلّا وقد مات؟! فقال: قول الله أصدق من قولك. فرّق بينهما في القرآن فقال^(٦): «أفان مات أو قُتِلَ» وقال^(٧): «ولئن ممّت أو قُتِلْتُم لإلّٰى الله تُحْشَرُونَ». وليس كما قلت يا زرارة! الموت موت، والقتل قتل.

قلت: فإن الله يقول: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»؟ قال: من قتل، لم يذوق الموت. ثمّ قال: لا بدّ من أن يرجع حتّى يذوق الموت.

﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾: ونعاملكم معاملة المختبر.

﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾: بالبلايا والنعم.

﴿فِتْنَةً﴾: ابتلاء، مصدر من غير لفظه.

﴿وَاللّٰىنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٨): فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر.

١. أي لإنكار الخلود بعد ما تقرّر أن لا خلود لأحد ممّن قبلك فليس لأحد بعدك أيضاً خلود.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في المصدر. وفي س وم: نسمع. وفي سائر النسخ: تسمع.

٤. أي النازلة، الشدّة. وفي المصدر: حاججة. ٥. تفسير العياشي ٢٠٢/١، ح ١٦٠، ١١٢/٢، ح ١٣٩.

٦. آل عمران/١٤٤. ٧. آل عمران/١٥٨.

في مجمع البيان^(١): وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض. فعاده إخوانه فقالوا: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: بشر. قالوا: ما هذا كلام مثلك! قال: إِنَّ الله يقول: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة». فالخير: الصحة والغنى. والشر: المرض والفقر.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: ما يتخذونك إلا هزواً، ويقولون: «أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ»: أي بسوء.

وإنما أطلقه لدلالة الحال، فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء. و﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾: بالتوحيد. أو: بإرشاد الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمةً عليهم. أو: بالقرآن.

﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾: منكرون. فهم أحق بأن يهزأ بهم.

«وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص، ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر. ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾: كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْهُ، لفرط استعجاله وقلة تأنيه؛ كقولك: خُلِقَ زيد من الكرم. جعل^(٢) ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه، مبالغة في لزومه. ولذلك قيل: إِنَّهُ عَلَى الْقَلْبِ. ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد.

قيل^(٣): إِنَّهُ نَزَلَتْ فِي النَّصْرَيْنِ الْحَارِثِ، حين استعجل [العذاب]^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قال: لَمَّا أَجْرَى اللهُ فِي آدَمَ الرُّوحَ مِنْ قَدَمَيْهِ، فَبَلَغَتْ إِلَى رَكَبَتَيْهِ، أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلَمْ يَقْدِرْ. فقال الله ﷻ «خلق الإنسان من عجل».

وفي مجمع البيان^(٦): قيل في «عجل» ثلاث تأويلات، منها أَنَّ آدَمَ عليه السلام لَمَّا خُلِقَ وَجُعِلَتِ الرُّوحُ فِي أَكْثَرِ جَسَدِهِ، وَثَبَ عَجَلَانٌ مُبَادِرًا إِلَى ثَمَارِ الْجَنَّةِ.

١. المجمع ٤٦/٤.

٢. كذا في أنوار التنزيل ٧٢/٢. وفي النسخ: يجعل.

٣. نفس المصدر ٧٢/٢.

٤. من المصدر.

٥. تفسير القمي ٧١/٢.

٦. المجمع ٤٧/٤ - ٤٨.

وقيل ^(١): همّ بالوثوب. فهذا معنى قوله: «من عجل». وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾: نعماتي في الدنيا - كوقعة بدر - وفي الآخرة عذاب النار.
﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ ^(٢): بالإتيان بها.

والنهي عما جُبلت عليه نفوسهم، ليقعدوا بها عن مرادها.
وفي نهج البلاغة ^(٣): قال عليه السلام: إياك والعجلة بالأمر قبل أوانها. أو التسقّط ^(٤) فيها عند إمكانها. أو اللجاجة فيها إذا تنكرت. أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كلّ أمر موضعه. وأوقع كلّ أمر ^(٥) موقعه.

وفي كتاب الخصال ^(٥) عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مع الثبّت تكون السلامة. ومع العجلة تكون الندامة. ومن ابتدأ العمل في غير وقته، كان بلوغه في غير حينه.

وعن علي عليه السلام قال في كلام طويل ^(٦): لاتعاجلوا الأمر قبل بلوغه، فتندموا.
﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: وقت وعد العذاب، أو القيامة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٧): يعنون النبي عليه الصلاة والسلام، وأصحابه عليه السلام.
﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ^(٨): محذوف الجواب. و«حين» مفعول [به] «يعلم» ^(٩). أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم: «متى هذا الوعد» - وهو حين تحيط بهم النار من كلّ جانب، بحيث لا يقدرون على دفعها، ولا يجدون ناصراً يمنعها - لما تستعجلوا. ويجوز أن يُترك مفعول «يعلم» ويُضمر [حين] فعل. بمعنى: لو كان لهم علم لما

١. نفس المصدر ٤٨/.

٢. النهج ٤٤٤/، الكتاب ٥٣.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ. التساقط. وتسقّط في الخبر: إذا أخذه قليلاً. يريد به هنا التهاون.

٤. ع: عمل.

٥. الخصال ١٠٠/، ح ٥٢.

٦. نفس المصدر ٦٢٢/٢، من حديث أريعمانة.

٧. من أنوار التنزيل ٧٣/٢.

استعجلوا، يعلمون بطلان ما هم عليه، حين لا يكفون. وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير، للدلالة على ما أوجب لهم ذلك.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾: العدة أو النار أو الساعة.

﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، مصدر أو حال. وقرئ^(١) بفتح الغين.

﴿فَتَغْلِبُهُمْ﴾: فتغلبهم، أو تحيرهم.

وقرئ^(٢) الفعلان بالياء. والضمير للوعد أو الحين. وكذا الضمير في قوله:

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾: لأن الوعد بمعنى النار أو العدة، والحين بمعنى الساعة.

ويجوز أن يكون للنار أو للبغته.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾^(٣): ولا يُمهَلون. وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: تسلياً لرسول الله ﷺ.

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٤): وعد له بأن ما يفعلونه يحيق

بهم. كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ﷺ ما فعلوا. يعني جزاءه.

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ للمشركين:

﴿مَنْ يَكْلُوْكُمْ﴾: يحفظكم.

﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: من بأسه إن أراد بكم.

وفي لفظ «الرحمن» تنبيه على أن لا كالي غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلهته.

﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٥): لا يخطرونه ببالهم، فضلاً أن يخافوا بأسه،

حتى إذا كللوا منه، عرفوا الكائي وصلحوا للسؤال عنه.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾: بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا، أو

من عذاب يكون من عندنا.

والاضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب، فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء

بعيد، وعن المعتقد لنقيضه أبعد.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّنْ يُضْحَبُونَ﴾^(١٣): استئناف بإبطال ما اعتقدوه.

فإن ما لا يقدر على نصر نفسه، ولا يصحبه نصر من الله، كيف ينصر غيره؟!

﴿يَلْ مَثْنًا قُوزِيَّةً وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: إضراب عما توهموا، ببيان ما هو

الداعي إلى حفظهم. وهو الاستدراج والتمتع بما قدر لهم من الأعمار^(١). أو عن الدلالة

على بطلانه، ببيان ما أوهمهم ذلك. وهو أنه تعالى متعمهم بالحياة الدنيا، وأمهلهم حتى

طالت أعمارهم. فحسبوا أن لا يزالوا كذلك، وأنه بسبب ما هم عليه. فلذلك عقبه بما

يدل على أنه أمل كاذب، فقال:

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: قيل^(٢): أرض الكفرة.

﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: قيل^(٣): بتسليط المسلمين عليها. وهو تصوير لما يجربه الله

على أيدي المسلمين.

وفي مجمع البيان^(٤): وقيل: بموت العلماء، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

نقصانها ذهاب العلماء^(٥).

﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٦): رسول الله والمؤمنين.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾: بما أوحى إلي.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾: وقرأ^(٧) ابن عامر: «ولا تسمع» على خطاب النبي ﷺ.

وقرئ^(٨) بالياء، على أن فيه ضميره. وإنما سَمَّاهم الصم، ووضعه موضع

ضميرهم، للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون.

﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾^(٩): منصوب بـ «يسمع» أو بـ «الدعاء». والتقييد به، لأن الكلام في

الإنذار. أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم.

١. كذا في أنوار التنزيل ٧٣/٢. وفي النسخ: الأعمال.

٢. نفس المصدر والموضع. ٣. نفس المصدر/٧٣-٧٤.

٤. المجمع ٤٩/٤. ٥. المصدر: عالمها.

٦ و٧. أنوار التنزيل ٧٤/٢.

﴿وَلَيْتَن مَسْتُهُمْ نَفْحَةً﴾: أدنى شيء.

وفيه مبالغات: ذكر المس، وما في النفحة من معنى القلة، فإن أصل النفع: هبوب رائحة الشيء، والبناء^(١) الدال على المرة.

﴿مِنْ عَذَابٍ رِيَّكَ﴾: من الذي يندرون به.

﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٢): لدعوا على أنفسهم بالويل، واعترفوا عليها بالظلم.

﴿وَنَضْعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾: قيل^(٣): أي العدل، توزن بها صحائف الأعمال.

وقيل^(٤): وضع الموازين تمثيل لإرصاء الحساب السوي، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل. وإفراد القسط، لأنه مصدر وُصف به للمبالغة.

﴿لَيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: لجزاء يوم القيامة، أو لأهله، أو فيه، وكقولك: حيث لخمس خلون من الشهر.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥) بإسناده إلى هشام [بن سالم]^(٦) قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً». قال: هم الأنبياء والأصياء.

وفي أصول الكافي^(٧): عذة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن إبراهيم الهمداني، يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» قال: الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: من حقها^(٨) أو من الظلم.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: أي وإن كان العمل أو الظلم بقدر ثقل حبة.

١. كذا في أنوار التنزيل ٧٤/٢. وفي النسخ: والتاء.

٢. نفس المصدر والموضع. ٤. المعاني/ ٣١-٣٢، ح ١.

٥. من المصدر. ٦. الكافي ٤١٩/١، ح ٣٦.

٧. كذا في أنوار التنزيل ٧٤/٢. وفي النسخ: حقه.

ورفع ^(١) نافع «مثقال» على «كان» التامة.

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها.

وقرئ ^(٢): «أتينا» بالمدّ، وفي مجمع البيان ^(٣) عن الصادق عليه السلام أنه قرأها، بمعنى جازينا بها. من الإيتاء؛ فإنه قريب من أعطينا. أو من المؤاتاة، فإنهم أتوه بالعمل، وأتاهم ^(٤) بالجزاء. و«أتينا» من الثواب، و«جننا».

والضمير للمثقال. وتأتيه لإضافته إلى الحبة ^(٥).

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ^(٦): إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا.

وفي روضة الكافي ^(٧) عن علي بن الحسين عليه السلام في كلامه في الوعظ والزهد: ثم رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب، فقال عليه السلام: «ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين».

فإن قلتُم أيها الناس: «إن الله عليم بما تعملون» بهذا أهل الشرك فكيف ذلك وهو يقول: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»! ^(٨)

اعلموا - عباد الله - أن أهل الشرك لا تُنصب لهم الموازين ولا تُنشر لهم الدواوين، وإنما يُحشرون إلى جهنم زمراً. وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام. فاتقوا الله، عباد الله!

وفي كتاب التوحيد ^(٩) حديث طويل عن علي عليه السلام يقول فيه - وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات -: وأما قوله تبارك وتعالى: «ونضع الموازين القسط» فهو ميزان

١. أنوار التنزيل ٧٤/٢. ٢. المجمع ٥٠/٤.

٣. كذا في المصدر (أنوار التنزيل). وفي النسخ: أتاه.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الجنة. ٥. الكافي ٧٤/٨-٧٥، ح ٢٩.

٦. ع، أ، س: (الآية) بدل «ليوم القيامة... حاسبين».

٧. التوحيد ٢٦٨، ح ٥.

العدل، يؤخذ به الخلائق يوم القيامة. يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١) بإسناده إلى هشام [بن سالم]^(٢) قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة [فلا تظلم نفس شيئاً]» قال: هم الأنبياء والأوصياء.

وفي أصول الكافي^(٣): عذة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن إبراهيم الهمداني، يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة»^(٤) قال: الأنبياء والأوصياء عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥): أي الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الحق والباطل، و«ضياء» يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، و«ذكراً» يتعظ به المتقون، أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع. وقيل^(٦): الفرقان النصر.

وقيل^(٧): فلق البحر.

وقرئ^(٨): «ضياء» بغير واو، على أنه حال من القرآن.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: صفة للمتقين. أو مدح لهم. منصوب أو مرفوع.

﴿بِالْقَيْبِ﴾: حال من الفاعل أو المفعول.

﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾^(٩): خائفون.

وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾: يعني القرآن.

١. المعاني/٣١-٣٢، ح ١. أورد المصنف رحمه الله تعالى نص هذا الحديث والذي بعده، في تفسير «ونضع الموازين».

٢. من المصدر. والظاهر أن تكراره هنا من غلط النسخ.

٣. الكافي ١/٤١٩، ح ٣٦.

٤. ليس في أ.

٥-٧. أنوار التنزيل ٢/٧٤.

﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير خيره.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: على محمد ﷺ.

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٥): استفهام تقرير وتوبيخ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: الاهتداء لوجه الصالح.

وإضافته ليدل على أنه رشد مثله وأن^(١) له شأنًا.

وقرى^(٢): «رُشدَه» وهو لغة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾^(٣): قيل: «من قبل» موسى وهارون، أو محمد ﷺ.

وقيل^(٤): «من قبل» استنبائه، أو بلوغه؛ حيث قال: «إِنِّي وَجَّهْتُ»^(٥).

﴿وَكُنَّا بِهٖ عَالِمِينَ﴾^(٦): علمنا أنه أهل لما آتيناه، أو جامع لمحاسن الأوصاف

ومكارم الخصال.

وفيه إشارة إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة، وأنه عالم بالجزئيات.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾: متعلق بـ«آتيناه» أو بـ«رشدَه» أو بمحذوف. أي اذكر من

أوقات رشده وقت قوله:

﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(٧): تحقير لشأنها، وتوبيخ على إجلالها،

فإن التمثال^(٨) صورة لا روح فيها، لا تضر ولا تنفع. واللام للاختصاص لا للتعدية، فإن

تعدية العكوف بعلى. والمعنى: أنتم فاعلون العكوفة لها. ويجوز أن يؤول بعلى أو

يُضْمَنُ العكوف معنى العبادة.

وفي مجمع البيان^(٩): روى العياشي بالإسناد عن الأصم بن نباتة أن علياً عليه السلام

يقوم يلعبون بالشطرنج. فقال: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»؟!

١. كذا في أنوار التنزيل ٧٤/٢ وفي النسخ: أنه. ٢-٤. نفس المصدر والموضع.

٥. الأنعام/٧٩.

٦. كذا في أنوار التنزيل ٧٥/٢. وفي ع: التمثيل. وفي سائر النسخ: التماثيل.

٧. المجمع ٥٢/٤.

وفي عوالي اللثالي^(١): «وَأَنَّهُ عَلَيْهِ مَرْبُومٌ يَلْعَبُونَ بِالْشَطْرَنْجِ، فَقَالَ: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»؟! »

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾^(٢): فقلدناهم.

وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم^(٣) عليها.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤): منخرطون في سلك ضلال لا

يخفى على عاقل، لعدم استناد الفريقين إلى دليل وبرهان.

﴿قَالُوا اجِثْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾^(٥): كأنهم^(٦) لا استبعادهم تضليل آبائهم،

ظنوا أن ما قاله على وجه الملاعبة، فقالوا: أبجد تقوله، أم تلعب به؟

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: إضراب عن كونه لاعباً،

بإقامة البرهان على ما ادّعاه. و«هنّ» للسموات والأرض، أو للتماثيل. وهو أدخل في

تضليلهم والزام الحجة عليهم.

﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾: المذكور من التوحيد.

﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٧): من المتحققين له، والمبرهنين عليه، فإنّ الشاهد من تحقّق

الشيء وحققه.

﴿وَنَالَهُ﴾: وقرئ^(٨) بالباء، على الأصل. والتاء بدل من الواو المبدلة منها. وفيها

تعجب.

﴿لَا يَكِيدَنَّ أَصْنَامُكُمْ﴾: لأجتهدن في كسرها.

ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب، لصعوبة الأمر وتوقّفه على نوع من الحيل.

﴿يَعْدُ أَنْ تُولَّوْا مُذْبِرِينَ﴾^(٩): إلى عيدكم. ولعلّه قال ذلك سراً.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾: قطعاً. فُعال بمعنى مفعول؛ كالحطام. من الجذّ، وهو القطع.

٢. كذا في أنوار التنزيل ٧٥/٢. وفي النسخ: علمهم.

١. العوالي ٢٤٣/١، ج ١٦٦.

٤. أنوار التنزيل ٧٥/٢.

٣. ليس في س وأ.

وقرى^(١) بالكسر. وهو لغة، أو جمع جديد؛ كخفاف وخفيف.

وقرى^(٢) بالفتح، و«جذذاً» جمع جذيد، و«جذذاً» جمع جذة.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾: للأصنام. كسر غيره واستبقاه^(٣) وجعل الفأس على عنقه.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي^(٥): روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي^(٦) قال: إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأmir المؤمنين عليه السلام: فإن هذا إبراهيم جذاً أصنام قومه غضباً لله تعالى. قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمد صلى الله عليه وآله قد نكس عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً. ونفاها من جزيره العرب. وأذل من عبداها بالسيف. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾^(٧): لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه، لتفرده واشتغاره بعداوة آلهتهم ليحاجهم بقوله: «بل فعله كبيرهم» فيحجهم. أو لأنهم يرجعون إلى الكبير ويسألونه عن كاسرها - إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد - فيكتمهم بذلك. أو إلى الله، أي يرجعون إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم.

﴿قَالُوا﴾: حين رجعوا:

﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٨): بجرأته على الآلهة الحقيقة بالإعظام.

أو: بإفراطه في حطمها. أو: بتوريط نفسه للهلاك.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: يعييبهم، ولعله فعله.

و«يذكر» ثاني مفعولي سمع، أو صفة لـ«فتى» يصححه لأن يتعلق به السمع. وهو أبلغ في نسبة الذكر إليه.

﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٩): هو إبراهيم^(١٠). ويجوز رفعه بالفعل، لأن المراد به الاسم.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. كذا في أنوار التنزيل ٧٥/٢. وفي النسخ: استبقاه.

٤. الاحتجاج/٢١٤.

٥. أي رفع إبراهيم لأنه خبر محذوف؛ تقديره: هو إبراهيم.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليه السلام مع هارون الرشيد ومع موسى بن المهدي، حديث طويل، وفيه قال عليه السلام لما قال له هارون: كيف تكونون ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم أولاد ابنته؟ بعد ما نقل عليه السلام آية المباهلة، واحتج بها على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد، إن هذه لهي المواساة^(٢) من علي، قال: لأنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله. ثم قال: لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذوالفقار^(٣). فكان كما مدح الله صلى الله عليه وآله به خليله عليه السلام إذ يقول: «فتى يذكروهم يقال له إبراهيم» إنا - معشر بني عمك - نفتخر بقول جبرئيل أنه منا.

﴿قَالُوا فَاتَّبَا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: بمرأى منهم، بحيث تتمكن صورته في أعينهم، تمكن الراكب على المركوب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾^(٤): بفعله أو قوله. يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْئَةِ يَا إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥): حين أحضره.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٦): قيل^(٧): أسند الفعل إليه

تجوزاً؛ لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له، تسبب لمباشرته إيائه. أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي. كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبه بخط رشيق: أنت كتبه؟ فقلت: بل كتبه أنت! أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه.

وقيل^(٨): أسند إلى ضمير «فتى» أو «إبراهيم». وقوله «كبيرهم هذا» مبتدأ وخبر، ولذلك وقف على فعله. وما روي أنه عليه السلام قال: «لإبراهيم ثلاث كذبات» تسمية للمعارض كذباً، لما شابها صورته صورته. والأحسن أنه في المعنى متعلق بقوله: «إن كانوا ينطقون» وما بينهما اعتراض.

٢. كذا في نور الثقلين ٤٣٣/٣، ح ٨٣. وفي النسخ: فقد.

٤. المصدر: لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي.

٦. نفس المصدر والموضع.

١. العيون ٦٩/١ - ٧٠، ح ٩.

٣. س، م: المؤاخاة.

٥. أنوار التنزيل ٧٦/٢.

روي^(١) عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ، فَكَبِيرُهُمْ فَعَلَ. وَإِنْ لَمْ يَنْطَقُوا، فَلَمْ يَفْعَلْ كَبِيرُهُمْ شَيْئاً. فَمَا نَطَقُوا، وَمَا كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ. وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٢): قَالَ: فَلَمَّا نَهَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ، فَلَمْ يَنْتَهَوْا. فَحَضَرَ عِيدَ لَهُمْ. فَخَرَجَ نَمْرُودُ وَجَمِيعُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَى عِيدِهِمْ، وَكَرِهَ أَنْ يَخْرُجَ إِبْرَاهِيمُ مَعَهُ. فَوَكَّلَهُ بَيْتَ الْأَصْنَامِ.

فَلَمَّا ذَهَبُوا، عَمِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طَعَامٍ، فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ أَصْنَامِهِمْ. فَكَانَ يَدْنُو مِنْ صَنْمٍ وَيَقُولُ لَهُ: كُلْ وَتَكَلَّمْ. فَإِذَا لَمْ يَجِبْهُ، أَخَذَ الْقَدُومَ، فَكَسَرَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ. حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِجَمِيعِ الْأَصْنَامِ. ثُمَّ عَلَّقَ الْقَدُومَ فِي عُنُقِ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ الَّذِي كَانَ فِي الصُّدُرِ.

فَلَمَّا رَجَعَ الْمَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعِيدِ، نَظَرُوا إِلَى الْأَصْنَامِ مَكْسُورَةً. فَقَالُوا: «مَنْ فَعَلَ هَذَا بِأَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» «قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» وَهُوَ ابْنُ أَزَرَ. فَجَاؤُوا بِهِ إِلَى نَمْرُودَ، فَقَالَ نَمْرُودُ لِأَزَرَ: خُتْنَتِي وَكُتْمَتُ هَذَا الْوَلَدِ عَنِّي! فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَذَا عَمَلُ أُمَّهُ. وَذَكَرْتُ أَنَّهَا تَقُومُ^(٣) بِحُجَّتِهِ.

فَدَعَا نَمْرُودُ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا كُتِمْتَ أَمْرَ هَذَا الْغُلَامِ، حَتَّى فَعَلَ بِأَلِهَتِنَا مَا فَعَلَ؟!^(٤) فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، نَظَرْتُ مَنِّي لِرَعِيَّتِكَ. قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟! قَالَ: رَأَيْتُكَ تَقْتُلُ أَوْلَادَ رَعِيَّتِكَ، فَكَانَ يَذْهَبُ النَّسْلُ. فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَطْلُبُهُ، دَفَعْتَهُ إِلَيْكَ، لَتَقْتُلَهُ وَتَكْفَ عَنْ قَتْلِ أَوْلَادِ النَّاسِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، بَقِيَ لَنَا وَلَدُنَا. وَقَدْ ظَفَرْتُ بِهِ، فَشَأْنُكَ. فَكَفَّ عَنْ أَوْلَادِ النَّاسِ، وَصَوَّبَ^(٥) رَأْيَهَا.

ثُمَّ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِأَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ».

فَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ مَا فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ [وَمَا كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ]^(٦). فَقِيلَ: فَكَيْفَ ذَلِكَ؟

١. تفسیر القمی ٧٢/٢.

٢. نفس المصدر / ٧١-٧٢.

٣. المصدر: وَذَكَرْتُ أَنِّي أَنْتَقِمُ.

٤. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ، وَفِي النُّسخِ. فَعَلَهُ.

٥. فِي الْمَصْدَرِ: فَصَوَّبَ.

٦. لَيْسَ فِي ن.

فقال: إِنَّمَا قال: فعله كبيرهم هذا، إن نطق. وإن لم ينطق، فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً. وفي كتاب معاني الأخبار^(١) بإسناده إلى صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ في قصة إبراهيم عليه السلام: «قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون». قال: ما فعله كبيرهم، وما كذب إبراهيم عليه السلام. فقلت: فكيف ذاك؟ قال: إِنَّمَا قال إبراهيم: فاسألوهم؛ إن كانوا ينطقون، فكبيرهم فعل. وإن لم ينطقوا، فلم يفعل كبيرهم شيئاً. فما نطقوا، وما كذب إبراهيم عليه السلام. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن الحسن الصيقل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إِنَّا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف^(٣): «أَيُّهَا الْعَبْرَانِ كُنْ لَكُمْ لِسَارِقُونَ»، فقال: والله ما سرقوا، وما كذب. وقال إبراهيم: «بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون». فقال: والله ما فعلوا، وما كذب.

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما عندكم فيها يا صيقل؟ قلت: ما عندنا فيها إلا التسليم! قال: فقال: إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ اثْنَيْنِ، وَأَبْغَضُ اثْنَيْنِ. أَحَبُّ الْخَطَرِ^(٤) فِيمَا بَيْنَ الصَّفَيْنِ. وَأَحَبُّ الْكَذْبِ فِي الْإِصْلَاحِ. وَأَبْغَضُ الْخَطَرِ فِي الطَّرَقَاتِ. وَأَبْغَضُ الْكَذْبِ فِي غَيْرِ الْإِصْلَاحِ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِنَّمَا قال: «بل فعله كبيرهم هذا» إرادة الإصلاح، ودلالة على أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ. وقال يوسف إرادة الإصلاح.

أبو علي الأشعري^(٥)، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحجاج، عن ثعلبة، عن معمر بن عمر^(٦)، عن عطاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا كذب على

٢. الكافي ١/٢-٣٤٢، ح ١٧.

٤. أي المتبخر.

٦. المصدر: عمرو.

١. المعاني ١/٢-٣٤٢، ح ١٧.

٣. يوسف/٧٠.

٥. نفس المصدر/٣٤٣، ح ٢٢.

مصلح. ثم تلا^(١): «أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ». ثم قال: والله ما سرقوا، وما كذب. ثم تلا: «بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه إن كانوا ينطقون». ثم قال: والله ما فعلوه، وما كذب. محمد بن يحيى^(٢)، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن أبي يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين الناس.

وفي روضة الكافي^(٣): الحسين بن محمد الأشعري، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير قال: قيل لأبي جعفر عليه السلام: إن سالم بن أبي حفصة وأصحابه، يروون عنك أنك تكلم على سبعين وجهاً لك منها المخرج! فقال: ما يريد سالم مني. أريد^(٤) أن أجيء بالملائكة؟! والله، ما جاءت بهذا النبيان! ولقد قال إبراهيم عليه السلام: «بل فعله كبيرهم هذا». وما فعله، وما كذب.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: راجعوا عقولهم.

﴿فَقَالُوا﴾: فقال بعضهم لبعض:

﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾^(٥): بهذا السؤال وبعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع، لا من ظلمتموه بقولكم: «إنه لمن الظالمين».

﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾: انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة.

شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه.

وقرئ^(٥): «نَكِسُوا» بالتشديد، و«نكسوا» أي نكسوا أنفسهم.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾^(٦): فكيف تأمر بسؤالها.

وهو على إرادة القول. أي قائلين مخاطباً لإبراهيم.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾^(٧): إنكار لعبادتهم لها،

١. يوسف/٧٠.

٢. نفس المصدر/٣٤١، ح ١٦.

٣. الكافي ١٠٠/٨، ح ٧٠.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: «أريد» بدل «أريد».

٥. أنوار التنزيل ٧٦٢.

بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر، فإنه ينافي الألوهية.

﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين.
و«أف» صوت المتضجر. ومعناه: قبحاً ونتاجاً. واللام لبيان المتأفف^(١) له.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢): قبح صنيعكم!؟

﴿قَالُوا﴾: لما عجزوا عن المحاجة، أخذاً^(٣) في المضارة:

﴿حَرَقُوهُ﴾: فإن النار أهول ما يعاقب به.

﴿وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾: بالانتقام لها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٤): إن كنتم ناصرها، نصرأ مؤزراً.

قيل^(٥): القاتل رجل من أكراد فارس اسمه «هيون»^(٦) خُصِفَ به الأرض.
وقيل^(٧): نمرود.

وقيل^(٨): فجمعوا الحطب حتى أن الرجل يمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله، فيشتري به حطب. وحتى أن المرأة لتغزل فتشتري به حطباً. حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا. فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام في النار، لم يدروا كيف يلقونه! فجاء إبليس، فدلهم على المنجنيق. وهو أول منجنيق صُنعت. فوضعه فيها، ثم رموه.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾^(٩): ذات برد وسلام. أي أبردي برداً غير ضار.

قيل^(١٠): وفيه مبالغات: جعل النار المسخرة^(١١) لقدرته مأمورة مطيعة. وإقامة «كوني ذات برد» مقام «ابردي». ثم حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه.
وقيل^(١٢): نصب «سلاماً» بفعله. أي وسلمنا سلاماً عليه.

١. كذا في أنوار التنزيل ٧٧٢. وفي النسخ: المستأنف.

٢. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: أخذوا. ٣. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: هيون. ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. مجمع البيان ٥٤/٤. ٧. يوجد في م ون بعدها: على إبراهيم.

٨. أنوار التنزيل ٧٧٢. ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: المضجرة.

١٠. نفس المصدر والموضع.

قيل ^(١): وكانت النار بحالها، لكنّه تعالى دفع عنه أذاها، كما [ترى] ^(٢) في السمندر ^(٣). ويشعر به قوله:

﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ^(٤) وفي الحديث الآتي ما ينافيه:

وفي كتاب الاحتجاج ^(٥) عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن إبراهيم لما ألقى في النار، قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، لما أنجيتني منها ^(٦). فجعلها الله برداً وسلاماً.

وفي كتاب المناقب ^(٧) لابن شهر آشوب: وفي حديث أبي حمزة الثمالي أنّه دخل عبدالله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال: يا ابن الحسين، أنت الذي تقول: إنّ يونس بن مَتَّى إنّما لقي من الحوت ما لقي، لأنّه عُرِضَتْ عليه ولاية جدّي، فتوقّف عندها؟! قال: بلى، ثكلتك أمك!

قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين. فأمر بشدّ عينيه ^(٨) بعصاة، وعينَي بعصاة. ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا. فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه.

فقال ابن عمر: يا سيّدي، ذمّتي ^(٩) في رقبتك. الله [الله] ^(١٠) في نفسي! فقال ^(١١): هيه ^(١٢) وأريه ^(١٣) إن كنت من الصادقين. ثمّ قال: يا أيّتها ^(١٤) الحوت!

قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم، وهو يقول: ليّيك، ليّيك، يا

١. نفس المصدر والموضع. ٢. من المصدر.

٣. المصدر: السمندر. وهو طائر بالهند لا يحترق بالنار فيما زعموا. وقيل: نسيج من ريش بعض الطيور.

٤. الاحتجاج/ ٤٧-٤٨. ٥. المصدر: «أمتني» بدل «أنجيتني منها».

٦. المناقب/ ١٣٨-١٣٩. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عينه.

٨. المصدر ون: دمي. ٩. من المصدر.

١٠. ليس في ن.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: هنيئة. وهيه كلمة استزادة من الكلام.

١٢. هكذا في المصدر والنسخ. وسيأتي الحديث بتمامه ذيل الآية ٨٧ من نفس السورة، وفيه: أريته.

١٣. هكذا في المصدر والنسخ. وفي نصّ الحديث الآتي مذكور: أيّها.

ولبي الله. فقال: من أنت؟ قال: [أنا]^(١) حوت يونس يا سيدي. قال: أنبئنا بالخبر.
قال: يا سيدي، إن الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمد ﷺ إلا
وقد عُرِضَ عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء، سلم وتخلص. ومن
توقّف عنها، وتعتع في حملها، لقي ما لقي آدم من المعصية^(٢)، وما لقي نوح من
الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجبّ، وما لقي أيوب من البلاء،
وما لقي داود من الخطيئة؛ إلى أن بعث الله يونس، فأوحى الله إليه أن يا يونس، تولّ
أمير المؤمنين، إلى آخر الحديث.

وفي عيون الأخبار^(٣) عن الرضا عليه السلام حديث طويل، وفيه قال عليه السلام: وإن إبراهيم عليه السلام
لَمَّا وُضِعَ فِي [كَفَّة] ^(٤) المنجنيق، غضب جبرئيل عليه السلام. فأوحى الله تعالى إليه: ما
يغضبك يا جبرئيل؟ فقال: [يا ربّ] ^(٥) خليلك، ليس من يعبدك على وجه الأرض
غيره، سلّطت عليه عدوك وعدوه. فأوحى الله ﷻ إليه: اسكت! إنما يعجل الذي ^(٦)
يخاف القوت مثلك. فأما أنا؛ فإنه عبدي، أخذه إذا شئت.

قال: فطابت نفس جبرئيل. فالتفت إلى إبراهيم عليه السلام فقال: هل لك من حاجة؟ قال:
أما إليك، فلا؟

فأهبط الله ﷻ عندها ^(٧) خاتماً فيه ستّة أحرف: «لا إله إلا الله. محمد رسول الله. لا
حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. فوّضت أمري إلى الله. أَسَدَت ظهري إلى الله.
حسبي الله». فأوحى الله ﷻ إليه أن تختم بهذا الخاتم، فإنّي أجعل النار عليك برداً
وسلاماً.

وفي كتاب الخصال^(٨) عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام
مثله سواء.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: المعصية.

٤. من المصدر.

٦. المصدر: يعجل العبد الذي.

٨. الخصال/٣٣٥، ح ٣٦.

١. من المصدر.

٣. العيون ٥٦-٥٥/٢، ح ٢٠٦.

٥. من المصدر.

٧. المصدر: عنده.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، حديث طويل، وفيه: فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير^(٢) منه وثقله، وأي أربعاء هو؟ فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر، وهو المحاق. وفيه قتل قابيل هابيل [أخاه]^(٣) ويوم الأربعاء ألقى إبراهيم في النار. ويوم الأربعاء وضعوه في المنجيق.

وفي كتاب الخصال^(٤): عن داود بن كثير [الرقبي]^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام: إن رسول الله ﷺ نهى عن قتل ستة: النحلة، والنملة، والضفدع، والصرذ، والهدهد، والخطاف، إلى أن قال: وأما الضفدع، فإنه لما أضرمت^(٦) النار على إبراهيم عليه السلام شكت هوام الأرض إلى الله تعالى واستأذنته أن تصب عليها الماء. فلم يأذن الله لشيء منها إلا الضفدع. فاحترق ثلثاه^(٧) وبقي الثلث. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب كمال الدين وتعام النعمة^(٨) بإسناده إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل يذكر فيه القائم عليه السلام، وفيه: إذا نشر راية رسول الله ﷺ انحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثة عشر ملكاً كلهم ينتظر^(٩) القائم عليه السلام. وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم^(١٠) حيث ألقى في النار.

وإسناده^(١١) إلى مفصل بن عمر، أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: أتدري [ماكان]^(١٢) قميص يوسف عليه السلام؟ قال: قلت: لا. قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار، نزل إليه جبرئيل عليه السلام بالقميص^(١٣)، وألبسه إياه. فلم يضره معه حر ولا برد. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

١. العيون ١/١٩٣، ح ١.

٢. المصدر: وتطيرنا.

٣. من المصدر.

٤. الخصال/٣٢٧، ح ١٨.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أضربت.

٦. كمال الدين/٦٧٢، ح ٢٢.

٧. المصدر: فاحترق منه الثلثان.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ينظرون.

٩. نفس المصدر/٤٤٢، ح ١٠.

١٠. ليس في م.

١١. المصدر: بثوب من ثياب الجنة.

وفي مجمع البيان^(١): وروى الواحدي بالإسناد مرفوعاً إلى أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: [٧] «إِنْ نَمَرُودُ الْجَبَّارُ لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ، نَزَلَ إِلَيْهِ جَبْرِئِيلُ بِقَمِيصٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَطَنْفَسَةٍ^(٢) مِنَ الْجَنَّةِ. فَأَلْبَسَهُ الْقَمِيصَ، وَأَقْعَدَهُ عَلَى الطَنْفَسَةِ. وَقَعَدَ مَعَهُ يَحْدُثُهُ.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣) بإسناده إلى عبد الله بن هلال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي النَّارِ، تَلَقَّاهُ جَبْرِئِيلُ عليه السلام فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ يَهْوِي. فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ، فَلَا!

وبإسناده^(٤) إلى محمد بن أورمة، عن الحسن بن علي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ، أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهَا: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَشَنْ أَدَيْتَهُ، لِأَعَذَّبَنكَ.

وقال: لَمَّا قَالَ اللَّهُ ﷻ: «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» مَا انْتَفَعَ أَحَدٌ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَمَا سَخَنَتْ مَاءٌ هُمْ.

وفي أصول الكافي^(٥): إسحاق، قال: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ ظَرِيفٍ، قَالَ: اخْتَلَجَ فِي صَدْرِي مَسْأَلَتَانِ أَرَدْتُ الْكِتَابَ فِيهَا إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ. فَكَتَبْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْقَائِمِ إِذَا قَامَ بِمَا يَقْضِي، وَأَيْنَ مَجْلِسُهُ الَّذِي يَقْضِي فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ وَلَحْمِي الرَّبِيعَ. فَأَغْفَلْتُ خَيْرَ الْحَمَى. فَجَاءَ الْجَوَابُ: سَأَلْتُ عَنِ الْقَائِمِ؛ فَإِذَا قَامَ، قَضَى بَيْنَ النَّاسِ بِعِلْمِهِ، كَقَضَاءِ دَاوُدَ عليه السلام لَا يَسْأَلُ الْبَيِّنَةَ. وَكَنتُ^(٦) أَرَدْتُ أَنْ تَسْأَلَ الرَّبِيعَ، فَأَنْسَيْتُ. فَارْتَدْتُ فِي رَفْقَةٍ، وَعَلَّقَهُ عَلَى الْمَحْمُومِ؛ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ: «يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ». فَعَلَقْنَا عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام فَأَفَاقَ.

٢. من المصدر.

١. المجمع ٥٥/٤.

٤. الملل ٣٧، ح ٦.

٣. الطنفسة: البساط.

٦. الكافي ٥٠٩/١، ح ١٣.

٥. نفس المصدر، ح ٧.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: كتب.

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي، عن النبي ﷺ حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: قولنا إن إبراهيم خليل الله، فإنما هو مشتق من الخلّة، والخلّة إنّما معناها: الفقر والفاقة. وقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً، وإليه منقطعاً. وعن غيره متعقفاً معرضاً مستغنياً.

وذلك لما أريد قذفه في النار، فرمي به في المنجنيق، فبعث الله ﷻ إلى جبرئيل وقال له: أدرك عبدي. فجاءه، فلقبه في الهواء. فقال له: كلّفني ما بدا لك. فقد بعثني الله لنصرتك. فقال [إبراهيم]^(٢): حسبي الله ونعم الوكيل. إنّي لا أسأل غيره. ولا حاجة لي إلّا إليه. فسَمّي^(٣) خليله، أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمّن سواه.

وعن معمر بن راشد^(٤) قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: إنّ إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار، قال: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، لما أنجيتني منها^(٥). فجعلها [الله عليه]^(٦) برداً وسلاماً. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وروي^(٧) عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إنّ يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأُمير المؤمنين عليه السلام: فإنّ إبراهيم عليه السلام قد أسلمه قومه إلى^(٨) الحريق، فصبر. فجعل الله ﷻ النار عليه برداً وسلاماً. فهل فعل بمحمّد ﷺ شيئاً من ذلك؟

قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمّد ﷺ لما نزل بخبير، سمّته الخبيريّة. فصيّر الله السمّ في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله. فالسمّ يحرق إذا استقرّ في الجوف، كما أنّ النار تحرق. فهذا من قدرته لا تنكره.

-
١. الاحتجاج/٢٤.
 ٢. من المصدر.
 ٣. المصدر: فسّاه.
 ٤. نفس المصدر/٤٧-٤٨.
 ٥. المصدر: «أمتني» بدل «أنجيتني منها».
 ٦. ليس في المصدر.
 ٧. نفس المصدر/٢١٤.
 ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: على.

وفي روضة الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم صلى الله عليه وآله قومه، وعاب آلهم، إلى قوله: فلما تولوا عنه مدبرين إلى عيد لهم، دخل إبراهيم صلى الله عليه وآله عليه إلى آلهم بقدوم. فكسرها إلا كبيراً لهم، ووضع القدوم في عنقه. فرجعوا إلى آلهم، فنظروا إلى ما صنع^(٢) بها. فقالوا: والله، ما اجتراً عليها ولا كسرها إلا الفتى الذي كان يعيها ويبرأ منها. فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار.

فجمع له الحطب، واستجاده. حتى إذا كان اليوم الذي^(٣) يحرق فيه، برز له نمرود وجنوده، وقد بُني له بناء لينظر إليه كيف تأخذه النار.

ووضع إبراهيم عليه السلام في منجنيق، وقالت الأرض: يا رب، ليس على ظهري أحد يعبدك غيره. يحرق بالنار؟! قال الرب: إن دعاني، كفيته.

فذكر أبان، عن محمد بن مروان، عن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام أن دعاء إبراهيم صلى الله عليه وآله عليه يومئذ كان: يا أحد، يا أحد، يا صمد [يا صمد]^(٤) يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم قال: توكلت على الله. فقال الرب تبارك وتعالى: كفيته. فقال للنار «كوني برداً».

قال: فاضطربت أسنان إبراهيم صلى الله عليه وآله عليه من البرد، حتى قال الله تعالى: «وسلاماً على إبراهيم». وانحط جبرئيل عليه السلام فإذا هو جالس^(٥) مع إبراهيم صلى الله عليه وآله عليه عليه يحدثه في النار.

قال نمرود: من اتخذ إلهاً، فليتخذ مثل إله إبراهيم عليه السلام.

قال: فقال عظيم من عظمائهم: إني عزمت على النار أن لا تحرقه. فأخذ عنق من النار نحوه، حتى أحرقه.

١. الكافي ٣٦٩/٨-٣٧٠، ح ٥٥٩.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: صنعوا.

٣. ليس في س وأ.

٤. ليس في أ.

٥. كذا في المصدر. وفي م ون: يجالس. وفي غيرهما: يجالس.

قال: فآمن له لوط، فخرج مهاجراً إلى الشام هو وسارة ولوط.

علي بن إبراهيم^(١)، عن أبيه؛ وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم لما كسر أصنام نمرود، [أمر به نمرود]^(٢) فأوثق. وعمل له حيراً^(٣)، وجمع له فيه الحطب، وألهب فيه النار. ثم قذف إبراهيم صلى الله عليه في النار لتحرقه. ثم اعتزلوها حتى خمدت النار. ثم أشرفوا على الحير^(٤) فإذا هم بإبراهيم سليماً مطلقاً من وثاقه.

فأخبر نمرود خبره. فأمرهم أن ينفوا إبراهيم من بلاده، وأن يمنعوهم من الخروج بماشيته وماله. فحاجهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي، فإن حقي عليكم أن تردوا علي ما ذهب عمري في بلادكم.

واختصموا إلى قاضي نمرود. ف قضى على إبراهيم أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم. وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم ما ذهب من عمره في بلادهم.

فأخبر بذلك نمرود. فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله، وأن يخرجوه. وقال: إنه إن بقي في بلادكم، أفسد دينكم، وأضر بالهتكم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: مكرأ في إضراره.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾^(٥): أخسر من كل خاسر، لما عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق، وموجباً لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب. ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٦): أي من العراق إلى الشام.

١. نفس المصدر/ ٣٧١، ح ٥٦٠. ٢. لا يوجد في س وأ.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: جيراً. والحير: شبه الحظيرة.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الجير.

وبركانه العامة أن أكثر الأنبياء بُعثوا فيه، فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية.

وقيل ^(١): كثرة النعم، والخصب الغالب.

وفي الحديث السابق المنقول عن تفسير علي بن إبراهيم ^(٢) متصلاً بقوله: وإن ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً: فاستشار [نمرود] ^(٣) قومه في إبراهيم. فقالوا: «حرّقه وانصروا آلهم إن كنتم فاعلين».

فقال الصادق عليه السلام: كان فرعون إبراهيم لغير رشده، وأصحابه لغير رشدهم. فإنهم قالوا لنمرود: «حرّقه وانصروا آلهم إن كنتم فاعلين». وكان فرعون ^(٤) موسى وأصحابه لرشدهم ^(٥). فإنه لما استشار أصحابه في موسى عليه السلام قالوا: «أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر ^(٦) عليهم» ^(٧).

فحبس إبراهيم عليه السلام وجمع له الحطب، حتى إذا كان اليوم الذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار، برز نمرود وجنوده، وقد كان بُني لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم عليه السلام كيف تأخذه النار. فجاء إبليس، واتخذ لهم المنجنيق. لأنه لم يقدر أحد أن يتقارب من تلك النار [عن غلوة سهم، وكان الطائر من مسيرة فرسخ يرجع عنها (فلا يستطيع) أن يتقارب من النار] ^(٨) وكان الطائر إذا مرّ في الهواء يحترق.

فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق. وجاء أبوه، فلطمه لطمه وقال له: ارجع عما أنت عليه!

وأَنزل الربّ تبارك وتعالى ملائكة إلى السماء الدنيا. ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربّه. وقالت الأرض: يا ربّ، ليس على ظهري من يعبدك غيره، فيحرق! وقالت الملائكة:

٢. تفسير القمّي ٧٢/٢-٧٣.

٤. ليس في المصدر.

٦. كذا في المصدر، وفي النسخ: سخار.

٨. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٧٧/٢.

٣. من المصدر.

٥. المصدر: رشده.

٧. الأعراف ١١١.

[يا رب] ^(١) خليلك إبراهيم يُحرق! فقال الله ﷻ: أما إنه إن دعاني، كفيته.

وقال جبرئيل ﷺ: يا رب خليلك إبراهيم - ليس في الأرض أحد يعبدك غيره -

أما - يا رب - حقه بالناموس قال: أو كذا - الناموس - هذا عبدك - خاف،

أي غنم نفشت في زرع، فليس لصاحب الزرع إلا ما خرج من بطونها.
وكذلك جرت السنة بعد سليمان عليه السلام. وهو قول الله تعالى: «وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا». فحكم كل واحد منهما بحكم الله تعالى.

محمد بن يحيى^(١)، عن محمد بن الحسين، عن يزيد بن إسحاق، عن هارون بن حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن البقر والإبل والغنم، تكون في الرعي فتفسد شيئاً، هل عليها ضمان؟ فقال: إن أفسدت نهاراً، فليس عليها ضمان، من أجل أن أصحابه يحفظونه. وإن أفسدت ليلاً، فإنه عليها ضمان.

وفي أصول الكافي^(٢): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن محمد^(٣)، عن بكر^(٤) بن صالح، عن محمد بن سليمان، عن عيشم^(٥) بن أسلم، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الإمامة عهد من الله تعالى معهود لرجال مسلمين، ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده.

إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن اتخذ وصياً من أهلك، فإنه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبياً إلا وله وصي من أهله. وكان لداود عليه السلام [أولاد عدة، وفيهم غلام كانت أمه عند داود، وكان لها محباً. فدخل داود عليه السلام عليها، حين أتاه الوحي، فقال]^(٦) لها: إن الله تعالى أوحى إليّ يأمرني أن اتخذ وصياً من أهلي. فقالت له امرأته. فليكن ابني. قال: ذلك أريد.

وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنه سليمان. فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن لاتعجل دون أن يأتيك أمري. فلم يلبث داود أن ورد عليه رجلان يختصمان

١. نفس المصدر ٣٠١/١، ح ١. ٢. الكافي ٢٧٨/١، ح ٣.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «محمد بن جمهور، عن حماد بن عيسى، عن منهال» بدل «علي بن محمد».

٤. كذا في المصدر وجامع الرواة ١٢٧/١. وفي م: عمرو. وفي غيرها: عمر.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٦٤٨/١. وفي م: عثمان. وفي غيرها: عثيم.

٦. ليس في م.

في الغنم والكرم. فأوحى الله ﷻ إلى داود أن اجمع ولدك. فمن قضى بهذه القضية فأصاب، فهو وصيك من بعدك.

فجمع داود عليه السلام ولده. فلما أن قص^(١) الخصمان، قال سليمان عليه السلام: يا صاحب الكرم، متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلاً. قال: قد قضيت عليك - يا صاحب الغنم - بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا.

ثم قال له داود: فكيف لم تقض برقاب الغنم، وقد قوم ذلك علماء بني إسرائيل، فكان^(٢) ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان: إن الكرم لم يُجَنَّتْ من أصله، وإنما أكل حملة، وهو عائد في قابل.

فأوحى الله ﷻ إلى داود: إن القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به. يا داود، أردت أمراً، وأردنا أمراً غيره. فدخل داود على امرأته فقال: أردنا أمراً، وأراد الله أمراً غيره. ولم يكن إلّا ما أراد الله ﷻ. فقد رضي بنا أمر الله ﷻ وسلّمنا.

وكذلك الأوصياء عليه السلام ليس لهم أن يتعدوا بهذا الأمر، فيجاوزون صاحبه إلى غيره. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): حدّثني أبي، عن عبد الله بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل له كرم^(٤). ونفشت فيه غنم آخر^(٥) بالليل وقصمته^(٦). وأفسدته. فجاء صاحب الكرم إلى داود، فاستعدى على صاحب الغنم. فقال داود عليه السلام: اذهب إلي سليمان عليه السلام ليحكم بينكما.

فذهب إليه، فقال سليمان عليه السلام: إن كان الغنم أكلت الأضل والفرع، فعلى صاحب الغنم أن يدفع إلى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها. وإن كانت ذهبت بالفرع، ولم

١. كذا في المصدر. وفي ع: «أريص» بدل «أن قص». وفي غيرها: «انقص».

٢. المصدر: وكان. ٣. تفسير القمي ٧٤/٢-٧٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: وكان له كرم.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «الغنم» بدل «غنم رجل آخر».

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: قصمته.

تذهب بالأصل، فإنه يدفع ولدها إلى صاحب الكرم.

وكان هذا حكم داود، وإنما أراد أن يعرف بني إسرائيل أن سليمان وصيه بعده، ولم يختلفا في الحكم. ولو اختلف حكمهما، لقال: كنّا لحكمهما شاهدين.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١): روى جميل بن درّاج، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم» قال: لم يحكما. إنما كانا يتناظران، ففهمها سليمان.

وروى الوشاء^(٢)، عن أحمد بن عمر الحلبي قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث». قال: كان حكم داود عليه السلام رقاب الغنم. والذي فهم الله ﷻ سليمان أن الحكم لصاحب الحرث باللبن والصوف ذلك العام كله.

وفي مجمع البيان^(٣): واختلف في الحكم الذي حكما به، فقيل: إنه كان كرمًا قد بدت عناقيده. فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم. فقال سليمان: غير هذا - يا نبي الله - أرفق^(٤). قال: [وما ذاك؟]^(٥) قال: يُدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان. ويدفع^(٦) الغنم إلى صاحب الكرم، فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان. ثم دفع^(٧) كلّ واحد منهما إلى صاحبه ماله. ورؤي ذلك عن أبي جعفر [وأبي عبد الله]^(٨) عليه السلام.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: يقدّسن الله معه.

قيل^(٩): بلسان الحال. أو بصوت يتمثل له. أو يخلق الله فيها الكلام.

٢. نفس المصدر، ح ٢.

٤. ليس في المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتدفع.

٨. ليس في م.

١. الفقيه ٥٧/٣، ح ١.

٣. المجمع ٥٧/٤.

٥. ليس في أ.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: تدفع.

٩. أنوار التنزيل ٧٨/٢.

وقيل ^(١): يسرن معه، من السباحة.

وهو حال أو استئناف لبيان ^(٢) وجه التسخير. و«مع» متعلقة بـ«سخرنا» أو «يسبحن».

﴿وَالطَّيْرُ﴾: عطف على الجبال. أو مفعول معه.

وقرئ ^(٣) بالرفع، على الابتداء، أو العطف على الضمير، على ضعف.

﴿وَكُنَّا قَاعِلِينَ﴾ ^(٤): لأمثاله، فليس ببدع منا، وإن كان عجباً عندكم.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٥) باسناده إلى هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام

أنه قال في حديث يذكر فيه قصة داود عليه السلام: إنه خرج يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور، لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا جاوبه ^(٦).

وفي كتاب الاحتجاج ^(٧) للطبرسي عليه السلام: روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن

آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال

لأمير المؤمنين عليه السلام: فإن هذا داود، بكى على خطيئته حتى سارت الجبال ^(٨) معه

لخوفه. فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمد ﷺ أعطي ما هو ^(٩) أفضل من هذا.

إنه كان إذا قام إلى الصلاة، سُمع لصدره وجوفه أزيز ^(١٠) كأزيز المرجل ^(١١) على

الأثافي ^(١٢) من شدة البكاء. وقد آمنه الله ﷻ من عقابه، فأراد أن يتخسع لربه ببكائه.

ويكون إماماً لمن اقتدى به.

ولئن سارت الجبال وسبحت معه، لقد عمل لمحمد ﷺ ما هو أفضل من هذا، إذ

كنا معه على جبل حراء، إذ تحرك الجبل، فقال له: قرأ! فليس عليك إلا نبي أو صديق

١. أنوار التنزيل ٧٨/٢.

٢. ليس في س وأ.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. كمال الدين ٥٢٤/ح ٦.

٥. المصدر: جاوبته.

٦. الاحتجاج ٢١٩ - ٢٢٠.

٧. المصدر: الجبل.

٨. ليس في المصدر.

٩. أي خنين من الجوف، وهو صوت البكاء. وقيل: هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. وفي المصدر: أزيز

١٠. المرجل: القدر.

كأزيز.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: الإناء والأثافي: الأحجار التي يوضع عليها القدر.

شاهد. فقرّ الجبل مجيباً^(١) لأمره، منتهياً إلى طاعته.

ولقد مررنا معه بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه. فقال له [النبي ﷺ]^(٢) ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله، كان المسيح مربي، وهو يخوف الناس بنار وقودها الناس والحجارة. فأخاف أن أكون من تلك الحجارة. قال له: لاتخف. تلك الحجارة الكبريت. فقرّ الجبل وسكن وهذا، وأجاب لقوله.

وفي كتاب المناقب^(٣) لابن شهر آشوب، عن كتاب الإرشاد للزهري: قال سعيد بن المسيّب: كان الناس لا يخرجون إلى^(٤) مكة حتّى يخرج عليّ بن الحسين عليه السلام. فخرج، وخرجت معه. فنزل في بعض المنازل، فصلّى ركعتين، فسبح^(٥) في سجوده. فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبّحوا معه. ففرغت منه، فرفع رأسه فقال: يا سعيد، أفرغت؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله. فقال: هذا التسبيح الأعظم.

وفي رواية سعيد بن المسيّب^(٦) قال: كان القوم^(٧) لا يحجّون حتّى يحجّ زين العابدين عليه السلام. وكان يتخذ لهم السويق الحلو والحامض، ويمنع نفسه. فسبق يوماً إلى الرحل. فألقيته^(٨) وهو ساجد. فوالذي نفس سعيد بيده، لقد رأيت الشجر والمدر والرحل والراحلة يردّون عليه مثل كلامه.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ﴾: عمل الدرع. وهو في الأصل اللباس. قال:

ألبس لكلّ حالة لبوسها إمّا نعيمها وإمّا بؤسها

﴿لَكُمْ﴾: متعلّق بـ«علّمنا». أو صفة لـ«لبوس».

﴿لِيُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: بدل منه، بدل الاشتمال، بإعادة الجار. والضمير لـ«داود»

أو لـ«لبوس».

١. المصدر: مطيعاً.

٢. المناقب ١٣٧٤.

٣. المصدر: سبّح.

٤. نفس المصدر ١٣٧-١٣٧.

٥. المصدر: «كان القراء» بدل «قال: كان القوم». ٦. أي وجدته. وفي م: فألقيته. وفي ن: فلقيته.

وقرى^(١) بالثناء للصنعة، أو للبوس على تأويل الدرع.

وقرى^(٢) بالنون.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٣): ذلك؟

أمرًا أخرجه في صورة الاستفهام، للمبالغة والتفريع.

وفي الكافي^(٤): أحمد بن أبي عبدالله، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبدالله عليه السلام: أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوحى الله ﷻ إلى داود عليه السلام: إِنَّكَ نَعِمَ الْعَبْدُ؛ لَوْلَا أَنَّكَ تَأْكُلُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَلَا تَعْمَلُ بِيَدِكَ شَيْئًا.

قال: فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً. فأوحى الله ﷻ إلى الحديد أن لِرُّ لِعَبْدِي داود عليه السلام. فالآن الله ﷻ له الحديد. فكان يعمل في كُلِّ يَوْمٍ دَرْعًا، فيبيعها بألف درهم. فعمل ثلاثمائة وستين درعاً، فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً، واستغنى عن بيت المال. ﴿وَلَسْلَيْمَانَ﴾: وسخرنا له.

قيل^(٥): ولعلّ اللام فيه دون الأول؛ لأنّ الخارق فيه عائد إلى سليمان نافع له، وفي الأول أمر يظهر في الجبال والطير مع داود بالإضافة إليه.

﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب، تقطع مسافة كثيرة في مدّة يسيرة. كما قال^(٥): «غدوها شهر ورواحها شهر».

قيل^(٦): وكانت رخاء في نفسها^(٧) طيبة.

وقيل^(٨): كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى، حسب إرادته.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾: بمشيئته.

١. أنوار التنزيل ٧٨/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. الكافي ٧٤/٥، ح ٥.

٤. أنوار التنزيل ٧٨/٢.

٥. سبأ ١٢.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: وكان رخاء في نفسه.

٨. نفس المصدر والموضع.

حال ثانية. أو بدل من الأولى. أو حال من ضميرها.

﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: قيل ^(١): إلى الشام رواحاً ^(٢) بعد ما سارت به منه ^(٣) بكرة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): قال: إلى بيت ^(٥) المقدس والشام.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ ^(٦): فنجرىها على ما تقتضيه الحكمة.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾: في البحار، ويخرجون نفائسها.

و«من» عطف على «الريح». أو مبتدأ خبره ما قبله، وهي نكرة موصوفة.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾: ويتجاوزون ذلك إلى أعمال آخر - كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة - لقوله ^(٧) تعالى: «يعملون» ^(٨) له ما يشاء من محارِب وتماثيل.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ ^(٩): أن يزغوا عن أمره، أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم.

﴿وَأُتُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضَّرَّ﴾: بأنني مسني الضر.

وقرئ ^(١٠) بالكسر، على إضمار القول، أو تضمين النداء معناه. والضر - بالفتح -

شائع في كل ضرر. وبالضم، خاص بما هو في النفس؛ كمرض وهزال.

﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ^(١١): وصف ربه بغاية الرحمة، بعد ما ذكر نفسه بما

يوجبها. واكتفى بذلك عن عرض المطلوب، لطفاً في السؤال.

قيل ^(١٢): وكان رومياً من ولد عيص بن إسحاق. استنبأه الله، وكثر أهله وماله. فابتلاه

بهلاك أولاده - بهدم بيت عليهم - وذهاب أمواله والمرض في بدنه.

١. نفس المصدر / ٧٩.

٢. ليس في ع.

٣. كذا في المصدر. وفي م: سار منه. وفي غيرها: ساربه.

٤. م: البيت.

٥. تفسير القمي ٧٤/٢.

٦. ليس في أ.

٧. سبأ ١٣.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. أنوار التنزيل ٧٩/٢.

وروي^(١) أَنَّ امرأته - ماخير بنت ميثاء بن يوسف، أو رحمة بنت إفرائيم بن يوسف - قالت له يوماً^(٢): لو دعوت الله! فقال لها: كم كانت مدّة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة. فقال: أستحي من الله أن أدعوه، وما بلغت مدّة رخائي مدّة بلاني. وفي كتاب الخصال^(٣): عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ابتلي أيوب سبع سنين بلا ذنب.

عن جعفر بن محمد^(٤)، عن أبيه عليه السلام قال: إِنَّ أيوب عليه السلام ابتلي بغير^(٥) ذنب، وإنّ الأنبياء^(٦) معصومون [مطهرون]^(٧) لا يذنبون، ولا يزيغون، ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إِنَّ أيوب مع جميع ما ابتلي به، لم تنتن^(٨) له رائحة. ولا قبحت له صورة. ولا خرجت منه مدّة من دم ولا قيح. ولا استقدره أحد رآه. ولا استوحش منه أحد شاهده. ولا تدوّد^(٩) شيء من جسده. وهكذا يصنع الله تعالى بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه. وإنّما اجتنبه الناس، لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم. بما له عند ربّه تعالى ذكره من التأييد والفرج.

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الأُمّثل فالأُمّثل. وإنّما ابتلاه [الله تعالى]^(١٠) بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس، لثلاً يدعوا له^(١١) الربوبية، إذا شاهدوا ما أراد الله تعالى ذكره أن يوصله إليه من عظام نعمه، مع ما^(١٢) شاهدوه. ليستدلّوا بذلك على أنّ الثواب من الله تعالى على ضربين: استحقاق،

١. نفس المصدر والموضع.

٣. الخصال/٣٩٩، ح ١٠٧.

٥. المصدر: من غير.

٧. من المصدر.

٩. المصدر: لا يدود.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: معه.

٢. ليس في أ.

٤. نفس المصدر/٣٩٩-٤٠٠، ح ١٠٨.

٦. في المصدر بعدها: لا يذنبون لأنهم.

٨. المصدر: لم يتن.

١٠. من المصدر.

١٢. المصدر: «متى» بدل «مع ما».

واختصاص. ولنلّا يحقرّوا^(١) ضعيفاً لضعفه، وفقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه. وليعلموا أنّه يسقم من يشاء. ويشفي من يشاء. متى شاء، كيف شاء، بأيّ شيء^(٢) شاء. ويجعل ذلك عبرة لمن يشاء وشقاوة لمن يشاء [وسعادة لمن يشاء]^(٣) وهو ﷻ في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم في أفعاله؛ لا يفعل بعباده إلّا الأصلح^(٤) لهم، ولا قوّة إلّا بالله^(٥).

وفي كتاب علل الشرائع^(٦) بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما كانت بليّة أيّوب التي ابتلي بها في الدنيا، لنعمة أنعم الله بها عليه، فأدّى شكرها. وكان إبليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش.

فلما صعد عمل أيّوب بأداء شكر النعمة، حسده إبليس. فقال: يا ربّ، إنّ أيّوب لم يؤدّ شكر هذه النعمة، إلّا بما أعطيته من الدنيا. فلو حلت بينه وبين دنياه، ما أدّى إليك شكر نعمة. [فسلّطني على دنياه حتّى^(٧) تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة]^(٨). فقال: قد سلّطتك على دنياه. فلم يدع له دنيا ولا ولداً إلّا أهلكه، كلّ ذلك^(٩) وهو يحمده الله ﷻ. ثمّ رجع إليه فقال: يا ربّ، إنّ أيّوب يعلم أنّك سترّدّ إليه دنياه التي أخذتها منه. فسلّطني على بدنه [حتّى^(١٠) تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة. قال الله ﷻ: قد سلّطتك على بدنه، ما عدا عينيه^(١١) وقلبه ولسانه وسمعه.

فقال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: فانقضّ مبادراً خشية أن تدركه رحمة الله ﷻ فتحوّل بينه وبينه. فنفخ في منخره من نار السموم. فصار جسده نقطاً نقطاً.

١. المصدر: يحقرّوا.

٢. المصدر: سبب.

٣. من المصدر.

٤. س، أ، ن: الأصح.

٥. المصدر: ولا قوّة لهم إلّا به.

٦. العلل/٧٥، ح ١.

٧. ليس في البحار ٣٤٥/١٢.

٨. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: «أهلك كلّ شيء له» بدل «أهلكه كلّ ذلك».

١٠. من البحار.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: عينه.

حَدَّثَنَا أَبِي ^(١) قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْبَصْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْمَاضِي ^(٢) عَنْ بَلِيَّةِ أَيُّوبَ الَّتِي ابْتَلَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، لِأَيِّ عِلَّةٍ كَانَتْ؟ قَالَ: لِنِعْمَةِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا، فَأَذَى شُكْرَهَا. وَذَكَرَ كَالسَّابِقِ إِلَى قَوْلِهِ: «فَتَحَوَّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ» وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ:

فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ، وَكَانَ فِي آخِرِ بَلِيَّةٍ ^(٣)، جَاءَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَيُّوبَ، مَا نَعْلَمُ أَحَدًا ابْتُلِيَ بِمِثْلِ ^(٤) هَذِهِ الْبَلِيَّةِ إِلَّا بِإِسْرَارِهِ بِسُوءٍ ^(٥). فَلَعَلَّكَ أَسْرَرْتَ سُوءَ الَّذِي تَبْدِي لَنَا!

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ نَاجَى أَيُّوبُ رَبَّهُ ^(٦) فَقَالَ: رَبِّ ابْتَلَيْتَنِي ^(٧) بِهَذِهِ الْبَلِيَّةِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ يَعْضُدْ لِي أَمْرَانِ قَطُّ، إِلَّا لَزِمْتَ أَخْشَنَهُمَا عَلَيَّ بَدَنِي. وَلَمْ أَكُلْ أَكْلَةً قَطُّ إِلَّا وَعَلَى خَوَانِي يَتِيمٌ. فَلَوْ أَنَّ لِي مِنْكَ مَقْعَدُ الْخِصْمِ، لَأَدْلَيْتُ بِحُجَّتِي.

قَالَ: فَعَرَضْتُ لَهُ سَحَابَةً ^(٨)، فَنَطَقَ فِيهَا نَاطِقٌ فَقَالَ: يَا أَيُّوبَ، أَدُلْ بِحُجَّتِكَ. قَالَ: فَشَدَّ عَلَيْهِ مِثْرَهُ ^(٩) وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ: ابْتَلَيْتَنِي [بِهَذِهِ الْبَلِيَّةِ] ^(١٠) وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَعْضُدْ لِي أَمْرَانِ قَطُّ، إِلَّا لَزِمْتَ ^(١١) أَخْشَنَهُمَا عَلَيَّ بَدَنِي. وَلَمْ أَكُلْ أَكْلَةً قَطُّ مِنْ طَعَامٍ، إِلَّا وَعَلَى خَوَانِي يَتِيمٌ.

قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا أَيُّوبَ، مِنْ حَبَبِ إِلَيْكَ الطَّاعَةُ؟! قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ تَرَابٍ، فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ يَا رَبِّ.

١. نفس المصدر ٧٧، ح ٥.

٢. المصدر: بَلِيَّةً.

٣. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ: قَبْلَ.

٤. المصدر: إِلَّا لِسِرِّيَّةِ سُوءٍ.

٥. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي م وَن: «رَبِّ أَبْلَيْتَنِي» بِدَل «فَقَالَ رَبِّ ابْتَلَيْتَنِي» وَفِي ع: «ابْتَلَيْتَنِي». وَفِي س وَأ: «أَبْلَيْتَنِي».

٦. كَذَا فِي الْبَحَارِ ٣٤٦/١٢. وَفِي النِّسْخِ: سَبَّحَانَهُ.

٧. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النِّسْخِ: شَرَاهُ.

٨. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٩. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ، س، أ. وَفِي سَائِرِ النِّسْخِ: أَلْزَمْتَ.

بإسناده^(١) إلى الحسن بن^(٢) الربيع، [بن علي الربيعي]^(٣) عَمَّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ الله تبارك وتعالى ابتلى أَيُوبَ عليه السلام بلا ذنب، فصبر حتَّى غَيَّرَ. وَإِنَّ الأنبياء لا يصبرون على التعبير.

وفي الكافي^(٤): عَدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن مُحَمَّد بن سنان، عن عثمان النوا، عَمَّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ الله ﷻ يبتلي المؤمن بكلِّ بليَّة، ويميته بكلِّ ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله. أما ترى أَيُوبَ عليه السلام كيف سلَّط إبليس على ماله [وولده]^(٥) وعلى أهله وعلى كلِّ شيء منه، ولم يسَلِّطه على عقله؟! ترك له [ما]^(٦) يوَحِّد الله ﷻ [به]^(٧).

وفي روضة الكافي^(٨): علي بن مُحَمَّد، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمان، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «إِذَا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إِنَّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوَكَّلون»^(٩).

فقال: يا أبا مُحَمَّد، يُسلَّط - والله - من المؤمن على بدنه، ولا يُسلَّط على دينه. قد سلَّط على أَيُوب، فشَوَّه خلقه، ولم يُسلَّط على دينه. وقد يُسلَّط من المؤمنين على أبدانهم، ولا يُسلَّط على دينهم.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ﴾: بالشفاء من مرضه.

﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾: قيل^(١٠): بأن وُلد له ضعف ما كان. أو أحيى ولده،

وَوُلد له منهم نوافل.

١. نفس المصدر ٧٦٧٥/٧، ح ٤.

٢. يوجد في ن.

٣. من المصدر.

٤. الكافي ١١٢٣، ح ١٠.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

٧. من المصدر.

٨. الكافي ٢٨٨/٨، ح ٤٣٣. وفيه: علي بن مُحَمَّد، عن علي بن الحسن، عن منصور بن يونس.

٩. أنوار التنزيل ٧٩/٢.

١٠. من المصدر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ زِيَادٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: أَحْيَى اللَّهُ تعالى لَهُ أَهْلَهُ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْبَلِيَّةِ. وَأَحْيَى [لَهُ أَهْلَهُ]^(٢) الَّذِينَ مَاتُوا وَهُوَ فِي الْبَلِيَّةِ.

وفي روضة الكافي^(٣): يحيى بن عمران، عن هارون بن خازجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قُلْتُ: وَلَدَهُ كَيْفَ أُوتِيَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ؟ قَالَ: أَحْيَى اللَّهُ^(٤) لَهُ مَنْ وَلَدَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَاتُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِأَجَالِهِمْ، مِثْلَ الَّذِينَ هَلَكُوا يَوْمَئِذٍ.

﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾^(٥): رَحْمَةً عَلَى أَيُّوبَ وَتَذَكُّرَةً لغيره مِنَ الْعَابِدِينَ، لِيَصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ، فَيَصَابُوا كَمَا أُثِيبَ. أَوْ: لِرَحْمَتِنَا لِلْعَابِدِينَ، فَإِنَّا نَذَكِّرُهُمْ بِالْإِحْسَانِ وَلَا نَنْسَاهُمْ.

وفي إرشاد المفيد^(٦) عليه السلام عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَدِيثٌ طَوِيلٌ، يَقُولُ فِيهِ عليه السلام: أَنَا سَيِّدُ الشَّيْبِ، وَفِي سَنَةِ مِنْ أَيُّوبَ.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾: قِيلَ^(٧): يَعْنِي الْيَاسَ.

[وَقِيلَ: يَوْشَعَ]^(٨).

وقيل^(٩): زَكْرِيَّا. سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ ذَا حَظٍّ مِنَ اللَّهِ، أَوْ تَكْفَّلَ مِنْهُ، أَوْ لَهُ ضَعْفُ عَمَلِ أَنْبِيَاءِ زَمَانِهِ [وِثْوَابِهِمْ]^(١٠) وَالْكَفْلُ يَجِيءُ بِمَعْنَى النِّصِيبِ، وَالْكَفَالَةُ، وَالضَّعْفُ.

وفي العيون^(١١) عَنْ الرُّضَا عليه السلام عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي خَبَرِ الشَّامِيِّ أَنَّهُ يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ.

١. تفسير القمي ٧٤/٢.

٢. الكافي ٢٥٢/٨، ح ٣٥٤.

٣. لم نثر عليه في المصدر. ولكن رواه الحويزي في نور الثقلين ٤٤٩/٣، ح ١٣٤. وانظر الإرشاد ١٥٤/١.

٤. ليس في المصدر.

٥. أنوار التنزيل ٧٩/٢.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. هكذا في المصدر، ولا يوجد في سائر النسخ. وفي م: «وقيل: يوشع ذا بدل» و«ثوابهم».

٨. العيون ١٩٢/١، ح ١.

﴿كُلُّ﴾: كَلَّ هؤلاء.

﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥): على مشاقِّ التكاليف وشدائد المصائب.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾: يعني النبوة. أو: نعمة الآخرة.

﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٦): الكاملين في الصلاح. وهم الأنبياء؛ فإنَّ صلاحهم

معصوم عن كدر الفساد.

﴿وَذَا النُّونِ﴾: وصاحب الحوت يونس بن متى.

﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾: لقومه، لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي

إصرارهم، مهاجراً عنهم، قبل أن يؤمر به، كما سبق قصته في سوره.

وقيل^(١): وعدهم بالعذاب. فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم. ولم يعرف الحال، فظنَّ

أنَّه كذبهم، وغضب من ذلك. وهو من بناء المغالبة للمبالغة.

وقرئ^(٢): «مغضباً».

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: قيل^(٣): لن نضيق عليه. أو: لن نقضي عليه بالعقوبة، من

القدر. ويعضده أنَّه قرئ مثقلاً. أو: لن تعمل^(٤) فيه قدرتنا.

وقيل^(٥): هو تمثيل لحاله بحال من ظنَّ أنَّ لن نقدر عليه في مراغمته قومه، من غير

انتظار لأمرنا. أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه، فسُميت ظناً للمبالغة.

والموافق للتفسير المنقول عن الأئمة عليهم السلام أنَّ «ظنَّ» يعني «استيقن» والمعنى: أنَّه

استيقن أنَّ لن يضيق عليه رزقه.

ففي عيون أخبار الرضا^(٦) في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل

والديانات وما أجاب به علي بن [محمد بن]^(٧) الجهم في عصمة الأنبياء، بإسناده إلى

أبي الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، إلى أن حكى

قوله عليه السلام:

٤. م ون: نعمل. والمصدر: يعمل.

٦. العيون ١٥٣/١-١٥٤، ح ١.

١-٣. أنوار التنزيل ٨٠/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. من المصدر.

وأما قوله ﷺ: «وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه» إنّما «ظنّ» بمعنى: استيقن أن الله لن يضيّق عليه رزقه. ألا تسمع قول الله ^(١) ﷻ: «وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه» أي ضيّق عليه رزقه. ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه، لكان قد كفر.

وبإسناده ^(٢) إلى عليّ بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام. فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال. فما معنى قول الله ﷻ: «وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه»؟ فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام. «ذهب مغاضباً» لقومه «فظنّ» بمعنى: استيقن «أن لن نقدر عليه» ^(٣) أي لن نصيّق عليه رزقه، ومنه قول الله ﷻ: «وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه» أي ضيّق عليه وقتر ^(٤) «فنادى في الظلمات» أي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت «أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّني كنت من الظالمين» بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت. فاستجاب الله له [وقال] ^(٥) ﷻ: «فلولا أنّه كان من المسيّحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون» ^(٦).

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٧): وقوله: «فظنّ أن لن نقدر عليه» قال: أنزله الله ^(٨) على أشدّ الأمرين، وظنّ ^(٩) به أشدّ الظنّ. وقال: إنّ جبرئيل عليه السلام استثنى في هلاك قوم يونس، ولم يسمعه يونس.

قلت: ما كان حال يونس لما ظنّ أنّ الله لن يقدر عليه؟ قال: كان من أمر شديد.

قلت: وما كان سببه حتّى ظنّ أنّ الله لن يقدر عليه؟ قال: وكله الله إلى نفسه طرفة

عين.

٢. نفس المصدر/١٦٠، ح ١.

٤. س وأ: «رزقه» بدل «وقتر».

٦. الصافات/١٤٣-١٤٤.

٨. ليس في المصدر.

١. الفجر/١٦.

٣. ليس في المصدر.

٥. من المصدر.

٧. تفسير القميّ ٧٤/٢، ٧٥.

٩. س، أون: فظنّ.

قال^(١): وحَدَّثني أبي، عن ابن عمير، عن عبد الله بن سنان^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة في ليلتها، ففقدته من الفراش. فدخلها من ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه، وهو في جانب من البيت، قائم رافع يديه يبكي^(٣)، وهو يقول: اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً. اللهم لا تشمت بي عدواً^(٤) ولا حاسداً أبداً. اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً. اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً^(٥).

قال: فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله ﷺ لبعائها. فقال لها: ما يبكيك يا أم سلمة؟ قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فتسأله أن لا يشمت بك عدواً أبداً [ولا حاسداً]^(٦) وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع منك^(٧) صالح ما أعطاك أبداً، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً! فقال: يا أم سلمة، وما يؤمنني وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين، فكان منه ما كان.

وفي رواية أبي الجارود^(٨) عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وذا النون إذ ذهب مغاضباً» يقول: من أعمال قومه. «فظن أن لن نقدر عليه». يقول: ظن أن لن يعاقب بما صنع.

حدَّثني^(٩) أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس، فكان يونس يدعوهم إلى الإسلام، فيأبون ذلك. فهم أن يدعو عليهم. وكان فيهم رجلان عابد وعالم. وكان اسم أحدهما مليخا. والآخر اسمه روبيل. وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم. وكان العالم ينهأ ويقول:

١. نفس المصدر والموضع. ٢. المصدر: سيار.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «رافع يده ويبكي».

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عدوً.

٥. توجد الفقرة الأخيرة في المصدر بعد الفقرة الأولى من دعائه عليه السلام.

٦. من المصدر. ٧. المصدر: عنك.

٨. نفس المصدر والموضع. ٩. نفس المصدر ٣١٨٣١٧/١.

لاتدع^(١) عليهم؛ فإن الله يستجيب لك، ولا يحب هلاك عباده. فقبل قول العابد، ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم. فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا، في شهر كذا، في يوم كذا.

فلما قرب الوقت، خرج يونس من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيها. فلما كان اليوم الذي نزل العذاب، فقال العالم لهم: [يا قوم]^(٢) افزعوا إلى الله، فلعله يرحمكم، ويردّ العذاب عنكم. فقالوا: كيف نصنع؟ فقال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة. وفرّقوا بين النساء والأولاد، وبين الإبل وأولادها، وبين البقر وأولادها، وبين الغنم وأولادها، ثم ابكوا وادعوا. فذهبوا وفعلوا ذلك، وضجّوا وبكوا. فرحمهم الله، وصرف عنهم العذاب. [وفرّق العذاب]^(٣) على الجبال، وقد كان نزل وقرب منهم.

فأقبل يونس لينظر كيف أهلكهم الله. فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم. فقال لهم: ما فعل قوم يونس؟ قالوا له - ولم يعرفوه - إن يونس دعا عليهم، فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم. فاجتمعوا وبكوا ودعوا، فرحمهم الله. وصرف ذلك عنهم، وفرّق العذاب على الجبال. فهم إذاً يطلبون يونس ليؤمنوا به. فغضب [يونس]^(٤) ومزّ على وجهه مغاضباً لله، كما حكى الله عنه. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: في الظلمة الشديدة المتكاثفة. أو: ظلمات بطن الحوت والبحر والليل.

﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾: بأن لا إله إلا أنت.

﴿سُبْحَانَكَ﴾: أن يعجزك شيء.

﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥): لنفسي، بالمبادرة إلى المهاجرة.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: لاتدعو. ٢. ليس في س وأ.

٣. ليس في س وأ. ٤. من المصدر.

وفي الكافي^(١): أحمد بن محمد العاصمي، عن علي بن الحسن التيملي^(٢)، عن عمرو بن عثمان، عن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال له رجل من أهل خراسان بالريذة: جعلت فداك، لم أرزق ولداً.

فقال له: إذا رجعت إلى بلادك، فأردت أن تأتي أهلك، فاقراً إذا أردت ذلك: «وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين» إلى ثلاث آيات. فإنك سترزق ولداً إن شاء الله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وسأل بعض اليهود أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه؟ فقال: يا يهودي، أما السجن الذي طاف أقطار الأرض بصاحبه، فإنه الحوت الذي حُبس يونس عليه السلام في بطنه، فدخل^(٤) في البحر^(٥) القلزم. ثم خرج إلى بحر مصر. ثم [دخل بحر]^(٦) طبرستان. ثم خرج في دجلة الغور^(٧).

قال: ثم مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون. وكان قارون هلك في أيام موسى، ووكّل الله به ملكاً يدخله في الأرض، كلّ يوم قامه [رجل]^(٨). وكان يونس في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره. فسمع قارون صوته، فقال للملك الموكل به: أنظرني؛ فإنّي أسمع كلام آدمي. فأوحى الله إلى الملك [الموكل به]^(٩): أنظره. فأنظره، ثم قال قارون: من أنت؟ قال [يونس]^(١٠): أنا المذنب العاصي^(١١) الخاطئ، يونس بن متي. قال: فما فعل الشديد الغضب لله موسى بن عمران؟ قال: هيهات! هلك. قال: فما

١. الكافي ١٠/٦، ح ١٠.

٢. كذا في المصدر. وفي م: الشيلمي. وفي س، أ، ن: الشيلمي. وفي ع: السيملي.

٣. تفسير القمي ٣١٨/١-٣١٩.

٤. من ع.

٥. المصدر: بحر.

٦. من ع.

٧. المصدر: الغوراء.

٨. من المصدر.

٩. من المصدر.

١٠. ليس في المصدر.

فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال: هلك. قال: فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سُميت لي؟ قال: هيهات! ما بقي من آل عمران أحد. فقال قارون: وأسفاً على آل عمران. فشكر الله له ذلك، فأمر^(١) الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا. فرفع عنه.

فلما رأى يونس ذلك، نادى في الظلمات «أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين». فاستجاب الله له، وأمر الحوت أن يلفظه^(٢). فلفظه^(٣) على ساحل البحر، وقد ذهب جلده ولحمه. وأنبت الله عليه شجرة من يقطين - وهي الدباء - فأظلت من الشمس. فسكن^(٤).

وفيه أيضاً^(٥): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام، ونادى «في الظلمات» ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر: «أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين». فاستجاب له ربه. فأخرجه^(٦) الحوت إلى الساحل. ثم قذفه، فألقاه بالساحل. وأنبت الله عليه شجرة من يقطين. وهو القرع. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج^(٧) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة - وقد قال: واحدة قد شهر هفوات أنبيائه، بحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغاضباً مذنباً -: وأما هفوات الأنبياء عليهم السلام وما بينه الله^(٨) في كتابه، [ووقوع الكناية من أسماء من اجترم أعظم مما اجترمه الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم]^(٩) فإن ذلك من أدل الدلائل على حكمة الله ﷻ الباهرة، وقدرته

٢. المصدر وأ: تلفظه.

٤. المصدر: فشكر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أخرجه.

٨. ليس في س وأ.

١. المصدر: فأمر الله.

٣. المصدر: فلفظته.

٥. نفس المصدر ٣١٩/١.

٧. الاحتجاج/٢٤٩.

٩. من المصدر.

القاهرة، وعزّته الظاهره، لأنّه علم^(١) أنّ براهين الأنبياء ﷺ تكبر في صدور أممهم، وأنّ منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم. فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي انفرد به ﷺ.

وفي تفسير العياشي^(٢) عن أبي عبيدة الحذاء^(٣)، عن أبي جعفر ﷺ [قال: سمعته يقول: وجدنا في بعض]^(٤) [كتب أمير المؤمنين ﷺ]^(٥) [قال: حدّثني [رسول الله ﷺ]^(٦) أنّ جبرئيل ﷺ حدّثه أنّ يونس بن متى ﷺ بعثه الله إلى قومه - وذكر حديثاً طويلاً يذكر فيه ما فعل قوم يونس، وخروج يونس وتنوحا العابد من بينهم، ونزول العذاب عليهم وكشفه عنهم، وفيه: فلما رأى قوم يونس أنّ العذاب قد صرّف عنهم، هبطوا إلى منازلهم من رؤوس الجبال، وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم، وحمدوا الله على ما صرف عنهم. وأصبح يونس ﷺ وتنوحا يوم الخميس في موضعهما الذي^(٧) كانا فيه، لا يشكّان أنّ العذاب قد نزل بهن وأهلكهم جميعاً، لما خفيت أصواتهم عنهما.

فأقبلنا ناحية القرية يوم الخميس مع [طلوع]^(٨) الشمس ينظران^(٩) إلى ما صار إليه القوم. فلما دنوا من القوم واستقبلهم الخطّابون والحمّارة والرعاة بأغانهم^(١٠)، ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوحا: يا تنوحا، كذّبت الوحي، وكذّبت وعدي لقومي. لا وعزة ربّي، لا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذّبت الوحي.

فانطلق يونس هارباً على وجهه، مغاضباً لربه، ناحية بحرايلة متنكراً^(١١)، فراراً من أن يراه أحد من قومه فيقول له: يا كذاب! فلذلك قال [الله]^(١٢): «وذا النون إذ ذهب

١. ليس في م. ٢. تفسير العياشي ١٢٩/٢ - ١٣٥، ح ٤٤.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الخزاعي. ٤. من المصدر.

٥. ليس في ن. ٦. ليس في م.

٧. المصدر: التي. ٨. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: ينظرون. ١٠. كذا في المصدر. وفي س، أ، ن: بأغانهم.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: مستنكراً. ١٢. من المصدر.

مغاضباً فظنَّ أن لن نقدر عليه» الآية. ورجع تنوخاً إلى القرية.

عن الثمالی^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ يونس لما آذاه قومه، دعا الله عليهم. فأصبحوا أوَّل يوم، ووجوههم صفر. وأصبحوا اليوم الثاني، ووجوههم سود. وقال: وكان الله واعدهم أن يأتيهم العذاب حتَّى نالوه برماحهم. ففرَّ قوا بين النساء وأولادهنَّ، والبقر وأولادهما، ولبسوا المسوح والصوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم، والرماد على رؤوسهم، وضجَّوا ضجَّة واحدة إلى ربِّهم، وقالوا: آمنا بالله يونس. قال: فصرف الله العذاب عنهم إلى جبال أمِّد^(٢).

قال: وأصبح يونس وهو يظنُّ أنَّهم هلكوا، فوجدهم في عافية. فغضب، وخرج - كما قال الله - مغاضباً. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

عن معمر^(٣) قال: قال (٤) أبو الحسن الرضا عليه السلام: إنَّ يونس لما أمره الله بما أمره، فأعلم قومه، فأظلمَّ العذاب. ففرَّ قوا بينهم وبين أولادهم [وبين الإبل وأولادها]^(٥) وبين البقر وأولادها [وبين الغنم وأولادها]^(٦). ثمَّ عَجَّوا إلى الله، وضجَّوا. فكفَّ الله العذاب عنهم. فذهب يونس مغاضباً. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب: وفي حديث أبي حمزة الثمالی أنَّه دخل عبدالله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال له: يا ابن الحسين، أنت الذي تقول: إنَّ يونس بن مَتَّى إنَّما لقي من الحوت ما لقي لأنَّه عُرِضت عليه ولاية جدِّي، فتوقَّف عندها؟! قال: بلى، ثكلتك أمك!

١. نفس المصدر/١٣٦، ح ٤٦.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: اعد. قال الحموي: أمِّد - بكسر الميم -: أعظم ديار يركر.

٣. نفس المصدر/١٣٧، ح ٤٧. ٤. ليس في س، أ، ع.

٥. ليس في ع. وفي المصدر بدل هذه الفقرات الثلاث: وبين البهائم وأودلاها.

٦. ليس في ع. وفي المصدر بدل هذه الفقرات الثلاث: بين البهائم وأودلاها.

٧. المناقب ١٣٨/٤ - ١٣٩. أورده المؤلف رحمته الله بحذف آخره عند تفسير الآية ٦٩ من نفس السورة أيضاً.

قال ^(١): فأراني آية ذلك، إن كنت من الصادقين. فأمر بشدّ عينيه ^(٢) بعصاة، وعيني بعصاة. ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا. فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه. فقال ابن عمر: يا سيدي، دمي في رقبتك. الله الله في نفسي! قال: هيه ^(٣) وأرنيه ^(٤) إن كنت من الصادقين. ثم قال: يا أيها ^(٥) الحوت.

قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم، وهو يقول: لتيك، لتيك، يا وليّ الله. فقال: من أنت؟ قال: أنا ^(٦) حوت يونس يا سيدي، قال: أنبئنا ^(٧) بالخبر.

قال ^(٨): يا سيدي، إنّ الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدّك محمد ﷺ إلا وقد عُرِضَ عليه ولايتكم أهل البيت. فمن قبلها من الأنبياء، سلم وتخلّص. ومن توفّق عنها، وتنتع في حملها، لقي ما لقي آدم ^(٩) من المعصية ^(١٠)، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجبّ، وما لقي أيّوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة؛ إلى أن بعث الله يونس. فأوحى الله إليه أن يا يونس، تولّ أمير المؤمنين عليّاً والأئمّة الراشدين من صلبه، في كلام له. قال: فكيف أتولّى من لم أُرهِ ولم أعرفه؟! وذهب مغاضباً ^(١١).

فأوحى الله تعالى إليّ أن التقي يونس، ولا توهني له عظماً. فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ^(١٢) ينادي أنّه «لا إله إلا أنت، سبحانك إنّي كنت من الظالمين». قد قبلت ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة الراشدين من ولده عليه السلام. فلمّا أن آمن بولايتكم، أمرني ربّي، فقذفته على ساحل البحر.

١. ليس في س وأ.
٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: عينه.
٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: هنيئة. و«هيه» كلمة استزادة من الكلام.
٤. المصدر: أريه.
٥. من ع. وفي غيرها والمصدر: أيّنها.
٦. من المصدر.
٧. كذا في المصدر. وفي النسخ، اثنتا.
٨. ليس في م.
٩. ليس في ع.
١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: المعصية.
١١. المصدر: مغناظاً.
١٢. المصدر: مئات.

فقال زين العابدين عليه السلام: ارجع أيها الحوت إلى وكرك^(١). فرجع الحوت، واستوى الماء.

وفي مصباح شيخ الطائفة رحمته الله^(٢) في دعاء يوم الأربعاء: يا من سمع الهمس من ذي النون في بطن الحوت، في الظلمات الثلاث؛ ظلمة الليل، وظلمة قعر^(٣) البحر، وظلمة بطن الحوت.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربعين صباحاً كان في بطنه.

وقيل^(٤): بعد أربع ساعات.

وقيل^(٥): بعد ثلاث ساعات^(٦). والغم غم الانتقام.

وقيل^(٧): غم الخطيئة.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨): من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص.

وفي الإمام «نجي». ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية، فإنها تخفى مع حروف الغم^(٨) ^(٩).

وقرأ^(١٠) ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم، على أن أصله «نَجِي» فحذفت النون الثانية، كما حذفت التاء في «تظاهرون»^(١١) ^(١٢). وهي، وإن كانت فاء، فحذفها أوقع من حرف المضارعة التي لمعنى. ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين. فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثليين مع تعذر الإدغام. وامتناع الحذف في «تجافي»^(١٣) لخوف اللبس في الماضي.

١. كذا في المصدر. وفي ع: فكرك. وفي غيرها: ذكرك.

٢. مصباح المتعجد ٤٢٧. ٣. ليس في ن.

٤. أنوار التنزيل ٨٠/٢. ٥. أنوار التنزيل ٨٠/٢.

٦. المصدر: ثلاثة أيام. ٧. نفس المصدر والموضع.

٨. كذا في أنوار التنزيل ٨٠/٢. وفي النسخ: الغم. ٩. من ع.

١٠. نفس المصدر والموضع. ١١. كذا في المصدر: وفي النسخ: تظاهرين.

١٢. البقرة ٨٥. ١٣. السجدة ١٦.

وقيل^(١): هو ماضٍ مجهول أسند إلى ضمير المصدر، وسُكِّن آخره تخفيفاً. وردَّ بأنه لا يُسند إليه، والمفعول مذكور، والماضي لا يُسكَّن آخره.

وفي تهذيب الأحكام^(٢) بإسناده إلى الحسن بن علي بن عبد الملك الزيات، عن رجل، عن كرام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربع لأربع، إلى قوله: والرابعة للغم والهَم: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». قال الله سبحانه: «فاستجبنا له ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وكذلك ننجي المؤمنين».

وفي كتاب الخصال^(٣) عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: عجبت لمن يفرغ^(٤) من أربع، كيف لا يفرغ إلى أربع؟! إلى قوله: وعجبت لمن اغتم، كيف لا يفرغ إلى قوله تعالى: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فإنِّي سمعت الله تعالى يقول بعقبها: «فاستجبنا له ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وكذلك ننجي المؤمنين».

﴿وَرَكْرَكِيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: وحيداً بلا ولد يرثني.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٥): فإن لم ترزقني [من يرثني] فلا أبالي به.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٦) بإسناده إلى علي بن محمد الصيمري^(٧) الكاتب، قال: تزوجت ابنة جعفر بن محمد الكاتب. فأحببتها حباً لم يحب أحدٌ أحداً مثله. وأبطأ عليّ الولد. فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام فذكرت ذلك له. فتبسم وقال: اتخذ خاتماً فضةً فيروزج، واكتب عليه: «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ».

قال: ففعلت. فما أتى عليّ حول حتَّى رُزِقَتْ منها ولداً ذكراً.

وفي عوالي اللثالي^(٨): روي عن سيّد العابدين عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه: قل

١. نفس المصدر والموضع.

٢. التهذيب ١٧٠/٦، ح ٣٢٩.

٣. الخصال ٢١٨/٢، ح ٤٣.

٤. المصدر: فرع.

٥. من أنوار التنزيل ٨٠/٢.

٦. الأمالي ٤٨٤٧/١.

٧. المصدر: الصيمري.

٨. العوالي ٣٠٨٣، ح ١٢٧.

لطلب الولد: «رَبِّ لا تذرني فرداً [وأنت خير الوارثين]»^(١). واجعل لي من لدنك ولياً يرثني في حياتي، ويستغفر لي بعد وفاتي. واجعله خلقاً سوياً. ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً. اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، إِنَّكَ التَّوَّابُ الغفور^(٢) الرحيم. سبعين مرة.

وفي الكافي^(٣): مُحَمَّد بن يحيى، عن أَحْمَد بن مُحَمَّد، عن عَلِي بن الحكم، عن رجل، عن مُحَمَّد بن مسلم، عن أَبِي جَعْفَر^(٤) ع قال: من أراد أن يُجَبَّلَ له، فليصل ركعتين بعد الجمعة، يطيل فيهما الركوع والسجود. ثم يقول: اللهم إني أسألك بما سألك به زكريا إذ قال: «رَبِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين». اللهم هب لي ذرية طيبة، إِنَّكَ سميع الدعاء. اللهم باسمك استحلتها، وفي أمانتك أخذتها. فإن قضيت في رحمها ولداً، فاجعله غلاماً مباركاً زكياً، ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً^(٥).

مُحَمَّد بن يحيى^(٦)، عن أَحْمَد بن مُحَمَّد، عن عَلِي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أَبِي بكر الحضرمي، عن الحرث النضري قال: قلت لأبي عبد الله ع: إني من أهل بيت قد انقرضوا، وليس لي ولد. فقال: ادع وأنت ساجد: رَبِّ «هب لي من لدنك ولياً يرثني»^(٧). رَبِّ لي من لدنك ذرية طيبة، إِنَّكَ سميع الدعاء^(٨). «رَبِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين». قال: ففعلت. فولد لي عليّ والحسين.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٩): قال مُحَمَّد بن العباس ع في تفسيره، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَد بن مُحَمَّد بن موسى النوفلي، بإسناده عن عَلِي بن داود قال: حَدَّثَنِي رجل من ولد ربيعة بن عبد مناف: أَنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا بَارَزَ عَلِي ع عمرواً، رفع يديه، ثم قال: اللهم إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي عبيدة بن الحارث يوم بدر، وأَخَذْتَ مِنِّي حمزة يوم أحد، وهذا عليّ «فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين».

١. ليس في س وأ. ٢. ليس في المصدر.

٣. الكافي ٨/٦، ح ٣. ٤٨٢/٣، ح ٣. ٤. المصدر: أبي عبد الله.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيه نصيباً ولاشركاً.

٦. نفس المصدر، ح ٢. ٧. مريم/٦٥.

٨. من المصدر. ٩. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٩/١، ح ١٣.

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ ﴾: أي أصلحناها للولادة بعد عقرها، أو لذكرها بتحسين خلقها وكانت حردة^(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وقوله: «وذكرنا إذ نادى ربه رب لا تذرنني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه» قال: كانت لا تحيض، فحاضت.

﴿ إِنَّمُمْ ﴾: يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء.
﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾: يبادرون إلى أبواب الخيرات.
﴿ وَتَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾: ذوي رغب. أو: راغبين في الثواب، راجين الإجابة. أو: في الطاعة، وخائفين العقاب أو المعصية.

وفي كتاب الخصال^(٣) عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: إن الناس يعبدون الله تعالى على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه^(٤) رغبة في ثوابه، فتلك عبادة الحرصاء، وهي الطمع. وآخرون يعبدونه فراراً من النار، فتلك عبادة العبيد، وهي الرهبة. ولكني أعبدُه حباً له، فتلك عبادة الكرام^(٥).

وفي كتاب معاني الأخبار^(٦) بإسناده إلى علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: الرغبة أن تستقبل براحتيك^(٧) إلى السماء، وتستقبل بهما وجهك [والرهبة]^(٨) أن تكفى^(٩) كفك، وترفعهما^(١٠) إلى الوجه.

وفي أصول الكافي^(١١): عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

-
١. أي التي تغضب.
 ٢. تفسير القمي ٧٥/٢.
 ٣. الخصال ١٨٨/ ح ٢٥٩.
 ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: يعبدون على.
 ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: الكرائم.
 ٦. المعاني ٣٦٩/ - ٣٧٠، ج ٢.
 ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: براحتك.
 ٨. ليس في ن.
 ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: تلقى.
 ١٠. المصدر: فترفعهما.
 ١١. الكافي ٤٧٩/٢، ح ١.

الرغبة أن تستقبل ببطن كَفَيْكَ إلى السماء. والرهبة أن تجعل ظهر كَفَيْكَ إلى السماء. وبإسناده^(١) إلى مروك بَيَّاع اللؤلؤ، عَمَّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الرغبة، وأبرز باطن راحتيه إلى السماء. وهكذا الرهبة، وجعل ظهر كَفَيْهِ إلى السماء. عَدَّة من أصحابنا^(٢)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن فضالة، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مَرَّبِي رجل، وأنا أدعو في صلاتي بيساري. فقال: يا عبد الله^(٣)، يمينك! فقلت: يا عبد الله، إِنَّ الله تبارك وتعالى حَقَّهُ^(٤) على هذه، كَحَقِّهِ على هذه. وقال: الرغبة تبسط يديك، وتظهر باطنهما، والرهبة^(٥) تظهر ظهرهما. والأحاديث الثلاث طوال، أخذت منها موضع الحاجة. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): وقوله: «ويدعوننا رغباً ورهباً». قال: راغبين وراهبين.

﴿وَكَاُنُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٧): مخبتين، أو دائمي الوجل. والمعنى أَنَّهُم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: من الحلال والحرام، يعني مريم.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾: أي في عيسى فيها. أي أحييناه في جوفها.

وقيل^(٨): وفعلنا النفخ فيها.

﴿مِنْ رُوحِنَا﴾: من الروح الذي هو بأمرنا وحده. أو: من جهة روحنا، يعني

جبرئيل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): وقوله: «التي أحصنت فرجها» قال: مريم، لم ينظر

٢. نفس المصدر، ح ٤.

١. نفس المصدر / ٤٨٠، ح ٣.

٤. المصدر: إِنَّ الله تبارك وتعالى حَقّاً.

٣. المصدر: يا أبا عبد الله.

٦. تفسير القمي ٧٥/٢.

٥. يوجد في المصدر بعدها: تبسط يديك.

٨. تفسير القمي ٧٥/٢.

٧. أنوار التنزيل ٨٠/٢.

إليها شيء. وقوله: «فنفخنا فيها من روحنا» قال: روح مخلوقة^(١). يعني من أمرنا.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا﴾: أي قصتهما، أو حالهما. ولذلك وحد قوله:

﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢): فإن من تأمل حالهما، تحقق كمال قدرة الصانع تعالى.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾: إن ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا

عليها.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: غير مختلفة فيما بين الأنبياء. أو: لا مشاركة لغيرها في صحة

الاتباع.

وقرى^(٣): «أُمَّتُكُمْ» بالنصب على البدل. و«أُمَّةً» بالرفع على الخبر. وقرئنا^(٤) بالرفع،

على أنهما خبران.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾: لا إله لكم غيري.

﴿فَاعْبُدُونِ﴾^(٥): لا غير.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: صرفه إلى الغيبة التفاتاً^(٦) لينعى على الذين تفرقوا في

الدين، وجعلوا أمره قطعاً موزعة بقبیح فعلهم إلى غيرهم.

﴿كُلُّ﴾: من الفرق المتحزبة

﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾^(٧): فنجازيهم.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: بالله ورسله.

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾: فلا تضییع لسعيه. استعير لمنع الثواب، كما استعير الشكر

لإعطائه. ونقي نفي الجنس للمبالغة.

﴿وَأَنَّا لَهُ كَاشِبُونَ﴾^(٨): مثبتون في صحيفة عمله، لا يضيع بوجه ما.

وفي كتاب الاحتجاج^(٩) للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث أجاب فيه

١. المصدر: مخلوقة من أمر الله.

٢. أنوار التنزيل ٨١/٢.

٣. أنوار التنزيل ٨١/٢.

٤. ليس في ع.

٥. الاحتجاج ٢٤٥/ ٢٤٧.

بعض الزنادقة، وقد قال معترضاً: وأجده يقول: «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه». ويقول^(١): «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى». أعلم في الآية الأولى أَنَّ الأعمال الصالحة لا تكفر، وأعلم في الثانية أَنَّ الإيمان والأعمال الصالحة^(٢) لا تنفع إلا بعد الإهداء؟!

قال عليه السلام: وأما قوله: «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه» وقوله: «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَغْنِي إِلَّا مع الإهداء. وليس كُلُّ مَنْ وقع عليه اسم الإيمان، كان حقيقاً بالنجاة ممَّا هلك به الغواة. ولو كان ذلك كذلك، لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها بالله، ونجا سائر المقرِّين بالوحدانية من إبليس فمن دونه في الكفر. وقد بيَّن الله ذلك بقوله^(٣): «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ». وبقوله^(٤): «الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ».

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: وممتنع على أهلها غير متصوِّر منهم.

وقرأ^(٥) أبو بكر وحمة والكسائي: «وَحَرَمٌ» بكسر الحاء وسكون الراء.

وقرئ^(٦): «حرم».

﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: حكمنا بإهلاكها. أو: وجدناها هالكة.

﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٧): رجوعهم إلى التوبة، أو الحياة. و«لا» صلة. أو عدم رجوعهم للجزاء، وهو مبتدأ خبره «حرام». أو فاعل له ساذَّ مسدَّ خبره. أو دليل عليه، وتقديره: توبتهم، أو حياتهم، أو عدم بعثهم. أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون. و«حرام» خبر محذوف. أي وحرام عليها ذلك، وهو المذكور في الآية المتقدمة. ويؤيده القراءة بالكسر.

١. طه / ٨٢.

٢. المصدر: الصالحات.

٣. الأنعام / ٨٢.

٤. المائدة / ٤١.

٥. أنوار التنزيل / ٨١/٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: حرمة.

٧. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): «حرام» عزم وموجب عليهم «أنهم لا يرجعون». وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): «وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون». فإنه حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي بصير، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام قالوا: كل قرية أهلك الله ﷻ أهلها بالعذاب، لا يرجعون في الرجعة. وهذه الآية من أعظم الدلالة [في الرجعة] ^(٣). لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون إلى القيامة، من هلك ومن لم يهلك. انتهى كلامه. وفيه أيضاً ^(٤): قال الصادق عليه السلام: كل قرية أهلك تعالى أهلها بالعذاب، لا يرجعون في الرجعة. فأما إلى القيامة فيرجعون. والذين محضوا الإيمان محضاً، وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ^(٥) ومحضوا الكفر محضاً، يرجعون.

«حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ»: متعلق بـ «حرام» أو بمحذوف دل الكلام عليه، أو بـ «لا يرجعون». أي يستمر الامتناع، أو الهلاك، أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها؛ وهو فتح سد يأجوج ومأجوج. وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها. والمحكي هي الجملة الشرطية.

وقرأ ^(٦) ابن عامر ويعقوب: «فُتِّحَتْ» بالتشديد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٧): قال: إذا كان في آخر الزمان، خرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا [ويأكلون الناس] ^(٨).

«وَهُمْ»: يعني يأجوج ومأجوج، أو الناس كلهم.

«مِنْ كُلِّ حَدَبٍ»: نشر من الأرض.

٢. تفسير القمّي ٧٦٧٥/٢.

٤. تفسير القمّي ٢٥٠/١.

٦. أنوار التنزيل ٨١/٢.

٨. ليس في ن.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في م.

٥. ليس في أ.

٧. تفسير القمّي ٧٦٧/٢.

وقرئ^(١): «جُدث». وهو القبر.

﴿يَنْسِلُونَ﴾^(٢): يسرعون. من نسلان الذئب.

وقرئ^(٣) بضم السين.

﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: وهو القيامة.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: جواب الشرط و«إذا» للمفاجأة، تسد مسد

الفاء الجزائية؛ كقوله^(٤): «إذا هم يقنطون» فإذا جاءت معها، تظاهرتا^(٥) على وصل
الجزاء بالشرط، فيتأكد. والضمير للقصة، أو مبهم يفسره الأبصار.

﴿يَا وَيْلَنَا﴾: مقدّر بالقول، واقع موقع الحال من الموصل.

﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾: لم نعلم أنه حق.

﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٦): لأنفسنا بالإخلال بالنظر.

﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يُحْتَمَلُ الأوثان وإبليس وأعوانه، لأنهم بطاعتهم

لهم في حكم عبادتهم.

﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾: ما يُرْمَى به إليها، وتُهَيَّج به. من: حصبه يحصبه: إذا رماه

بالحصباء.

وقرئ^(٧) بسكون الصاد، وصفاً بالمصدر.

وفي^(٨) مجمع البيان^(٩): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما نزلت

هذه الآية، وجد منها أهل مكة وجداً شديداً. فدخل عليهم عبدالله بن الزبير، وكفّار

١. أنوار التنزيل ٨١/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. الروم ٣٦.

٤. كذا في أنوار التنزيل ٨١/٢. وفي ع: تظاهر. وفي غيرها: تظاهرت.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. في هامش نسخة «م»: رأيت في بعض الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في جواب قبل هذا السؤال
مضمونه أنك من العرب وقال تعالى «وما تعبدون» و«ما» لغیر ذي العقول. (جعفر).

٧. لا يوجد في المجمع، بل نقله القمي في تفسيره ٧٦/٢.

قريش يخوضون في هذه الآية. فقال ابن الزبيري: أمحمد^(١) تكلم بهذه الآية؟^(٢) فقالوا: نعم. قال ابن الزبيري: لئن اعترف بها، لأخصمته!

فجمع بينهما. فقال: يا محمد، أرايت الآية التي قرأت آنفاً، أفينا وفي آلهتنا خاصة؟ أم في الأمم [الماضية]^(٣) وآلهتهم؟ فقال: بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم [الماضية]^(٤) وفي آلهتهم، إلا من استثنى الله.

فقال ابن الزبيري: خصمتك^(٥) والله! ألتستثني علي عيسى^(٦) خيراً؟! وقد عرفت أن النصارى يعبدون عيسى [وأمه]^(٧). وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة! أفليس هؤلاء مع الآلهة في النار؟! فقال رسول الله ﷺ: لا.

فضحكت قريش وضحك. وقالت قريش: خصمك ابن الزبيري! فقال رسول الله ﷺ: [٨] قلت الباطل. أما قلت: إلا من استثنى الله؟! وهو^(٩) قوله^(١٠) تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ». وقوله: «حَصْبُ جَهَنَّمَ» يقول: يَقْدَفُونَ فِيهَا قَدْفاً. وقوله: «أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» يعني الملائكة وعيسى بن مريم.

وفي مجمع البيان^(١١): وقراءة علي عليه السلام: «حطب» بالطاء.

وفي كتاب علل الشرائع^(١٢): أبي الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه، عن أحمد بن محمد، عن حماد بن عيسى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة، أتى بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين^(١٣)،

-
- | | |
|--|------------------------|
| ١. ليس في م. | ٢. ليس في م. |
| ٣. من المصدر. | ٤. من المصدر. |
| ٥. المصدر: خاصمتك. | ٦. ليس في أ. |
| ٧. ليس في م. | ٨. من المصدر. |
| ٩. ليس في المصدر. | ١٠. الأنبياء ١٠١-١٠٢. |
| ١١. المجمع ٦٣/٤. | ١٢. العلل ٦٠٥/٤، ج ٧٨. |
| ١٣. المصدر: العبقريين. والعقير: المقطوع القوائم. | |

فَيُقَذَّفَانِ^(١) بهما وبمن يعبدهما في النار. وذلك أَنَّهُمَا عُبِدَا، فرضيا.

﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(٢): استئناف أو بدل من «حصب جهنم». واللام معوضة من «على» للاختصاص والدلالة على أَنَّ ورودهم لأجلها.

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا﴾: لِأَنَّ الْمُوَاخِذَ الْمُعَذَّبَ لَا يَكُونُ إِلَهًا.

﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣): لاختصاص [لهم عنها]^(٤).

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أنين وتنفس شديد.

وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغليب، إن أريد بما تعبدون الأصنام.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٥): من الهول وشدة العذاب.

وقيل^(٦): لا يسمعون ما يسرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾: الخصلة الحسنی، وهي السعادة، أو التوفيق للطاعة، أو البشری بالجنة.

﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٧): لِأَنَّهُمْ يُرْفَعُونَ إِلَى أَعْلَى عَلَيَيْنِ.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام قال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْوَلِيدِ الْقَسَوِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كُنَّا ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام سَمَارًا إِذْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾. فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ. وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ. فَوُثِبَ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ». ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ.

وقال أيضاً^(٩): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَهْلٍ^(١٠) النِّسَابُورِيُّ حَدِيثًا يَرْفَعُهُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى رِبْعٍ^(١١) قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ

١. المصدر: يقدمان.

٣. أنوار التنزيل ٨٢/٢.

٥. نفس المصدر ٣٣٠/ ح ١٥.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: بزيع.

٢. ليس في ن.

٤. تأويل الآيات الباهرة ٣٢٩/١ ح ١٤.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: سهيل.

الله^(١) - يقال له حَسَّان بن رايصة -^(٢): يا [أبا]^(٣) عبد الرحمان، لقد رأيت رجلين ذكرا علياً وعثمان فثلاً^(٤) منهما. فقال ابن عمر: إن كانا لعناهما، فلعنهما الله تعالى.

ثم قال: ويلكم يا أهل العراق! كيف تسبون رجلاً هذا منزله من منزل رسول الله؟! وأشار بيده إلى بيت علي عليه السلام في المسجد [وقال:]^(٥) فورب هذه الحرمة^(٦)، إنه من الذين «سبقت لهم منا الحسنى». ما لها مردود. يعني بذلك علياً عليه السلام.

وفي قرب الإسناد^(٧) للحميري بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكل شيء يُعبد من دونه؛ من شمس أو قمر أو غير ذلك، ثم يسأل كل إنسان عما كان يعبد. فيقول كل من عبد غير الله^(٨): رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُهَا لِنَقْرِبَنا إِلَيْكَ زلفى.

قال: فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: اذهبوا بهم وبما كانوا يعبدون إلى النار، ما خلا من استثنيت. فأولئك عنها مبعدون.

وفي محاسن البرقي^(٩): وروى ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله يأتي بكل شيء يُعبد من دونه؛ من شمس أو قمر أو تمثال أو صورة، فيقال: اذهبوا [بهم]^(١٠) وبما كانوا يعبدون من دون الله إلى النار.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: وهو بدل من «مبعدون» أو حال من ضميره. سيق للمبالغة في إبعادهم عنها.

والحسيس: صوت يُحَسَّ به.

﴿وَهُمْ فِيهَا اشْتَبَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١١): دائمون في غاية التنعم.

١. م: من بني تميم. س، أ، ن، من بني تيم. المصدر: رابضة.

٣. من المصدر. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقالا.

٥. ليس في ع. ٦. من ع.

٧. قرب الإسناد / ٤١. ٨. المصدر: غيره.

٩. المحاسن / ٢٥٤، ح ٢٧٩. ١٠. من المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «في» بدل «من دون الله إلى».

وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): وروى الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه عليه السلام قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلِيُّهُ، عَنْ أَبِيهِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَبْعَثُ اللَّهُ شِيعَتَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى مَا فِيهِمْ مِنْ ذُنُوبٍ وَعُيُوبٍ، مَبِضَّةً [مَنْتَضِرَةً^(٢) مَسْفَرَةً^(٣)] وَجُوهَهُمْ، مُسْتَوْرَةٌ عَوْرَاتِهِمْ، أَمْنَةً رِوَعَاتِهِمْ. قَدْ سَهَّلْتُ لَهُمُ الْمَوَارِدَ، وَذَهَبْتُ عَنْهُمْ الشَّدَائِدَ. يَرْكَبُونَ نَوْقًا مِنْ يَاقُوتٍ. فَلَا يَزَالُونَ يَدُورُونَ خِلَالَ الْجَنَّةِ، عَلَيْهِمْ شَرْكَ مِنْ نُورٍ يَتَلَأَلُ. تَوْضَعُ^(٤) لَهُمُ الْمَوَائِدَ. فَلَا يَزَالُونَ يَطْعَمُونَ، وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى أُولَٰئِكَ مِنْهَا مُبَعَّدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ». ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾: الْفَرَقَةُ الْآخِرَةُ؛ لِقَوْلِهِ^(٥): «وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفِرْعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ». أَوْ: الْإِنْصِرَافُ إِلَى النَّارِ. أَوْ: حِينَ يُطَبَّقَ عَلَيْهَا^(٦)، أَوْ يُذْبَحَ الْمَوْتُ.

﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: تَسْتَقْبِلُهُمْ مَهْنَتِينَ.

﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾: أَيُّ يَوْمِ ثَوَابِكُمْ. وَهُوَ مُقَدَّرٌ بِالْقَوْلِ.

﴿الَّذِي كُتِّمَ تَوَعَّدُونَ﴾^(٧): فِي الدُّنْيَا.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام: حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ زِيَادٍ بِإِسْنَادِهِ^(٩) يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ عَمْرِ بْنِ رَشِيدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كُتْبَانِ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ.

١. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٠/١، ح ١٦.

٢. م ون: مَنْتَضِرَةً.

٣. ليس في المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: تَضَعُ.

٥. النمل/٨٧.

٦. يوجد هاهنا في جميع النسخ هذه الزيادة: الَّذِي كُتِّمَ تَوَعَّدُونَ.

٧. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٠/١ - ٣٣١، ح ١٧.

٨. المصدر: بِإِسْنَادٍ.

يفزع الناس، ولا يفزعون. ويحزن الناس، ولا يحزنون. وهو قول الله ﷻ: «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون».

وروى الصدوق^(١) أبو جعفر محمد بن بابويه عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: حَدَّثَنِي سعد بن عبدالله بإسناده يرفعه إلى أبي بصير، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا علي، بشر إخوانك بأن الله قد رضي عنهم؛ إذ رضيك^(٢) لهم قائداً، ورضوا بك ولياً.

يا علي، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين. يا علي، شيعتك المنتجبون^(٣). ولو لا أنت وشيعتك، ما قام لله دين، ولو لا من في الأرض منكم، لما أنزلت السماء قطرها.

يا علي، لك كنز في الجنة^(٤)، وأنت ذو قرنيها^(٥). وشيعتك تعرف بحزب الله. يا علي، أنت وشيعتك القائمون بالقسط وخيرة الله من خلقه. يا علي، أنا أول من ينفض التراب عن رأسه، وأنت معي، ثم سائر الخلائق^(٦).

يا علي، أنت وشيعتك على الحوض؛ تسقون من أحببتهم، وتمنعون من كرهتهم. وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش. يفزع الناس، ولا تفزعون. ويحزن الناس، ولا تحزنون. وفيكم نزلت هذه الآيات: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ».

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾: مقدّر باذكر. أو ظرف «لا يحزنهم» أو «تتلقاهم» أو حال مقدّرة من الضمير المحذوف من «توعدون».

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: رضيتك.

١. نفس المصدر / ٣٣١، ح ١٨.

٣. المصدر: المتهجرون.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: يا علي، إن بيوتنا كثيرة لك في الجنة.

٦. المصدر: الخلق.

٥. في غيرن: ذو قرنيها.

والمراد بالطي ضد النشر، أو المحو؛ من قولك. اطو عني هذا الحديث. وذلك لأنها نُشِرت مظلة لبني آدم؛ فإذا انتقلوا، قرضت عنهم.

وقرئ^(١) بالياء والتاء، والبناء للمفعول.

﴿كَطَي السَّجِّلَ لِلْكَتَبِ﴾: قيل^(٢): كطَي الطومار لأجل الكتابة. أو لما يكتب أو كتب فيه. ويدل عليه قراءته على الجمع. أي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه.

وقيل^(٣): «السَّجِّل» ملك يطوي كتب الأعمال إذا رُفِعَتْ إليه. أو كاتب كان لرسول الله ﷺ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: «السَّجِّل» اسم الملك الذي يطوي الكتب. ومعنى يطويها: يفنيها، فتتحول دخاناً والأرض نيراناً.

وقرئ^(٥): «السَّجِّل» كالدلو، و«السُّجِّل» كالعتل، وهما لغتان فيه.

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾: أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إيَّاه في كونهما إيجاداً عن العدم، أو جمعاً من الأجزاء المتبددة.

والمقصود بيان صحّة الإعادة، بالقياس على الإبداء، لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية، وتناول القدرة القديمة لهما.

و«ما» كافة أو مصدرية، و«أَوَّل» مفعول «بدأنا» أو لفعل يفسره «نعيد»^(٦). أو موصولة، والكاف متعلقة بمحذوف يفسره «نعيد». أي نعيد مثل الذي بدأنا. و«أَوَّل» خلق» ظرف لـ «بدأنا» أو حال من ضمير الموصول المحذوف.

﴿وَعَدْنَا﴾: مقدّر بفعله، تأكيداً لـ «نعيد» أو منتصب به، لأنه عدة بالإعادة.

﴿عَلَيْنَا﴾: أي علينا إنجازه.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٧): ذلك لامحالة.

٢. أنوار التنزيل ٨٢/٢.

٤. تفسير القمي ٧٧/٢.

٦. ليس في ع ون.

١. أنوار التنزيل ٨٢/٢.

٣. أنوار التنزيل ٨٢/٢.

٥. أنوار التنزيل ٨٢/٢-٨٣.

وفي كتاب جعفر بن محمد الدوريسي^(١) بإسناده إلى ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية^(٢) على رسول الله ﷺ: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً»^(٣) غشي عليه، وحُمِل إلى حجرة أم سلمة. فانتظره أصحابه وقت الصلاة، فلم يخرج. فاجتمع المسلمون فقالوا: ما لنبي الله؟ فقالت أم سلمة: إن نبي الله عنكم مشغول.

ثم خرج بعد ذلك، فرقى المنبر فقال: يا أيها الناس، إنكم تُحشرون إلى الله كما خُلقتُم حفاة عراة. ثم قرأ على أصحابه: «فحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً». ثم قرأ: «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين».

وفي نهج البلاغة^(٤): استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، [وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة. فجاؤوها، كما فارقوها، حفاة عراة. قد طعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة]^(٥) [والدار الباقية؛ كما قال سبحانه: «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين»]^(٦).

وفي مجمع البيان^(٧): ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: يُحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً^(٨). «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين».

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾: قيل^(٩): في كتاب داود عليه السلام.

﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: قيل^(١٠): أي التوراة.

وقيل^(١١): المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة؛ وبالذكر اللوح المحفوظ.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾: قيل^(١٢): أرض الجنة، أو الأرض المقدسة.

١. نور الثقلين ٦٣/٤، ح ١٨٦.

٣. الكهف ٤٧/.

٥. ليس في أ.

٧. المجمع ٦٦٤، باختلاف.

٨. ليس في س وأ. والغزل: جمع الأغزل: الأغلف، وهو الذي لم يختن.

٩. أنوار التنزيل ٨٣/٢.

١٠. أنوار التنزيل ٨٣/٢.

١١. نفس المصدر والموضع.

١٢. نفس المصدر والموضع.

٢. ليس في ع.

٤. النهج ١٦٦-١٦٧، الخطبة ١١١.

٦. ليس في ن.

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١٥): قيل^(١): يعني عامة المؤمنين. أو الذين [كانوا]^(٢) يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها. أو أمة محمد ﷺ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: الكتب كلها ذكر. وأن الأرض يرثها عبادي الصالحون» قال: القائم عليه وأصحابه. قال^(٤): والزبور فيه ملاحم وتوحيد^(٥) وتمجيد ودعاء.

وفيه^(٦): قال: أعطى الله داود وسليمان عليهما ما لم يعط أحداً من أنبياء الله، من الآيات: علمهما منطلق الطير. وألان لهما الحديد والصفر من غير نار. وجعلت الجبال يسبحن مع داود عليه. وأنزل الله ﷻ عليه الزبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء، وأخبار رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة عليهم من ذرّتهما عليهما وأخبار الرجعة وذكر^(٧) القائم صلوات الله عليه.

وفي تفسير العياشي^(٨) عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه حديث طويل، وفيه يقول عليه: فلما دنا عمر آدم عليه هبط عليه ملك الموت ليقبض روحه، فقال له آدم: يا ملك الموت، قد بقي من عمري ثلاثون سنة^(٩)! فقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود [النبي]^(١٠) وطرحتها^(١١) من عمرك، حيث عرض [الله]^(١٢) عليك [أسماء]^(١٣) الأنبياء من ذرّيتك، وعرض عليك أعمارهم، وأنت يومئذ بوادي الروحا^(١٤)؟! فقال

١. نفس المصدر والموضع.

٢. ليس في س وأ. ٣. تفسير القمي ٧٧/٢.

٤. المصدر: تحميد. ٥. نفس المصدر ١٢٦/٢.

٦. تفسير القمي ٢١٩/٢، ح ٧٣. ٧. ليس في المصدر.

٨. ليس في المصدر. ٩. ليس في المصدر.

١٠. المصدر: أطرحتها. ١١. من المصدر.

١٢. من المصدر. ١٣. كذا في المصدر. وفي ع: رخيها. وفي غيرها: دخنا.

آدم: [يا ملك الموت] ^(١) ما أذكر هذا! فقال له ملك الموت: يا آدم، لاتجهل. ألم تسأل الله أن يثبتها لداود، ويمحوها من عمرك؛ فأثبتها لداود في الزبور، ومحاها من عمرك من الذكر؟!

وفي أصول الكافي ^(٢): محمد، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سألته عن قوله الله تعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر»، ما الزبور؟ وما الذكر؟ قال: الذكر عند الله. والزبور الذي أنزل على داود. وكل كتاب نزل، فهو عند أهل العلم. ونحن هم.

وفي مجمع البيان ^(٣): «أَنَّ الْأَرْضَ يَرْتِهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ». وقال أبو جعفر عليه السلام: هم أصحاب المهدي في آخر الزمان. ويدل على ذلك ما رواه الخاض والعام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً [صالحاً] ^(٤) من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد أورد ^(٥) الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، في كتاب البعث والنشور، أخباراً كثيرة في المعنى، حدّثنا بجميعها عنه، حافده أبو الحسن عبيدالله بن محمد بن أحمد في شهور سنة ثمان مائة وخمسمائة. ثم قال في آخر الباب: فأما الحديث الذي أخبرنا به أبو عبدالله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا يزداد ^(٦) الأمر إلا شدة، ولا الناس إلا شحاً، ولا الدنيا إلا إداراً. ولا تقوم الساعة إلا على شرار ^(٧) الناس. ولا مهدي إلا عيسى بن مريم. فهذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندي ^(٨).

٢. الكافي ٢٢٥/١، ح ٦.

٤. من المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا يزداد.

١. ليس في ع.

٣. المجمع ٦٧٤-٦٧٥.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. المصدر: أشرار.

٨. في هامش نسخه «م»: لا يخفى أن الاستثناء لا يستقيم على ما فهمه هذا الموجود ألا ترى أنه لا يجوز لزيد

قال أبو عبدالله الحافظ: ومحمد بن خالد رجل مجهول واختلف عليه في إسناده. فرواه مرة^(١) عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس [بن مالك]^(٢) عن النبي ﷺ. ومرة عن أبان بن أبي عيَّاش - وهو متروك - عن الحسن، عن النبي ﷺ. [وهو منقطع، والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي عليه السلام أصح إسناداً، وفيها بيان كونه من عتره النبي ﷺ]^(٣).

هذا لفظه، ومن جملتها ما حدَّثنا به أبو الحسن حافده عنه قال: حدَّثنا أبو عليّ الرودباري^(٤) قال: حدَّثنا أبو بكر بن داسة^(٥) قال: حدَّثنا أبو داود السجستاني، في كتاب السنن، عن طرق كثيرة ذكرها، ثم قال: كلَّهم عن عاصم المقرئ عن ذر^(٦)، عن عبدالله، عن النبي ﷺ قال: لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم [واحد]^(٧) لطوَّل الله ذلك اليوم، حتَّى يبعث فيه رجلاً منِّي و^(٨) من أهل بيتي - وفي بعضها: يواطئ اسمه اسمي - يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وبالإسناد، حدَّثنا أبو داود قال: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدَّثني عبدالله بن

⇒ إلَّا عمرو لعدم شمول المستثنى منه للمستثنى وغيره، فالأصوب أن يقال: يمكن أن يكون المراد بقوله ﷺ: ولا مهديّ إلَّا عيسى بن مريم أن لا تقوم الساعة إلَّا على شرار الناس والحساب أنّه لا حدّ في الهداية إلَّا عيسى بن مريم فالمراد بالمهديّ من كان بصفة الهداية لا العلم، أو المعنى لا تقوم الساعة إلَّا على شرّ الناس ولا يقوم المهديّ إلَّا على عيسى بن مريم حتّى يكون المراد أن قيامه ﷺ «على» يكون خيار الناس وحينئذ يكون العطف بعاطف واحد على عاملين مختلفين، وذلك كقوله:

أكل امرئ تحسّين امرأاً ونار توقد بالليل نارا

بجزّ النار الأوّل ونصب الثاني، أو يقال: سقطت لفظة «على» بعد إلّا في قوله ﷺ: إلَّا على عيسى من قلم النسخ أو لم يسمعها الراوي، والله يعلم (جعفر).

١. ليس في أ. ٢. ليس في المصدر.

٣. ليس في أ.

٤. كذا في نور الثقلين ٤٦٥/٣، ح ١٩٤. وفي النسخ: الرودباري.

٥. كذا في المصدر. وفي س، أ، م: دراسة. وفي سائر النسخ: داسمة.

٦. المصدر: زيد. ٧. من المصدر.

٨. المصدر: أو.

جعفر الرقي^(١) قال: حَدَّثَنِي أَبُو مَلِيحِ الْحَسَنُ بْنُ عَمْرِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ يَبَانَ^(٢)، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ نَفِيلٍ^(٣)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: المَهْدِيُّ مِنْ عَتَرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ﷺ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ^(٥) [عَنْ أَبِيهِ]^(٦) عَنْ الْحُسَيْنِ^(٧) بْنِ مَخَارِقَ، عَنْ أَبِي الْوَرْدِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: قَوْلُهُ ﷺ: «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ» هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وقال أيضاً^(٨): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَرِيرِيِّ^(٩) عَنْ أَبِي صَادِقٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ» الْآيَةَ. قَالَ: نَحْنُ هُمْ. قَالَ: قُلْتُ: «إِنَّ فِي هَذَا بَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ»؟ قَالَ: هُمْ شِيعَتُنَا.

وقال أيضاً^(١٠): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ» قَالَ: آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَنْ تَابِعَهُمْ عَلَى مَنْهَاجِهِمْ، وَالْأَرْضُ أَرْضُ الْجَنَّةِ.

وقال أيضاً^(١١): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ^(١٢)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ

١. كذا في المصدر. وفي س، أ، م، ن: البرقي. وفي غيرها: المرققي.

٢. كذا في المصدر. وفي ن: بيان. وفي س، أ: بنان. وفي سائر النسخ: هنان.

٣. أ، س، م، ع: ثقيل. ٤. تأويل الآيات الباهرة ١/٣٣٢، ح ١٩.

٥. س، أ، م: الحسين. ٦. من المصدر.

٧. كذا في المصدر وجامع الرواة ١/٢٥٣. وفي النسخ: الحصين.

٨. نفس المصدر، ح ٢٠.

٩. كذا في المصدر وجامع الرواة ١/٣٦٥. وفي النسخ: الحريري.

١٠. نفس المصدر، ح ٢١. ١١. نفس المصدر، ح ٢٢.

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ.

حسين بن محمد بن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله يَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ يَرْتُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ هم أصحاب المهدي عليه السلام آخر الزمان.

﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾: أي فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد.

﴿لَبَلَاغًا﴾: أي الكفاية. أو: لسبب بلوغ إلى البغية.

﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ^(٦٦): همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٦٧): لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم، وموجب

لصالح معاشهم ومعادهم.

وقيل ^(١): كونه رحمة للكفار أمهم به من الخسف والمسح وعذاب الاستئصال.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٢) للطبرسي رحمته الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة: وأما قوله لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وأنت ترى أهل الملل المخالفة للإيمان، ومن يجري مجراهم من الكفار، مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية، وأنه لو كان رحمة عليهم، لاهتدوا به ^(٣) جميعاً، ونجوا من عذاب السعير، فإن الله تبارك اسمه إنما عنى بذلك أنه جعله سبباً لإنظار ^(٤) أهل هذه الدار؛ لأن الأنبياء قبله بُعثوا بالتصريح، لا بالتعريض. وكان النبي منهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه، سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة. وإن خالفوه، هلكوا، وهلك أهل دارهم [بالآفة التي] ^(٥) كان نبيهم ^(٦) يتوعدهم بها، ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم ^(٧) من خسف، أو قذف، أو رجف، أو ريح، أو زلزلة، وغير ذلك من أصناف العذاب التي هلكت بها الأمم الخالية.

٢. الاحتجاج/ ٢٥٥.

١. أنوار التنزيل ٨٣/٢.

٤. ع: لانتظار.

٣. ليس في المصدر.

٥. ليس في ع وأ.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: «كانت بينهم» بدل «كان نبيهم».

٧. ليس في م.

وإن^(١) الله علم من نبينا ﷺ ومن الحجج في الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله؛ فبعثه الله بالتعريض، لا بالتصريح. وأثبت حجة الله تعريضاً، لا تصريحاً، بقوله في وصيته^(٢): من كنت مولاه، فهذا مولاه. وهو مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. وليس من خليفة النبي ولا من شيمته^(٣)، أن يقول قولاً لا معنى له. فلزم الأمة أن تعلم أنه لما كانت النبوة والأخوة موجودتين في خلفه^(٤) هارون^(٥) معدومتين فيمن جعله النبي ﷺ بمنزلته، أنه قد استخلفه على أمته، كما استخلف موسى هارون، حيث قال: «اخلفني في قومي»^(٦). ولو قال لهم: «لا تقلدوا الإمامة إلا فلاناً بعينه، ولا نزل بكم العذاب» لأتاهم العذاب، وزال باب الإنظار والإمهال.

وفي مجمع البيان^(٧): وروي أن النبي ﷺ قال لجبرئيل - لما نزلت هذه الآية -: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم. إني كنت أخشى عاقبة الأمر، فأمنت بك لما أثنى الله عليّ بقوله^(٨): «ذي قوة عند ذي العرش مكين». وقد قال ﷺ: أنا رحمة مهداة. وفي كتاب علل الشرائع^(٩) بإسناده إلى عبد الرحيم^(١٠) القصير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: أما لو قام قائمنا، رُدَّت الحميراء حتى يجلدها الحدّ، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة عليها السلام منها.

قلت: جعلت فداك، ولم يجلدها [الحدّ]؟^(١١) قال: لغريتها على أم إبراهيم. قلت: فكيف أخره الله للقائم؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً، وبعث القائم عليه السلام نقمةً.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: ألا إن.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: وصيته.

٣. المصدر: النبوة.

٤. المصدر: خلقة.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «هارون وموسى».

٦. الأعراف/١٤٢.

٧. المجمع ٦٧/٤.

٨. التكويد/٢٠.

٩. العلل ٥٧٩ - ٥٨٠، ح ١٠.

١٠. كذا في المصدر وجامع الرواة ٤٥٥/١. وفي النسخ: عبد الرحمن.

١١. من المصدر.

وفي الكافي^(١): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ ﷺ مُحَمَّدًا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فِي سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ. فَمَنْ صَامَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾: أَيُّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّهُ لَا إِلَهَ لَكُمْ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ.

وذلك أَنَّ المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد. فالأولَى لقصر الحكم على الشيء، والثانية على العكس.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢): قِيلَ^(٣): مُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، عَلَى مُقْتَضَى الْوَحْيِ الْمَصْدَقِ بِالْحُجَّةِ.

وفي كتاب المناقب^(٤) لابن شهر آشوب: أَبُو بصير عن الصادق عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ الْوَصِيَّةَ [الْعَلِيَّ]^(٥) بَعْدِي. نَزَلَتْ مُشَدَّدَةً.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عَنْ التَّوْحِيدِ، أَوِ الْوَصِيَّةِ.

﴿فَقُلْ أَذْنُكُمْ﴾: أَعْلَمْتُكُمْ مَا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ حَرْبِي لَكُمْ.

﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾: عَلَى عَدَلٍ.

وقيل^(٥): أَيُّ مُسْتَوِينَ فِي الْإِعْلَامِ بِهِ. أَوْ: مُسْتَوِينَ أَنَا وَأَنْتُمْ فِي الْعِلْمِ بِمَا أَعْلَمْتُكُمْ بِهِ، أَوْ فِي الْمَعَادَةِ. أَوْ: إِذَا نَأَى عَلَى سَوَاءٍ.

﴿وَأَنْ أَدْرِي﴾: مَا أَدْرِي.

﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوْعَدُونَ﴾^(٦): قِيلَ^(٧): مِنْ غَلْبَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْحَشْرِ، لَكِنَّهُ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ^(٨).

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾: مَا تَجْهَرُونَ بِهِ مِنَ الطَّعْنِ فِي الْإِسْلَامِ.

٢. أنوار التنزيل ٨٣/٢.

٤. من المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

١. الكافي ١٤٩/٤، ح ٢.

٣. المناقب ٤٨/٤.

٥. أنوار التنزيل ٨٣/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا محال.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾^(١): من الإحن والأحقاد للمسلمين، فيجازيكم عليه.
﴿وَأَنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾: وما أدري لعل تأخير جزائكم^(٢) استدراج لكم وزيادة في افتنانكم. أو امتحان لينظر كيف تعملون.

﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٣): وتمتيع إلى أجل مقدّر تقتضيه مشيئته.
وفي عيون الأخبار^(٤)، في باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليه السلام مع هارون الرشيد ومع موسى بن المهدي، حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: رأيت النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأربعاء في النوم، فقال لي: يا موسى، أنت محبوس مظلوم. فقلت: نعم يا رسول الله، محبوس مظلوم. فكرر ذلك عليّ ثلاثاً. ثم قال: «وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين».

وفي كتاب الاحتجاج^(٥) للطبرسي عليه السلام: روي أنه لما قدم معاوية إلى الكوفة قيل له: إن الحسن بن علي عليه السلام مرتفع في أنفس الناس. فلو أمرته أن يقوم دون مقامك على المنبر، فتدركه الحداثة والعبي، فيسقط من أنفس الناس [وأعينهم]^(٦). فأبى عليهم، وأبوا عليه إلا أن يأمره بذلك. فأمره، فقام دون مقامه في المنبر. فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد، [أيها الناس]^(٧) فإنكم لو طلبتم ما بين كذا وكذا لتجدوا رجلاً جدّه نبيّ، لم تجدوه^(٨) غيري وغير أخي. وأنا أعطينا صفقتنا هذه الطاغية، وأشار بيده إلى أعلى المنبر، إلى معاوية، وهو في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر ورأينا حقن دماء المسلمين أفضل من إهراقها. «وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين» وأشار بيده إلى معاوية. فقال له معاوية: ما أردت بقولك هذا؟ فقال: أردت^(٩) به ما أراد الله تعالى.

وفي كتاب المناقب^(١٠) لابن شهر آشوب: وروي أنه قال الحسن عليه السلام في صلح

١. كذا في أنوار التنزيل ٨٣/٢. وفي النسخ: وما أدري لعلكم جزاؤكم.

٢. العيون ٦١/١، ح ٤. ٣. المناقب ٣٤/٤.

٤. المصدر: ما أردت. ٥. من المصدر.

٦. المصدر: لم تجدوا. ٧. الاحتجاج ٢٨٢/.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: على.

معاوية: أيها الناس، إنكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس^(١) رجلاً جدّه رسول الله ﷺ ما وجدتموه^(٢) غيري وغير أخي. وإن معاوية نازعني حقاً هو لي، فتركته لصالح الأمة وحقن دماؤها. وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمته، وقد رأيت أن أسالمة وأن يكون ما صنعت حجةً على من كان يتمنى هذا الأمر. «وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين».

﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾: قيل^(٣): اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: معناه: لاتدع الكفار^(٥)، والحق^(٦) الانتقام من الظالمين. قال: ومثله في سورة آل عمران^(٧): «ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون».

وقرى^(٨): «قال» على حكاية قول الرسول ﷺ.

وقرى^(٩): «رب» بالضم. و«رَبِّي أَحْكُم» على بناء التفضيل. و«أَحْكِم» من الإحكام. ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾: كثير الرحمة على خلقه.

﴿الْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوب منه المعونة

﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١٠): الحال، بأن الشوكة تكون لهم، وأن راية الإسلام تخفق أياماً، ثم تسكن وأن الموعد به، لو كان حقاً، لنزل بهم. فأجاب الله دعوة الرسول، فخيّب أمانيتهم، ونصر رسوله عليهم. وقرى^(١١) بالياء.

١. المصدر: جابلقا وجابرسا.

٢. المصدر.

٤. تفسير القمي ٧٨/٢.

٣. أنوار التنزيل ٨٤/٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: «الحق» بدل «والحق».

٥. المصدر: لاتدعو (تدع) لكفار.

٨-١٠. أنوار التنزيل ٨٤/٢.

٧. آل عمران ١٢٨.

الفهرس

٥	كلمة المحقق.....
٩	سورة الكهف.....
١٨٣	سورة مريم ﴿١٨٣﴾.....
٢٨٣	سورة طه.....
٣٨٩	سورة الأنبياء.....